

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها



التّوليد الدّّالي في ديوان الشّاعر محمد مهدي الجواهري

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات

إشراف الأستاذ الدكتور:
محمد بوعمامة

إعداد الطالبة:
مليلة خذيري

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د عبد القادر دامخي	أ.ت.ع	جامعة باتنة	رئيسا
د. محمد بوعمامة	أ.م	جامعة باتنة	مشرفا و مقرا
أ.د عبد المجيد عيساني	أ.ت.ع	جامعة ورقلة	عضوا
د. الجودي مرداسي	أ.م	جامعة باتنة	عضوا
د. لبوخ بوجملين	أ.م	جامعة ورقلة	عضوا
د. رشيد شعلال	أ.م	جامعة قالمة	عضوا

هـ 1432/1433 السنة الجامعية:

م 2011/2012

المقدمة

يتناول هذا البحث التّوليد الدّلالي في ديوان محمد مهدي الجواهري، وأثره في انعاش معجمه اللّغوي، وإثرائه، وتقويته، وقد عملت على تسليط الأضواء على هذه الظاهرة، ووصفها من خلال اعتماد النّصوص الشعرية التي وردت فيها، والكشف عن أسرارها، ومظاهر استعمالها، وعن قدرة الشّاعر في خلقها، وابداعها.

ولكي يتسنى لي دراسة التّوليد الذي استعمله مهدي الجواهري في شعره، قمت بإحصاء الألفاظ، والتراكيب، والصيغ التي وظّفها بطريقة غير مألوفة، وغير معهودة لدى القارئ، تشوبها غرابة في بعض الأحيان، وخلق من خلالها معاني جديدة، واستثنيت من هذه الدراسة تلك التي استخدمها بطريقة مباشرة، واكتفى من خلالها بدلالات حقيقية.

ولقد تأسست إشكالية البحث في طرح السؤال التالي:

كيف يمكن لمتلقي شعر الجواهري أن يدرك التوليد الدلالي في شعره؟

وللإجابة على سؤال الإشكالية اعتمدت الدلالة المعجمية للّفظ، ثم نقلت هذه الدلالة إلى السياق الذي وردت فيه، ومن خلال السياق كشفت عن الدلالة الجديدة للّفظ في توظيفها عن طريق المجاز أو الكناية.

ولقد جمع الجواهري أشعاره في ديوانه الذي طبع في العديد من المرات:

ديوان محمد مهدي الجواهري: ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، مطبعة الآداب، بغداد،

1949، والجزء الثاني، مطبعة بغداد، ط1، 1950، والجزء الثالث، مطبعة بغداد، ط1،

1953، وطُبع ديوانه كذلك في أربعة أجزاء بمطبعة الرابطة الأدبية، بغداد، ط5، 1960،

وفي سنة 1967، طبع ديوانه مرّة أخرى في جزّين، في بيروت، بدار الطليعة، ولقد ركّزت في دراستي على هذه الطبعة الأخيرة، وديوانه بجزّيه عبارة عن تاريخ أمّة، ونضال شعوب، وعصارة فكر شاعر، قهرته الظروف، وعلمته ألاّ يركع، ولا يستكين، ولقد ضمّ العديد من قصائده التي تكلم فيها عن نفسه، وعن معاناته، وعمّا يدور في الوطن العربي من أحداث، وعن آلامه، وسوء علاقته مع عشيرته، وعن التناقضات الموجودة بداخله، وعن عدم الاستقرار الرّوحي الذي لازمه مدى الحياة، وعن هجرته إلى بلاد الغرب، وعن تمسّكه بأرضه ووطنه، وتشبّثه بالقيم التي تربّى عليها، ومعاداته للأعداء الذي حلّوا بالوطن العربي، ومارسوا فيه التّكيل، والظلم، والاستبداد، وكيف تصدّى لهم بقلمه وحاربهم، وأبرز في ديوانه حبّه، وعشقه للشّعر، وتفضيله على نفسه، وتصديّه من خلاله لأعداء العلم والثقافة.

ومن بين الأبحاث والدراسات التي تناولت مهدي الجواهري، أذكر على سبيل المثال

لا الحصر:

- مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره، للدكتور سليمان جبران.
- وخصائص الأسلوب في شعر محمد مهدي الجواهري، رسالة دكتوراه لصاحبها فوزي علي صويلح من جامعة اليمن، السنة الجامعية 2008.
- محمد مهدي الجواهري، سليم طه التكريتي، دراسة نشرت في لندن سنة 1989.

ويهدف هذا البحث إلى:

- رصد ظاهرة التّوليد الدلالي في ديوان محمد مهدي الجواهري بجزّيه.

- اكتشافها، دراستها، ووصفها، وتأويلها.
 - أثرها في تنمية اللّغة، وتطويرها، وانعاشها.
 - المساهمة بشكل مباشر في إنشاء معجم تطوّرِي للّغة العربية.
- ويعود اختياري لهذا الموضوع إلى:
- حاجة المكتبة العربية لمثل هذه الدراسات.
 - جودة شعر محمد مهدي الجواهري، وغازته، وتميّزه.
 - ندرة الدراسات اللّغوية حول شعره، واقتصارها على الجانب الجمالي، وعلى سيرته الذاتية، والظّروف التي أنتج فيها شعره.
 - بروز ظاهرة التّوليد في ديوانه وكثرتها.
- ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، التحليلي، التأويلي، وقمت بتصنيف الألفاظ، والتراكيب، والصيغ، المستعملة في هذا الديوان ضمن جداول أسميتها محاور، أو مجموعات دلالية، أو فصول، وعند تناول هذه الألفاظ بالدراسة، ولتقريب معناها استعنت في بعض الأحيان بالمعاجم، مثل: المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، وأساس البلاغة لابن عمر الزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، وانطلقت بعد ذلك من السيّاقات التي وردت فيها الألفاظ لأستنبط من خلالها الدّلالات الجديدة التي ولّدها الشاعر، وتكون القراءات السيّاقية مختلفة عن القراءات المعجمية، كما أنّ طبيعة النماذج النّحوية بما تقدّمه من امكانات تمثيلية، هي التي تحدّد طبيعة الأساليب المجازية، وبالإضافة إلى ذلك استفدت

من بعض الدّراسات، والبحوث، مثل: توالّد البنى، وتوليد الدلالات في سيفيات المتنبي، رسالة ماجستير لمحمد صالح أحمد جميح، جمهورية اليمن بتاريخ 2001، التّوليد الدلالي، دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجرة الدرّ لأبي الطيّب اللّغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية، من تأليف حسام البهنساوي، والمعنى وتوليد الدلالات في شعر السيّاب، للدكتور قاسم البرسيم، والقراءة وتوليد الدّالة، تغيير عاداتنا في قراءة النّص الأدبي، للدكتور حميد الحمداني، ولقد فتح لي هذا المرجع آفاقا كبيرة أمامي، وذلك من صعوبات البحث، وأعانني على توضيح الرؤية، والتّوليد الدلالي والنسقية، والترجمة الآلية، أعدّها أحمد بريسون، وخالّد الأشهب، وأشرف عليها عبد القادر الفاسي الفهري.

ويتألّف هذا البحث من مقدمة، ومدخل، وأربعة فصول، وكشاف معجميّ لغويّ، وخاتمة.

يعرض المدخل إلى حياة محمد مهدي الجواهري، وثقافته، ومؤلفاته، وإلى مفهوم التّوليد عند القدامى والمحدثين، وعن مصادره، وعن النّص الشعري، ومفهوم التّناص، وعن كيفية قراءة النّص الشعري.

الفصل الأول: الألفاظ الدالة على الألم. وضمّ العناوين الفرعية الآتية:

- الألفاظ الدّالة على الجراح.

- الألفاظ الدّالة المعاناة.

- الألفاظ الدّالة قسوة الحياة.

ولقد تفرّعت هذه المجموعة الكبرى إلى:

1- مجموعة الألفاظ الدّالة على العذاب، والألم، والجراح، والإحباط، والقسوة، والمعاناة، وما

له صلة بذلك

2- مجموعة الألفاظ الدّالة على الاحباط، وخيبة الأمل، والحزن، والتّشاؤم، والمصاعب، وما

له علاقة بذلك.

الفصل الثاني: الألفاظ الدّالة على الظّلم. وانضوت حته العناوين التالية:

- الألفاظ الدّالة على التّعدي.

- الألفاظ الدّالة على الكذب.

- الألفاظ الدّالة على الاستباحة.

- الألفاظ الدّالة على التّدنيس.

- الألفاظ الدّالة على الابتزاز.

- الألفاظ الدّالة على التآمر.

- الألفاظ الدّالة على التقاعس.

- الألفاظ الدّالة على الخوف.

- الألفاظ الدّالة على القبح.

الفصل الثالث: مجموعة الألفاظ الدّالة على الثورة والانتصار، وحوى ما يلي:

- الألفاظ الدّالة على الثّبات والصّمود.

- الألفاظ الدالة على التغيير والشّجاعة.

- الألفاظ الدالة على العزّة والشّموخ والكرامة.

- الألفاظ الدالة على المجد والتّضحية والوحدة.

- الألفاظ الدالة على التطلّع إلى المستقبل والبناء والرّقي.

الفصل الرابع: مجموعة الألفاظ الدالة على الابداع والفن، وضّم:

- مجموعة الألفاظ الدالة على التّفاني في خدمة الشّعـر والرّقي به.

- مجموعة الألفاظ الدالة على أهمية الشّعـر ودوره في المجتمع.

- مجموعة الألفاظ الدالة على موقف المجتمعات من المبدعين.

- مجموعة الألفاظ الدالة على تعريض المبدعين حياتهم للمخاطر.

- مجموعة الألفاظ الدالة على تجاوز الحواجز والعراقيل في سبيل الفن.

- مجموعة الألفاظ الدالة على تسجيل الشّعراء أسماءهم في التّاريخ.

الخاتمة: وتضمّ أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث.

وفي الأخير وضعت كشافاً للمعجم اللغوي، جمعت فيه الألفاظ، والتراكيب، والصيغ

المدرسة.

وفي الأخير أقدم خالص شكري، وعرفاني للأستاذ الفاضل، والمتميّز، الدكتور محمد

بوعمامة، الذي شرفني بإشرافه على هذا البحث، ومدّ لي يد العون وقت الضرورة، ووجّهني

ورعاني، ولم يبخل بوقته، أو بفكره، وكان لي بمثابة المرشد الذي أنار طريقي عندما استعصت الظروف، نظرا لسدادة رأيه، وتبصره، وتواضعه، فجزاه الله خيرا عني وعن زملائي الذين تابع أبحاثهم العلمية، وأجهد نفسه من أجلهم، وتحمل المشاق والأتعاب، والشكر الجزيل إلى الأستاذين العالمين، الكريمين، الأستاذ الدكتور عمار شلواي الذي بادر بالإشراف على هذا البحث، واعتذر بمحض إرادتي نظرا لضيق وقته، وكثرة انشغالاته، والأستاذ الدكتور عبد القادر دامخي، الذي وضعه القدر في طريقي في الوقت المناسب، وفتح آفاقا أمامي، وشجّعني، وآزرني، وكان لي بمثابة القدوة الصالحة، والزميل المخلص، وقت الأزمات، والتحديات، وما كان لهذا البحث أن يرى نور الحقيقة لولا وقوفه بجانبني، ولا يفوتني كذلك أن أقف بكل احترام وإجلال أمام أعضاء لجنة المناقشة على ما تحمّلوه من عناء ومشقة في قراءة هذا البحث، وتفضّلهم بالإشتراك في مناقشته وتقييمه، ومن غير شكّ سأستفيد من ملاحظاتهم لأصل إلى أحسن صورة، كما أقدم شكري وامتناني لجميع من أفادني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث، زوجي المحترم الذي كان لي بمثابة الدرع الواقي، وتقاسم معي مشقة وعناء البحث، من خلال إفادتي بثقافته الواسعة، وخبرته العلمية، وترجمته لبعض النصوص، وصبره الشديد، ونصائحه النيرة، كما لا أفوت هذه الفرصة لأنوّه بوقوف أبنائي إلى جانبي وتحليلهم بالصبر، والحكمة، ومدّهم يد العون لي متى اقتضت الحاجة، فحفظهم الله ورعاهم.

والله ولي التوفيق

المدخل

أ- محمد مهدي الجواهري

ب- التّوليد الدّلالي

ج- كيف نقرأ النّص الشعري

لكلّ شاعر من الشعراء طريقته الخاصة في صياغة النص، كلّ حسب تصوّره، ومقدرته على الخلق، والابداع، والتّعاطي مع أنظمة اللّغة بما يسمح في بلورة نصوصا تمتطي صهوة الابداع، والتألق، وترتفع إلى درجات عالية في سلّم الشعريّة، ومهدي الجواهري أحد أولئك الشعراء العظام الذين استطاعوا ببراعة، وعبقريّة، أن يتبوّؤوا عرش الشعر، ويتربّعوا على كرسيّه بجدارة، ودون نقاش، حيث استخدم تقنيّات عدّة، وأدوات متنوّعة في إنتاج دلالات إيحائيّة، جعلت النّصوص الشعريّة قلبا نابضا يسري في أرجاء النّص، يُنعشه، ويهب له الخلود.

ولقد أجمع الدّارسون لسيرة الجواهري، أنّه ولد بمدينة النّجف بجنوب العراق يوم الأربعاء، السادس والعشرين من تموز، سنة 1899، إلّا أنّه كان يردّد في الكثير من المناسبات أنّ ولادته الحقيقيّة كانت سنة 1903، إلّا أنّ هذا لا يغيّر شيئا، المهم أنّه من مواليد القرن العشرين، واسمه الحقيقي مهدي بن عبد الحسين بن عبد علي بن محمد حسن، وقد رأت عيناه النّور والدولة العثمانية تعيش أيّامها الأخيرة، على عكس الشعراء محمد سعيد الحبوبى(1849-1916)، وجميل صدقي الزهاوي(1863-1936)، ومعروف الرّصافي(1875-1945)، ومحمد رضا الشبيبي(1886-1965)، وكان الجواهري شاهدا على قيام الحركة القوميّة العربيّة، التي ظهرت بعد الحرب العالميّة الأولى⁽¹⁾.

¹ - د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/10.

وتعتبر مدينة النّجف مركزا هامًا للشيعة بجنوب العراق، وفيها قبر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكلّ ما في النّجف لابد أن يتّصل بشكل أو بآخر بالدين، فالزعامة الروحية المهيمنة على هذه المدينة هي التي بعثت في الأدباء، وغير الأدباء الشخصية المستقلّة، والكرامة التي ترتفع في بعض الأحيان إلى حدّ الجفاف، فقيمة المرء في النّجف، تحدّد بمعارفه، وبغير هذا لا يحسب له حساب⁽¹⁾، ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ العديد من النّقاد، والباحثين، أهملوا كلّ ما يتّصل بالنّجف، وتاريخ الشيعة تفاديا لتأجيج روح الطائفية، والخلافات بين السنّة والشيعة في العراق، ولكنّ الجواهري تشبّع بهذه الثقافة، وبهذا الفكر وما يحمله من ترسّبات عبر الزّمن، ومن المعروف أنّ هذه الطائفة عانت من الغبن التاريخي، والاضطهاد السياسي، والاجتماعي الذي لازمها منذ العصور الوسطى وحتى أيامنا هذه، مما أنتج روح التمرد، والثورة التي ظهرت لدى العديد من الشّعراء⁽²⁾.

ولقد شكّلت مدينة النّجف آنذاك مركزا للتمرد، والثورة على الحكومة المركزية في العراق، بسبب بعدها عن مركز الحكم، وعارضت هذه المدينة كذلك حكم الانجليز، وانتفضت سنة 1917، وقُتل حاكمها الانجليزي⁽³⁾، ومن داخل هذه المدينة كذلك انطلقت ثورة العشرين، وعمّت أرجاء العراق، وأفقت رجال الدين بقداستها، وسقط فيها الشّاعر النّجفي الكبير محمد سعيد الحبوبي شهيدا سنة 1916⁽⁴⁾، وكان الجواهري معجبا كثيرا بهذا الشّاعر،

¹- عبد الكريم الدجيلي، الجواهري شاعر العربية، 24/1972.

²- د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/13.

³- عبد الكريم الدجيلي، الجواهري شاعر العربية، 38/1972.

⁴- المرجع السابق/47 و محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج1، 75/1988.

واعتبره متسبباً في تفجير موهبته الشعريّة الدفينّة⁽¹⁾، ولقد شارك والد الجواهري كذلك في الثورة ضد الانجليز، وسجّل هذه الحادثة في مذكراته، ونظراً لصغر سن الشاعر لم يتسن له المشاركة في التصديّ للانجليز، ولكنّه عمل على توزيع المنشورات المعادية في مدينة النّجف⁽²⁾.

وكانت النّجف في ذلك الوقت مركزاً للتّراث، والثّقافة، والشّعْر، تزدهم بالنّوادي العلميّة، والأدبيّة، وكانت تعقد حتّى في البيوت والشوارع، أين تجود قرائح الشّعراء، والكتّاب⁽³⁾، وللنّجف آنذاك كذلك نوع من الاستقلال عن الحكم المركزي، جعلها تتمتّع بالحرّيّة الثقافيّة في الطباعة والنشر، وغدت مركزاً للعربيّة، وعلومها أيضاً، بالإضافة إلى مركزها الدّيني⁽⁴⁾، ولقد عنت النّجف عناية كبرى بالدّين من قرآن، وحديث، وفقه، وبالعربيّة من صرف، ونحو، وبيان، وعروض، وبالتّراث الأدبي القديم مثل الجاحظ، وابن قتيبة، وابن خلدون، وكان للشّعْر المنزلة الأولى، فالمناسبات السياسيّة يخلّدها الشّعْر، والمناسبات الدّينيّة والاجتماعيّة ينظم فيها الشّعْر كذلك، وتتلى فيها القصائد⁽⁵⁾، واللافت للنظر في هذا المجال أنّ الشّعْر في النّجف لم يكن من نصيب الخاصّة فحسب، كما هو الحال في معظم المدن آنذاك، بل هو من اهتمامات النّاس العاديين وخاصّة "الشّعْر الشّعبي"، فحتّى القصّاب، أو البقال، إذا أراد الاستراحة من عناء العمل قرأ شيئاً من الشّعْر، وكانت الظاهرتان الأدبيّة

¹ - انظر المرجع السابق/67.

² - فاروق البقيلي، الجواهري، ذكرياتي أيامي، 41/172.

³ - عبد الكريم الدجيلي، الجواهري شاعر العربيّة، 24/1972.

⁴ - د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/16.

⁵ - المصدر السابق/17.

والدينية، تلنقيان وتصبّ كلّ منهما في مجرى الأخرى⁽¹⁾، والشعر الشعبي الذي يتغنّى به البقال، والقصاب، هو في الواقع الشعر الشيعي الذي يلقي في المناسبات الدينية، وذكرى مقتل الحسين، وما تزال المأساة حيّة حتى عصرنا هذا، تتجدّد بتجدّد الأيام، في الطقوس التي تقام، ويلقى فيها الفصيح والعام، ويحرّض على النعمة والثأر⁽²⁾.

والى جانب هذا الزّافد الكلاسيكي من دين وأدب، عرفت النّجف وخاصة فئة الشباب رافدا عصريا، كان يصلها عن طريق المجلات المصرية، والسورية، سواء بأقلام عربية، أو عن طريق الترجمة، ومن هنا توطّدت الصّلة بين أدباء مصر وسوريا، وأدباء النّجف، وكانت هذه اللقاءات الفكرية تتمّ عن طريق صفحات مجلّات "الهلال والمقتطف"، و"الكاتب المصري"، و"العرفان اللبنانية"، و"لسان العرب البغدادية"، و"ألف باء الشامية"⁽³⁾.

وبدأ الجواهري يتّطلع على الفكر التجديدي بعد وفاة أبيه، واستقلاله إلى حدّ بعيد في القراءة بمساعدة أخيه عبد العزيز، وبعض أصدقائه، وكان معجبا بهذه الحداثة، وبالرّغم من إعجابه بهذه الأفكار الجديدة، إلّا أنّ البذرة الأولى ظلّت ملازمة له في تشكيل كيانه، وبناء شخصيته، وظلّت جذوره في النّجف رغم التّرحال في بلدان العالم، حيث قال: "رغم أنني قاربت التسعين فأنا في حقيقتي، لمن لا يعرف هذا السرّ، ذلك الطفل الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره، وكل كياني المتضارب، المتصاعد، المتنازل، المتخالف، المتناقض، يقوم على

1- محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج1، 65/1988

2- د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/19.

3- حسن العلوي، الجواهري ديوان العصر، 254/1986.

هذه الحقبة الأولى من حياتي⁽¹⁾، ولقد لام الجواهري أباه في الكثير من المناسبات لأنّه حمّل طفولته ما لا تتحمّل، وفرض عليه رأيه، وأراد أن يكون رجل دين مثله ومثل جدّه، ولازمه طول حياته، وحتى إذا أخذ قيلولته نام إلى جانبه، وكان أبوه مثلما ظهر في ذكرياته تقليدياً، يحكم ابنه بمنطقه، ولا يترك له أدنى حريّة⁽²⁾، وحسب الجواهري، كان أبوه غضوباً، حاداً في طباعه، وتزداد حدّته كلما تعلّق الأمر به، لأنّه كان يحبّه حبّاً كبيراً، مميّزاً، فحتى إذا أخطأ يعاقبه عقاباً شديداً مقارنة مع إخوته، وبموت أبيه تحرّر الشاعر وكان عمره السابعة عشر، وانفرد بشخصيته⁽³⁾.

ولقد تعلّم الجواهري مبادئ القراءة والكتابة، وبعض الآيات على يد بعض المعلّمين، والتحق بالكتاب في السادسة من عمره في مدينة النّجف، وبعدها درس بالمدرسة الابتدائية حتى السنة الخامسة، وتدرّج في تعلّم النّحو، والصرف، والبلاغة، والشّعر والنّثر، على يد أخيه عبد العزيز، وابن عمّته الشّاعر الشرقي، والسيد أبو القاسم، والشّيح محمد الظالمي، والشّيح ثامر، والشّيح موسى الحصاني في الفقه⁽⁴⁾، وأراد له أبوه الفقه، إلّا أنّ نفسه لا تطرب إلّا للشّعر، وكانت مدينة النّجف آنذاك تسمّى مدينة الشّعر والدين، وهو صغيراً كان يختلس قراءة الشّعر حيث قال: "كان الشّعر لي، منذ البداية، لعبة خطيرة مهيبة، فرغم أنّ بيتي كان

1- محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج1، 99/1988.

2- د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/24.

3- محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج1، 54/1988.

4- عبد الكريم الدجيلي، الجواهري شاعر العربية، 44/1972.

كلّه بيت شعر وأدب، شأن بيوتات، وأسر كثيرة في النّجف، ورغم المنزلة التي يتمتّع بها رجال الدّين والفقه، إلّا أنّ هيئته بالنّسبة لي لا تقاس بهيبة الشّاعر⁽¹⁾.

ويذكر الجواهري مجلس العزاء الذي أقيم لجده، وحضره كبار الشّعراء، والعلماء، والأدباء، وسمع قصائد الشّعْر ترتّل على شفاه القارئ الملقّب "ببلبل الفرات" حيث قال: "ولئن استعصت عليّ المعاني الصعبة للقصائد، فقد أخذني إيقاع الشّعْر المتين، السّاحر، الصاعد، النازل، المشوّش هامساً، أو الصارخ منذراً"⁽²⁾، وهكذا كان حبّ الجواهري للشّعْر، واستمتاعه بقراءته، حيث ذكر أنّه كان يخطف في خلصة من والده، عيون الشّعْر من كلّ الشّعراء، من تقدّم منهم، ومن تأخّر، وكان يحسّ بلمحة غاضبة من عيني أبيه عندما كان يفاعّنه وبين يديه ديوان من تلك الدواوين، فيبادر باختطاف أي كتاب أو كتيب مما هو جديد، أو عتيق، من كتب الفقه⁽³⁾.

وبدأ الجواهري كتابة الشّعْر في الرابعة عشر من عمره، ودفعت به هذه البداية إلى المزيد من المطالعة، وخصوصاً في ميدان الشّعْر والشّعراء، وعمل على حفظ الشّعْر عن ظهر قلب، فإن قرأت له خمسة أبيات للبحثري، يقرأ السادس ويجري في القصيدة، وحفظ ديوان المتنبي كلّّه، ودواوين أخرى⁽⁴⁾، وأعجب الجواهري بالعديد من الشّعراء منهم: أبي العلاء المعري، والبحتري، والشريف الرضي، وكان المتنبي مثاله الأعلى، وانتقل من النشر

¹- محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج1، 65/1988.

²- انظر المصدر السابق/66.

³- المصدر ذاته/68.

⁴- د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/29.

في الصحف النّجفية، إلى الصحف البغدادية، والعراقية، واللبنانية، والمصرية، مواصلاً كتابة شعره وإلقائه من أوائل العشرينات حتى التسعينات من القرن الماضي، وكتب أول قصيدة في جريدة العراق التي اختارت له اسم "تابغة النّجف" وحملت عنوان "شكوى وآمال"⁽¹⁾، ومهما يكن فالشاعر في بداية القرن العشرين، بدأ حياة طويلة صاخبة، خلّد أحداث العصر وما حدث من انقلابات، وثورات، وهزائم، ويمكن متابعة ما جرى في العراق، والعالم العربي، من خلال قصائده، وعبر ديوانه بمجلّداته الأربعة، حيث كانت حياة عاصفة اختلط فيها الفقه بالشعر، والشعر بالسياسة، والسياسة بالصحافة، والصحافة بالحبّ، والحبّ بالصدقات، والبؤس بالنعيم، والتوطن بالترحّل، والطفولة بالرجولة⁽²⁾، وكلّ هذه الأحداث التي عاشها الجواهري شكّلت عنده الشاعرية الفدّة، وأثّرت فيه، وبدأ في التّرحال إلى إيران لزيارة أخيه المريض سنة 1924، وكتب ست قصائد معجبا بالطبيعة الإيرانية ومتشوّقا إلى وطنه (الديوان 1-146/156)، ومدح الشريف حسين سنة 1925 بقصيدة سماها "سجين قبرص"، ونشرها في جريدة العراق (الديوان 1-165)، وخلال زيارته الثانية إلى إيران كتب خمس قصائد، بالإضافة إلى ترجمات من شعر "حافظ إبراهيم" (الديوان 1-195/208)⁽³⁾، وردّ على الأستاذ أنيس النصولي الذي أساء إلى الشيعة، والحسن بن علي في كتابه "الدولة الأموية في الشام" بقصيدة سماها "تحية الوزير" (الديوان 1-214/215) سنة 1927، وتسبّبت هذه القصيدة في تقريب الشاعر من الوزير المنتفكي، وبداية العداوة بينه وبين ساطع

¹- انظر المرجع السابق/30.

²- محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج1، 14/1988.

³- د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/33.

الحصري مدير المعارف⁽¹⁾، وتعيّن على إثر ذلك مدرّسا في المدرسة الابتدائية، وبعد ذلك تدرّج في المناصب حيث عينه الملك فيصل موظفا بدائرة التشرّيفات في البلاط، لأنّه أعجب بشعره وقربه منه، وفي البلاط التقى برجال السياسة، ورأى الدّجل، والتّفاق، من المرتادين على البلاط، وفرح كثيرا بمنصبه، واعتبره مصدرا للرّزق وتعويضا عمّا فاتته، وما لاقاه من مصاعب، وبقي في البلاط ثلاثة سنوات، خلع فيها لباسه الدّيني، وارتدى الزيّ الافرنجي، وتزوّج من ابنة عمّه الشّيخ جعفر الجواهري صيف 1928⁽²⁾، وفي سنة 1930 خرج من البلاط بسبب قصائد تعرّض فيها للملك، ولوزير المعارف، وانتقل إلى العمل في الصحافة، ونظرا لمعاداته رجال الحكم، والتعريض بهم، كانت الصحف التي يكتب فيها تغلق⁽³⁾، وأصدر الجواهري جريدة "الفرات" في سنة 1930 وتمّ إغلاقها بعد عشرين عدد بسبب مقال شديد اللّهجة ضدّ وزارة المعارف، وتعرّض خلال هذه الحادثة إلى فترة صعبة، حيث تهجّم عليه خصومه، وسخروا من الصحف⁽⁴⁾، وغير موقفه من الملك وكتب قصيدة في مدحه سنة 1931 بمناسبة دخول العراق إلى عصبة الأمم، إلّا أنّه تعرّض في بعض أبياتها إلى الملك، ومن خلال هذه القصيدة دخل الشاعر القائمة السوداء، ولم يعد يتسلّم الرّاتب المخصّص له حتى وفاته⁽⁵⁾، وعاد بعد ذلك إلى ممارسة التّعليم، وسعى معارفه مرّة أخرى إلى نقله بالعمل في وزارة المعارف، وأصبح برئاسة قلم التّحرير فيها⁽⁶⁾، وواصل كتابة الشّعْر، وتعرّض للملك

1- المرجع السابق/34.

2- عبد الكريم الدجيلي، الجواهري شاعر العربية/425.

3- سليم طه التكريتي، محمد مهدي الجواهري، 106/1989.

4- محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، 262/1988.

5- انظر المرجع السابق/277.

6- المرجع السابق/283.

فيصل مرّة أخرى في قصيدة نشرها بجريدة "أم القرى" الجريدة السعودية الرسمية سنة 1932، فاضطرّ إلى إبعاده للبصرة ومنها إلى الحلة بجانب والدته وإخوته، وفي أواخر 1935 نشر قصيدة عنوانها "حالنا اليوم أو في سبيل الحكم" (الديوان 84-86)، قدّم على إثرها للمحاكمة، وفصل من عمله، ونتيجة لتغيير الحكومة تحوّلت عقوبته إلى توبيخ⁽¹⁾، وعلى إثر الانقلاب الذي قام به بكر صدقي سنة 1936، أصدر صحيفة "الانقلاب" ونشر فيها قصيدة بعنوان "تحرك اللحد" (الديوان 111-113) سنة 1937، ودعا فيها الانقلابيين إلى محاسبة الأعداء، ولم تدم العلاقة طويلا بين الانقلابيين والشاعر بسبب تخليهم عن وعودهم للشعب، ووجّه لهم النقد اللاذع، وأصدر في نفس السنة صحيفة "الرأي العام" واستمرت حتى أوائل الستينيات، ونهج فيها السبيل اليساري⁽²⁾، وفي سنة 1939 فقد الجواهري زوجته فكتب قصيدة يرثيها (الديوان 131-133)، إلى جانب قصيدة "لبنان"، وفي سنة 1940 كتب قصيدة بعنوان "أجب أيها القلب" (الديوان 148-154)، وهي قصيدة حزينة، على قدر كبير من تأثره النفسي، وقد بلغ الأربعين من عمره، ولا بدّ له أن ينصرف عن الاضطراب، والتشرّد، والشعر، والمقارعة، إلى حياة الدعة والمسايرة، وفي ذلك كبت لشاعريته، وقتل لطموحه الذي لا يعرف حدودا، وكانت هذه الأزمة التي مرّ بها عبارة عن استراحة قصيرة، بدأت بعدها مرحلة أكثر نضوجا، والتزاما في حياته وفي شعره⁽³⁾، وبعد الاضطراب الشديد الذي شعر به، انحاز إلى الفكر اليساري المعارض، وناصر التقدّمية، والسوفييات،

¹ - عبد الكريم الدجيلي، الجواهري شاعر العربية، 87/1972.

² - انظر المرجع السابق/72.

³ - د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/49.

فكتب: "يراع المجد" (1949)، و"سواستبول" (1942)، و"ستالينغراد" (1943)، و"تشيد العودة" (1944)، و"التقت مراسيها الخطوب" (1945)⁽¹⁾، وتوالت قصائده في الأدباء، والمفكرين، والمناضلين: "أبو العلاء المعري" (1944)، "جمال الدين الأفغاني" (1944)، "يافا الجميلة" (1945)، "اليأس المنشود" (1947)، "المقصورة" (1947)⁽²⁾، وكان حلم حياته دخول البرلمان وتحقق سنة 1947، ولقد قال عبد الكريم الدجيلي حول هذا التناقض في شخصيته: "فهو يريد أن يكون شاعر العرب الأكبر، ولسان الشعب الناطق، وضد الاستعمار وأعوانه، وشاجبا الحكم المهترئ الفاسد، ومن جهة أخرى يريد أن يكون عضوا في البرلمان المزيف الذي لا يدخله غير أعوان المستعمرين"⁽³⁾، إلا أن فرحته بهذا المنصب الجديد لم تعمّر طويلا، فتفجّرت مظاهرات عارمة في العراق بقيادة الطلبة سنة 1948، حيث استشهد بعض الطلاب، واستقال الجواهري وبعض النواب، واشتدّت هذه المظاهرات، واستشهد فيها أخوه جعفر، وكتب على إثرها "قصائد الوثبة" وهي عبارة على ست قصائد في ديوان الشاعر (الديوان II/276-306)، أشهرها قصيدة "أخي جعفر" بعد سبعة أيام من استشهاده، و"يوم الشهيد" في الذكرى الأربعين لسقوطه⁽⁴⁾، وبعد هذه الحادثة دعي الشاعر وهو العربي الوحيد إلى مؤتمر "المتقفين العالمين" في بولندا، وبعد المؤتمر شدّ الرّحال إلى باريس، وكتب قصائد "باريس"، و"أنيتا"، و"شهرة زاد" (الديوان II/324-341)، ودعي مرّة أخرى إلى المؤتمر الثقافي للجامعة العربية في الإسكندرية سنة 1950، فشارك بقصيدته

1- حسن العلوي، الجواهري ديوان العصر، 121/1986.

2- المصدر السابق/22.

3- عبد الكريم الدجيلي، الجواهري شاعر العربية، 123/1972.

4- د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/53.

"إلى الشعب المصري" (الديوان III/45-53)، ومن مصر إلى لبنان للمشاركة في حفل تكريم عبد الحميد كرامي، وألقى قصيدة "عبد الحميد كرامي" (الديوان III/54-62)⁽¹⁾، ومن لبنان انتقل إلى سوريا سنة 1956 بمناسبة الاحتفال الكبير الذي أقيم في دمشق وألقى قصيدته "خلفت غاشية الخنوع" (الديوان III/157-163)، مجّد فيها الشّهداء والشّهادة، وشجب المستعمرين⁽²⁾، وبعد ذلك عاد إلى أرض العراق سنة 1957، وفي سنة 1958 قامت الثورة على يد عبد الكريم قاسم، وكان على علاقة بالجواهري عندما كانا في لندن في أواخر 1947، ويادر الجواهري إلى تأييد هذه الثورة بقصيدته "جيش العراق" (الديوان III/202-203)، وتلتها قصيدة "باسم الشعب" (الديوان III/209-215)⁽³⁾، وبعد ذلك نشبت الخلافات السياسية بين الحكومة واليساريين وتعرّض الشاعر للإهانة والسّجن سنة 1961، وبعد إطلاق سراحه سافر إلى لبنان، وشارك في مهرجان تكريم "بشارة الخوري"، فألقى قصيدته "لبنان يا خمري ويا طيبي" (الديوان III/256-261)، ومن بيروت واصل طريقه مع عائلته إلى أوروبا بتشيكوسلوفاكيا، وأقام فيها حتى سنة 1968، وبمناسبة الانقلاب العسكري الذي وقع في العراق سنة 1968 وأوصل حزب البعث إلى الحكم، دعا الحكّام إلى التسامح، وعاد إلى العراق معزّزا مكرّما، وخصّصت له الحكومة العراقية راتبا تقاعديا⁽⁴⁾، وبعد ذلك عاد الجواهري إلى معارضة نظام الحكم في العراق، وفي سنة 1980 لجأ إلى سوريا، أين قضى

¹- المرجع السابق/55.

²- المرجع نفسه/58.

³- محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج1، 131-130/1988.

⁴- د/ سليمان جبران، مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/60.

أيامه الأخيرة، وتوفي سنة 1997، وفي دمشق دوّن مذكراته، وواصل كتابة الشعر، وفي سنة 1992 مدح الملك حسين ملك الأردن بقصيدة ألقاها أمامه بنفسه⁽¹⁾.

وهذه سيرة طويلة من حياة الجواهري قاربت القرن، وجمعت المتناقضات من القديم والحديث، والتراث والمعاصرة، والبلاط واليسار، والتطرف في بعض الأحيان، وطموحات الذات ونضال الشعوب في سبيل الحرية، وكان الجواهري عبارة عن مرآة للمجتمع المتململ، الذي يسعى إلى إقامة قواعد صلبة، ولكنه يتعرض إلى تيارات عنيفة تهزّه في بعض الأحيان، وتعيده إلى نقطة الانطلاق، فيغلب عليه التوتر، وعدم الاستقرار، والانفعال، والتمرد، والثورة، وعدم الرضوخ، وكان الصراع الموجود في حياة الجواهري يقع بين الذات والجماعة، وبين ما يطمح إليه من جاه وثناء، والالتزام بالقضايا الوطنية، ونضالات الجماهير، حيث كان يحمس الشباب، ويشدّز الهمم، للقضاء على النظام الإقطاعي الذي نخر جسد الأمة، وكرس الجواهري حياته للنضال، والوقوف مع الشعوب المقهورة، والدفاع عن الحق، ومناصرة القضايا العادلة، ويبقى الشموخ والإيثار هو الجانب المتغلب على شخصيته المتوترة، الطموحة، المتذبذبة، التي لا تعرف السكون والراحة، وكلّ هذه المتناقضات أبرزها في شعره، وخلّدتها، واستثمر فيها للابداع أكثر، والتألق إلى حدّ القمّة، فشاعر يمثل هذه المكانة، والوزن، والتميّز، يستحقّ منا أن نلتفت إليه، ونعطيّه حقّه من الدراسة.

¹ - انظر المرجع السابق/61.

- مفهوم التّوليد.
- اللّغويّون القدماء والتّوليد الدّلالي.
- مصادر التّوليد اللّغوي.
- التّوليد الدلالي عند المحدثين.
- النّص الشعري.
- مفهوم التّناس.
- كيف نقرأ النّص الشعري.

تعتبر ظاهرة التّوليد الدلالي في الشعر العربي قديمة، حديثة، ومستمرّة، لا يتقنها إلّا أولئك الفطاحل من الشعراء، الذين يتمتعون بالقدرة الخارقة، والتمكن من اللّغة العربيّة، ومن أسرارها، عاملين على تطويعها لخدمة الشّعْر بكلّ عفوية، ومرونة، وتلقائيّة، دون تصنّع، أو بذل جهد كبير، فتراهم يتفنّنون في انتقاء الألفاظ، وفقا لما يجول في خاطرهم من أفكار وأحاسيس وتجارب، معبّرين من خلالها على الواقع المعاش، ومضفين عليها شيئا من الخيال، معتمدين على الوحي والالهام، والقدرة على الخلق والابداع، التي تجعلهم يختلفون على باقي البشر، ويرتقون إلى أعلى المراتب، مهتمين باللفظ والمعنى على حدّ سواء، يستعملون مفردات اللّغة، ببراعة واجتهاد كبير، تجعل القارئ يستنبط من خلالها معاني لم تكن في الحسبان، ويجتهدون كذلك في تشكيل تراكيب جديدة، بعضها مألوف، وبعضها غير مألوف، يساعد على توليد معاني جديدة، تفسح المجال أمام القارئ، والباحث ليستنتج، ويؤوّل، ويذهب بخياله بعيدا يصول ويجول بين الأسطر، وداخل السيّاقات، حيث يتبسّر، ويستنتج، ويبدع هو كذلك في الوصول إلى المكنونات، ويعمل على فك الرّموز.

وما دمت بصدد الكلام عن التّوليد في الشّعْر، فلا بد أن استعرض مفهومه وأهم المراحل التي مرّ بها، وكيفية الاستفادة منه في إثراء اللّغة، واستغلاله للتّعرف على المعنى العميق، والدلالات المستعصية.

مفهوم التّوليد:

التّوليد هو الخلق، والابداع، والابتكار، فهو فنّ لا يرقى إليه إلّا من له القدرة والموهبة الفذة، والعبقريّة، والاستعداد، حيث يقوم الشاعر بصقل كلّ هذه المواصفات، وجعلها في بوتقة، يسمو من خلالها إلى درجة عالية، تجعل المتلقي يفرّق بين مستويات اللّغة ويتمتّع بالبحث عن دلالاتها الجديدة آخذاً بعين الاعتبار البراعة والمهارة في طريقة حبك الجمل والتراكيب، واختيار الألفاظ، بكلّ روح خلاقّة، تبعد القارئ في الكثير من الأحيان عن الواقع المباشر، وتفسح المجال أمام الخيال، يتصوّر وينتقد ويدقّق حتى يجد الحلول، مستعملاً ما لديه من طاقة، ومن رصيد ومن قدرة، ليصل إلى برّ الأمان عندما يكتشف المعنى العميق الذي يريد الشاعر أن يصل إليه، مضافاً عليه شيئاً من نفسه، ومن الواقع المعاش، وممّا يختلجه من صراعات، وأفكار مشوّشة، تجد ضالّتها فيما يقوله ذلك الشاعر، ويردّدّه ذاك العبقري، والتّوليد هو الفنّ والخلق مثلما قلت، فليس كلّ شاعر مبدع، فمنهم من ينحت من صخر، ومنهم من يغرف من بحر.

والتّوليد من الفعل "وَلَدَ" بمعنى التكاثر، والتّناسل، وولد الرّجل هو رهطه، من دمه حقيقة، وليس عن طريق التّبني¹، ويقال كذلك ولّد الرّجل غنمه توليداً، أي إذا حضرت ولادتها،

¹ - لسان العرب، ابن منظور، (ولد) // المجلد الثالث، ص 468-469.

وعالجها حتى يبين ولدها¹، والمولدة هي الجارية المولودة بين العرب، وهي من أصول غير عربية، والمولد المحدث من كل شيء، مثل المولدون من الشعراء، وسموا بذلك لحدوثهم².

أما مصطلح التّوليد الدّلالي، فهو ابداع لدلالات معجميّة جديدة، أي أنّه يرتبط بظهور معنى جديد، أو قيمة دلالية جديدة، بالنسبة لوحدة معجميّة موجودة أصلا في اللّغة العربية، فيسمح لها ذلك بالظهور في سياقات جديدة لم تتحقّق فيها من قبل³، والتّوليد هو أن يستخرج الشاعر معنى، من معنى شاعر تقدّمه، أو يزيد فيه زيادة حسنة⁴، والتّوليد فن وخلق مميّز يعمل على إثراء السيّاقات اللّغوية وتقويتها وإنعاشها وتطويرها لمصلحة اللّغة. ولقد اهتم اللغويون العرب بظاهرة التّوليد، ولم يغفلوها، وكتبوا عنها ما استطاعوا، كلّ حسب امكانياته.

اللغويون القدماء والتّوليد الدّلالي:

من الصّعب أن نجد عند القدماء من اللغويين تعريفا دقيقا، أو تحديدا واضحا لمفهوم "المولد" في علاقته بالتغيّر الدّلالي خاصة⁵، فاعتبروا كلّ لفظ، أو تركيب جاء عن طريق اشتقاق، وارتجال، أو تغيير في الدلالة، أو تعريب، أو تحريف، أو لحق، واستعمله المولدون

¹ - انظر المرجع نفسه، ص469.

² - انظر المرجع نفسه، ص470.

³ - محمد غنيم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم المعرفة اللسانية أبحاث ونماذج، (الدار البيضاء المغرب، دار توفيق للنشر)، ص5.

⁴ - د/ رابح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، (15 حي النصر، الحجار، عنابة، دار العلوم للنشر والتوزيع)، ص25.

⁵ - د/ صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربية، (الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية)، ص13.

بعد عصر الاحتجاج من المولّدات¹، وذهب البعض بقولهم: "أنّ المولّد من الكلام المحدث عموماً، أو ما أحدثه المولّدون الذين لا يحتجّ بألفاظهم²، ولقد اهتم اللغويّون القدامى، بظاهرة التّوليد، واقتصرت على ما يتعلّق بالفكر العربي الإسلامي، والارتباط بالخلافات تبعا لتعدّد السّيّاقات التي وردت فيها، آخذين اللفظ ومعناه المركزي بعين الاعتبار، دون إغفالهم للمعاني الفرعية السّيّاقية "فالنّطْف التي لم تُخلَق"، و"الضال عن التّوحيد"، و"الموت ذهاب الرّوح" فصاحبه لا يرجع إلى الحياة³، ويبدو أنّ هذا الاحساس بتعدد دلالة اللفظ الواحد في القرآن الكريم قد تطوّر لدى المفسرّين فيما بعد إلى ما يعرف "بالوجوه والنّظائر"، وهو فرع يعرفه السيّوطي بقوله "الوجوه اللفظّ المشترك الذي يستعمل في عدة معاني وقيل النّظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني"⁴، إلّا أنّ موضوع التعدّد الدّلالي، تجاوز نطاق الدّراسات القرآنية، واهتم به فقهاء اللّغة في أبواب المشترك اللفظي، والأضداد، والمجاز، والأصوليون في مقدّماتهم اللغوية، والبلاغيون في أبواب البيان خاصة وقد قسّموا وجوه العلاقة بين اللفظ والمعنى إلى ثلاثة أقسام:

- اختلاف اللفظين، لاختلاف المعنيين.

- اختلاف اللفظين والمعنى واحد.

¹ - محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، (الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر)، ص10.

² - السيّوطي جلال الدين عبد الرحمان، المزهّر في علوم اللّغة وأنواعها، صححه وشرحه محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر، دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ص304.

³ - د/محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، (الدار البيضاء، المغرب، دار بوبقال للنشر)، ص12.

⁴ - انظر المرجع ذاته، ص12.

- اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.¹

ومن خلال ما سبق أستطيع القول أنّ للتّوليد الدّلالي جذور في التراث العربي القديم، وأنّ اللغويين القدامى لم يتناسوا هذه الظّاهرة وأعطوها حقّها من الدّراسة، واعتبروها صحيّة بالنسبة للغة العربية.

واتّفق اللغويّون القدامى، وجلّ المحدثين من العرب أنّ المولّد عندهم ثلاثة:

1. ما نقله المولّدون عن طريق التجوز أو الاشتقاق من معناه الوضعي إلى آخر

عام خاص.

2. ما ارتجله المولّدون من لا أصل له في اللّغة، وما حرّفوه لفظاً، أو دلالة ممّا

هو صحيح.

3. بعض ما استعمله المولّدون من الأعجمي الذي لم يعرّبه الفصحاء من

العرب.²

مصادر التّوليد اللغوي:

لقد ساهمت العلوم الجديدة التي دخلت إلى قاموس اللّغة العربية، في توليد ألفاظ جديدة، واستعارة ألفاظ أعجمية ممّا أدّى إلى بروز دلالات جديدة، إلى جانب ذلك ساهم القياس والتّرادف والمشارك اللفظي، والتّضاد والاشتقاق، واختلاف اللهجات، وتطور الأصوات، في تطور اللّغة وتنميتها، وإيجاد صيغ جديدة، وأكّد فندريس (Vendryses) أنّ المجاز هو

¹ - انظر المرجع ذاته، ص 12.

² - المرجع نفسه، ص 6.

السبب في خلق جزء كبير من المشترك اللفظي¹، والمجاز واقع في اللغة، وهو إبداع مستمر، يعمل على خلق واقع جديد، بطريقة من الطرق اللغوية، وتظهر قيمته الإجرائية في رصد العلاقات المعجمية وآليات التّوليد الدّلالي، والمعاني المجازية، وتعترف بها الجماعة اللغوية في الترادف أو المشترك اللفظي أو التّضاد²، كما أنّ التّوليد يعطي قيمة دلالية جديدة لبعض الوحدات المعجمية، ويسمح لها بالدخول في سياقات جديدة لم تكن تدخلها في السابق، والسّياق الجديد هو الذي يعطيها المعنى الجديد، وتكون القراءات السّياقية مختلفة على القراءات المعجمية، كما أنّ طبيعة النّماذج النّحوية بما تقدّمه من امكانات تمثيلية هي التي تحدّد طبيعة الأساليب المجازية، وعلى اللغويين أن يبتكروا ألفاظا وصيغاً جديدة لم تكن من قبل في اللغة، فكيف لنا أن نلتزم هذه الأصول، ونقف عندها، واللغة عند العامة تنمو وتتطوّر وتخلق ألفاظا، وتموت أخرى فلا بد من الاستعانة بالارتجال اللغوي، والتّوليد اللغوي، والنحت اللغوي، والاقتراض اللغوي للوصول إلى معاني جديدة³.

التّوليد الدلالي عند المحدثين:

عمل اللغويون المحدثون على تعديل وتصحيح التراكيب والأساليب المولدة وفق الأساليب والاستعمالات القديمة، محاولين تجنّب ما لم يتعارف عليه، وفي هذا المجال جمع اليازجي ما أمكن من الأخطاء التي دخلت إلى اللغة العربية الفصحى، محاولاً تنقيتها من

¹ - د/ صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، (الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية)، ص17.

² - انظر المرجع نفسه، ص 18.

³ - انظر المرجع السابق، ص 19.

هذه الشوائب التي علقت بها، وردّها إلى مميّزاتها القديمة، ومن اللغويين المحدثين من اعتبر مظاهر التّوليد، أغراضاً لعلّة تصيب اللّغة التي تشبه كما هو الحال عند لغويي القرن التاسع عشر في أوروبا الكائن الحي، فعلى أن نبين أعراضها، وذهب اللغوي الصّيادي إلى أبعد من ذلك، حيث قال إنّ الصّعوبة لا تكمن في ابتكار عبارات جديدة، بقدر ما تكمن في ضمان استخدام هذه العبارات من طرف المختصّين¹، واعتبر آخرون أن المجاز، والتعدّد الدّلالي، سبب من أسباب اللّبس، والغموض، يؤدي إلى فساد اللّغة، وخط الكلام، وهو من مصادر الاشتراك اللفظي، والاحتمال والكذب²، واهتمّ كلّ من ليفين (1977)، وجونسون (1980)، وجاكندوف (1978)، بهذا الموضوع، حين عملوا على رصد التراكيب الدلالية بصفة عامة والتراكيب المؤدّة بصفة خاصة داخل أطر نظرية واضحة³. ولقد اعتبر تشومسكي (1972)، وكاتز (1964)، وبوسطل (1972) التراكيب المجازية مظاهراً للانحراف اللغوي، ولابد من الاهتمام بتحديد العلاقة بين التراكيب السليمة، والتراكيب المنحرفة⁴.

ومن خلال طرح آراء العلماء القدامى والمحدثين أستطيع القول أنّ دلالة الألفاظ لا نأخذها من المعجم، بل نستطيع الحصول عليها من خلال السّياقات التي وضعت فيها، لأنّ

¹ - محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، المعرفة اللسانية، أبحاث ونماذج، (الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر)، ص 36.

² - انظر المرجع نفسه، ص 32، ص 40، ص 47.

³ - محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، المعرفة اللسانية، أبحاث ونماذج، (الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر)، ص 6.

⁴ - المرجع ذاته، ص 5.

معنى اللفظ هو الفكرة التي تعبّر عنه، فكلمة حارّ تعني الجوّ الحار، ونقصد بها كذلك حرارة الجسم عند المرض، ومعناها كذلك حرارة الشوق إلى من نحبّ.

أمّا ظاهرة التّوليد الدّلالي، فهي خاضعة لقدرة المتكلّم، ومدى تمكّنه من ملكة اللّغة، وتحكّمه في أسرارها، وتشبعه بالثقافات على اختلاف أمصارها، وقدرته كذلك على حسن الخلق والابداع، والبراعة في استعمال اللّغة، دون الخروج عن القواعد المعروفة، لأنّ طبيعة النّماذج النّحوية تحدّد الموقف من التراكيب المجازية المولّدة، وهي وحدها المخوّلة لإبداء الرأي، والتّفريق بين ما هو توليد صالح وتوليد غير مقبول.

والتّوليد الذي أنا بصدد الكلام عنه، هو ما يتضمن ابداعا (la créativité)، وهو ما يميّز القدرة اللغويّة، فالّتحكم في استعمال المجاز، والكناية، والاستعارة يعتبر جزءا كبيرا من توليد المعاني، لأنّه ابداع في حدّ ذاته، وخلق لكلّ ما للفظه من معنى، وللغوي البارز عبد القاهر الجرجاني (توفي 471هـ) رأي حول ظاهرة خلق المعاني، وتصورها في ذهن المتكلّم ليجد لها بعد ذلك ألفاظا تتمظهر فيها، وتتاسبها، وتصبح حلّة¹، ويتابع الجرجاني قوله: "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فأما أن نتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنّظم والترتيب وأن يكون الفكر في النّظم الذي يتوآصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأنّ تجيئ بالألفاظ على نسقها، فالباطل من الظنّ وهم يُتخيّل إلى من لا يُوفي

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق السيّد محمد رضا، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1978)، ص43.

النّظر حقه¹، وأكّد عبد القاهر الجرجاني نظريته بقوله: وجملة الأمر أنّ الخبر، وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرّفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنّها مقاصد وأغراض، وأعظمها شأنًا الخبر فهو الذي يتصوّر بالصور الكثيرة، وتقع فيه ويكون في الأمر الأعم المزايا التي بها يقع التفاضل والفصاحة².

ومن يتمتّع بمثل هذه الدّرجة في صنع المعاني، والقدرة على الإنتاج، التي أشار إليها الجرجاني، عبقرٍ فذّ، متمكّن بلا منازع، فصيح اللسان، ملم باللّغة، موهوب، لا يجد حرجا في نسج المعاني، وتطريزها، وإلباسها حلّة زاهية من تراكيب اللّغة العربية، يهديها للقارئ، بعدما أبدع وتفنّن، ومن شأن اللّغة أن تعبّر عن الفكر المتعدّد، وتعمل على تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة، وتكسب الكلمات نوعا من المرونة، تظلّ قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة³، وينطبق ما قاله ستيفن أولمان على الكتاب، والشعراء الذين يتمتّعون بمهارات كبيرة، وقدرات عالية على الخلق والابداع والابتكار، ولذا ساركَز على ظاهرتي التأويل والتّوليد في الشعر العربي، والكلام عن النّص الشعري.

النّص الشعري:

لابد من التمييز بين الأعمال الشعرية العظيمة، والأعمال الشعرية العادية. فحسب هيدجر الأعمال الشعرية العظيمة هي تلك التي ترتبط بمجال التفكير، أي تلك التي تنتمي

¹ - انظر المرجع السابق، ص 43.

² - المرجع ذاته، ص 44.

³ - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ترجمة د/كمال بشر، (القاهرة، دار غربي الطباعة والنشر والتوزيع)، ص 156.

إلى شعراء يتيحون للغة أن تتحدّث من خلالهم لتقول لنا شيئاً، أي لتظهر لنا شيئاً عن حقيقة الوجود الذي يتجلّى في الموجود¹، فلغة الشعر لغة خيالية خلّاقة لا تعرف الحدود، تكسر كلّ القيود، تنتقي أحسن الألفاظ وتمزجها مع الأصوات لتقيم العديد من العلاقات، تعبّر من خلالها عن المكنونات وتكشف بذلك عن القراء الذين هم على مقدرة كبيرة من التّبصر والذكاء النافذ لفكّ ألغازها وإزاحة أرقامها المشفّرة والمستعصية، أما غراهام فقال عن لغة الشعر بأنّها لغة الانحراف، ولغة التجاوز². وقال ابن رشيق أن أحسن الشعر أكذبه³، ولكي يصبح الشعر شعراً خلقاً وابداعاً، لا بد أن ينصهر الشكل (اللّغة) والمضمون (المعنى) ويصيران شيئاً واحداً، أو كلاًّ شاملاً تتحوّل اللّغة إلى هدف بذاته⁴، ويزداد الشعر جمالاً كلّما استطاع الشاعر أن يوظّف هذه القدرات الشاعرية الكامنة التي يحاول العلماء والباحثون الآن أن يسبروا غورها ويتوصّلوا إلى قواعد أخرى تضاف إلى قواعد اللّغة غير الفنيّة⁵.

أمّا الشعر العادي هو كالشعر الغنائي، الذي يتغنّى فيه الشاعر بمشاعره الخاصة وحالته الذاتية، واعتبره هيجل، وشوبنهاور من أدنى مراتب الشعر لأنّه لا يتحدّث إلا على

¹ - د/سعيد توفيق، ماهية اللّغة وفلسفة التأويل، ط1 (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1422 هـ-2002م)، ص64.

² - غراهام هو، فصل "الشعر والحقيقة"، مقالة في الأدب، ترجمة محي الدّين صبحي، (دمشق، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، 1973)، ص 92-101.

³ - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، (مصر، محمد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، 1963)، ص22، 61.

⁴ - د/ محمد صالح، الأسلوبية الصوتية، (القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع)، ص9.

⁵ - انظر المرجع السابق، ص17.

الذات¹، والشعر وليد الظروف التي ينشأ فيها ولا يعيش بمعزل عن المجتمع، وعمّا يدور فيه من أحداث، يتغذى منها وينتعش من خلالها، وينهل من ثقافتها الماضية والحاضرة، فما يكتب من نصوص إنّما هي أبناء وحفيدات لنصوص أخرى سابقة عليها، تعاد كتابتها وفق سياق جديد ينقلها من تجربة فنيّة مختلفة يتواصل فيه القديم والحديث وتتداخل فيها النصوص سواء عن قصد أو عن غير قصد²، والنّص الشعري، ليس خطأ من الكلمات ولكن فضاء لأبعاد متعدّدة في مجموعة متنوّعة³، وذهب جرار جنيت إلى أنّ النّص الشعري لا يحدّد إلّا من حيث تعاليه، أي: كلّ ما يجعله في علاقة خفيّة أو جليّة مع غيره من النصوص، وأطلق عليه التعالي النصّي (transcendances textuelles)⁴.

إذا لا يمكن فهم النّص الشعري دون الرجوع إلى العديد من النصوص التي ساهمت في خلقه وغدّته، وكانت الأرضية الصلبة التي انطلق منها، سواء سبقته أو عاصرتة، فالعديد من الشعراء اعتمدوا الاقتباس والتضمين الذي أطلق عليه الآن التّناص (l'intertextualité).

مفهوم التّناص:

¹ - د/سعيد توفيق، ماهية اللّغة وفلسفة التأويل، ط1 (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1423هـ/2002م)، ص 65.

² - أحمد المعداوي، أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث، ط1 (المغرب، دار الآفاق، 1993)، ص 88.

³ - Barthes, the death of authors in (image musicted), essays selected and transiated by stephen, health, fantain- Britain, 1979, P146.

⁴ - د/ رابح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، (الحجّار، عناية، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2003)، ص 259.

لقد عرف العرب التناص ولكنهم لم يذكروا المصطلح صراحة، وإنما تناولوه تحت مصطلحات عدة، نجدها منتشرة بكثرة في الشعر العربي، حيث يأخذ الشعراء عن بعضهم البعض كما قال زهير بن أبي سلمى:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مَعَارًا * أَوْ مَعَادًا مِنْ لَفْظُنَا مَكْرَرًا¹

لم أجد هذا البيت في ديوان زهير لكن صادفني في ديوان كعب بن زهير على النحو التالي:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا رَجِيعًا * وَمَعَادٍ مِنْ قَوْلِنَا مَكْرُورًا²

والاقتباس شكل من التناص، كأن يقوم المبدع بتضمين كلامه شيئاً من القرآن، أو الحديث النبوي، أو حكمة، ولابد من تكرار النص بعينه ولفظه، حتى لا يدخل في مجال السرقات الأدبية، ويصبح داءاً يحطّ من قيمة الابداع³، أما ابن خلدون فكان من المدّعين للجانب الإيجابي من مسألة السرقات الأدبية التي فهمت بجانبها السلبي عند أغلب النقاد القدامى حيث قال: إِنَّ النَّصَّ لَا يَعْرِفُ السَّكُونُ وَأَنْ هُنَاكَ تَدَاخُلٌ بَيْنَ النَّصِّ الْجَدِيدِ وَالْقَدِيمِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وتلك الصورة ينتزعها الذّهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيّرُها في الخيال كالقلب أو المنوال⁴، ومن هذا المنطلق اقتربت بعض السرقات الأدبية من مفهوم التناص الذي ينظر إلى النص الحاضر في علاقته مع النصوص الغائبة، وتصبح

¹ - د/ شوقي ضيف، العصر الجاهلي، (مصر، دار المعارف، 1976)، ص226.

² - كعب بن زهير، الديوان/364.

³ - عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3 (دار إحياء الكتب العربية)، ص14.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق درويش الجودي، ط2 (بيروت، المكتبة العصرية، 1996)، ص569.

موضوعات أدبية تستدعيها ذاكرة النص في المقامات المناسبة لها، فالعرب شبّهوا الجواد بالغيث والبحر، والبليد بالحمار، والشجاع بالسيف والنار¹، والتناص بالمفهوم الحديث هو ذلك الرّصيد اللغوي والثقافي الذي يمتلكه المبدع محاولاً توظيفه في الوقت المناسب وفي المكان المناسب، أو كلّما سمحت له الفرصة، ولقد أسس الروسي باختين في عشرينات هذا القرن لهذا المصطلح، وظهر مفهوم التناص كذلك في فرنسا في أواخر الستينات في مجلة "tel quel" تيل كيل²، وأضاف باختين أن التناص هو كل نص يقع عند ملتقى نصوص أخرى، فهو يعيد النظر فيها ويكتفّها ويراجع صياغتها أي أنه يحولها لتصبح دالة على أعمّ مما كانت تدل عليه³، وحسب سولرس Philippe Sollers فإنّ "التناص" هو كل نص يقع في ملتقى مجموعة من النصوص بحيث يكون هو الجامع بينها، والمشكّل لها ومكتفّها ومحولها وعمقها على السواء⁴، أما الباحثة اللغوية جوليا كريستيفا فإنّها توصّلت إلى نقطة مهمة هي عندما تدخل نصوص سابقة أو معاصرة إلى نص جديد، ينتج عنه بالضرورة تحويل في دواليها ومدلولاتها⁵، فالنص ينتعش ويتغذى بالنصوص التي تدخل إليه وتساهم في تكوينه، وتحوّله إلى فائدتها ومصلحتها ويصبح جزءاً منها ينصهر بين طيّاتها، ويلتحم

¹ - عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3 (دار إحياء الكتب العربية)، ص 183.

² - د.حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، ط1 (الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003)، ص 24.

³ - ب. دوبيازي، نظرية التناص، ترجمة المختار حسني، مجلة فكر ونقد، (المغرب، عدد 28 أبريل 2000)، ص 112.

⁴ - Pierre Mare de Biasi, Théorie de l'intertextualité dans l'encyclopédie universalis, (1998), P90, 91.

⁵ - Kristeva, Le texte du Roman, (Mouton, 1970), P138.

(خريجة معهد السريون نشرت أبحاثها في 1966-1967 tel quel)

فيها، ويبدو أنّ جوليا كرسيفا قد تأثرت بالنظرية التحويلية في اللسانيات على يد شومسكي، فالنّص بالنسبة لها هو أداة تحويل لنصوص سابقة أو معاصرة¹، واعتبر آخرون النّصّ مجرد تقاطع العديد من النّصوص، والأساليب داخل نص واحد²، وبظهور مصطلح النّصّ، تغيّر جذريا النّظر إلى مفهوم النّص في ارتباطه مع الذات المنتجة التي لم تعد لها القدرة على التحكم في أنماط القراءات التأويلية³.

كيف نقرأ النّص الشعري:

إنّ قراءة النّص الشعري، هي بمثابة الكشف عن عالم صعب عصيّ على الإدراك بمعنى نوع من المغامرة، ويقول كولر Coler، إنّ النّص يعدّ تشكيل لغويّ، ينمّ من غير ما يقول ويُبطن أكثر ما يظهر، وقراءة هذا النّص دخول في تشكيلاته وتفكيك لخيوط نسيجه للتعرف إلى ترابطاته، وحلّ عقد نظامه، وتبيان أسس العلاقات التي تؤلف شبكته⁴، وقال إليوت في هذا المجال: "إنّ قراءة الشعر تجربة حيّة مثلما كتابته تجربة حيّة سواء، بسواء⁵، ولقراءة نص شعري، نستطيع أن نستفيد من تجربتنا السابقة في القراءة، ومن تصوّراتنا للمعنى المفترض، لأنّ المدلولات التي سيصل إليها القارئ مزيج من تصوراته وخياله، وتبيّن بنيات

¹ - Pierre Mare de Biasi : Théorie de l'intertextualité dans l'encyclopédie universelle, (1998), P90, 91.

² - انظر المرجع السابق.

³ - د.حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، ط1 (الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003)، ص 23.

⁴ - عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، (جدة، النادي الأدبي الثقافي، 1985)، ص 60.

⁵ - T.S.Eliot, The use of poetry and the use of criticism, (London, 1970), P126.

النّص التي استعملها المبدع، ليحمّلها ما يريد من أفكار وأحاسيس، ومعاني، تتصهر مع بعضها وتتداخل وتساهم بقدر كبير في مساعدتنا على التأويل، وتقصّي الحقائق.

ولقد عُدّت القراءة النّاجحة للنّص الشعري في عصرنا، مساوية في مجال ابداعها للقيمة الفنية المتوخّاة من الشعر ذاته، بل إنّ الجهد الذي تتطلبه تلك القراءة النّاجحة لا يقل عن الجهد المبذول في إنتاج الشاعر لنّصه¹، وأصبح قارئ النّص في أيّامنا هذه منتجا لا مستهلكا²، أمامه مهمة صعبة هي الكشف عن المعنى المستور المتولّد من علاقات النّص وتفاعلها داخل شبكة معقّدة ومنظّمة، لأنّ المعنى الشعري، هو ما تعنيه القصيدة لقراءها على اختلاف درجات حساسيتهم بها³، إلّا أنّ عالم اللّغة امبيرطو إيكو، كان قد تعامل مع ظاهرة تأويل النّصوص بذكاء كبير، حيث تشبّث بضرورة اقضاء جميع التّأويلات الخاطئة، التي يبتعد أصحابها عن المنطق والروح النّقديّة والعلمية، وبالرّغم من ذلك نجد أنفسنا أمام العديد من الدلالات الاحتمالية وليست الإلزامية للنصوص⁴، كما أنّه لا نستطيع أن نمنع خضوع النّص الأدبي إلى قراءات أخرى ذات تبصّر وذكاء تلفت انتباهنا إلى ما لم يلتفت إليه القراء السابقون، وتكون معزّزة بأدلة نصّية كافية ولكلّ من أراد أن يفهم اللّغة يجب عليه أن يفهم أكثر من تلك اللّغة، لأنّ النّص الأدبي هو نتاجا لمؤلف ما يظهر موفقا يوجّه من خلاله

¹ - أ.د. عبد القادر الزّياغي، جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، ط 1 (عمان الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، 1420هـ/2009م) ص 102، ص 103.

² - المرجع السابق، ص 103.

³ - T.S.Eliot, The frontiers of criticism (in English critical Essays Twentieth century, (London, Oxford University 1985), P48.

⁴ - د. حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدّلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، الطبعة الأولى (الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003)، ص 34.

نفسه نحو العالم، وهذا الموقف لا يوجد في العالم المعطي الذي يشير إليه المؤلف، فإنّه لا يمكن لهذا المؤلف أن يتّخذ شكلا من الأشكال إلّا إذا تمّ ادماجه حرفيا في العالم الواقعي، وهذا الادماج لا يحدث من خلال المحاكاة البسيطة للبنيات الموجودة بل من خلال عملية إعادة هذه البنيات¹.

وأستطيع استنتاج مما سبق أن عملية تأويل النصّ الشعري عملية معقّدة تخضع إلى عدة ظروف تخص القارئ، وما يحيطه به من عوامل ثقافية وتاريخية، وسياسية، واجتماعية، ونفسية، وما يعتريه من تناقضات يعيشها، ومصاعب يتعرّض لها، وتجاذبات، تجعله ينظر إلى النصّ الموجود أمامه من زاوية ربّما تضيق أو تتّسع، حسب اختلاف الرؤى والظروف، فتأويل النصوص تعتبر عملا نسبيا، تتغيّر بتغيّر الموازين التي تحكمه.

ولهذا السبب وضع امبيرتو إيكو كتابا بعنوان "النصّ المفتوح" يعبر فيه عن حيرته بين المعنى الواحد، وبين فتح إمكانيات التأويل التي قد لا تعرف الحدود²، فلا بد للقارئ أن يعمل فهمه لبلوغ ما يقصد المبدع، لأنّ المبدع قد تصوّر سلفا هذه المعاني في ذهنه، وجسّدها داخل ألفاظ وتراكيب³، ولقد ركّز الجرجاني في نظريّته "على الاجتهاد في الوصول إلى المعاني حيث قال: "قد فرغنا الآن من الكلام عن جنس المزيّة، وأنّها من حيّز المعاني دون الألفاظ، وأنّها ليست لك حيث تسمع بأذنك، وتعمل رؤيتك، وتتنظر بقلبك وتستعين بفكرك،

¹ - المرجع نفسه، ص 33، ص 34، ص 35.

² - د. حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النصّ الأدبي، ط 1 (الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003)، ص 35.

³ - د. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1978)، ص 230.

وتراجع عقلك وتستتجد في الجملة فهمك¹، فبالنسبة للجرجاني حتى لو استطاع القارئ أن يستعمل أقصى جهده، ليصل إلى المعنى الذي يقصده المتكلم، فهو لا يضيف شيئاً جديداً لما قاله صاحب النص، ولكنه يحاول فقط أن يصل إلى إبراز القصد الذي أخفاه المبدع وراء ألفاظه الظاهرة، ولقد قسم الجرجاني الكلام إلى ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل²، ومن هنا نلاحظ أن الجرجاني يقف ضد أولئك القراء الذين يؤولون الكلام عدة مرّات ليقعوا في المزلّة، ويدلّ هذا على نقصان حاصل في قدرات القراء وعدم كفاية عملهم³، فالجرجاني لا يجعل القارئ طرفاً في العملية الإبداعية، فأفضل التفسير لا يمكن أن يبلغ بأي حال فضل الكلام التخيلي (استعارة، كناية، تمثيل، مجاز)⁴، أمّا فولفغانغ ايزر فيقول أنّ عملية تأويل نصّ من مجال الوهم، فكّماً اقترحت قراءة منسجمة ذاتها.. أصبح الوهم سائداً⁵، والوهم المقصود هنا له طابع نسبي، لأنّ القارئ في جميع الأحوال مجبر على الانطلاق من معطيات النصّ لبناء

¹ - أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني وبلاغته ونقده، ط1 (الكويت، وكالة المطبوعات، 1973) ص29، ص32.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1978)، ص230.

³ - المرجع ذاته، ص286، ص294.

⁴ - د.حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، الطبعة الأولى (الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003)، ص112.

⁵ - فولفغانغ ايزر، فعل القراءة، ترجمة حميد الحمداني، الجلالى الكدية، (فاس، منشورات مكتبة المناهل)، ص77.

تأويله الذي تمّ انتقاء عناصره وسيعتمد الانتقاء على الاستعداد الفردي للقارئ وعلى تجربته¹، وما يحدث في الواقع هو أن القراء يفكّرون أثناء القراءة بمادة أفكار النص، لا برصيدهم الفكري الخاص وحده، وهذا ما يؤكّد أنّ العلاقة بين النص والقارئ هي من النوع التفاعلي الذي ينتج في نهاية الأمر شيئاً مخالفاً لأفكار النص ولأفكار القارئ دون قطع الصلة بهما معا بشكل تام².

وعلى هذا الأساس، فإنّ قراءة النص وتأويله ومحاولة فهم ما يجري بين الأسطر، والتغلغل في كيانه، وبين طيّاته، وإزاحة الحواجز، بينه وبين القارئ، هو ابداع ثان، وخلق مميز، وفنّ راق، لا يتسنى إلا لصاحب الخبرة الكبيرة، الذي يمتاز بالتبصّر في الأمور، وحسن ربط العلاقات، والتفطن لما بين السطور من معاني عميقة، خفيّة عن الأعين العادية، ولقد سمّى عبد القاهر الجرجاني هذا المعنى العميق من الشعر الذي يريد القارئ أن يصل إليه، ويتعمّق فيه، ويجسّده في فكره سمّاه "معنى المعنى"³، وضمن هذا الإطار وضع الكاتبان ريتشاردز وأوجدن (Ritchards and Ogden) كتابهما المشهور "معنى المعنى" "meaning of meaning"، حيث أصبحت قيمة النص الشعري مرتبطة به بصفة المعنى الأشمل والأجمل، فيه يتكامل خطاب القراءة مع خطاب النص الشعري لأنّه يصبح غايتها

¹ - د.حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدلالة تغير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، الطبعة الأولى (الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، 2003)، ص114، ص115.

² - انظر المرجع السابق، ص114.

³ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق أحمد مصطفى المراغي، القاهرة، دار المكتبة العربية، 1995، ص171.

المشتركة¹، فحياة النصّ ممتدة بالقراءة الواعية المتنامية مع تنامي الأجيال والحضارات والثقافات المتجددة²، ولكي يحدث هذا لابد أن يتوقّر للقراء ملكات فهم عالية لأنّ استخدام التخيل في الكتابة الابداعية على الأخص يستدعي من القارئ أن يكون على قدر كبير من الفهم والتأويل، لبلوغ المقاصد العميقة، وتجاوز كل ما هو في حكم المعاني السطحية، لأنّ المعاني الجديدة كالجواهر في الأصداف، وللحصول عليها لابد من المعرفة والتأمل³، أمّا فولفغانغ ايزر فقد قسّم القراء إلى نوعين منهم القارئ الذي يتمتّع بذاكرة جيدة تساعده على أخذ كل التفاصيل بعين الاعتبار على عكس صاحب الذاكرة الضعيفة، كما أنّ الأشخاص المحمّلين بأفكار مسبقة قد يندفعون سريعا للخروج بنتيجة ترضي ميولهم، بينما القارئ المتشبع بالثقافة الحوارية فيكون أكثر قدرة على تتبّع مسار التأويل بطريقة ابداعية ناجحة⁴، ولقد أجمع بارت، وغريماس، ودي سوسير على أنّه لكي نصل إلى الدلالة التي نصبو إليها لابد من التركيز على مجموع الوحدات التي تولّف النصّ الكامل، وعليه فإنّ تلك الوحدات بما يوجد بينها من علاقات هي التي تشكّل سياق تلك الوحدة، وبالتالي تعطيها معناها الخاص داخل النصّ⁵، لأنّ الوحدة الأسلوبية توجد في النصّ الأدبي سواء كانت تعبيراً

¹ - Ritchards and Ogeden, meaning of meaning, London, 1953 و أ.د. عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، (عمان الأردن، 1430هـ/2009م) ص 103.

² - عبد القاهر الرباعي، جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، (عمان الأردن، 1430هـ/2009م) ص 103.

³ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق السيّد محمد رشيد رضا، بيروت، (دار المعرفة للطباعة والنشر، 1978) ص 119.

⁴ - د. حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النصّ الأدبي، (الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي) ص 116، ص 117.

⁵ - انظر المرجع السابق، ص 116.

شعبيا، أو لغة راقية أو مهنية لابد أن يكون لها بالإضافة إلى مظهرها التعبيري الخاص، مظهر دلالي يرتبط بنوعية التفكير الاجتماعي الذي ينتسب إليه¹، فلا بد للدارس والقارئ أن ينظر إلى النص الأدبي من جميع جوانبه مركزا على العلاقات بين الوحدات وبهذه الطريقة يستطيع الوصول إلى ما يريد ضمن إطار علمي إبداعي خلاق.

الفصل الأول

¹ - Michail Bakhtine, Esthétique et théorie de roman, Gallimard, (1978), P87-88.

الألفاظ الدالة على الألم

د - الألفاظ الدالة على الجراح.

هـ - الألفاظ الدالة المعاناة.

و- الألفاظ الدالة قسوة الحياة.

وما شابه ذلك.

1- مجموعة الألفاظ الدالة على العذاب، والألم، والجراح، والإحباط، والقسوة، والمعاناة،

وما له صلة بذلك

الألفاظ الواردة في الديوان:

بَلَدٌ جَرِيحٌ
تَشْكِي لا الجروح بل الضَّمَادَ
يَنْزُ جُرح الشَّرِيدِ
هَوَى مِنِّي خَضِيبٌ
وَيَنْزُ دَمًا كَمَا نَزَّ الثَّمَادُ
بَيْتٌ صِيحٌ نَهَبًا فِي ذَوِيهِ
أَحْزُ وَرِيدِي
حَزَّ الْمُدَى
تَطْوِي الضَّلُوعَ
أَجْنِي الشَّوْكَ وَالْوَحْزَ وَالْحَزَازَاتِ حَصْدًا
لَمْ نَخْتَضِدْ شَوْكَ اللَّيَالِي
عَقَّتْ دِيَارُ
يَنْزُ جرح الشَّرِيدِ
يَتَصَدَّى كَشَامَتٍ يَتَحَدَّى
فَوَادِي بَيْنَكُمْ يَثْوِي مَقِيمًا
قُلُوبٌ تَحَرَّقَتْ وَجُلُودٌ
قُلُوبٌ تَمَلَّتْ فِي جُلُودٍ
يَعَصُرُ الْقَلْبَ حُبُّ الْحَيَاةِ
وَكَابُوسُ حُرْمَانِهَا
اعْتَلَى بَدَمُ قَلْبٍ وَبِالدَّمْعَةِ جَفَنٌ

وَحَمَلْتُمْ ثِقَلَهَا إِذْ غَيْرُكُمْ
كَلَّ مِنْ كَاهِلٍ أَوْ زَلَّ مَتْنُ
الْصَّدَى يَوْشَوْشُ
صَدَى أَلْمِي
إِنِّي مُضِغَةٌ أَنْيَابِ السَّرَاحِينِ
سَفْحَكَ ضَمَانَا
إِنِّي وَرَدْتُ عَيُونَ الْمَاءِ صَافِيَةً
فَمَا كَانَتْ لَتَرَوِينِي
لِدَغُ الثَّعَابِينَ
يُذَاقُ الْعَلَقَمُ
يَا حَاصِداً مِنْ كَرِيمِ الزَّرْعِ
غَلَّالُ الْأَسَى وَالْأَذَى وَالْحَسَدِ
مَسَحَتْ عَنْ أَوْجِهِ
عَاثَ بِهَا الْبُؤْسُ إَغْبَارَ
يُوسِعُ الْقَلْبُ انْفَجَارَا
بَيْنَ جَوَانِحِي شُعْلٌ
يَجْرِي بِهَا نَفْسٌ فَتَشْتَدُّ
يَا جَوَادًا شَابَ كَهْلَا
فَرَطَ مَا خَاضَ الْمَغَارَا
تَصْنُطِلِي الْعَمْرَ جَحِيمَا
حَيْثُ تَكَادُ شِعَافُ الْفُؤَادِ
بِسَكِينٍ مُطْمَعَةٍ تُجْرَحُ
وَإِذْ يُرَكَّبُ النَّفْسُ حَدَّ الرَّدَى
عَنَانٍ مِنَ الضَّرِّ لَا يُكَبِّحُ
جَحِيمِ الرِّزَايَا

يَمْتَصُّ اعْتَصَارًا
تَشْقُ عَلَيْكَ الْجُيُوبُ
فِيغْرِزُ فِي صَدْرهَا مَعْصَمٌ
أَجْزُ كَبْدِي
ذُوبْتَ الضَّلُوعُ عَلَى ثَرَاهَا

إنّ المتأمل في معجم الجواهري اللغوي، يكتشف أنّه استعمل كمّا كبيرا من الألفاظ، والتراكيب، منها المألوفة المعروفة، ومنها التي استُعملت في غير محلّها أبدع فيها وابتكر بطريقة عفوية تلقائية دون بذل جهد كبير، كيف لا وهو أحد فطاحل الشعراء له من الكفاءة، والرصيد ما يؤهّله لخلق معاني جديدة تتسم بالقدرّة والتّمكّن من ملكة الشعر إلى جانب الموهبة مما يجعل القارئ يذهب بعيدا بخياله، متعمّقا في هذه الدلالات متعطّشا شغوبا، لا توقفه حواجز لمعرفة المزيد والالمام إذا أمكن بقدر كبير من المعاني فاسحا المجال أمام الباحث والمتلقّي لمحاولة التّحري، وفهم مكنونات، وأبعاد، وأسرار، هذه التراكيب المتناسقة ببراعة فائقة، والمحبكة بطريقة خلاقة تجلب الباحث والمتلقّي على حدّ سواء.

ولقد عبّر الجواهري في ديوانه بجزأيه على الواقع المرّ، والظروف القاسية، التي عانى منها المجتمع العراقي على غرار البلاد العربية على يد الحكّام الذين قهروا الشعوب، ووظّفوا المتواطئين معهم، والخونة المتآمرين، والدّخيل الأجنبي، لفرض سيطرتهم.

كما قام العدو الغربي باستعمال أسلوب الاستعباد، والاستبداد، والجبروت، وممارسة الحكم بقبضة حديدية دون شفقة أو رحمة للتّحكم في إرادة الشعب.

ولكي يتسنى لي إحصاء الألفاظ والتراكيب التي أنا بصدد دراستها، اتّخذت من السياقات التي وردت فيها منطلقا لجمعها لغرض تأويلها محاولة الوصول إلى دلالاتها العميقة، لأنّ السياق الجديد هو الذي يعطي المعنى الجديد، وتكون القراءات السياقية مختلفة

عن القراءات المعجمية، كما أن طبيعة النماذج النحوية بما تقدمه من امكانات تمثيلية هي التي تحدّد طبيعة الأساليب المجازية.

ولقد قمت بتصنيف الألفاظ والتراكيب ضمن مجموعة دلالية عبّر من خلالها الجواهري على خيبة الأمل، واليأس، والمعاناة، والمرارة، والتشاؤم، والحرقة، والعذاب، وما له علاقة بذلك.

وتفرّعت هذه المجموعة الكبرى إلى مجموعتين صغيرين:

أ- مجموعة الألفاظ والتراكيب والصيغ الدالة على العذاب، والألم، والجراح، والمعاناة، وقسوة الحياة:

ولقد عمل الشاعر على توظيف المجاز من خلال استعمال ألفاظ معروفة في غير موضعها أنتجت لنا معاني جديدة عملت على إثراء لغة المعجم، واستعمل كذلك الاستعارة في العديد من التراكيب التي أحصيتها حيث وردت بعض الألفاظ في سياقات لا تنتمي إليها أوحّت لنا بمعاني جديدة عملت على تنويع ما جاء في معجمه اللّغوي كذلك.

إلى جانب هذا استعان الشاعر بالكناية التي نستطيع من خلالها أن نستنبط دلالات جديدة عبّر عنها بطريقة غير مباشرة أبرز من خلالها قدرته على خلق معاني جديدة لم تكن معروفة زادت ابداعاته رونقا وجمالا.

ووظّف الجواهري "بلدٍ جريحٍ" صيغة مبالغة والجرح هو شقّ البدن والشقّ معروف مألوف ينتج عنه الأذى والألم الشديد والمعاناة، و تَشَكَّى لا "الجُرُوح" من اشتكى صيغة

فعلية مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر بمعنى تألم ممّا به، أصواتها قوّة شديدة في معظمها، وقال الله سبحانه وتعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله"⁽¹⁾، والضّمادا اسم وهو دهن الجرح بالدواء أو ووضعه عليه لغرض الشفاء ولهذا اللفظ علاقة بجريح حروفها قوّة في معظمها، وصف من خلالها محمد مهدي الجواهري الألم العميق الذي أحدثه المستعمر في بلاد المشرق العربي، وثّقاسمه بلاد المغرب العربي في هذه المعاناة، والجراح حيث قال معبّراً عن تمادي المستعمر في قهر الشعب ومستعملا المجاز لأنّ هذه الألفاظ وردت في غير مكانها عبّر من خلالها على قسوة المعاناة التي سبّبا الأجنبي من جرّاء ما فعله بالأمة، حيث خارت قواها ونزفت كثيرا:

فكم في الشَّرْق من بلدٍ جريح * تشكّي لا الجُروح بل الضّمادا (263)

والشّاعر لا يقصد هنا الجرح بمعناه المتعارف عليه، ولا يعني البدن أو الجسم بالمعنى الحقيقي بل الهموم، والمعاناة الناتجة عمّا آل إليه الوضع في العراق نتيجة لما قام به المستعمر الدّخيل من قهر وظلم، فمثلا يؤلم الجرح فكذلك الحسرة والمعاناة تؤلم صاحبها، وتدمي القلوب والأجساد، وتعذبّ الروح، فالمجتمعات العربية مظلومة، مقهورة، مغلوبة على إرادتها، تننّ وتعتمر غضبا من هول ما حدث لها، ومن جبروت المستعمر، فالأحشاء تتمزّق والجراح تتعمّق، والقلوب تتوجّع حسرة وحزنا على فقدان السيّادة والحرّية والكرامة.

¹ - سورة المجادلة / 01.

واستعمل الشاعر الضَّمادا ودلّ على معنى جديد فكما أنّ الجرح بحاجة إلى ضماد لكي يبرأ، ويتعافى، ويُشفى نهائياً فكذلك الأوطان المستعمرة والتي تُثَن وتَتَمَلَّمُ تحت نير الاستعمار فهي كذلك بحاجة إلى وعود صادقة، وحلول ناجعة تُزِيل عليها الغمامة والدَّاء، لأنّ الكلام المعسول المنمّق، والحلول الزائفة، والوعود الكاذبة لا تجدي نفعا بل تضرّ في أغلب الأحيان، فإذا كان الجرح بحاجة إلى ضماد ودواء حتى يُشفى فكذلك الأوطان المستعمرة، والمهضومة حقّوقها والتي تقاسي، وتعاني تحت نير المستعمر الغاصب بحاجة إلى حلول سريعة لا تحتاج إلى أقوال منمّقة، مزخرفة، سلسلة تحمل في طياتها الغش والخداع، لأنّ الجرح إذا كان جدّ عميقا لابد من إخضاعه للمراقبة، ومعالجته لأنّ الضّمد في بعض الأحيان لا ينفعه بل يؤذيه ويزيده تعفّنا فيغور ويتعقّد لذلك لابد من التّطرق للعلّة والسبب، والوقوف عندها، والتّمحص فيها لغرض إيجاد وسيلة للشفاء، فكذلك الأوطان المستباحة هي بحاجة إلى صدق نيّة، ولفتة سريعة، وإلقاء نظرة عميقة، ودراسة أعمق، والغوص في صلب المشاكل، والتّفاوض وفرض الرأي السديد، وعدم الانصياع هذا ما تحتاجه دول المشرق العربي، إلى كلمة حقّ لأنّ الحقّ يُعلّى ولا يُعلّى عليه كما ورد في القرآن الكريم حيث قال الله سبحانه وتعالى: "الحقّ يُعلّى ولا يُعلّى عليه"⁽¹⁾، والحقّ من أسماء الله الحسنى، لا ينطق به إلا أولئك الأبطال الشّجعان الذين لا يخافون لومة لائم، ولا يُثنيهم أيّ شيء، ولا يصدّهم أيّ كان، لأنّ الحقّ يفرض نفسه ويتغلّب على الباطل، وقول الحقّ يغيّر مجرى الأحداث وله وقع في النفوس، وهو الفيصل في كل المجالات، وهو الحدّ

¹ - سورة البقرة / 42.

القاطع، يؤلم في بعض الأحيان، ويحزُّ في النفوس، كما قال الحقّ جلّ شأنه: "لا تُلْبِسُوا
الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون" ⁽¹⁾، ليخرج الشاعر بفكرة جديدة وهي القيام
بتغيير الوضع، والقضاء على الداء، والمقصود هو العدو الأجنبي، الذي جرح الشعب،
فتضميد الجراح وحدها لا يكفي بل لابد من محاربة مصدر الألم والعلّة.

وورد كذلك يَنْزُ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكور من نَزَّ بمعنى
ما يخرج من الأرض من ماء ⁽²⁾، وجرح الشريد صيغة اسمية مضافة، حروفها قويّة والشريد
من لا مكان يؤويه، ولا قبلة يتّجه إليها، ولا هدف ينتظره إلّا الضياع، فقال من منفاه
مستعملا الاستعارة وجسد الألم المزمّن الذي يعصر قلبه ويكاد يقضي عليه وشبهه بجرح
الشريد الذي ينزف، ولا يتوقّف لأنّ لا أحد يُسعفّه في الوقت المناسب:

أنا هنا في عرّة غير أني * في فوادي ينزّ جرح الشريد (35)

وهو بعيد عن وطنه، مضطّر إلى العيش في بلاد الغربة معزّزا مكرّما، لا ينقصه
شيء إلّا أنّ قلبه يدمي في صدره، حزنا على وطنه وأهله، ويعتبر نفسه شريدا، لأنّه يشعر
بعدم الاستقرار، وفقدان التوازن، والارتباك، والخوف من المصير المجهول الذي ينتظره ولهذا
السبب اعتبر نفسه شريدا، لأنّ لا وطن يحتضنه، ولا سقف يظله، مما يزيد من معاناته
وجراحه التي لا تندمل، وتتعمّق وتتعمّق، خاصة أنّه بعيد عن أرضه وعشيرته، يحسّ بالوحدة

¹- سورة البقرة /42.

²- المعجم الوسيط (نَزَّ) /913.

القاتلة المريرة فليس هناك من يواسيه، ويخفف عنه، ويؤازره مثل الشريد الضائع الهائم على وجهه الذي لا يعرف أين يتجه وأين يستقر به المقام.

وورد هَوَى مَنِ خَضِيبٌ، وخضيب صيغة اسمية بمعنى اخضر وتلون، واختضب بالدماء وتلطّخ⁽¹⁾، والهوى هو الميل والعشق، وفي التنزيل العزيز: "أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ"⁽²⁾، وَيَنْزُ دَمًا كَمَا نَزَّ الثَّمَادُ، والثّمد الحوض الذي يجتمع فيه الماء، وثمد الماء بمعنى قل⁽³⁾، استعمل الشاعر المجاز ليرثي ابن عمه محمد باقر الجواهري الذي توفي عام 1952 واشتكى لوعة الفراق، وعبر كناية عن مدى تعلّقه الكبير به، ومعاناته الشديدة لفقدانه وبكائه دموعا من دم حسرة عليه فقال:

وبينكم هَوَى مَنِ خَضِيبٌ * يَنْزُ دَمًا كَمَا نَزَّ الثَّمَادُ (211)

أعرب محمد مهدي الجواهري على التصاقه الكبير بابن عمه وبأسرته، وعبر عن المرارة الكبيرة التي شعر بها عندما افتقد محمد باقر الجواهري وذرف دموعا من الدّماء حزنا عليه وعلى فراقه، ولم يتقبّل فكرة الموت الفجائي الذي اختطفه، وجعله ينهار ولا يستطيع أن يسيطر على عواطفه فانهمرت عيناه تنزّ دموعا، لا تتوقّف ولا تتقطع مثلما تنزّ المياه من باطن الأرض.

1- المعجم الوسيط (خضب)/239

2- سورة الفرقان/43.

3- المعجم الوسيط (ثمد)/100

ووظف الشاعر وَبَيْتٍ صِيحٍ نَهَبًا فِي ذَوِيهِ، وصيح نهباً صيغة فعلية مبنية للمجهول حروفها قَوِيَّة من نهب بمعنى أخذ الشيء قهراً⁽¹⁾، ووردت هذه الألفاظ في غير سياقها وهي استعارة شبه الموت الذي اقتحم ديار قومه، باللص الذي يقوم بالسرقة في وضح النهار وعلى مرأى من الناس غير مبال بتصرفاته فكَذَلِكَ الموت اختطف معظم أفراد عائلته وسرق منهم الحياة عنوة، وقهراً، ونصّب نفسه سيّد البيت الأمر والناهي فقال:

وَبَيْتٍ صِيحٍ نَهَبًا فِي ذَوِيهِ * كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهِ هِيَ الْعِمَادُ⁽²⁾ (211)

وللدلالة على توالي المصائب على آل الجواهري، وعدم توقّفها وتدفّقها بغزارة، وعدم فسح المجال أمامهم لعدّ ضحاياهم وإحصاء خسائرهم، فالموت قهرهم وأفناهم وأخذ أختيارهم واختطفهم وسلّط نفسه عليهم وأصبح يتولّى شؤونهم، ويبرمج حياتهم ويتحكّم فيهم ويعيشون تحت سيطرته ويأتمرون بأوامره وهو الخراب بذاته.

وجاء أَحْزُ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المتكلّم متعدية حروفها شديدة قَوِيَّة والحرّ هو القطع⁽³⁾، ووريدي، الوريد هو العرق الذي يحمل الدم الأزرق من الجسد إلى القلب⁽⁴⁾، وفي التنزيل العزيز: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"⁽⁵⁾، وظّف الشاعر الكناية ليعبر على الرمي بنفسه إلى التهلكة في سبيل إعلاء كلمة الحقّ فقال:

لَمْ أَطُقْ كَتْمَهَا وَأَعْلَمَ كُلَّ الْعِلْمِ * أَنِّي بِهَا أَحْزُ وَرِيدِي (34)

1- أساس البلاغة (نهب)/659.

2- المرجع ذاته (عمد) 435/

3- لسان العرب (حز) 335/5

4- المعجم الوسيط (ورد) 1024/

5- سورة ق/16.

وبالتّمعن في هذا البيت نجد أن الشّاعر استعمل أحرّ وريدي، وهو قطع الشرايين مكان تدفّق الدّم وهو نبض الحياة، لأنّه عندما يُقطع الوريد، يتوقّف القلب عن الخفقان وتلك النّهاية، وقصد بها الشّاعر كذلك كلمة الحقّ التي لا يستطيع أن يكتّمها، ويعلم ما سينتج عنها من عواقب وخيمة تؤدّي إلى هلاكه، وبالرّغم من ذلك عرّض حياته للخطر، ووقف وقفة رجل عظيم شجاع مقدام، ونطق بالصدق غير مبال بما ينتظره من مكروه، ومن مصير مجهول نتيجة لهذه المغامرة الكبيرة التي يشهد له بها الكثيرون، حيث اضطرّته ظروفه القاسية وكرامته المستباحة وعزّته وغيّره على بلاده، وحسّرتة عليها، لتعريض نفسه للمصاعب، إلّا أنّه أصبح لا يبالى بذلك، فكل شيء عنده سيّان فما قيمة الحياة بدون سيادة وشرف وشموخ.

ولقد جاء تطوي الضلوع، وتطوي من الطيّ بمعنى ضمّ بعضه إلى بعض وهو نقيض النشر⁽¹⁾، صيغة فعلية حروفها قويّة، والضلوع هي عظام القفص الصدري ترتكز عليها الأطراف العليا للجسم، وفي التّنزيل "يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب"⁽²⁾، ومن الصبر يدمي بمعنى يخرج منه الدم صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وكحزّ المُدَى صيغة اسمية مضافة، تراوحت الأصوات بين القوّة والرّخاوة، قال مهدي الجواهري مجسّدا معاناته ومستعملا المجاز لأنّ لفظي تطوي، ويذمي وردا في غير محلّهما

¹- المرجع نفسه (طوى) 18/15.

²- سورة الأنبياء، الآية 104.

ليعبّر من خلالهما على الضغوطات الكبيرة التي يعيشها، وهذا معنى جديد زاد في إثراء لغة المعجم:

وتطوي الضلوع على نافذ * من الصبر يدمي كحزّ المدى (226)

للدلالة على شدة الوجع، وكظم الغيظ، والكبت، والتحمل، والصبر على الضرر، الذي ألحقه به المقرّبون منه دون شفقة أو رحمة، أنتج عنده معاناة كبيرة وكأنّ ضلوعا مطوية على خنجر حادّ تطوّقه، وتمزّق أحشاءه، وتكسر عظامه، وجسد الشاعر آلامه وعذابه باستخدامه هذه العبارة، وأضاف إلى مأساته ومعاناته من الصبر يدمي بمعنى الإرهاق الكبير الذي أصيب به من جرّاء الصبر على الشدائد التي أضرتّ به وجعلته ينزف حرقة، فتولدت عنده المعاناة القاسية، وشعر بالدماء تسيل في أعماقه وكأنّه تعرّض للطعن بسكين وهو الأذى الكبير الذي أصابه من طرف عشيرته وقومه فأصبح في وضع لا يحسد عليه.

ومن خلال العبارتين وضعنا محمد مهدي الجواهري أمام حقيقة مرّة تتمّ عن قسوة المعاملة من طرف أهله وبني جلدته، فهو لا يقصد طيّ الضلوع على المديّة الحادة بمعناها الحقيقي ولكنّه يخرج إلى معنى آخر عميق جسّد من خلاله عدم اكتراث قومه مما يعانيه فلقد تخلّوا عنه وأذاقوه المعاناة وطعنوه في ظهره، فقلبه يدمي وروحه تتمزّق، وجسده يتألّم.

وجاء أجني الشوك بمعنى تناول الثمرة من منبتها، صيغة فعلية متعدية حروفها جمعت بين الشدة والرخاوة، أما كلمة الوخز فهي اسم وهو الطعن بسنّ الرمح أو الإبرة⁽¹⁾،

¹ - المعجم الوسيط (وخز)/ 1019.

والْحَزَازَاتِ حَصْدًا صَيْغَ اسْمِيَّةٍ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا جَاءَ مِنْ قَبْلِهَا، اسْتَعْمَلَهَا لِيَعْبُرَ عَنْ عَدَمِ
الاعتراف بالجميل وملاقاة الخير بالشرّ والبغض مستعملا الكناية فقال يصف معاناته:

تزرع راحتاي وأجني الشوك * والوخز والحزازات حصدا (79)

والشوك نبات معروف مؤلم إذا لمسناه واقتربنا منه وصاحب النص يقصد أنّه زرع
الخير، والحبّ في وسطه، وبين أهله، وفعل الكثير من أجلهم، وساعدهم، وأزرهم، ووقف
إلى جانبهم، وكانت النتيجة معاكسة وهي جني الشوك، والحزن، والألم، والحسرة، والاحباط،
وخيبة الأمل التي لحقت من المقربين منه، والخير لا يزرع لأتّه غير ملموس بل شيء
محسوس نفعله وننتظر الجزاء، إلّا أنّ الجواهري تحصّل على ما لا يُحسد عليه وهو الشوك،
والضرر، والألم، والأسى، فحزّ في نفسه كثيرا وزادت معاناته، وأصبح يتذمّر من الوضع
الذي آل إليه، فردّة الفعل من طرف قومه كانت عنيفة، وقاسية، وغير متوقّعة، لم يستطع
تحملها، ولم يكن ينتظرها، فاجأته، وقهرته، وأضرّت، به، وأثّرت فيه، وآلمته آلاما كبيرة.

وهو لا يقصد الوخز الحقيقي ولكن ما نتج من ردّة فعل أليمة من طرف أهله،
وأحبائه، والكلام القاسي الفضّ على قلبه، وصعوبة المعاملة التي آذاته وهي بمثابة وخز
الإبرة وأفقدته توازنه، وقضت على معنوياته، فأحسّ بخيبة الألم، والقهر وعذاب الضمير
والروح، فعوضا عن الشكر والعرفان من طرف قومه كان الموقف مغايرا، وعنيفا، وقع عليه
مثل الصاعقة، وهزّه، وجعل جسمه يرتجّ وكأنّه تعرّض لوخزة التيار الكهربائي، والوخز عادة

يأتي من الشوكة الحادة إلا أنه هنا نتج من طرف أعزائه، وأقربائه، وأثر فيه وصدمه مثل الصدمة العنيفة، فهزت كيانه وجعلته يشعر بالمرارة والامتعاظ والغضب الشديد.

ووردت عبارة لم نَخْتَضِدْ، ونختضد من خضد بمعنى كسر وقطع ونزع الشوك⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب الجمع، متعدية، مسبوقة بحرف جزم ونفي وقلب، وقال الله سبحانه وتعالى: "وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود"⁽²⁾، وشوك اللّياي صيغة اسمية مضافة، حروفها بين الشدة والضعف، والشوك مثلما سبق وأن ذكرت معروف نجده في بعض النباتات، أما لم يَسْلَسْ لَنَا مِنْهَا الْقِيَادَ، يَسْلَسْ صيغة فعلية منفية، مجزومة، متعدية، ويسلس من سلس بمعنى لان وسهل، واستعمل الشاعر هذه الصيغ ليرثي من خلالها ابن عمه باقر الجواهري، الذي خطفه الموت وهو مازال شابا حيث قال مستعملا الكناية ليعبر عن توالي الأزمات والمصائب دون انقطاع وبحدة كبيرة مخلفة احباطا، وامتعاضا، ويأسا حيث وقف عاجزا أمام ما يحدث:

كَأَنَّ لَمْ نَخْتَضِدْ شَوْكَ اللَّيَالِي * وَلَمْ يَسْلَسْ لَنَا مِنْهَا الْقِيَادَ (202)

وبفقدان ابن عمه، ورفيق دربه، أثر هذا الحدث في نفسه تأثيرا كبيرا، وقصد بشوك اللّياي الهموم، والتراكمات، والمصائب، والمحن، والأزمات، التي لازمت أسرته الواحدة تلوى الأخرى دون انقطاع يُذكر، واللّياي عادة يستريح فيها الإنسان ليقوم بعد ذلك بالأعباء التي تنتظره، إلا أنها أصبحت بالنسبة للشاعر رمزا للكوابيس، والمحن، والمصائب التي لا تنتهي

¹ - المعجم الوسيط (خضد)/240.

² - سورة الواقعة/27.

تجعله يحسّ بالوجع، واللاّأمن، واللاّاستقرار، وكأنّه يفتّرش الشوك، فتراه يتأدّى ويتألّم طوال الليل وينتظر الفرج، وطلوع الفجر، وانقشاع الضباب، وزوال الظلام، وتظهر هنا نظرة الشاعر التشاؤمية المليئة بالهموم، والكوابيس التي تلاحقه وتتربّص به، والجواهري يريد أن يكسر شوكة المصائب ليرتاح لكّته لن يستطيع لأنّ الأمور خرجت من يده، وتمردت عليه، وانتصرت، ولم يستطع مجاراتها، وأصبحت المصائب هي سيدة الموقف، وهي المتغلّبة إذ عجزت إرادته أمامها، وأشعرته بالضعف، ولم يقدر على مواجهتها، ويغير مجرى الأحداث، وكأنّ الليالي عبارة عن وحش متمرد من المستحيل قيادته، والتغلّب عليه، لأنّه قويّ، جبار يملّي شروطه، ومن الصّعب وضع الشكيمة في فمه ليسهل التّحكم فيه، والشاعر لا يستطيع أن يهرب من هذا القدر المحتوم الذي أفجعه، وأحزنه، وأخذ منه شخصا مقرباً في ريعان شبابه ولهذا السبب فهو ناغم متذمّر متشائم.

واستعمل عقّت ديار، والعقوق هو العصيان، صيغة فعلية متّصلة بتاء التانيث الساكنة، حروفها قويّة شديدة، ولقد أمرتنا شريعتنا السّمحاء بتجنّب العقوق وبالمعاملة الحسنة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ملعون من عَقّ والديه"⁽¹⁾، بعث الشاعر برسالة إلى صديقه الأستاذ عبد الغني الخليلي الشاعر العراقي⁽²⁾ الذي يَكُنّ له حبّاً كبيراً يرثي فيه حاله، ويصف ما حلّ به من عقوق من طرف قومه، موظّفاً المجاز للدلالة على قطع الأرحام والاستهتار بها قائلاً:

¹- رواه الطبراني والحاكم.
²- ديوان الجواهري/299.

أبا الفرسان إن عقت ديار * عقدت بها شبابي بالمشيب

فلا عجب فقبلي ضقتا ذرعًا * بخير الناس أحمدًا والحبیب (301)

جسد الدّيار، ورمز بها إلى الإنسان المتمرد، الذي عصى والديه، وعاملهما بقسوة كبيرة، ولم يرحمهما، ولم يرعهما، وخرج عن طوعهما، وقال الله سبحانه وتعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً"⁽¹⁾، يشتكي الشاعر سوء حاله لصديقه الشاعر علّه يتفهّم ما يشعر به ويحسّ، ويقاسمه ما تعرّض له من معاملة قاسية من قبل أهله وما وصفها بالعقوق، لأنّ العقوق يؤلم الأبوين كثيراً، ويؤثّر فيهما والله سبحانه وتعالى أمرنا بالإحسان إليهم حيث قال: "وبالوالدين إحساناً وذی القربى والیتامى"⁽²⁾، لأنّ الأبوين قد تعبوا في تربية الأبناء، وفي بعض الأحيان ذاقا الأمرين فلا بد من ردّ الجميل، وحسن معاملتهم، وشكرهم، والتودّد إليهم، واحترامهم، والانحناء أمامهم، لأنّ طاعة الله من طاعة الوالدين، إلّا أنّ الشاعر ذاق العقوق من طرف قومه، وعشيرته، وقابلوا كرمه باللؤم، والخبث، والشر، والشاعر ساوى بين ما يتعرّض له الآباء على أيدي الأبناء الأشقياء من عدم الاعتراف بالجميل، والعصيان، والتمرد، وما يتعرّض له هو من طرف المقرّبين إليه الذين أفنى شبابه في خدمتهم، وتعب من أجلهم، وضحّى ولكنّهم قابلوه بقسوة كبيرة، ويفتور حزّ في نفسه، وجعله حزينا، بأنسا إلّا أنّه لا يتعجّب من مثل هذه المواقف، فلقد تعرّض خير الأنام الحبيب

¹- سورة الإسراء/23

²- سورة البقرة/83.

عليه السلام إلى مثل هذه السلوكات الطائشة الغير مسؤولة، ما بالك الشاعر فهو يطمئن نفسه، وصديقه، ويحاول أن يتستّر حتى النهاية على جراحه العميقة محاولا إيجاد الأعذار، وتبرير المواقف لتخف معاناته.

ورد **يَتَصَدَّى كَشَامِتٍ** و **يَتَحَدَّى**، و**تَصَدَّى** بمعنى تعرّض، وفي التنزيل العزيز: "أَمَّا **مَنْ اسْتَغْنَى** فَأَنْتَ لَهُ **تَصَدَّى**"⁽¹⁾، و**يَتَحَدَّى** بمعنى طلب المبارزة، صيغتان فعليتان، أصواتها قويّة شديدة، مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر، معانيها معروفة مألوفة، والشامت بمعنى فرح بمكروه أصابه⁽²⁾، وقال الحقّ جلّ شأنه: "فَلَا تَشْمِتْ بِي **الْأَعْدَاءُ**"⁽³⁾، للدلالة على الثّبات، والصمود، والتّماسك، قال الشاعر من غربته في يوغسلافيا مستعملا الاستعارة، فيتحدّى ويتصدّى وردا في غير سياقهما وجسد من خلالهما الهموم، والكوابيس، والأشباح وجعلها مثل العدو الذي فرح لمكروه أصابه وأزّده أرضا وغلبه:

طاف بي من رُؤى الغيب طيفٌ * يتصدّى كَشَامِتٍ يتحدّى (84)

وهو في غربته لم يسلم محمد مهدي الجواهري من الأذى من طرف أهله، بل زاره طيف من بعيد يصارعه، ويشمت فيه، ويتحدّاه، ويفرض نفسه عليه، يريد تركيعه، ومبارزته، والقضاء عليه، فأصبح بالنسبة له خصما عنيدا، وعدوا لدودا، يريد أن يخنقه، لا يستطيع مجاراته، ومبارزته، والوقوف في وجهه، لأنّه منهك، ضعيف، محبط، جرّاء ما عاشه من أحداث قاسية أفقدته حلاوة الحياة، وحوّلت ظروفه إلى جحيم يحترق فيه، ولا يستطيع أن

¹- سورة عبس/05-06.

²- المعجم الوسيط(شمت)/493.

³- سورة الأعراف/150.

يطلب النجدة، لأنه وحيد، ذليل، غريب، بعيد، استولت عليه الأشباح، والوسواس، وأصبحت تطارده، وتترصص به، وتقهره، فلا يستطيع أن يتخلص منها لأنها توالى عليه، وأذبلته، وأجهدته فاستسلم لقدره.

وجاء لَوْ تَعْلَمِينَ بِأَطْيَافِي وَوَحْشَتِيهَا، وَدِدْتُ مِثْلِي لَوْ أَنَّ النَّوْمَ يَجْفُونِي، والأطياف جمع طيف بمعنى الخيال، ولفظ وحشتها فيها قفر وخوف⁽¹⁾، ويجفوني صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، متعدية، من الجفاء وهو البعد، وجفا فلانا بمعنى أعرض عنه، وقطعه⁽²⁾، وعادة الجفاء يكون بين الأقارب، والأحباب، الأصوات بين القوة والضعف، خاطب الجواهري من منفاه بتشيكوسلوفاكيا دجلة بأرض العراق، فقال يناجيها، ويخفف من أحزانه، ويروح عن نفسه، ويريد أن يبعد الأطياف التي تأتيه عندما يخلد للنوم، وتقلقه، ويتمنى أن تعاديه حتى لا يرتعب، ويخاف، فقال مستعملا الاستعارة لأن لفظ يجفوني ورد في غير سياقه وكأنه حبيب أعرض عن حبيبه، وانقلب الحب إلى نفور وكره:

لَوْ تَعْلَمِينَ بِأَطْيَافِي وَوَحْشَتِيهَا * وَدِدْتُ مِثْلِي لَوْ أَنَّ النَّوْمَ يَجْفُونِي(34)

وللدلالة على الظروف القاسية التي فرضت عليه وهو في بلاد الغربة، بعيدا عن أهله، وعشيرته، ووطنه، تشاطره الأطياف حياته، وتتقاسمها معه، وتتحداه، وتفرض نفسها عليه، فتمنى أن يصبح النوم عدوا له، وهذا في مصلحته حتى لا يرى في منامه تلك الكوابيس المرعبة، والمخيفة، وعادة الجفاء يقع من الصديق أو الحبيب ولا يأتي من النوم

1- المعجم الوسيط(قفر)/1018.

2- أساس البلاغة(جفا)/95.

لأنّهُ شيءٌ طبيعيّ، لا نستطيع إبعاده من حياتنا، وبالرّغم من ذلك فضّل الشّاعر عدم النّوم على مشاهدة الأشباح التي تتهجّم عليه، وترعبه، ويدلّ هذا مرّة أخرى على إصابته بالهوس، والوسواس لأنّه غير قادر على تحمّل الجفاء الذي تعرّض له من طرف أهله وقومه.

وجاء فؤادي بينكم يثوي مُقيماً، ويثوي بمعنى يقيم⁽¹⁾ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر، الحروف رخوة في معظمها، قال الشّاعر معبراً عن حبّه الكبير لقومه، وتعلّقه بهم، وجسد فؤاده، وأعطاه صفة الإنسان الذي قرّر البقاء بين أهله، وأصحابه، واستعمل الجزء ليعبر عن الكل وهنا استعارة لأنّ يثوي جاء في غير سياقه ليعطي معنى الاخلاص، والوفاء وزاد لغة المعجم إثراء وتنوعاً:

فؤادي بينكم يثوي مُقيماً * كأنّ ضريحه منكم فؤاد (211)

الشّاعر هنا يعبر عن مدى حبّه، وتمسّكه بعشيرته وهو في غربته بعيداً عن وطنه، أين ترك قلبه وجوارحه، وانفصل عن فؤاده، وتخلّى عن روحه ووهبها لأهله، ودفنها في تراب بلاده، وسافر بجسده فقط، للدّلالة هنا على مدى إخلاصه لأهله، وشغفه بهم، والوفاء لهم، والتمسك بهم، لأنّ الفؤاد لا يقيم، ولكنّ الإنسان هو الذي يقيم ويثوي، وكأنّ الشّاعر فرق بين جسده، وقلبه من أجل قومه، ويلاحظ هنا مدى الألم العميق الذي يعانيه الجواهري لأجل إرضاء من يحب، حيث دفن قلبه بين قومه، ورحل وسافر بجسده فقط دون روح أو حياة وأصبح عبارة عن هيكل فارغ، المهم أنّه وهب نبضات قلبه، ودفقات دمه، إلى قومه، فهو لا

¹- لسان العرب (ثوى)/103.

يستطيع الاستغناء عنهم لأنه مخلص تأتي عليه الأوجاع ولا يكثر بها، لأن القضية تستحق التضحية والمغامرة.

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي في إحدى قصائده متمسكا هو كذلك بقومه ورافضا

فراقهم:

إِذَا تَرَحَّـلْتُ عَنْ قَوْمٍ قَدْ قَدَرُوا * أَنْ لَا تَفَارِقَهُمُ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ

شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانَ لَا صَدِيقَ بِهِ * وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ⁽¹⁾

وما تزال معاناة الشاعر مستمرة حيث استعمل قلوباً تحرقت وجُلوداً، وقلوباً تملئت

في جُلودٍ، وتحرقت بمعنى توقدت فيها مبالغة وشدة، وتململت بمعنى تقلب في موضعه⁽²⁾

حروفه تتسم بالحركة والتقلب، صيغ فعلية حروفها شديدة في معظمها، عبر من خلالها

الشاعر عن معاناته الكبيرة، وآلامه الناتجة عن قسوة الأعداء، وعدم الشعور بالراحة

والاستقرار جرأ ما يحدث وهذه كناية عن شدة المعاناة فقال:

كَمْ قُلُوبٌ تَحَرَّـقَتْ وَجُلُودٌ * وَقُلُوبٌ تَمَلَّمَتْ فِي جُلُودِ (31)

وللدلالة على شدة الغضب، والاعتصار، والنقمة التي يشعر بها الأبطال الأشاوس

نتيجة لما آل إليه الوضع في بلادهم، فالجلود لم تتأذ وحدها على يد الجلادين الذين نالوا

منها وعدبوها، وحرقوها، وأشفوا غليلهم، ومارسوا عليها شتى فنون التعذيب إلى درجة الغبطة

¹- ديوان أحمد شوقي/214.

²- لسان العرب (ممل)/887.

والسرور، لأنهم متأزّمين غير عاديين، مرضى نفسيا، فالقلوب تأذّت وتوقّدت وتوهّجت نتيجة للظلم والاستباحة والجبروت والقهر.

والقلوب لا تتملل عن موضعها عندما تكون مستريحة، مطمئنة، لكنّها تتملل وتعتصر لأنّها غير آمنة، غير راضية عما يحدث، فالألم والحسرة مكانها القلب، والقلب عادة لا يتحرّك من مكانه وموضعه القفص الصدري، ولكنّه يشتدّ خفقانه بسرعة غير طبيعية، وتتصاعد دقّاته لسبب من الأسباب، ولهول ما يحدث صار القلب يكاد يخرج من مكانه لشدة تملله، وتحركه، ويهتزّ اهتزازا كبيرا نظرا للفاجعة والقساوة، يعتصر ألما لما يراه، ولا يستطيع الاستقرار في مكانه، فهو في حيرة غير مستريح، متوتّر لن يهدأ له بال من شدة المعاناة وقسوتها، وعبر الشّاعر عما يجيش في خاطره من صراعات عنيفة، هزّته هزّة قويّة وزلزلت أعضائه وجعلتها ترتجّ.

ووظّف الشّاعر محمد مهدي الجواهري عبارة **يَعَصُرُ القلبُ حبّ الحياة**، من عصر الشيء بمعنى استخرج ما فيه من دهن⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المذكر، متعدية، حروفها قويّة شديدة، و**حب الحياة** صيغة اسمية مضافة حروفها ضعيفة، أمّا **كابوس** **حِرمانيّها المُقدِّح** صيغة اسمية مضافة، والمقدح من قدح النّار بمعنى أشعلها، وقدح الدود في الشجرة بمعنى دبّ فيها فتأكّلت⁽²⁾، جمع فيها الشّاعر بين كابوس وهي الضغوطات والحمل الكبير الذي يجثم على صدر الإنسان، وينغص عليه حياته، ويقلبها إلى سواد،

¹- المعجم الوسيط (دهن)/604.

²- المعجم الوسيط (قدح)/717.

وحرمانها الكبير الذي عانى منه مهدي الجواهري حيث قال يصف التناقضات التي تعتريه، مستعملاً المجاز في لفظ يعصر الذي جاء في غير موضعه ليخرج بدلالة جديدة، وهي التشبث بالحياة، والنضال من أجلها، والتمسك بها، إلا أنّ الكوابيس والصراعات تلاحقه، وتقهره، وتدب في جسمه مدبّ الديدان في الشجرة، وتهكه، وتأتي عليه، ولا تترك له المجال لأن يتفاعل، وينتظر غد أفضل:

وَإِذْ يَعَصُرُ الْقَلْبُ حُبَّ الْحَيَاةِ * وَكَابُوسُ حِرْمَانِهَا الْمُقْدِحُ (218)

وللدلالة على الحمل الثقيل الذي يتمكّن من صاحبه، ويتقل عاتقه، ويكدّر صفو حياته، ويجعله ينظر إلى المستقبل نظرة تشاؤمية، سوداوية، إلا أنّ الشاعر هنا يبقى متفائلاً، صامداً أمام نكبات الحياة لعلّه يقهرها بحبه للحياة، ويتشبث بها، ويناضل من أجلها. ويعكس لنا هذا البيت مدى التناقض الموجود بداخل الشاعر، من حبه للحياة والصمود، والثبات، والتحدّي، وما يقابلها من كوابس ترهقه، تتعبه، تسيطر عليه، ولا ترحمه، وتحاول أن تقتحم عليه خلوته وتأتي عليه، وهو في الأخير سينتصر عليها، لأنّ روح التفاؤل تغلبت عليه، ولم يفقد بصيص الأمل، وألاحظ أنّ هناك صراع بين التفاؤل، والتشاؤم والباب مفتوحاً على مصرعيه فلمن الغلبة.

وجاء اغتلى بدمٍ ٍ قلبٌ، وبالدمعة جفنٌ، واغتلى بمعنى فار وطفح بقوة الحرارة⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر، حروفه بين الشدة والرخوة، وبالدمعة

¹ - المعجم الوسيط (غتل) 661.

جفن معطوف على العبارة الأولى، فالدموع لا تغتلي في الجفون بل تنهمر، والشاعر هنا يصف الظروف القاهرة التي يعيشها كل لحظة من حياته، وأفقدته الصبر، وقوة الإرادة، وجعلته منكسرا، عليلا، مستسلما فقال مستعملا الكناية ليصف حالة التوتر الشديد التي يعيشها، والنقمة الكبيرة التي تعتريه وتفقده الصبر، وتجعله متوهجا، متوقدا، متألما:

وصبرتم وصبرنا واغتلى * بدمٍ قلبٌ وبالدمعة جفنُ (145)

فبالرغم من روح الصبر والعزيمة والصمود التي يتمتع بها هو وعشيرته إلا أن صبره أوشك أن ينفذ، ولم يستطع أن يسيطر على نفسه، ويتمالكها ويصمد كثيرا، وبدأ دمه يغلي في عروقه نتيجة للإرهاق، والانهيار، وبدأت الأحداث تتغلب عليه، وتزيحه من طريقها، وتزحزحه، وأصبحت الدمعة قريبة من جفونه، فالدم لا يغلي في العروق، واغتلى بمعنى اشتد الغيظ اشتدادا كبيرا، وأثر في صاحبه فجعله يفقد توازنه، ولا يسيطر على حاله.

وما يستنتج من هذا البيت هو نفاذ صبر الشاعر، وشعوره بالارتباك، وبالضعف أمام المحن والرزايا، والمصائب التي تتوالى عليه من كل جهة، جعلته ضعيفا، متشائما، مستكينا، يكاد ينفجر من الغيظ، تحترق جوارحه، يدمي قلبه، تنهمر دموعه فتزيحه وتخفف عنه فيجد فيها عزاءه الوحيد.

وورد وحملتُم ثقلها إذ غيّرُكم، كلٌّ من كاهلٍ أو زلّ متن، وحملتُم صيغة فعلية مسندة

إلى ضمير المفرد الجمع المخاطب، متعدية، بمعنى رفع، وثقلها هو الحمل الثقيل، وقال الله

سبحانه وتعالى: "وعلى الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه"⁽¹⁾، وكلّ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر بمعنى ضعف وتعب، أمّا زَلَّ بمعنى سقط فهي كذلك صيغة فعلية مسندة بدورها إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والمتن هو الظهر، عبّر الجواهري من خلال هذه الألفاظ على الصبر أمام الهموم التي رسمتها الأقدار، وسلّطتها عليه وعلى قومه، وهذه كناية فقال مروّحاً على نفسه، مشيداً بعدم استسلامه أمام هذه الأقدار، وهي بالنسبة له كالحمل الثقيل الذي أنهك غيره من النّاس، وجعلهم يسقطون، ولا يستطيعون الصمود فقال:

وَحَمَلْتُمْ ثِقْلَهَا إِذْ غَيْرَكُمْ * كُلٌّ مِنْ كَاهِلٍ أَوْ زَلَّ مَتْنٌ (145)

وللدلالة على الثبات، والصمود، والتماسك، وكظم الغيظ، وعدم الانحناء أمام ما تخفيه لنا الأقدار من شدّة، ومصاعب، والوقوف في طريقها، وتحديّها، ومواجهتها، ومقارعتها، وطرّد الكوابيس الثقيلة التي لو سلّطت على البعض لقهرتهم، وأضعفتهم، وأشعرتهم بالانكسار، والذلّ، والضعف، وهنا إشادة بشجاعة قومه، وبإرادتهم القويّة التي لا تتزحزح أمام المخاطر.

واستعمل الشّاعر الصّدَى يوشوشُ في سمعي كصوت النّعي، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، ووشوش بمعنى تكلم كلاماً لا يكاد يفهم خفية⁽²⁾، حروفها بين الشدّة والرخاوة فيها صوت خافت، وصوت النّعي صيغة اسمية مضافة، ومعظم معاني

¹- سورة التوبة/92.

²- المعجم الوسيط(وشوش)/1035.

الألفاظ معروفة، مألوفة، وفي سياق الحديث عن معاناته وهو في غربته التي أصبحت لا تُطاق، زاره طيف من بعيد، من بلاد العراق يتحرّش به، ويستفزّه مثلما يفعل الخصم بخصمه على حلبة المصارعة، فكلاهما يريد اختبار صلابة أعصاب الآخر، ودرجة صبره إلا أنّ الطيف أقلق الشاعر، وأخافه، وأرعبه، وارتجف عند سماع صوته الذي يشبه صوت الموت، قال الشاعر مستعملاً المجاز:

قال لي والصدى يوشوشُ في سمعي * كصوتِ النّعي لم يلقَ رداً(84)

جسّد الصدى وجعله كالشبح المخيف، يأتيه من بعيد يهدّده، يهمس في سمعه، يزعجه، يؤلمه، يقلقه، يتشائم به، يرعبه لأنّ فيه إشارة سوء، يذكرّه بما فعل به قومه، مما اضطرّه إلى الهجرة، والوشوشة مضرة للسمع، مربكة للنّفس، وخاصة عندما تأتيه من بعيد، وتذكّره بنار الغربة، وبالوحدة التي فرضت عليه، وقهرته، وأربكته، وأضعفته، فحتى كلمة يوشوش حروفها فيها دغدغة، وخدش، واستفزاز للشاعر، فعندما يقع الصدى في مسمعه يؤلمه، ويفقده السيطرة على نفسه، واعتبره الشاعر خصماً عنيداً، لا يقوى عليه، يستفزّه، ويضعفه، وينتصر عليه بلا منازع، فأصبح بذلك عرضة للكآبة التي استقرت في ذهنه، ونالت منه، وأخضعته لإرادتها.

وجاء صدّي ألمي والصدى هو رجوع الصوت، صيغة اسمية مضافة حروفها شديدة رخوة، وألمي بمعنى وجعي، وإنّي مضيغة أنياب السّراحين، صيغة اسمية مضافة حروفها

رخوة، ومضيغة هو كلّ لحم على عظم أو عرق⁽¹⁾، والسراحين جمع سرحان وهو الذئب، وقال الله تعالى "فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما"⁽²⁾، ونظرا لتراكم الأحداث، وتعدّد الأمور، واستقرارها، ومراوحتها مكانها، أصبح الجواهري متشائما، حيث اسودت الدنيا في عينيه، وأظلمت، فقال يصف حاله والوضع الكارثي الذي آل إليه، وتمكّن الآلام من محاصرته، وتطويقه، ومعاشرته، حيث أصبحت جزءا منه، وخلفت أثارا عميقة في نفسه، أرفقها صدى مرعب نتج عنها، ولا يستطيع الشاعر أن يتخلّص منه لأنّه لازمه، وأصبح رفيق دربه، لا ينقطع عنه، واستمر الوضع على حاله، وتدهور، وزاد سوءا، فتحول إلى لقمة تنهشها الذئاب، وهذه كناية على اتخاذ الألم والمعاناة مكانا في حياته:

فهل بحسب الليالي من صدى ألمي * إنّي مضیغة أنياب السراحين(38)

فمن شدة المعاناة، والآلام أصبح الشاعر يهذي، ويسمع صوت الصدى يأتيه من بعيد ليلا مثل الشبح يقهره، ويتمكّن منه، ويؤلمه، ويخدش أذنه، ويسيطر عليه، وتأتيه الأصوات من كل جهة، فالشاعر يريد أن يتحاشاه لكنّه لا يستطيع، لأنّه تغلب عليه، وأصبح لا يقوى على فعل شيء، جسّد مهدي الجواهري شدة المعاناة وضراوتها، ومدى تأثيرها في خياله وفي عقله، ومدى سيطرة الوسوس على مخيلته، وجعله ضعيفا.

فمصير الشاعر بين أهله، وقومه، كمصير الفريسة بين أنياب الذئاب ينهشونها، ويمزقونها، ويقتاتون منها، ويجدون متعة كبيرة في تذوقها، بعدما اصطادوها وتربّصوا بها

¹- المعجم الوسيط (مضغ)/875.

²- سورة المؤمنون/ 14

ووقعت في الفخ بين مخالبيهم، تفتنوا في العبث بها، فكذلك مصير الجواهري إذ عمل قومه على تقطيع لحمه، وتشويه سمعته، والنيل من كرامته، والانقضاض عليه، وتتبع هفواته، وبهذا يكون الشاعر قد جسد لؤمهم، وحقدهم عليه، مما أدى بهم إلى إلحاق الضرر به، والتآمر عليه، وبعد ذلك التخلي عنه، والتخلص منه، ورميه بكل بساطة في سلة المهملات بلا شفقة، ومحاولة محو وجوده، فأصبح حزينا، عابسا، متشائما، ضعيفا.

أما حَيِّتُ سَفْحِكِ ظَمَانَا أَلُوذُ بِهِ، والسفح أسفل الجبل الذي يغلظ فيسفح فيه الماء⁽¹⁾، وضمانا من الظما صيغة حالية بمعنى العطش، وألوذ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب، ولأذ بالشيء بمعنى استتر وتحصن⁽²⁾، وهو في غربته يحنّ إلى طبيعة بلاده، متألما لبعده عنها، بعث سلامه الحار، العبق إلى سفوحها الظمأى من شدة فراقه، وابتعاده عنها، واشتياقها له، وهذه استعارة، فمتلما يشعر الإنسان بعطش شديد، ولا يجد ما يرتوي به، شعر الشاعر بعطش كبير إلى بلاده، فلفظ ظمأنا ورد في غير سياقه نتج عنه معنى الشوق، والحنين إلى أرض الوطن، وهذا ما زاد تنوعا وإثراء للغة المعجم فقال:

حَيِّتُ سَفْحِكِ ظَمَانَا أَلُوذُ بِهِ * لُوذَ الْحَمَائِمِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ (24)

فكما ينهك العطش الإنسان ويجعله ضعيفا، لا يقوى على شيء، فاقدا للقوة، والعزيمة، وخاصة في فصل الحرّ، فكذلك الشوق يتعبه، ويجعله يتألم ألما لا نستطيع تصوّره، وفي بعض الأحيان يؤدي بصاحبه إلى التهلكة، فنهر دجلة بالعراق أصبح عطشاناً،

¹- المعجم الوسيط (سفح) 442.

²- المرجع ذاته (لأذ) 845.

وجافاً من دون صديقه الذي افتقده لأتّه ينتعش بحضوره، ولأتّه رفيقه الدائم، والحاضر الذي لا ينقطع عنه. وعبرّ الجواهري عن لوعة الفراق، وهو يتجوّل بخياله في طبيعة بلاده مثل الحمام العطشى التي تبحث عن الماء وبعد ذلك تستريح، لتعاود الكرة من جديد، ويختصر هنا المسافات بينه، وبين بلاده معتمداً على ذكرياته التي لا تفارقه، ويظهر هذا البيت مدى عجزه عن تحقيق رغباته، والتوتر الكبير الذي يعاني منه، فيعود إلى الواقع ليحسّ بالمعاناة الكبيرة وهو في أرض يوغسلافيا الأوروبية التي حلّ بها واستقرّ فيها مُكرهاً، وترك قلبه وفؤاده في سفوحها وجبالها.

وجاء إنّي وردت عيون الماء صافيةً، ووردت صيغة فعلية منفية بمعنى حضر، أصواتها بين القوّة والضعف، وعيون الماء صيغة اسمية مضافة، معناها معروف مألوف، ونبعاً بمعنى مخرج الماء، فما كانت لترويني، ولترويني بمعنى تسقيني وتزوّدني بالماء، صيغة فعلية مضارعة مسبوقة بلام التعليل مسندة إلى ضمير المتكلم متعدية استعملها الشاعر ليعبر عن امتعاضه من الوضع الذي فرض عليه وأضناه، ووظّف المجاز في عيون الماء، وفي لترويني، ودلّت على الأماكن التي زارها في العالم بحثاً عن شيء ما يربطه بوطنه، ويذكره به، ويعيد له الحياة من جديد، وركّز على الماء لأنّ الماء هو أصل الحياة في كل شيء، إلّا أنّ آماله خابت، وأصيب باحباط كبير لأنّه لن يجد ضالّته في هذه البلدان التي زارها، ولن يجد الدواء إلّا في أرض العراق، ولن يرتوي إلّا من مياه دجلة والفرات، وهي

التي ستبعث فيه النشاط، وتبتّ فيه الحياة من جديد، وهذه دلالة جديدة زادت غناء وثراء
للغة المعجم اللغوي فقال:

إِنِّي وَرَدْتُ عَيُونَ الْمَاءِ صَافِيَةً * نَبْعاً فَنَبْعاً فَمَا كَانَتْ لَتَرْوِينِي (24)

للدلالة على تمسّكه بأصله، وبلاده، وأهله، وتعطشه لرؤيتهم، لأنّ أرض الغربة لن
تعوّضه ما فقد، ولن تنسيه ما ترك، فلقد تجوّل في العديد من مدن العالم ولكنّه لم يجد
مبتغاه، حيث يتعطّش لزيارة وطنه، ويحنّ إلى رؤية أهله، وأرضه، لكي يشفي غليله، ويرتوي
من مائها، وأرضها، وسماؤها، وشعبها، ومن كل ما يجد فيها لينزاح عنه هذا الكابوس الثقيل
الذي أفقده الأمل، وجعله ينظر إلى الغد بطريقة سوداوية تشاؤمية، فكلّ المدن التي زارها لا
تضاهي أرض دجلة والفرات، وكل عيون العالم لا تعوّضه عن عيون بلاده بالرغم من أنّها
صافية نقية، ولا تشبع رغبته، ولذلك يريد أن يعود في أقرب الأوقات إلى أحضان وطنه
لينتعش بروية طبيعتها، وهضابها، وأرجائها الواسعة، محاولاً تناسي ما قاساه، وما لحقّ به
من ضرر ومعاناة، فكلّ هذا لا يهمّه بل تجاوزه من أجل وطنه العزيز.

وجاءت عبارة **قسمت لي المقادير**، وقسمت بمعنى **جزأت** صيغة فعلية متّصلة بتاء
التأنيث أصواتها قويّة، و**لدغُ الثعابين** صيغة اسمية مضافة، و**اللدغ** معروف وهو العض
أصواتها شديدة، قال الشّاعر من منفاه محاولاً أن يخفّف عن نفسه، مذكّراً بما حدث له،
مستسلماً لقدره، راضياً به مستعملاً المجاز ليعبّر عن فكرة جديدة من خلال عبارة **لدغ**

الثعابين وهو الألم القاسي الذي تعرّض له على يد أعدائه الذين وصفهم بالثعابين في
غدرهم، وانتقامهم، ونشر سمومهم في جسده:

يا دجلة الخير خلّيني ما قسمت * لي المقادير من لدغ الثعابين(35)

عبّر محمد مهدي الجواهري عما لحقه من أذى من طرف عشيرته، وأهله، الذين
تآمروا عليه وطعنوه، وأصبح الوضع بالنسبة له لا يُطاق، سواء من طرف الأصدقاء الذين
أداروا له الظهر، أو قادة بلاده الموالين للعدو، الذين تبرّؤوا منه، وأجبروه على الخروج من
أرضه، وغرسوا فيه شوكتهم بكل برودة أعصاب، وبدون تأنيب الضمير، لا ينهاتهم عن ذلك
لومة لائم فأصبحوا مثل الثعبان الذي يلدغ فريسته، ويفرغ فيها سمّه، ثم يمرّ ببساطة وكأنّه
لا يفعل شيئاً، والشاعر راض بنصيبه في هذه الدنيا، وبما قسمته له المقادير، متقبلاً الغربة
القاسية، مستسلماً للأمر الواقع، وبالقدر المفروض عليه، يريد أن يقنع نفسه بمصيره البائس،
وبقدره المحتوم، ولا يبدي معارضة كبيرة، وهو المتمرد بطبيعته، الرافض للظلم، المعارض
الدائم للعدو، وللقدر، لأنّ الظروف قهرته، وغلبته، وأنهكته، وأتت عليه، وأذاقته العلقم،
فالمعاناة عنده تجاوزت حدود المعقول، فهو لا يستطيع أن يغيّر هذا المصير المجهول الذي
آل إليه، ولحسن حظه وجد من يفتح ذراعيه أمامه في بلاد أوروبية تختلف كل الاختلاف في
عاداتها، وتقاليدها، ولغتها، ودينها، وطبيعتها عن البيئة التي عاش فيها وترعرع بين
أحضانها.

ووردت عبارة **يُذَاقُ الْعَلَقَمُ**، والعلقم كل شيء مرّ⁽¹⁾ صيغة مضارعة مبنية للمجهول الأصوات في معظمها قوّة، استعملها الشّاعر ناصحا واعظا، مستخلصا للعبير مستفيدا من التجارب، حيث قال موظّفا الحكمة، والكناية في آن واحد فطعم الحياة والتمتّع بها ومعرفة قيمتها لا يُدركه إلّا أولئك الذين تعرّضوا للمصائب والمتاعب وتألّموا وفقدوا الأمل في الحياة، وشعروا بالمرارة جرّاء نوبات الدّهر ولم يستكينوا ولن يتخاذلوا:

وكذا الحياة فليس يقدر شَهِدُهَا * عن خبرة، حتى يُذَاقُ الْعَلَقَمُ(10)

ويقصد الشّاعر هنا سرّ الحياة والتمتّع بها، إذ لا يدركها إلّا أولئك الذين ذاقوا الويلات، وعرّضوا حياتهم للخطر، وصارعوا من أجل البقاء، فهم وحدهم المخوّلون لمعرفة قيمتها، وقد استعملت العبارة مجازا فهو لا يقصد به المرارة المعروفة ولكن المقصود هنا هو العذاب، والمصاعب، والمصائب، وكل شيء ينغّص الحياة، ويجعل الشخص يتعرّض إلى المخاطر، فكما العلقم مرّ لا يطاق فكذاك الصدمات، والاحباطات، وعدم الاستقرار، يجعل الإنسان يشعر بمرارة كبيرة، وببؤس، وبنفور من الحياة، وبنقمة، وبثقل كبير، وبضيق نفس، ويصبح كل شيء مستحيلا في نظره لأنّه فقد الأمل فعليه الثبات، والصمود، والتّحدي، لأنّ الحياة تحتاج إلى تضحية كبيرة، فمن طلب العلا سهر الليالي.

وجاءت عبارة **حاصدا** من حصد بمعنى قطع الزرع وقال الله سبحانه وتعالى: "وآتوا حقه يوم حصاده"⁽²⁾، وغلل الأسى والأذى والحسد، صيغة اسمية مضافة، حروفها

¹- المعجم الوسيط (علقم)/622.

²- سورة الأنعام/141.

ضعيفة، وغلّال جمع غلّة وهو كل ما يحصد من الأرض من ثمار ينتفع بها⁽¹⁾، والأذى معروف، والحسد مألوف، والصيغة الثانية معطوفة على الصيغة الأولى، حيث قال مستعملا الكناية ويقصد بكريم الزروع أهله الذين ينحدرون من سلالة عريقة، أصيلة، كريمة، نقية، وغلّال الأسى كناية كذلك على الضرر الكبير الذي ألحقه أهله به حيث تسبّبوا في إيذائه وآلامه وتخلّصوا منه ممّا اضطرّه إلى ترك أرضه:

يا حاصدا من كريم الزروع * غلّال الأسى والأذى والحسد (148)

والغلّال للمتعة، والانتفاع، تضيي على نفس الإنسان الانتعاش، والسرور، والفرحة عندما يتناولها ويحصل عليها، أما الأسى فهو الحزن، والحزن يولّد الأوجاع، والآلام، والمعاناة، فهناك تناقض في الجمع بين الكلمتين، إلّا أنّ المعنى واحد يريد من خلاله الشّاعر أن يعبر عن المعاناة الكبيرة نتيجة لتأديّه من طرف قومه، واصفا المصير الذي آل إليه، مبرزاً تناقض العواطف، والأحاسيس بداخله، ليعبر عن خيبة أمله التي نتجت من موقف قومه الذين تتكروا له، ولم يعترفوا برّد الجميل، فقد خدمهم الشّاعر وتفانى، ولم ييخل بجهده، ولكنّه جنى الشوك، والقتاد، مثلما قالت الحكمة "من يزرع الشوك يجني الجراح"، إلّا أنّ الشّاعر زرع خيرا، ووجد شرّا.

وجاءت مسحت عن أوجه صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث متّصلة بتاء التأنيث الساكنة، والمعنى معروف، الأصوات بين الضعف والشدة، أمّا وعاث

¹ - أساس البلاغة (غلو)/454.

بها البؤس إغبرارا وعاث بمعنى أفسد⁽¹⁾، العين مجهورة، رخوة، مخرجها من وسط الحلق، وهو من الحروف المتوسطة⁽²⁾، وهي صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكور، جسد محمد مهدي الجواهري البؤس الذي استشرى في المجتمع، وأصبح من الصعب التخلص منه، وجعله مثل الغبار الذي تراكم عبر السنين واستعصى نفضه، وأثر في الألوان الطبيعية وأخفاها، فلفظ، عاث ورد في غير موضعه على سبيل المجاز، وأضفى دلالة جديدة للمعجم اللغوي الذي أنا بصدد دراسته فقال:

وأخا البسمة ضاهت * بسمة الفجر افترارا
مسحت عن أوجه عاث بها * البؤس اغبرارا(233)

فهذا الحزن، واليأس الذي سيطر عليه، ونغص حياته، ونال منه، وسكن في قلبه، ونهش عظامه، وأتى عليه، وتراكم منذ سنين طويلة في نفسيته وخلف معاناة كبيرة، غيرت لونه إلى أسود قاتم، وكأن غبار السنين تراكم عليه، ووضع بصماته، وأصبح من الصعب تنظيفه، إلا أن بسمة من صديق، عزيز أتى من بعيد أزاحته، وخفقت من معاناته، وبالرغم مما حدث له من مصاعب، ومتاعب إلا أن روح التفاؤل مازالت حيّة عنده، فكما نمسح الغبار المتراكم عبر العصور والسنوات، فكذلك بسمة صديقه أنارت وجه الشاعر، وغيّرت ملامحه، وعاد إليه التفاؤل ونبض الحياة.

وفي معرض حديثه عن العراقيل، والظروف الصعبة التي عاشها وظّف، يُوسّع صيغة فعلية متعدية، والقلب انفجارا، صيغة اسمية، والانفجار بمعنى انبعاث الصوت بقوة،

¹- أساس البلاغة (مضغ)/441.

²- المعجم الوسيط (عيث)/579.

حروفه قوّة شديدة، لا تستسيغها الأذن، معروفة، مألوفة، متداولة، مدوّة، وباقي الألفاظ مألوفة، عبّر من خلالها على أوجاعه مستعملا الكناية، ليصف عدم قدرته على تحمّل المصائب، ممّا أدّى إلى انفلات الأمور، وانفجارها، وتعلّدها قائلاً:

تحتها من غُصصٍ ما * يُوسّع القلب انفجاراً(233)

والشاعر لا يقصد الانفجار بالمعنى الحقيقي، ولكنّه يعني نفاذ صبره، وعدم تحمّله للأزمات التي تتوالى عليه دون انقطاع، وتجعله لا يستطيع السيطرة على نفسه، ولا يستطيع أن يتمالكها، فلهول ما يحدث له لم يعد قادراً على الامساك بزمام الأمور، لأنّها أصبحت جدّ معقّدة وملتبسة، ممّا أدّى إلى انفجار أحاسيسه، وتزايد نبضات قلبه، واهتزازها اهتزازاً كبيراً يفقده توازنه، وقدرته على الثبوت، والصمود، فيحدث في نفسه فلتاناً كبيراً، وغلياناً، واضطراباً، يجعله فاقدًا التحكم في الظروف، وفي هذا الوضع البائس، منهاراً نتيجة الغصة الكبيرة التي فجّرت قلبهن وأحاسيسه، وآلمته، وقضت عليه.

وجاء لفظ بين جَوَانِحِي شُعْلٌ، صيغة اسمية، والجوانح جمع جناح حروفها قوّة، والشُعْل من اشتعلت النار أي توقّدت والتهبت، ومن المجاز هيّج غضبه وأشعل الفتنة، وهي كذلك الحرارة الساطعة⁽¹⁾، أمّا يجري بها نفسٌ فتشتدّ صيغتان فعليتان الأولى مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والثانية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث، وتشتدّ بمعنى تقوى وتزيد، الأصوات في معظمها قوّة معبّرة، خاطب الشاعر محبوبته، وعبّر عن

¹ - المعجم الوسيط (شعل) 485.

اشتياقه إليها، مستعملا الكناية ليصف لوعته، وحرقته، وحنينه، ومدى المعاناة القاسية التي تعرض إليها من فرط ابتعادها عنه فقال:

غيداء: بين جوانحي شعل * يجري بها نفس فتشتد⁽¹⁵⁹⁾

وهو لا يقصد شعلة النار الحقيقية، ولكنه كلما تذكر محبوبته ازداد شوقه، وحنينه إليها، فشعر بشعلة كبيرة تدب في أعماقه، وتتوقد بين جوانحه مثل النار، ينتج عنها ألما كبيرا يجعله يتأذى، ويتوجع، ويزداد الحنين، ويشتد عندما تخطر على باله، ويشتاق إليها، وتسري بين ضلوعه حرارة شديدة تترجم مدى حبه وتعلقه بعشيقته، فكما النار تحرق الأشياء وتأتي عليها وتدمرها، فكذلك الشوق، والحنين يفعلان نفس الشيء، ويؤديان إلى نفس النتيجة وهي الشعور بالانهيار، والضعف، وبالموت في بعض الأحيان، لأن لوعة الفراق مدمرة، لا يستطيع الكثير تحملها، مثلما قال الشاعر.

وورد يا جوادًا شاب كهلا، صيغة اسمية مسبوقة بحرف نداء، وشاب من الشيب صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وكهلا من جاوز الثلاثين إلى الخمسين⁽¹⁾، أما فرط ما خاض المغارًا، والمغارة من مغر في البلاد بمعنى أسرع⁽²⁾، ومعظم الألفاظ معروفة، عبّر من خلالها محمد مهدي الجواهري على إصابته بالعناء، والتعب، والارهاق من جزاء الأحداث التي تتالت عليه، وهذه كناية عملت على إثراء لغة المعجم من خلال إضافة دلالة جديدة وظّفها الشاعر بطريقة غير مباشرة فقال:

¹ - المعجم الوسيط (كهل)/803.

² - المرجع نفسه (مغر)/879.

يا جوادًا شاب كهلا * فَرَطَ ما خاضَ المَغارَا (233)

نظرا للظروف القاسية التي تعرّض لها الجواهري، وتتابعته دون انقطاع، وكأنّها ضربت موعدا معه إلى الأبد، وفرضت نفسها عليه نتيجة لذلك قفزت به السنين، وجعلته كهلا وهو ما يزال شابا، وتركت آثارها عليه، فأبيضّ شعره نظرا لتراكمها وتعقّدها، فوقف ضعيفا لا يستطيع مقاومتها، وهو الصامد بطبعه الفارس، المغامر، المتمرّس الذي يقارع الموت، ويتحدّاه، ولا ينحني، ولا يستكين، إلّا أنّ هذه المواقف الصعبة التي عاشها، وتصدّى لها، خلّفت بصماتها الجانبية، وقلّصت من قدراته، وأثّرت فيه وجعلته كهلا قبل الوقت.

وجاء في البيت الموالي عبارة واصطبارا على جحيم الرّزايا، واصطبارا، مفعول مطلق لفعل محذوف، و جَحِيم الرّزايا وصيغة اسمية مضافة، والجحيم هو نار جهنّم التي أعدّها الله سبحانه وتعالى للكفرة، والمجرمين، والرّزايا من رزية وهي المصيبة، والأصوات قوّة شديدة، موحية، حاول مهدي الجواهري أن يخفّف عن صديقه محمد بحر العلوم المسجون، واستعمل الكناية لينصحه بالمزيد من الصبر، والتّحمل، والثبات أمام قسوة ما يعانيه، وهول ما يعيشه، وشبّه ظروفه القاسية التي لا تطاق بنار جهنّم المحرقة فقال:

واصطبارا على جحيم الرّزايا * والتذاذا منها بجنة عدن (166)

فصديقه يعاني الأمرين في سجون حزب البعث سنة 1963⁽¹⁾، على يد جلاّديه الذين يتفنّنون في تعذيبه، وتركيعه، والتّماذي في إلحاق الضرر به، وتحويل حياته إلى جحيم لا

¹ - ديوان الجواهري / 161.

يطاق حتى ينصاع وينحني، ولكنّه لا يزال صامدا لأنّ مصيره جنّة الخلد التي وعد بها الله سبحانه وتعالى الصابرين على البأساء، والضراء، وربط الجواهري بين الجحيم، والزّيا ليجسّد للقارئ تلك الهموم، والمصائب التي حوّلت البلاد إلى جحيم، وخراب، إلّا أنّ بحر العلوم صبر، وقاوم، ولم ينهار أمام خصمه، فمصيره جنّة الخلد، ويصل الشّاعر إلى فكرة جديدة وهي عندما تتحرّر بلاده، ويرحل العدو، وينتصر الشعب، سيتحوّل وطنه إلى جنّة يتمتّع فيها الشعب العراقي الذي دفع الكثير من أجلها، وضحّى في سبيلها.

والملاحظ على هذا البيت استعماله لكلمتين متناقضتين هي الجحيم، والجنّة، مولّدا معنى الصمود، والنّماسك أمام المحن مهما كانت، نتيجة العذاب الذي لا يطاق للوصول إلى المبتغى، فالشّاعر هنا صوّر حالة بحر العلوم الذي أصبح يتسامى، وترفّع عن العذاب متمنّيا الموت في سبيل الوطن، وقد يتقاطع هذا مع ما قاله شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا وهو يصوّر الشهيد أحمد زبّانة وهو مقبلا على حبل المشنقة:

شامخا أنفه جلالا وتيها * رافعا رأسه يناجي الخلود⁽¹⁾ (9)

واستنتج من هنا مدى المصير المشترك الذي فُرض على الدول العربية إبّان الاستعمار فالمعاناة واحدة، وأسلوب التعذيب، والقهر واحد، والنتيجة واحدة، وروح العزيمة، والصمود التي تحلّت بها الشعوب مستمّدة من مبادئ الشريعة السمحاء واحدة.

¹ - ديوان مفدي زكريا/9.

ووردت **تَصْطَلِي العَمَرَ جَحِيماً**، صيغة فعلية متعدية، واصطلى بمعنى شوى وفي التنزيل العزيز: "سَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشَهَابٍ مِّمَّنْ لَّكُم تَصْطَلُونَ"⁽¹⁾، وقال الله سبحانه وتعالى كذلك: "ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ"⁽²⁾، الحروف قوِّية شديدة، ومعاني معظم الألفاظ مألوفة، قال الشاعر معبراً عن معاناته، ومستعملاً الكناية، ليصوِّر قسوة الحياة التي عاشها في ربوع وطنه، وبين أهله، وذاق ويلات جهنم جزاء ما تعرَّض له على يد عشيرته فقال:

تَصْطَلِي العَمَرَ جَحِيماً عِنْدَهُ * وهو فيما تعد الجنَّة عدن(143)

يقصد الشاعر الأوقات الصعبة التي عاشها في أرجاء وطنه بين أصدقائه، حيث كرَّس حياته لخدمتهم، وضحَّى في سبيلهم، ولكنَّه ذاق الويلات، والخيانة، والظلم، والظعن، واللؤم، والغدر، حيث قلبوا حياته إلى جحيم يحترق فيه، ويتألَّم وهو بين أحضانهم، ولكنَّه وبالرَّغم من ذلك يبقى متعلِّقاً بوطنه العزيز الذي هو بالنسبة له جنَّة عدن، وجنَّة عدن هي عند الله سبحانه وتعالى مكان خلد يجد فيه الإنسان ما لم تره عين، وما لم تسمعه أذن، حيث جاء في القرآن الكريم " جزأؤهم، عند ربهم جنَّات عدن تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها"⁽³⁾، وما زال الشاعر متعلِّقاً بأرض بلاده، ولقد عانى الكثير من الأدباء، والشعراء العرب الجفاء، والكره، والنفور من قبل أهلهم، وعبروا عنه في قصائدهم، ونددوا بمثل هذه المواقف، حيث قال الشاعر الكبير مفدي زكريا في نفس السياق:

1- سورة النمل/07.

2- سورة المطففين/16.

3- سورة البينة/8.

إِنْ جَفَانِي ذُوو الْقُرْبَى، فَلَا عَجَبٌ * إِنَّ النُّبُوَّةَ فِي أَوْطَانِهَا خَرِقَ

لَا زِلْتَ أُرْعَى لَهُمْ عَهْدًا وَإِنْ بَقِيَتْ * مِثْلَ الْمُدَى، مِنْ جَفَاهُمْ، فِي الْحَشَى حَرَقَ!⁽¹⁾

فكلما ابتعد عن بلاده شعر بمرارة كبيرة، وبفراغ لا يستطيع تعويضه أي شيء في هذه الدنيا، فيعود من جديد يحنّ إليها، ويمجّدها، ويتذكّرها، ويتعلّق بها تعلّقًا كبيرًا، محاولًا تناسي ما حدث له من ويلات، متغاضيًا عمّا أصابه، متسامحًا مع أصحابه وأقاربه، محاولًا التّشبّث بأرضه، ووطنه العزيز الغالي، مُضحّيًا بكرامته في بعض الأحيان من أجله.

وجاء حيثُ تَكَادُ شِعَافُ الْفُؤَادِ، صِيغَةً اسمية مضافة وشعاف جمع شعفة ومن كل شيء أعلاه، وشعفة القلب⁽²⁾، أصواتها بين الشدّة والضعف، و بِسَكِينٍ مُطْمَعَةٍ تُجْرَحُ، صِيغَةً اسمية مسبوقة بحرف جرّ معانيها معروفة، ومطمعة من الطعم والنّهم، وباقي الألفاظ معروفة، قال مهدي الجواهري سنة 1949 في قصيدة بعنوان "حنين" يريد أن يجسّد مثله الأعلى، ويعبّر عن تعرّضه للابتزاز، والاستغلال من طرف أعدائه الذين أرادوا التّنكيل به باستعمال السكاكين المغرّضة، وهذه كناية على طبيعة العدو الغادر الذي حلّ بالوطن هدفه الوحيد هو النّهب، والسرقة إلى ما لا نهاية، والقهر فقال:

حيثُ تَكَادُ شِعَافُ الْفُؤَادِ * بِسَكِينٍ مُطْمَعَةٍ تُجْرَحُ(218)

استعمل الشّاعر شعاف الفؤاد وهو جزء ليعبّر عن الكلّ، ويصف المؤامرة التي تعرّض إليها من طرف المغتصبين، الطامعين في خيرات وطنه، الذين وجّهوا أسلحتهم، وسكاكينهم

¹- مفدي زكريا، ديوان اللّهب المقدس/29.

²- المعجم الوسيط (شعف)/485.

صوب الشعب، وعملوا على إساءاته، وطعنه، وجرحه، وإيذائه، وإضعافه، ليخلوا لهم الجو، ويتمادون في النهب، والسرقه، وإفراغ الخزائن، وتجويع الناس، وإلحاق الضرر بهم.

وجاء **وَإِذْ يُرْكَبُ النَّفْسَ حَدَّ الرَّدَى**، ويُركب من ركب بمعنى علا وركبه بالمكروه فعله به⁽¹⁾، صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وحدّ الردى صيغة اسمية مضافة، والحد من كل شيء منتهاه ومن كل شيء حدّته⁽²⁾، و **عنان من الضر لا يُكْبَحُ**، ولا يكبح بمعنى لا يلجم صيغة فعلية مبنية للمجهول ومعظم الأصوات بين القوة والضعف استعمالها في غير محلّه وباقي معاني الألفاظ معروفة، وظّف الجواهري الكناية في الشطر الأول من البيت، ليصف ما حدث له من طرف أعدائه الذين حاولوا التخلص منه، وإزاحته عن الطريق، وأذاقوه طعم الموت، وسلّطوه عليه بحدّة كبيرة، واستعمل المجاز، في الشطر الثاني وجسدّ عنان الضرر، واعتبره بمثابة الحيوان الهائج، الشديد، المرعب، المخيف، فلفظ **يُكْبَحُ** ورد في غير سياقه لأنّ الضرر لا نستطيع لجمه، بل نستعمل اللّجام للحيوانات، ومن هنا خرج الشاعر بدلالة جديدة عملت على إثراء لغة معجمه وتنويعها فقال:

وَإِذْ يُرْكَبُ النَّفْسَ حَدَّ الرَّدَى * عنان من الضر لا يُكْبَحُ (218)

وللدلالة على هدف الأعداء عندما حلّوا بالوطن العربي هو استنزاف الشعوب، ومحاولة التخلص منهم، وإبادتهم، وإلحاق الضرر بهم، هذا الضرر القاهر الذي لا يستطيع أحد أن يقاومه، ويقف في طريقه، ويسيطر عليه، فهو مثل الحيوان الهائج الذي من الصعب

¹- المعجم الوسيط (ركب) 367.

²- المرجع ذاته (حد) 160.

ترويضه، والتحكّم فيه، والجواهري يشعر بمرارة عميقة جرّاء ما يحدث له ولقومه على يد أعدائه الذين امتهنوا التّكيل، والتعذيب حرفة.

واستعمل وضميرٌ راح من جسمك يمتصّ إعتصاراً، وامتنص الشيء بمعنى مصّه متمهلاً وشربه شرباً رفيقاً⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، واعتصاراً نقول اعتصر بالماء شربه قليلاً قليلاً ليسيع ما غصّ به من طعام⁽²⁾، الأصوات في معظمها قوّة معبّرة، استعمل الجواهري الكناية ليعبّر عن كظم الغيظ، وتحكيم العقل، والسيطرة على النفس، وامتصاص الغضب، والتروّي أمام المحن، والشدائد، والضغطات فقال:

وَضْمِيرٌ رَاحَ مِنْ جِسْمِكَ * يَمْتَصُّ إِعْتَصَاراً (235)

وللدّلالة على كظم الغضب الكبير، والشّدّيد الذي يشعر به، ويحاول امتصاصه، والتّحكّم فيه، وعدم الرضوخ له، حتى لا يقضي عليه، ولا يفقده توازنه، ويحاول تجاهله وعدم تضخيمه، ويعمل على كبح جماح عواطفه، والتّغلب على هواه، وجاء في التّنزيل العزيز: "الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس"⁽³⁾، وهي من صفات المؤمنين، فلا بد من التّهوين، والتّعالّي، والتّسامح، فالضمير لا يمتصّ الاعتصار والاعتصار لا يحتاج إلى عملية المصّ، ولكن الإنسان هو الذي يكظم، ويتماسك حتى لا يُقهر، ليلاقي جزاءه عند ربّه وينتصر، والمقصود بيمتصّ اعتصاراً هو التّحكّم في الغضب،

1- سورة آل عمران/ 134.

2- سورة آل عمران/ 134.

3- سورة آل عمران/ 134.

وعدم الرضوخ للنفس، والتغلب عليها، ومحاولة المقاومة للوصول إلى هدف أسمى، والانتصار في النهاية، وتحكيم إرادة العقل، مثلما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب"، لأن الاستماع إلى هوى النفس مدمر في أغلب الأحيان، فلا بد من الثبات، والرشاد، والعمل بالأولويات.

ووردت تشقُّ عليك الجيوبُ، وتشقُّ صيغة فعلية حروفها قوّة انفجارية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث وقال الله سبحانه وتعالى: "ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب"⁽¹⁾، والجيوب جمع جيب وفي التنزيل العزيز: "وليضربن بخمرهن على جيوبهن"⁽²⁾، ومعظم الألفاظ معروفة، وصف من خلالها الشاعر تصدّي النساء العراقيات الماجدات للعدو الغاصب، والتعبير عن تأثرهنّ العميق إثر فقدان أخ، أو زوج، أو ابن، فقال يرثي ابن عمه محمد جعفر الجواهري الذي جرح يوم الوثبة الوطنية على يد البريطانيين سنة 1948⁽³⁾، واستعمل الكناية، ليعبر عن بعض الطقوس، والعادات المكروهة، التي تعتمد إليها النساء العربيات إثر مصاب جلل، ونتيجة لصدمة عنيفة، فتعمل على شقّ الجيوب، وضرب الخدود، وللدلالة هنا على الحزن الكبير الذي تبديه النساء، نتيجة لما يحدث من مصائب حيث قال:

وأخْتُ تشقُّ عليك الجيوبُ * فيغرُزُ في صدرها معصمُ(191)

1- سورة آل النور/31.

2- سورة الأنفال/13.

3- ديوان محمد مهدي الجواهري/186.

وشقّ الجيوب لا يعبر هنا عن إبداء المرأة لزينتها، ومفاتها، ولكّته للدلالة على ما تتعرض له نساء العراق من استباحة على يد الأعداء الغاصبين، وتقابله بإعلان غضبها، وشقّ جيوبها نتيجة لما يحدث في المجتمع العراقي من بطش، وتنكيل، وتعذيب، على يد العدو الغاصب، حيث تقوم النساء بإبداء التذمر الكبير، والرفض لما يحدث أمامها من هول لا يُحتمل، وشقّ الجيوب، وضرب الخدود عادة قبيحة، حرّمها الإسلام، وحاربها بقوة، وأفتى فيها الكثير من العلماء، وكانت النساء في القديم تُقدّم على شقّ الجيوب، وضرب الخدود عند فقدان عزيز وللتعبير عن الكارثة، والفاجعة الكبرى، والحزن العميق.

أما فيُعْرَزُ في صدرها معصم، والغرز للإبرة في الثوب وغرز العود في الأرض⁽¹⁾، صيغة فعلية مضارعة مبنية للمجهول، حروفها بين الرخوة والشدة، ومعصم هو موضع السوار من اليد، والمقصود هنا ما تعرضت له المرأة العراقية من اضطهاد، واستباحة، وتعذيب، على يد الأجنبي الذي أذاقها الويلات، واستباح الحرمات، وتجاوز الحدود والأعراف، وتصرف بكل همجية، ووحشية، ولم يستثن أحدا، ولم تفلت النساء العراقيات من بطشه حيث نال منهنّ، واحتقرهنّ، وظلمهنّ، لأنهنّ صمدن، وتصدّين للعدو، ولم ترضخن، وعرضن أنفسهن للضرب والألم، وغرز المستعمر في صدورهن المعصم وأذلّهن، إلا أن المعصم لا يغرز بل الشوكة، والإبرة هي التي تغرز، وهنا مجاز ولكنهن مازلن صامدات، رابضات، متصدّيات، باذلات أنفسهنّ من أجل الوطن، وتدلّ هذه العبارة كذلك على العنف الكبير، والوحشي الذي لاقتّه النساء العربيات على أيدي المستعمر الأجنبي في كل الأقطار

¹ - المعجم الوسيط (غرز)/649

العربية، ومن هنا يبرز الدور العظيم الذي قامت به المرأة العراقية عل غرار ما قامت به النساء الأخريات في معظم الدول التي خضعت للاستعمار وحاربت، ويعكس الشاعر هنا همجية العدو الذي يدّعي الحضارة، ويجهلها في نفس الوقت، لأنّ المتحضّر لا يقدم أبداً على احتقار النساء، والنيل منهنّ، وإذلالهنّ، وبهذا يكون الجواهري قد كشف عن الوجه الحقيقي للاستعمار الأجنبي، وما يتّصف به من خداع، ونفاق، وتحضّر، ورقّي، ووصف الشاعر الجزائري مفدي زكريا الهمجية التي تعرّضت لها المرأة الجزائرية إبان الاحتلال فقال:

لا القاصرات، الغافلات، كواعباً * ديست قداستها، وفضّ ختام

لا الحاملات بطونها مبقورة * ذبحت أجنّتها وفكّ حزام...

لا، والمراضع عوّضت أثداؤها * بغم المسدّس والرصاص فطام

والأم يهتك عرضها، وفحولها * (حول الفضيحة) شاخصون قيام

ووظّف أجز كبدِي فإن بها شجونّ، صيغة أمر مسندة إلى ضمير المخاطب المفرد المذكور متعدية تتضمّن الطلب، وأجرُ من أجار أي منع عنه الظلم⁽¹⁾، والكبد هو أكبر عضو في جسم الإنسان يقع في الجانب الأيمن من البطن تحت الحجاب الحاجز، ويعمل على تنقيّة الجسم من السموم العالقة به، وهو مقر الهموم، والشجون، والأحزان، والتراكمات، حيث تستقرّ فيه وتنقله، والجواهري عبّر عن الجزء ليقصد الكلّ، أمّا من الذكرى من جمرتها إتقادّ، والجمرة هي القطعة الملتهبة وباقي الألفاظ معروفة، الأصوات بين الشدّة والضعف، قال الجواهري في تأبين ابن عمه محمد باقر الجواهري الذي توفي سنة 1952، مستعملاً

¹ - لسان العرب (جاور) 155/

المجاز، في أجز كبدِي لأنَّ لفظ أجز ورد في غير محلّه، ليعطي دلالة جديدة وهي استعجاله في طلب النجدة، محاولة منه التخلّص من شجونه، وأحزانه، وآلامه التي تحرقه، هذا في الشطر الأول، أمّا مِنَ الذِكرَى في جَمَرَتِهَبِ إتّقاد، فهي كناية عن الحرقه، والألم، والأوجاع:

أجز كبدِي فإن بها شجونٌ * من الذكرَى من جمرتها إتّقادٌ (205)

نلاحظ هنا صرخة استغاثة، وعويلا، ووجعا كبيرا، وتوسّلا، عبّر الشاعر عن المصاب الجلل، والكارثة الكبرى، والعميقة التي حلّت بقومه فهو يتمنّى الفرج العاجل حتى يستريح جسمه، ويسترخي، وتطمئنّ روحه، وتهدأ أعصابه، وبهذا تخفّ معاناته، ولهذا طلب الحماية، والشفقة، والنّجدة، والرأفة، فلا مكان يأويه، ولا وجهة يتّجه إليها، فقدَ الأمل، واسودّت الدنيا في عينيه بفقدان ابن عمه، حيث اتّقدت النار في كبده وأحشائه، ففعل أجز يستعمل عادة للحماية، لأنّ السبل قد تقطّعت به، وأصبح يشعر بالمقت، والعذاب وبالشجون، فهو بائس، حزين، يطلب المعونة، وينتظر الفرج، وعادة الكبد لا يُجار، ولكن الضال الضائع هو الذي يطلب الحماية والأمان، وعبّر بالكبد كذلك على صلة الرحم التي تربطه بابن عمه المفقود، ويدلّ هذا البيت عن غلق كل منافذ الأمل أمام الشاعر حيث أصبح متشائما حزينا منهارا، يحترق قلبه، ويعتصر من شدّة الغضب.

ووردت، ذَوِبْتُ الضُّلوع على ثراها، وذوّب الشيء جعله سائلا، صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المتكلم، حروفها قويّة مؤثّرة، فالضلوع لا تذوب عادة والشحم هو الذي

يذوب، أمّا ولم أَطْلُبْ بها أَجْرَ المَذِيبِ، وأجر المذِيب صيغة اسمية مضافة حروفها بين القوّة والضعف عبّر الشّاعر كناية عن التّضحيات الكبار التي قام بها في بلاده، واستفاد الجميع من خدماته، وفي المقابل لم يتحصّل على شيء، ولم يتلق الشكر، والامتنان، فقال يرثي حاله، ويخاطب صديقه الشّاعر العراقي الأستاذ عبد الغني الخليل:

وذوّبتُ الضّلوعَ على ثراها * ولم أَطْلُبْ بها أَجْرَ المَذِيبِ(301)

وللذّلالّة على الدفع بالنّفس فداء للوطن، وإلى درجة استنزاف الجسد، ووهبه من أجل العراق العزيز، وتقديم كل ما يملكه من قوّة، وجهد للنّهوض ببلاده دون مقابل، حيث يعرّض نفسه للمخاطر، والمصاعب، ويتفانى، ولم يبخل بشيء حتى ولو كان هذا على حساب صحته، فالمهم هو حماية الوطن من المخاطر، والموت في الدفاع عنه، فالتّضحية من أجله واجبة، والموت في سبيله شهادة.

وما يستنتج من هذه المجموعة:

1- هناك تأثّر كبير بالقرآن الكريم، نتج عن ثقافته الدينية النجفية، مثل، جنة عدن(143)،

تصطلي العمر جحيما(143).

2-وردت صيغ فعلية منها:

أجني الشّوك(71): أحزّ وريدي(34)، تطوي الضّلوع(226)، قلوب تحرّقت(31)، قلوب

تململت(31)، أجر كبدي(205)، يُذاق العلقم(10)، اغتلى بدم قلب(145).

3-وردت معظم الألفاظ مجازاً: بلد جريح(263)، أجنبي الشوك والوخز(34)، تصطلي العمر جحيماً(143)، يمتص اعتصاراً(235)، عاث بها البؤس اغبراراً(233)، يُذاق العلقم(10)، عقت ديار(301)، قلوب تحرقت(31)، ينز(211)، يوشوش(84)، ضمناً(24)، غلال الأسى(148)، ينز دماً(211).

4-وردت صيغ مضافة: شوك الليالي(202)، غلال الأسى(148)، لدغ الثعابين(35)، كابوس حرمانها(218)، حرّ المدى(226)، جحيم الرزايا(166).

5-ورد تضاد وتقابل في بعض الصيغ:

جحيم الرزايا(166)، جنة عدن(166)، كريم الزروع(148)، غلال الأسى(148)، تزرع راحتايا(79)، أجنبي الشوك(79).

2- مجموعة الألفاظ الدالة على الاحباط، وخيبة الأمل، والحزن، والتشاؤم، والمصاعب،

وما له علاقة بذلك.

الألفاظ الواردة في الديوان:

هل من قاطع يصل
شاع اليأس بي عمر
وكننت كله أمل
مقيم حيث يضطرب
المنى، والسعي، والفشل
أوشك الصبر أن يلتوي
يكسره المبهض المترج
سراجاً خباً
كوكباً في دجا
تعرّ الصبح
واستعصت ولادته
تشابكت الأنوار والظلم
ألعوبة بكف الليالي
تهجم الليالي عليه
فتعري من الصبا أفراسه
كرات برجل طفل
الليل داج
الطريق غثار
دجا الخطب
ليل البؤس مرهون
ليل مطبق أزل

طباع رقيقةً، بغلظةٍ وشراسةٍ
سحقوهنَّ عن طريقِ الخساسةِ
شبعَتْ منكم سيّاط ودمّ
وقبور وطواميرٍ وسجن
الخطبُ ألقى الجران
حطَّ بكلِّكهِ وارتمى
أناخ على البلادِ بكلِّكِلِ
هبتْ أعاصيرٌ
صوّحتْ أيّكتي
صوّح الإيثار
ينجابُ عن عيني
لَيْلٌ مُطَبِقٌ أَزَلْ
عودٌ بكفّ الرّياح
يسألُ منها متى يُقصمُ
يُعاركُ البلوى
جمرة الخطبِ
يُولدُ الضّرّ
مظلةُ أمنٍ

ولقد قمت مثلما سبق وأن ذكرت بجمع هذه الألفاظ ضمن مجموعة دلالية صغرى، معتمدة على معنى اللفظة داخل التراكيب، للوصول إلى دلالات جديدة، ولدها الشاعر من خلال استعمال هذه الألفاظ إما في سياقات غير سياقاتها على سبيل الاستعارة، أو في غير موضعها كالمجاز مثلا، أو التعبير عنها بطريقة غير مباشرة مثل الكناية، ليعطي معاني جديدة، ألبسها حلة خاصة، أثبت من خلالها قدرته على الخلق، والابداع، أضفت على معجمه تنوعا، وإثراء.

حيث وردت **أَلَا هَلْ قَاطِعٌ يَصِلُ** ، اسم فاعل من قطع بمعنى فصل وبتر، وصيغة مضارع مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر مسبوقة باستفهام، واللفظتان متضادتان، والحروف تتميز بالشدة تارة، وبالرخاوة أخرى، إلا أن محمد مهدي الجواهري لا يقصد القطع بالمعنى المتعارف عليه، ولا الوصل بالمعنى المألوف، فقال معبرا عن حنينه، وشوقه لأهله وهو في بلاد الغربة، مبديا تمسكه بهم، ومستعملا المجاز، لأن قَاطِعٌ وَيَصِلُ وردا في غير موضعهما، ونتج عنهما معنى جديد، وهو الإبقاء على صلة الرحم، والمحافظة على حرمتها:

أَلَا هَلْ قَاطِعٌ يَصِلُ * لما عيت به الرُّسلُ(19)

وللدلالة على صلة الرحم، التي يحرص الشاعر على الحفاظ عليها، متأثرا بالمبادئ السامية التي وردت في القرآن الكريم، ومتأثرا كذلك بالتربية الدينية التي تلقاها على يد أبيه بالنجف، لأن أباه كان رجل علم ومعرفة⁽¹⁾، وفي هذا الصدد قال الله سبحانه وتعالى: "واتقوا

¹ - مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره/ 20.

الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً" ⁽¹⁾، فلقد تمنى أن تستمر علاقته بأهله، وبذويه، إذ حاول أن يبعث الكثير من الرسل إلا أن محاولته باءت بالفشل، فاستغاث قائلاً هل من قاطع لرحمه يصله، ويتذكره، ويربطه بوطنه الذي ضاع منه، وابتعد عنه، وافتقده في بعض الأحيان، وأعرب عن رفضه الابتعاد عنهم مهما كان الثمن، وأبدى الولاء لهم، والوفاء، فبالرغم من موقفهم المعادي له، إلا أنه لن ولم يفرط فيهم، بل يزداد اشتياقه إليهم، وتمسكه بهم.

وجاء أشاع اليأس بي عُمَرُ، وأشاع بمعنى أظهر صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، الأصوات قوية معبرة، واليأس انقطاع الأمل وفي العبارة تقديم وتأخير، عبّر الجواهري على تشاؤمه الكبير وهو في بلاد الغربة، فبعث برسالة إلى أهله يصف الوضع الذي آل إليه، واستعمل المجاز، ليستعرض حالة الانهيار، والقنوط التي اعترتهن وجعلته يشعر بمرارة كبيرة، وكان كَلَّه أملاً، وغبطة، وسروراً، فلفظ أشاع جاء في غير مكانه، نقول أشاع الخبر، ونتجت عنه دلالة جديدة وهي استمرار الوضع المزري على حاله، وعدم حلول الانفراج، والتشاؤم، وقنوط فقال:

أشاع اليأس بي عُمَرُ * وَكُنْتُ كُلَّهُ أَمْلُ (18)

وهو بلاد الغربة مضطراً، بعيداً عن أهله، أصبح مثل الشريد الذي تقطعت به السبل، وأغلقت في وجهه أبواب وطنهن وشعر بنفور قومه منه، ونبذهم له، إذ عملوا على إزاحته

¹ - سورة النساء/01

من طريقهم بكلّ بساطة، وألقوا به بعيداً، فشر بضجر كبير يهزّ كيانه، وبأس شديد يسري في أعماقهم ويخترق قلبه، وحواسه، ويستولي عليه، ولا يترك له المجال لتذوّق حلاوة الحياة، واكتست الدنيا حلّة سوداء قاتمة في عينه لما يختلجه من أحاسيس مضطربة، أنتجتها ظروفه القاسية بعدما كان يخفق قلبه بالأمل، والتّفاؤل عندما كان بين قومه، وفي بلاده العراق.

ووظّف مُقيم حيث يَضْطَرُّ، و المُنَى والسَّعْيِ والفَشْلُ، ويضطرب بمعنى يتوتّر صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والسعي هو الكسب وباقي الألفاظ معروفة، وتتراوح الأصوات بين القوّة والضعف، وهو في أوروبا غير راض عن المصير الذي آل إليه واستعمل المجاز في يَضْطَرُّ، ليعبّر عن اختلاط الأمور ببعضها، وتشابكها، وانقلاب الموازين، وعدم الاستقرار، نظراً للتوتّر الكبير الذي يلاحقه، ويهزّه هزّاً عنيفاً، فتساوى عنده المُنَى، والسعي، والفشل، ولم يعد يفرّق بين الأشياء فقال:

مُقيم حيث يَضْطَرُّ * المُنَى والسَّعْيِ والفَشْلُ (19)

وللدّالة على روح التشاؤم التي سيطرت عليه، وجعلته ينظر إلى المستقبل بنظرة سوداوية، قاتمة، تعبّر عن عدم رضاه لما يدور حوله من أحداث، جعلته يفقد طعم الأشياء، ويشعر بالاحباط، والفشل، نتيجة لتسارع الأحداث، وتواليها عليه، فأصبح لا يعي ما يفعل، فيعتمد إلى إفراغ صدره من تلك الهواجس، والأحاسيس التي تعتريه، وتؤلمه، وتجعله يضطرب، ويرتجف.

وفي معرض حديثه عن نفاذ الصبر، وعدم التحمل، قال الشاعر مستعملاً أَوْشَكَ الصَّبْرُ أَنْ يَلْتَوِي، وَيَكْسِرَهُ الْمُبْهَضُ الْمُتَرَجُّ، صيغتان فعليتان، الأصوات شديدة في معظمها، قوِّية، فيها عنف، لأنَّ الوضع يتطلب ذلك، ويلتوي من لوى الحبل بمعنى ثناه وهذا المعنى معروف، مألوف، ويحمل كذلك معنى يُغْلَبُ وَيُهْزَمُ، والمبعض بمعنى شقٍّ عليه الأمر وغلبه⁽¹⁾، والمترج من التَّرج وهو عكس الفرخ⁽²⁾، عبَّر الجواهري، عن صعوبة الحياة، ونفاذ الصبر، وقساوة المصير، والخوف من المجهول، والارتباك أمام المحن، حيث وظَّف الاستعارة، وجسَّد الصبر، وجعله يتصارع مع الهموم التي تسعى إلى كسره مثلما يتصارع العدو مع خصمه، ويكاد أن يقضي عليه، ولفظاً يَلْتَوِي وَيَكْسِرُهُ وردا في غير سياقهما، ونتج عنهما دلالة جديدة زادت إثراء اللغة المعجم:

وقد أَوْشَكَ الصَّبْرُ أَنْ يَلْتَوِي * وَيَكْسِرَهُ الْمُبْهَضُ الْمُتَرَجُّ (218)

نتيجة للمتاعب المتتالية، والمشاكل المتراكمة، والمتهاطلة على الشاعر دون انقطاع، أصبح يخشى الهزيمة التي تلويه، وتكسر إرادته، ومعنوياته، وتقضي عليه، وتطيح به، كيف لا وقد نفذ صبره، وخارت قواه، لأنَّ الامتحان صعب، والوضع خطير، فأصبح يشعر باحباط كبير يسري في جسده وفي أعماقه، يحثّه على الاستسلام، والقبول بمصيره، والتراجع إلى الوراء، فلا مكان للفرح، والسرور، والأمل، لأنَّ الواقع المرّ فرض عليه، وحطّمه، وحوّل حياته إلى جحيم، ولأنَّ المعركة أصبحت مستحيلة لهول الكوارث، وصعوبة المواقف، فلا

¹- المعجم الوسيط (بهض) 74/

²- أساس البلاغة (ترز) 61/

طاقة له للتغلب عليها، ومجاراتها، ولا وقت للفرح والسرور فلا بد من تقبل الأشياء بذكاء كبير، ومحاولة التأقلم معها، وتحيين الفرص، للقيام بالتغيير.

ومما يُلاحظ على هذا البيت، استعمال الشاعر للكثير من الألفاظ القويّة، التي تدلّ على الرّضوخ، والانكسار، والغلبة، والقهر، والعنف، والحزن، وصعوبة المواقف.

وجاء يا سراجا خبا، ويا كوكبا في دجا يُفتقد، والسراج بمعنى المصباح، وخبا بمعنى سكن، صيغة فعلية معتلة مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها ضعيفة لأنّ المقام يتطلب ذلك، وفي التنزيل العزيز: "مأواهم جهنّم كلما خبت زدناهم سعيراً"⁽¹⁾، أما في دجا يُفتقد والدجى هو الظلام الحالك، ويُفتقد صيغة فعلية مبنية للمجهول، حروفها ضعيفة ومعظم الألفاظ معروفة وهناك تضاد في لفظتي سراجا، ودجا، وفي معرض رثائه، للشاعر الكردي الكبير (بي كس) ومعناه وحيد بالفارسية، قال مستعملا التشبيه البليغ في يا سراجا ويا كوكبا، والاستعارة في يُفتقد، ليشبّه صديقه المتوفي بالمصباح والكوكب الذي انطفأ، وخمد نوره، وترك فراغا كبيرا وراءه، وهذه دلالة جديدة أدخلها لمعجمه اللّغوي:

أخي (بي كس) يا سراجا خبا * ويا كوكبا في دجا يُفتقد(148)

وقد اعتبر مهدي الجواهري الشّاعر الكردي الكبير (بي كس) كالسراج المضيء في الليالي الحالكات، ينير طريق الآخرين، ويهديهم، ويقودهم إلى برّ الأمان، إلّا أنّ الموت غيّبه، واختطفه، ترتّب عنه ظلاما دامسا، مخيفا، مرعبا، مثل الكوكب الذي انطفأ فجأة

¹- سورة الإسراء 97.

محدثا هلعاً، وارتباكاً كبيراً، انعدمت من جرائه الرؤية، واسودّت الدنيا، فمثلما ينير الكوكب الظلام، أنار (بي كس) الطريق أمام غيره، فنشر الوعي، والثقافة، والعلم، وأنار العقول، والقلوب، وخدم المجتمع الذي يعيش فيه، وتفانى، وضحّى بنفسه من أجل المساهمة في تطوير محيطه، وبموته انتشر الجهل، وقلّ الوعي، وأظلمت العقول، وتدهرج المستوى العلمي، واستشرى الانحطاط، وعمّت الفوضى والجهل.

وقد تقاطع هذا البيت مع ما قاله أبو فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ * فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ⁽¹⁾

فإن عشت فالطّعن الذي يعرفونه * وتلك القنا والبيض والضمر الشّقر

ووردت عبارتاً **تَعَسَّرَ الصَّبَحُ**، واستعصت ولادته، صيغتان فعليتان الأولى مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر والثانية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث، وتعرّس الأمر بمعنى التوى وصار عسيرا واشتدّ، أمّا **إِسْتَعْصَتَ** بمعنى صعبت وأصبحت مستحيلة، الأصوات قوّة، وصف الشّاعر وضعه الذي أصبح لا يطاق ولا يحتمل، وتوقّفت عنده عجلة الزمن، لتزيد من معاناته وهذه استعارة، وأمّا **تَشَابَكَتِ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ**، صيغة فعلية بمعنى تعقّدت، الحروف بين الرخاوة والشّدّة، عبّر الشّاعر عن عدم طلوع نور الصباح في وقته، واستمرار الظلام الدّامس، وجعله بمثابة المخاض العسير الذي أتى المرأة الحامل وصعبت

¹ - ديوان أبو فراس الحمداني / 121.

عندها الولادة، وتعقّدت، وأصبح الأمر خطيرا، وهي مجاز عبّر من خلاله على تداخل الأشياء، واستمرار الظّلام، وسيطرة الهموم، وغلق الأبواب، والنوافذ، حيث قال:

تعرّ الصبحُ واستعصت ولادتهُ * حتى تشابكت الأنوارُ والظلم(55)

وللدلالة على الفرج الذي لم يأت حيث طال انتظاره، مثل الصبح عندما ينتظره الإنسان المهموم لا يطلع بسهولة، بل يشتدّ ظلام الليل، ويتوقّف الوقت، وتكبر المعاناة، ويزداد الأمر تعقيدا، لأنّ المخاض صعب وعسير وربما مستحيل، والانتظار أصعب، والولادة معقّدة، والفرج بعيد، والوضع حرج، والظروف متشابكة، والاستعمال هنا جاء في غير محله عبّر من خلاله الشّاعر عن الشّلل الذي أصابه، وحال بينه وبين الفرج فلم يعد هنالك مؤشّر خير، ولا أمل في الأفق، فتزداد الآلام والهموم، ولهذا السبب أضاف الشّاعر عبارة **تشابكت الأنوارُ والظلمُ** مجازا بمعنى انعدام الرؤية، واختلاط الألوان، وتوقّف الحركة، واشتداد الصراع القائم بين الظّلام والنور، والخير والشرّ، والجهل والعلم، وهي معركة شرسة، حاسمة، حيث سيطر الرّكود، والجمود نظرا لكثرة الانتظار والملل الشديد، واستقرار الوضع على حاله، وأصبح الليل والنهار واحدا لا فرق بينهما، مادام الفرج لم يأت، ولن يأتي، والأشياء مازالت كما هي، لأنّ الأمور ليست سهلة وهيئة، بل سادت الفوضى، وأصبحت هي الغالبة على الوضع، وحلّ اليأس، فلا مخرج ولا حلول منتظرة.

وقد رسم الشاعر من خلال هذا البيت صورة رائعة لما يدور في صدره من معانات، وآلام، وآهات، وأنين، وصراعات، وتناقضات، وتجاذبات جعل عجلة الحياة تتوقف تماما، وينتشر الوجد، ويحل اليأس، والقنوط، والتشاؤم.

وجاءت، أَلْعُوبَةُ بِكَفِّ اللَّيَالِي، و وكُرَاتِ بَرَجِلِ طِفْلِ تُدْهَدَى، وألعوبة صيغة اسمية بمعنى لعبة معروفة مألوفة، وبكفّ الليالي صيغة اسمية مضافة، والكف معروف والأصوات ضعيفة في معظمها نتج عنها احباطا كبيرا، أمّا كُرَاتِ تُدْهَدَى من دهدى الحجر بمعنى دحرجه⁽¹⁾، وصف من خلالها الشاعر وضعه البائس، ومصيره المجهول إذ قال مستعملا الكناية في أَلْعُوبَةُ بِكَفِّ اللَّيَالِي، ليخرج بمعنى جديد وهو خضوعه التام لقدره، واستسلامه له، حيث أصبحت الأقدار تتقاذفه، وتلهو به، مثلما يلهو الطفل بالكرة، وهنا معنى جديد زاد لغة المعجم غناء وتنوعا:

نحن ألعوبة بكفّ الليالي * وكُرَاتِ بَرَجِلِ طِفْلِ تُدْهَدَى (75)

فالليالي ليست لها كفّ، والمقصود هنا يد القدر التي فرضت نفسها بقوة، وسيطرت عليه سيطرة كبيرة، وأحكمت قبضتها، حيث لم يعد يتمسك بزمام الأمور، واستسلم لقدره بلا منازع، وبدون مقاومة، أمام سواد الليل، وظلامه، وأصبح لا يعني شيئا، وفقد مكانته، ووزنه، وتحول إلى لعبة في يد طفل يلهو بها، يقذفها، ويرميها، ويتسلّى بها، ولم يعد قادرا على التغيير لأنّه لا يملك حرية الرأي والتّصرف، ولأنّ الأحداث قهرته، وأصبحت هي السيّد،

¹ - المعجم الوسيط (دهدى) / 299.

ورمته بين كفّ اللَّيالي تعبت به، ولا تتأثر بحالته المزرية، والمعنى الجديد الذي أراده الشاعر هو فقدان حريّة الرأي والتّصرف، وانفلات الأمور، وتشابكها، وتعدّها، وعدم السيطرة عليها، والوقوف وجها لوجه أمام المصير المجهول، والظّلام الدّامس.

أما تَهْجَم عليه اللَّيالي، فَتُعْرِي من الصَّبَا أَفْراسه، وتَهْجَم صيغة فعلية، والهجوم هو الاقدام والكرّ على الخصم، فاللّيالي عادة لا تهجم، وباقي الألفاظ معروفة، أمّا فَتُعْرِي بمعنى تنزع صيغة فعلية متعدية، ألفاظها معروفة، حروفها قويّة شديدة، والصبا صغر السن وحدائته، وأفراسه بمعنى التبصّر في الأمور⁽¹⁾، إلّا أنّ اللَّيالي لا تنزع الحكم، والتبصّر بالأمور، بل بالعكس تساعدنا في بعض الأحيان على التفكير أكثر، والتروّي في اتخاذ القرارات، والتدقيق، والتّمهل، قال الشاعر يصف ليلة خمر ومجون قضاها مع أصحابه، مستعينا باللّهجة العراقية، ومستعملا الاستعارة، حيث شبّه اللَّيالي وما تخفي من مصائب بوحش يهجم على فريسته، وينال منها، هذا في الشطر الأول، أمّا في الشطر الثاني فستعمل هذه اللَّيالي على تعريّة رأسه من الحكمة، والتبصّر، والتروّي، نتيجة للتّعب، والإرهاق الشديد، ويصبح رأسه فارغا، خاويا كأنّه تعرّض لظاهرة الصلح:

وجديرٌ أن يمتع المرء بالخمر * نفسا وأن يثقل رأسه

قبل أن تهجم عليه اللَّيالي * فَتُعْرِي من الصبا أفراسه (177)

¹ - المعجم الوسيط (فرس) / 686.

والشاعر هنا في محاوره مع أصدقائه، أمام كأس الخمر، ينصحهم أن يمتنعوا أنفسهم، ويستغلوا الفرصة للمزح، والاستهتار، لأن مثل هذه الأوقات لا تدوم كثيرا، فستهجم الليالي، وتكثر المصائب، والمحن، والمشاكل، التي تترىص بالإنسان، وتسيطر عليه، وتقهره، وتنقض عليه بسرعة خاطفة، مثل هجوم الحيوان على فريسته، وتجعله غير قادر على التحمل، وتفقده الحكمة، والتبصر في الأمور فيصبح عليلا لا يقوى على التركيز، والتدقيق للخروج من مثل هذه الوضعيات الحرجة لأنه لم يعد يمتلك القوة، والعقلية الكافية للتغيير، ونتيجة لكثرة المصائب وتواليها يصبح الإنسان ضعيفا منهكا عرضة للانفعال والتوتر، ويصبح رأسه عاريا خاويا من الحكمة والموعظة، ويتعسر عليه فقدان السيطرة على الأمور لانعدام العقل، وفقدان التوازن، والسقوط في الأخطاء، والمتاهات، والعجز عن اتخاذ القرارات السليمة التي تعقد الأمور، وينتج هذا من شدة الإرهاق، والتعب، ونتيجة الامتحانات الصعبة التي يمر بها الإنسان، والشاعر صور هذا المشهد، ونصح بتحسين الفرص، وعدم تضيق الوقت لإيجاد الحلول، واستعمال العقل، ومعرفة الأولويات، وترك الأمور التافهة، والتركيز على الأشياء المهمة، حتى لا يفوت الوقت، ويدق ناقوس الخطر، ويصبح الرأس خاويا نتيجة للظروف القاهرة، عاريا من الحكمة كأنه فقد شعره لعل ما أصابته.

ووظف ماذا يراد بنا؟ وأين يسار، والليل داج والطريق عثار، ويسار صيغة فعلية مبنية للمجهول مسبقة باستفهام، من سار بمعنى مشى، حروفها ضعيفة في معظمها، والصيغة الثانية اسمية، ولفظ داج من الدجى وهو الظلام الحالك، وعثار من عثر بمعنى زلّ

وكبا⁽¹⁾، وباقي الألفاظ معروفة، قال محمد مهدي الجواهري بمناسبة تأبينه لعبد الحميد كرامي اللبناني⁽²⁾، يصف ما حلّ ببلاده من وضع لا يتقبله العقل، مستعملاً الكناية للدلالة على تأزم الأشياء، وتعقدها، وانسداد الأفق، وانعدام الرؤية، وصعوبة المسالك، وعدم إيجاد حلول ناجعة:

ماذا يُراد بنا؟ وأين يُسار؟ * واللّيل داج والطريق عُثَارُ (104)

فعندما يحلّ الظلام يصعب السير، ويتعثّر الإنسان في طريقه، ويسقط، إلّا أنّه هنا لا يقصد ظلام اللّيل وسواده، ولكنّه يتكلّم عن المصير المجهول الذي آل إليه المجتمع اللبناني فأصبح في يد الأقدار تتحكّم فيه، وتعبث به، وأصبح الغموض يخيم عليه، وتوقّفت عنده عجلة الزّمن، واستشرى الركود، فليس هناك من ينير الطريق، ويوجّهه، ويقود، نحو برّ الأمان، فالجواهري يتمنّى أن يطلع الفجر على أرض لبنان، ويسلك طريق الخير، والطريق يقصد به المنهج الذي سيّبعه، والآفاق التي ستساعده على إيجاد مخرج سليم.

فكما اللّيل داج كذلك مصيرهم غير معروف، حيث عبّر الشّاعر عما يجري في لبنان من أحداث لا تصرّ، جعلت اللبنانيين في يد الأقدار تتلاعب بهم في عالم الغيب، وأصبح الغموض يسيطر على الجميع، ويعيشون في سواد، وظلمة قاتمة ليس هناك من ينير طريقهم، ويوجّههم، ويقودهم، ويساعدهم على معرفة وجهتهم لأنّ الدّروب وعرة، وملتويّة، وشائكة، والمشى صعب، والرّؤيا غير واضحة، والمصير مجهول، ويقصد الشّاعر هنا ما قام

¹ - المعجم الوسيط (عثر) 583.

² - عبد الحميد كرامي رئيس الحكومة اللبنانية سنة 1968 - ديوان الجواهري/69.

به الحكّام المتآمرين مع العدو، والمتواطئون الذين وقفوا بجانب المستعمر، وفتحوا له المجال، وعبّدوا له الطريق، وتخلّوا عن الشعب، وقهروه، ومنعوه من تقرير مصيره، وأغلقوا أمامه كل المنافذ، ووضعوا الحواجز حتى لا يستطيع أن يواصل المسيرة، ويحرّر بلاده، ويزيح الظلام الدامس الذي سيطر عليه، ووقف حاجزا بينه وبين الحرّية. والشاعر يتمنّى أن يتغيّر هذا الواقع الذي فرضه العدو الأجنبي، ويزول الظلام، وينعم بالعيش في بلاده.

وجاءت دجَا الخَطْبُ، وبليلِ بؤسٍ مرهون، ودجا صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والخَطْبُ من خطوب الدّهر، وهي المصائب التي يقاسي منها الإنسان⁽¹⁾، وهو الأمر الشديد، وفي التّنزيل العزيز: "قال فما خطبكم أيّها المرسلون"⁽²⁾، أمّا بليلِ بؤسٍ فهي صيغة اسمية مسبوقة بحرف جرّ، والبؤس من المشقّة وهو معروف، ولقد جمع الشاعر بين اللَّفْظَتَيْنِ بِلَيْلٍ وبؤسٍ، واللّيل فيه السواد القاتم، والبؤس يظهر على صاحبه، ويجعل وجهه يتجهّم، وفيه مشقّة، وفي التّنزيل العزيز: "فلا تبتئس بما كانوا يفعلون"⁽³⁾، ومرهون رهن الشيء بمعنى حبسه بحقّ لئلاّ يستوفى منه عند تعدّد وفائه⁽⁴⁾، وجاء في التّنزيل العزيز: "وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فرهان مقبوضة"⁽⁵⁾، استعمل الجواهري المجاز في لفظ دجا الذي ورد في غير موضعه، ليولّد معنى تدفّق المصائب، والهموم، والبؤس حيث قال:

1- أساس البلاغة (خطب) 168/

2- سورة الذاريات/31.

3- سورة هود/36.

4- المعجم الوسيط (رهن)/378.

5- سورة البقرة/283.

إذا دجا الخطبُ شعث في ضمائرهم * أضواء حرف بليل البؤسِ مرهون(32)

ويقصد الشاعر تكاثر المشاكل، وتراكمها، وتأزمها، وفقدان الأمل، وعدم مجيء
الفرج، فليس هناك مخرج لأنّ المصائب تتوالى دون انقطاع، وبدون أسباب، إذ تحوّلت حياته
إلى ظلام حالك، فليس هناك بصيص أمل، إلّا أنّ هذه التراكمات ستوقظ الضمير، وتثير
الطريق، مثلما قالت الحكمة العربية "الأزمة تلد الهمة"، إلّا أن تغيير الواقع عصي، والحلول
مستحيلة في هذا الجو المفعم بالبؤس والمشقة.

يعبر الشاعر هنا عن التناقضات التي يعيشها بداخله، فاستعماله بليل البؤس
المرهون دليل عمّا يجيش في خواطره من معاناة وأناة، يحاول إبعاد هذا الشعور والتخلص
منه، والنظرة بتفاؤل كبير إلى المستقبل، ويظهر هذا من خلال استعماله شعث في
ضمائرهم، محاولا الهروب من هذا المصير المخيف الذي فرض عليه، وقهره، فربّما يرى
شعاعا في الأفق يأتيه من بعيد ليساعده على التغلب على هذا الواقع المرّ، ولا يجد ضالّته
إلّا في شعره الذي سيرفع عنه الغمامة.

وجاءت طباعٌ رقيقةٌ، قابلتهن الليالي، بغلظةٍ وشراسةٍ، والطّباع بمعنى السجّية
والمزاج⁽¹⁾ ورقيقة صفة، صيغة اسمية، وقابلتهن صيغة فعلية متعدية، أصواتها قويّة في
معظمها، أمّا بغلظة وشراسة فالغلظة بمعنى الشدّة⁽²⁾، والشراسة من شرس بمعنى سيء
الخلق، ومعظم الحروف قويّة، وشبه الشاعر المحن التي تخفيها الليالي وتتوالى على

¹- المصدر نفسه (أطبعه) 550.

²- المصدر نفسه (غلظ) 172.

صاحبها ذي الطّباع الرقيقة الهشّة، بهجوم الوحوش المفترسة على صغار الحيوانات، وهنا استعارة لأنّ عبارة قابلتهم وردت في غير سياقها، وأعطت معنى غلق المنافذ، ووضع الحواجز، وصعوبة الأمر، وتعقّده، قال الشّاعر يصف ما تفعله اللّيلي ببعض الشباب:

وطباع رقيقة قابلتهم * اللّيلي بغلظةٍ وشراسةٍ (172)

فليس للشباب صبر كبير، وصمود يذكر، لأنّ مزاجهم لم تصقله بعد التّجارب، ولم تتل منه المحن، ولهذا السبب يتأثّر، ويثور بسرعة لا يستطيع أن يتحكّم في عواطفه، ولا يتماسك أمام الشدائد نظرا لإحساسه المرهف، ويلاحظ وجود تضاد بين رقيقة وبغلظة، فصاحب الطّباع الرقيقة الحساس عندما تنقضّ عليه اللّيلي، تستطيع افتراسه بسهولة، ونهش لحمه دون رحمة، ولا شفقة، ولقد اعتبر الشّاعر انقضااض اللّيلي على صاحب الطّباع الرقيقة مثل انقضااض الحيوان المفترس على هدفه. ومن خلال هذه الصورة رسم الشّاعر ما يدور في نفسه من يأس، حيث أصبح مثل الفريسة السهلة بين يدي الوحوش تقطّعه مثلما شاءت، وتعبث بلحمه، وتتمتّع بتمزيقه. ويقصد مهدي الجواهري هنا مدى تمكّن الدّهر من سيطرته، وإحكام قبضته على مصير الآخرين، فالإنسان عندما يكون في مقتبل العمر لا يتمتّع بالنّضج الكافي، لهذا السبب يقترب الكثير من الهفوات تجعله عرضة للمشاكل مثلما حدث للشّاعر عندما كان شابا، ولكن كفة الميزان ستتغيّر كما تتغيّر نظرتّه للحياة عندما ينضج، وتكتمل شخصيته ويصبح ينظر للأمور من زاوية أخرى تتسم بالخبرة والتجربة، وعندما تتراكم عليه نكبات الدّهر، يستطيع أن يتعايش معها، ويتأقلم، ويحسن مواجهتها بكثير

من الوعي، حتى يستطيع أن يتحكّم في زمام الأمور، لأنّ الإنسان ليس محصّنا ضد المشاكل، وهي حتمية في حياتنا، ولابد من الاستعداد لها، ومحاولة معالجتها.

أما سحقوهم عن طريق الخساسة، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب الجمع المذكر، معاني الألفاظ معروفة، والسحقّ هو دقّ المادة الصلبة حتى تصبح مسحوقاً⁽¹⁾، الأصوات هنا قوّة انفجارية، والخساسة بمعنى التّفاهة وفيه احتقار، استعمل المجاز ليصف الوضع الذي آل إليه الإنسان الشريف، العفيف في بلاده على يد الحكام المنحطّين، المنبطحين، الذين تحكمهم نفوس خسيّة، ضعيفة، ويعملون على التصدّي للأشراف، والأبطال، ومحوهم من الخريطة، وإبعادهم فقال:

كم نفوسٍ شريفة حسّاسه * سحقوهم عن طريق الخساسة (172)

ويقصد هنا اجتثاث، واقتلاع، وتدمير، والقضاء نهائياً على تلك النفوس الطاهرة، الحسّاسة، الشريفة، والانتقام منها، والتّمثيل بها، والتكالب عليها، وتدميرها، وسحقّها، وجعلها مثل الرماد الذي يذهب في مهبّ الرّيح ويختفي عن الوجود، ويصبح لا قيمة له، ويدلّ هذا على مدى الحقدّ الكبير الذي يشعر به السّاسة اتّجاه هؤلاء الأشراف، والأبطال، والشجعان، الذين لا يزالون يقفون بكل صمود وتصدي في وجه الطغاة الذين عملوا على تدمير البلاد والعباد، ولكي نسحقّ لابد من بذل جهد كبير للوصول إلى ما نصبوا إليه، وهذا ما قام به الأعداء حيث تفتّنوا، وبذلوا جهداً كبيراً، للوصول إلى الهدف المراد.

¹ - المعجم الوسيط (سحق) 420/

وبمناسبة المؤتمر العالمي لإتحاد الطلبة الذي انعقد ببغداد سنة 1959⁽¹⁾، ألقى

الشاعر قصيدة استعمل فيها عبارة شَبِعَتْ مِنْكُمْ سَيَاطٌ، وَدَمٌ، وَقُبُورٌ، وَ طَوَامِيرٌ، وَسَجَنٌ، وَشَبِعَتْ صِيغَةً فعلية متصلة بتاء التأنيث الساكنة، حروفها قوِّية، عكس جاع، وباقي الألفاظ معروفة، وَطَوَامِيرٌ من طمر الشيء ستره حيث لا يظهر⁽²⁾، استعمل الجواهري المجاز، ليلخّص تمادي العدو في التعذيب، وإراقة الدماء، ودفن الجثث، ورميها لقمة للكلاب، وردمها دون أدنى حقّوق، والمبالغة في ذلك قال:

شَبِعَتْ مِنْكُمْ سَيَاطٌ وَدَمٌ * وَقُبُورٌ وَطَوَامِيرٌ وَسَجَنٌ(145)

ولقد جسّد السيّاط وجعل له إحساساً، وضميراً، وأصبح يعاف هذه الأجساد الطاهرة من كثرة ما سلّط عليها، وعُدّبها، فعافها، وكرهها، ونفر منها، لأنّ الشيء إذا زاد عن حدّه، انقلب إلى ضدّه، فالعدو أصبح جلاًداً، وامتنع حرفته بتفوّق، وأصبح السوط يستحي من هذه الدماء الطاهرة التي تتقطّر من الأجسام النقيّة، الشريفة، دون توقّف، وتراق ظلماً، وقهراً، وافتراءً، فكذلك القبور، والطّوامير هي بدورها عافت الأجساد التي تُدفن فيها، وفي بعض الأحيان تُطمر دون مراعاة لأدنى الحقوق والآداب، فحتى السجون شُبِعَتْ، وسُئِمَتْ، وذَاقَتْ ذرعا من هؤلاء الأبطال الذين يَزُجُّ بهم العدو دون سبب يذكر، ودون شفقة ولا رحمة، فأصبحت لا تطيقهم، ولا تتحمّلهم، كرهت منهم ولم تعد تألفهم، ونفهم من هذا البيت ما كان يقوم به العدو الأجنبي من ظلم، وجبروت، وقسوة، واستباحة، ومغالاة، ومبالغة، فلا حدود

¹- ديوان الجواهري / 139

²- المعجم الوسيط (طمر) / 565

تحكمه، ولا أعراف، لأتّه متهور، عديم الأصل، والأخلاق، والشرف، وهذا ما قام به المستعمر الفرنسي في أرض الجزائر، وصوّره شاعر الثورة الكبير مفدي زكريا قائلا:

يا فرنسا أمطري حديدا ونارا * واملئي الأرض والسماء جنودا

واضرميها عرض البلاد شعالي * لَ فتغدو لها الضّعاف وقود

واستشطي على العروبة غيظا * واملئي الشرق والهلال وعيدا⁽¹⁾

ووردت إذا الخَـطْبُ ألقى الجِـرَان، وحطّ بكلّـكـله فارتمى، والخطب هو الشدّة وألقى الجِـرَان صيغة اسمية متعدّية، الألفاظ في معظمها معروفة، والجِـرَان هو باطن العنق من البعير وألقى الجِـرَان⁽²⁾ بمعنى ثبت واستقر، أمّا حطّ بكلّـكـله فارتمى، صيغة فعلية متعدّية، أصواتها بين الرخوة والشدّة، وحطّ بكلّـكـله بمعنى وضع الصدر مثلما يبرك البعير في الأرض ويستقرّ ويثبت⁽³⁾، وارتمى من الرمي وهو معروف، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وباقي المعاني معروفة مألوفة، استعمل محمد مهدي الجواهري الاستعارة، ليعبر عن تدمّره من الوضع الذي استمر طويلا، حيث جعل الشدّة والضيق الذي تعرّض له وطنه، وعانى منه، واستمر زمنا طويلا، وأنّـهـك كاهل الأمّة، كالبعير الذي رمى بثقله، وبصدره، وجثم، وبرك، وثبت، واستقرّ، والمعنى الجديد الذي ولّده الشّاعر هو المعاناة الكبيرة التي قهرت الشعب، وأتعبته، وأضرّت به، فقال:

وأنت إذا الخَـطْبُ ألقى الجِـرَان * وحطّ بكلّـكـله فارتمى (225)

1- مفدي زكريا، اللهب المقدس/17.

2- أساس البلاغة (جرم) 91/

3- المعجم الوسيط(كلّ) 796/

استعمل الشاعر هذه التراكيب بطريقة مجازية، يظهر من خلالها مدى تأثره بالبيئة البدوية التي نشأ فيها، وعشقها، وتغنى بها، واشتاق إليها.

وللدلالة على ما حلّ بالشاعر من مصائب، ومشاكل، وظروف قاسية سيطرت على أرضه ووطنه، وأثرت فيه، واستقرت وثبتت، ورمت بثقلها، وبوزنها، مثل الجمل الذي رمى بوزنه الكبير، أمّا وألقى الجران فحملت معنى أنّه لن يغادر المكان بسرعة، بل سيستريح وقتاً كبيراً، وربّما سيبقى إلى الأبد مثلما تستقر المصائب، و ترايض في مكانها، ولا تتحرّك، ولا تتزحزح بسهولة، فالشاعر هنا يعقد مقارنة بين البعير عندما يجثو في الأرض ويمدّ عنقه ليسترخي ويستريح، وبين المصائب والمحن التي ما برحت مكانها، وراوحتة وظلت على حالها.

واستعمل الشاعر قَدْرَ أَنَاخٍ عَلَى الْبِلَادِ بِكُلِّ، وَأَنَاخَ بِمَعْنَى أَقَامَ⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، الأصوات قوّة في معظمها معبّرة، ونبا به مُتَنٌ صيغة فعلية حروفها ضعيفة، ونبا بمعنى لم يطمئن⁽²⁾ ومتن بمعنى ظهر، وَزَوْ فَقَارٌ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها قوّة شديدة، وَزَوْ بمعنى تقبّض وأصبح في الأرض⁽³⁾، قال الشاعر مبدياً امتعاضه، وتذمّره من توالي المصائب، ونوبات الدّهر، حيث شبّه مرّة أخرى المصائب التي أرسلتها يد الأقدار إلى بلاده، وجثمت ولم تغادر، بالبعير الذي برك، وأقام، وراوح مكانه، وأعاقه وزنه الثقيل على الحركة، والوزن هو

1- المعجم الوسيط (أناخ)/961

2- المعجم الوسيط(نبا)/898

3- المعجم الوسيط(زوى)/279

الكوابيس، والضغوطات، وصعوبة الحياة التي قسمت الدهر، وأردته أرضاً وهذه استعارة عملت على توليد دلالة جديدة أثرت لغة معجمه اللغوي، أما نبأ به مُتْنٌ وَزَوْ فَقَارٌ فاستعمل المجاز ليعبر عن الإرهاق، والتعب الشديد جرّاء تمادي الأعداء، وكثرة المصائب:

قَدَرُ أَنَاخَ عَلَى الْبِلَادِ بِكُلِّ * وَنَبَا بِهِ مُتْنٌ وَزَوْ فَقَارٌ (103)

وللدلالة هنا على عدم تحمّل الاستعمار الذي أتى به القدر، ورمى به، وسلّطه على الوطن، وجثم على الصدور، واستقرّ، وعانت منه الشعوب، حيث جسّده، وجعله كابوساً كبيراً، ووزناً ثقيلاً قسم ظهر الأمة، وأضناها، وأرهقها، وشتّت المجتمع، وفرّق الناس واندسّ في صفوفهم، وزرع الموت، وقبر الشباب، وانتقم من الأجيال، وجعله الشّاعر مثل الحيوان الكبير الذي يجثم على فريسته، ويكسر عظامها، وفقراتها، وينهش لحمها، وشحمها، ويريق دماءها ويلتهمها.

وفي معرض الحديث عن الوضع السيئ الذي آل إليه الشّاعر استعمل صَوَحَتْ أَيُكْتِي، وَصَوَحَ بِمَعْنَى تَشَقَّقَ وَيَبَسَ⁽¹⁾، وَأَيُكْتِي هِيَ الشَّجَرُ الْكَثِيفُ الْمَلْتَفُ، وَهَبَّتْ أَعَاصِيرُ بِمَعْنَى هَاجَتِ وَتَمَادَتِ، صَيغَتَانِ فَعْلِيَتَانِ، أَصْوَاتُهَا قَوِيَّةٌ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ، وَصَفٌ مِنْ خِلَالِهَا الشّاعر الوضع البائس الذي استمر طويلاً، حيث قال موظفاً الاستعارة، لأنّ لفظ صَوَحَتْ وَرَدَ فِي غَيْرِ سِيَاقِهِ، وَوُلِدَ مَعْنَى تَمَكَّنَ الْمُحَنِّ، وَالْمَصَائِبُ مِنَ الشّاعر، وَإِضَاعُفَهُ، وَتَحْطِيمَ مَعْنَوِيَّاتِهِ:

¹ - أساس البلاغة (صوت) / 364

وصوّحت أَيْكْتِي وَهَبْتُ أَعَاصِيرُ * عَلَيْهَا تَلْوِي أَفَانِينٌ⁽¹⁾ مَلْدَا⁽²⁾ (82)

وللدلالة على المحن، والشدائد التي أذبلت الشّاعر، وقهرته، وأرهقته، وجرفته بعيداً، وحطّمت معنوياته وكبريائه، وأثارت غضبه، فانهارت أعصابه، وضعف، وأصبح بائساً، لا يقوى على تحريك ساكن، وجسد الشدائد وجعلها مثل الأعصار عندما يضرب مكاناً ما يمحو ويقتلع، ويدمر، ويخلف كوارث وخسائر كبيرة، يأتي على الأشجار والأحجار، ولا يُبقي شيئاً أمامه، فكما تدمر المصائب الإرادة والعزيمة، والإنسان، يدمر الأعصار ويقتلع كل ما يجد في طريقه، ونتيجة لما عانه الشّاعر من مصائب أصبح هشّاً، عاجزاً، منكسراً، متخاذلاً، لا يقدر على الثبات أمام نوبات الدّهر المتكرّرة، التي لم ترحمه وتوالت عليه الواحدة تلو الأخرى دون شفقة، فلم يستطع أن يفلت منها، كشجر الغابة الكثيف الذي لم يستطع الصّمود أمام العاصفة الهوجاء، فمهما كانت هذه الأشجار ضاربة في أعماق الأرض إلا أنّ الأعاصير تقتلعها بقوة كبيرة، ومهما صمد الشّاعر فإنّه سينهار، ويقع، وينحني.

وجاء صَوِّح الإِيثَارُ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المذكر الغائب، والإِيثَار هو تفضيل المرء على نفسه وهي صفة المؤمنين، حيث قال الله سبحانه وتعالى: "يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون".⁽³⁾، الأصوات قويّة، قال الشّاعر مشمئزاً من وضع بلاده المنحط مستعملاً المجاز، فلفظ صَوِّح ورد في غير موضعه، ليصف به البعض الذين تخلوا عن الكرم، والسّخاء، والرجولة، وأداروا ظهورهم

1- أفانين بمعنى الغضب الملقف، أساس البلاغة (فنون)/703.

2- ملدا بمعنى اهتزّ من شدّة الغضب، المعجم الوسيط (ملد)/884.

3- سورة الحشر/09

إلى مثل هذه الفضائل، وتخلوا عنها من أجل العدو الأجنبي وهذا معنى جديد ولده الشاعر
زاد لغة المعجم تنوعاً وغناء:

حُوشيت ما قِيمَ الرِّجال إذا ارْتَمَى * منها الضَّميرُ، وصَوِّحَ الإيثارُ (101)

فهؤلاء القوم ضربوا بهذه الصفات الحميدة عرض الحائط وتناسوها، وأصبحوا مطيعة
للعدو وللحاكم يملئ عليهم شروطه، ويجردهم من هذه المبادئ السّمحاء، ومن الشهامة،
والرجولة، والكرامة، والسّخاء الذي عُرِفَتْ به المجتمعات الإسلامية، وهذه المبادئ مستمدة
من الشريعة السّمحاء، إلا أنّ الأحداث أثّرت فيهم وقضت على هذه المثل السامية، وجردتهم
من السلوكات الحسنة، وجعلتهم مهزلة أمام الجميع، وقال الله سبحانه وتعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"⁽¹⁾، والمقصود بصوِّح الإيثار التجرد من المقومات
والأخلاقيات ومن الرجولة، ومن العزّة والكرامة غرض إرضاء العدو، والانبطاح بدون تردّد
أمامه.

وورد يَنجَابُ عَنْ عَيْنِي لَيْلٍ، معناها ينكشف وينقطع صيغة فعلية مسندة إلى ضمير
المفرد الغائب المذكر، وَلَيْلٌ مُطَبَّقٌ أَزَلٌّ، مُطَبَّقٌ بمعنى مظلّم⁽²⁾، وأزل بمعنى لا يزول،
صيغة اسمية، وتحمل العبارتان معنيين متضادين منها الانكشاف والظلام، الحروف تتراوح
بين القوّة والضعف، معاني الألفاظ معروفة، قال الشاعر مستعملاً المجاز، ومخاطباً أهله

¹ - سورة الرعد/ 11

² - أساس البلاغة (طبق) / 383.

من منفاه في جيکوسلوفاكيا ليتمنى زوال العراقيل، والعوائق، والأزمات وهذا معنى جديد ولّده
الشاعر :

وهل ینجابُ عن عیني * لیلُ مطبقُ أزلُ(19)

وعندما يزول الليل، وینجلي الظلام، یسطع نور الشمس، والشاعر هنا یتمنى أن
تتراح عنه الظلمة الحالكة، والمصير المجهول، ویطلع علیه فجر الحياة، لأنه کئيب حزين،
فهل من شعاع صغیر ینیر طريقه؟، فاستمرار المحن واستقرارها في مكانها تزيد من کآبته،
فأصبح يرى کل ما يدور حوله بلون السواد، مضفيا علیه شيئا من نفسه الحزينة، ومعبرا عن
معاناته الأزلية، ومدى تألمه هذا الألم الذي أصبح لا یطاق، سلّطه علیه القدر وتركه وحيدا
یعاني فهل من فرج قريب.

أما لیل مطبق أزل فهي کنایة كذلك على استمرار الوضع على حاله وعدم بزوغ نور
الفجر، وعدم حلول الفرج، وعدم حدوث تغيير قريب، حيث نتج شعور بالضجر، والملل،
والاحباط، وخيبة الأمل، فدقات الزمن توقفت، وعطّلت مجرى الكون، واختلطت الأشياء
وتعقدت.

وورد إني عودٌ بكفّ الرياح، صیغتان اسمية واسمية مضافة، أصواتها قوية شديدة في
معظمها، ألفاظها معروفة، أما یسألُ منها متى یُقصمُ، یُقصم بمعنى یُقطع ويُکسر، صیغة
فعلية مبنية للمجهول أصواتها شديدة كذلك، جعل نفسه المحبطة الضعيفة المنكسرة كالعود
الذي تعبت به الرياح، ولا یستطيع الصمود نظرا لهشاشته وضعفه، وهنا مجاز نتج عنه

معنى عدم تمكّنه من الصمود، والثبات، فقال بمناسبة تأبينه أخيه محمد جعفر الجواهري الذي سقط في الوثبة الكبرى ضد الإنجليز 1948⁽¹⁾:

وإني عودٌ بكفّ الرياح * يسألُ منها متى يُقصمُ (193)

فالشاعر أسير نوبات الدهر التي تغلّبت عليه وقهرته، فأصبح عبدا لها لا يستطيع الصمود أمامها، وأمام قبضة الزمان وشدّته، فهو كالعود في مهبّ الرياح تقلّبه مثلما شاءت، وتلويه، وبعد ذلك تخور عزيمته فيذبل، وينكسر لأنّه أصبح هشّا، يبرز هنا مرّة أخرى مدى تأثره بالطبيعة، وبمختلف فصولها، فعند اشتداد الريح، والعواصف تلتوي الأشجار وتتكسر، وعند اشتداد المصائب يُقهر الإنسان، ويضعف، وينهار.

أمّا يُعاركُ البلوى، و فتلويه ويعتدلُ، ويُعاركُ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية بمعنى يخاصم ويصارع، والبلوى هي المصيبة، وتلويه صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث بمعنى تتغلب عليه، حيث قال في قصيدة من منفاه في جيکوسلوفاكيا وجسدّ البلوى، وشبّها بالخصم الذي يعاركه، ويتصدّى له، وهذه استعارة، لأنّ يُعاركُ وفتلويه وردا في غير سياقهما وولّدا معنى الصمود والغلبة:

وحيث يعاركُ البلوى * فتلويه ويعتدلُ (20)

اعتبر الشاعر البلوى مثل الخصم العنيد الذي لا يقدر عليه يتشاجر معه، يسقطه مرّة ويغلبه أخرى، ولكنه يصمد ولا يفقد الأمل، ولا ينحني مهما كانت القوة الرادعة، فلا بد من

¹ - ديوان الجواهري / 177.

المقاومة، والمثابرة، والإرادة القويّة، والصمود والتّصدي، إلا أنّ هذه المصائب أكسبته خبرة وقوة وجعلته يتعامل بمرونة معها، ولا يستعمل أمامها كل طاقته، وقوّته، ولكنّه يتجنّبها حيناً، ويقارعها حيناً آخر، وينحني في بعض الأحيان حتى تمرّ العاصفة.

وجاء **جَمْرَةُ الْخَطْبِ**، صيغة اسمية، والخطب بمعنى المصيبة، والجمرة هي القطعة الملتهبة من النار⁽¹⁾، وساقينا على ظمّا، وساقينا من سقى أعطاه ماءً للشرب صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث متعدية، وفي التّنزيل العزيز: "وأسقيناكم ماء فراتاً"⁽²⁾، وباقي الألفاظ معروفة، استعمل مهدي الجواهري المجاز، ليعبر عن اشتداد المحن، وتكاثرها، وعدم القدرة على تحملها، لأنّ هذه المصائب أحرقت فؤاده، وأضرّت به، وآذاته، وسبّبت له ألماً مبرحاً، موجعاً، حيث استغاث طالبا للنّجدة، فهل هناك من مخرج، ومن منقذ، ومن يُنقذه من نار جهنّم، ويخفّف عنه عطشه، وضمّاه، وهل ستحوّل هذه النيران إلى برد وسلام، وقصد بجمرة الخطب وساقينا على ضمّا، المحن وتمنّى التخلّص منها:

يا جَمْرَةَ الْخَطْبِ ساقينا على ظمّا * للمصلّيات فأنّت الباردُ الشّبمُ⁽³⁾ (56)

والشّاعر لا يقصد الجمرة المحرقة المؤذية، بل يريد أن يتكلّم على الخطوب، والمصائب التي تؤلم، وتضني القلوب، والأجساد، ويتمنّى أن تكفّ هذه الجمرة عن الحرق، وتتقطع المصائب، ويأتي الفرج، وتتقلب الأوضاع، وتحوّل النّار إلى برد وسلام بمعجزة سماوية على أصحابها الذين آذتهم وآلمتهم وقهرتهم، فالأمور الصعبة والقاسية تؤذي،

¹- المورد (خطب)/243.

²- سورة المرسلات/27.

³- الشّبم، بمعنى البارد، وقلبٌ بِشَمٍ بمعنى قليل الحس، المعجم الوسيط(شبم)/471.

وتحرق، وتكوي مثل الجمرة، وهي في بعض الأحيان تشفي بعد أن تحدث آلاماً، مثلما ورد في القرآن الكريم: "إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"⁽¹⁾، فلا بد للإنسان أن يتألّم ويتأذى في بعض الأحيان، ويعاني لينال ما يتمناه، مثلما قال أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدة بعنوان "سلو قلبي":

ما نيل المطالب بالتمني * ولكن تأخذ الدنيا غلاباً⁽²⁾

فالشاعر جمع بين جمرة أي النار، وساقينا، وظماً، والبارد، والمصليات، فبالرغم من تباعد هذه الألفاظ في المعنى، وتتناقضها حيناً، إلا أنّ المغزى هو تخفيف الضرر والمواساة، ووردت هذه الألفاظ مجازاً، يصف من خلالها الحالة التّعبة التي يعيشها، والوضع المزري الذي آل إليه، متميّناً الفرج الكبير الذي طالما انتظره، فالجمرة عادة تحرق ولكّنها في بعض الأحيان نستخلص منها العبر، ونوظفها لمصلحتنا، وتكسبنا قوّة وصلابة، وتتحوّل إلى نعمة بعدما أن كانت نقمة، وقال الله سبحانه وتعالى: "يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم"⁽³⁾، وهذا هو المعنى الجديد الذي ولّدت هذه الألفاظ، ضمن السياق الذي وردت فيه، حيث ربط بين الألفاظ المتناقضة والمتضادة، وجعلنا نصل إلى معنى جديد وهو الانتصار، كيف لا وهو عبقرى زمانه، عظيم في إبداعه، متمكّناً من اللغة العربية، جامعاً بين أسرارها، متعمّقاً في معانيها، متأثراً بكلام الله، وبشعراء زمانه، إذ ربط بين الكلمات بطريقة سحرية جعلتها

¹ - سورة الشرح/ 06.

² - ديوان أحمد شوقي/ 99

³ - سورة الأنبياء/ 69

متناسقة، تصبّ في معنى واحد وهو التغلّب على المتاعب، ودرأ الخطر والصمود، وفي الأخير الفوز.

وما يزال الشّاعر ينظر إلى الحياة بنظرة قاتمة متشائمة، حيث استعمل **يُولد الضّر**، حيث **يُولد حر**، صيغتان فعليتان مبنية للمجهول، فيها حكمة وتبصّر وتجربة كبيرة، وولد بمعنى نشأ، وفي التّنزيل العزيز: "لم يلد ولم يولد"⁽¹⁾، والضّر هو المكروه، والحرّ عكس العبد، حروفه قويّة شديدة، أما **وعلى أنوك مظلة أمن**، وأنوك بمعنى أحمق⁽²⁾، والمظلة ما يُستظلّ به، عبّر الجواهري عن تشاؤمه، ونظرته القاتمة للحياة، فقال مستعملا المجاز، ونسب لفظ **يُولد للضرّ** حيث ورد في غير محله، للدلالة على نشأة الشر، وانتشاره، واستشرائه، وتجذّره، أين توجد حرّية الرأي، وعدم الاستكانة، وروح المسؤولية:

يُولد الضّر حيث يُولد حر * وعلى أنوك مظلة أمن(167)

وللدلالة على تربّص الشرّ، والظلم، والقهر، بأصحاب الآراء الحرّة، والمتمرّدة، والثورية، والمقاومة، لأن الحرّ يبدي رأيه ويتّخذ مواقفًا، ويثبت وجوده، ومن خلال هذه المواقف الباسلة يعرّض نفسه للمشاكل، وللمؤامرات وللعراقيل، ويقصد هنا صديقه محمد الصالح بحر العلوم الذي كان يقاسي في سجون العدو على يد حزب البعث سنة 1963⁽³⁾، فصديقه إنسان حرّ له مواقف معروفة، لا يركع لأسياده، ولا ينحني، ولا ينبطح، له مبادئ صلبة، وروح متمرّدة، وشخصية قويّة، تجلب له المشاكل، وتولّد عنده المصائب نتيجة لعدم

¹- سورة الإخلاص/03.

²- أساس البلاغة (نوك)/658.

³- ديوان الجواهري/161.

الاستكانة، والصمود، فالتعبير عن الرأي الحرّ والمواقف الصلبة في بعض الأحيان يجلب الشر والضرر لصاحبها وتصبح نقمة، وليست نعمة، وخاصة في مجتمعنا، أين تسود روح الجبروت والديكتاتورية، والبطش، ويصبح أصحاب المبادئ أناسا مشاغبين، يُتَرَبَّص بهم أينما وُجدوا، وتُفرض عليهم القيود، وفي الغالب يقادون إلى السجون، أين يمضون حياتهم وفي بعض الأحيان يُقتلون، ويُعَذَّبون، ويُنْكَل بهم ويختفون.

أما وعلى أنوك مظلة أمنٍ فهي كناية على الحماية الزائفة التي يوفّرها حكام العراق لبعض الخونة والجبناء ويستعملونهم بعد ذلك لخدمة مصالحهم واستغلالهم، وتوظيفهم لضرب الشعب وقهره مقابل هذه المواقف الدنيئة، والمنحطة، التي يعبر من خلالها هؤلاء الأندال عن عدم تحملهم لمسؤولياتهم اتجاه وطنهم، وشعبهم، ولم يكتفوا بهذا بل حاولوا خدمة المستعمر، والانسياق وراءه، والوقوف إلى جانب الحكام، والانصياع لأوامرهم كيف لا وهم يتمتعون بكل الحصانة والحماية الزائفة.

مما يستنتج من هذه المجموعة:

1- هناك تقاطع في:

أخي بي كس يا سراجًا خبا * ويا كوكبا في دجى يفتقد (148)

وبين بيت أبي فراس الحمداني:

سيدكرني قومي إذا جدّ جدّهم * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر (121)

2- وردت بعض الصيغ الاسمية المضافة مثل: بكفّ الليالي (75)، مظلة أمن (167)، جمرة الخطب.

3- ورد تضاد في هذه الكلمات: ساقينا (56)، ضمّا (56)، للمصليات (56)، البارد (56).

4- هناك تقابل في معنى العبارات التالية: طباع رقيقة (172)، بغلظة وشراسة (172).

5- معظم الألفاظ وردت مجازاً مثل: حطّ بكلّك (225)، هبّت أعاصير (82)، شبع منكم

سياط ودم (145)، يعارك البلوى (20)، دجا الخطب (32)، صوّح الإيثار (101)، هبّت

أعاصير (51)، اللّيل داج (104)، والطريق عثار (104)، تهجم عليه الليالي (177).

الخلاصة:

احتوى الفصل الأول الألفاظ الخاصة بالمجتمع العراقي، ودلت على المظاهر الأليمة التي اعتزته من معاناة وآلام، وقهر، وبطش، وغدر، وتنكيل مثل: سراج خبا(148)، شبعث منكم سياط(145)، وسحقوهنّ عن طريق الخساسة(37)، وكوكب في الدجى يُفتقد(148)، ويلتوي ويكسره وهبت أعاصير(82)، وألقى الجران(225)، وحطّ بكلّك(225)، ومجموع هذه الألفاظ تصوّر الواقع المرّ الذي عاناه الشعب العراقي تحت سيطرة الغربيين، وهو واقع مزري شاركته فيه المجتمعات التي وقعت تحت سيطرة الغرب، ومعظم الألفاظ وردت مجازاً حيث استعمل الاستعارة، والكناية، والتشبيه، ممّا ولّد معاني جديدة، عملت على إثراء لغة المعجم، وخلقت دلالات جديدة أثبت من خلالها قدرته، وتميّزه على الخلق، والابداع، والابتكار، أبرز من خلالها الشّاعر مظاهر المعاناة، وجسّدها في العديد من الصور المعبّرة، مثل: تعرّس الصبح(55)، والطريق عثار(104)، وليل مطبق(19)، ولبيل البؤس(32)، واستعصت ولادته(55)، وأضاف الألفاظ التي دلّت على قساوة العلاقات الاجتماعية التي أنثرت فيه، وجعلته عرضة للألم والعذاب، مثل: قطعوا(19) وصلوا(19)، ويولد الضّر يولد حرّ(167)، واستعمل كذلك الألفاظ الدالة على سوء العلاقة بينه، وبين قومه، وجعلته يمرّ في بعض الأحيان بمرحلة الهذيان، ويقترّب من الجنون، والهوس مثل: طيف يتصدّى كشامت يتحدّى(84)، وخاصة عندما يتصدّى له أهله وعشيرته، وينكّلون به ويغدرون، فتلك المظاهر القاسية جعلت الشّاعر يصول، ويجول بخياله متأثراً في الكثير من الأحيان بالتّجربة

العربية الإسلامية التي أخذها عن أبيه وأساتذته عندما كان طفلاً صغيراً بمدينة النجف، واستطاع من خلال ثقافته الواسعة أن يبتكر، ويخلق، ويبدع، ويولّد، ألفاظاً وعبارات خلاّبة، وجديدة، لا يستطيع الوصول إلى هذه المرتبة إلا الذين هم في مثل هذا المستوى من الموهبة والابداع، مثل: حييت سفحك ضمّاناً(24)، ولدغ الثعابين(35)، وفي فؤادي يَنزّ جرح الشريد(35)، وقابلتهن الليالي بغلظة وشراسة(172).

الفصل الثاني

الألفاظ الدالة على الظلم

- أ- الألفاظ الدالة على التّعدي.
 - ب- الألفاظ الدالة على الكذب.
 - ج- الألفاظ الدالة على الاستباحة.
 - د- الألفاظ الدالة على التّدنيس.
 - هـ- الألفاظ الدالة على الابتزاز.
 - و- الألفاظ الدالة على التآمر.
 - ز- الألفاظ الدالة على التقاعس.
 - ح- الألفاظ الدالة على الخوف.
 - ط- الألفاظ الدالة على القبح.
- وما شابه ذلك.

-مجموعة الألفاظ الدالة على الظلم، والجبروت، والاستباحة، والابتزاز، والاستغلال،

والنفاق، والكذب، والتخاذل، والخنوع، وما له علاقة بذلك

الألفاظ الواردة في الديوان:

الوحش يربُضُ
الموت بها جَار - بها وزَار
أَعْقَابُ لِبْنَانٍ تَدْنَسُ وَكَرِهْ؟
سَوَاطِئُ مَنْ؟ سَوَاطِئُ كُلِّ عَاجِلٍ عَافٍ
دَنَسَ الْأَصْلَ وَالْمَنَابِتِ عَفَنَ
يَنْزِلُ عُشَّهُ وَيَدْسُهُ
يَنْتَفِ رِيشُهُ
حَكْمٌ كَالدَّجَى - عَرِيَانٌ صَافِي
الْحَكْمُ يَشْمَخُ كَاذِبًا
يَمْلَأُ رَفْتِيهِ الْعَارُ
إِنْتَسَبَ السَّوَادَ
الْجَوْرُ صَلْبُ كِيَانِهَا
لَمَسْتُ كُرْسِيًا يَرْجُ
عَصَفْتُ بِهَا الشَّهَوَاتُ
تَعَرَّتْ أَغْصَانُهَا
مَوْتَى الضَّمَائِرُ
إِرْتَمَى الضَّمِيرُ
صَفَرُ الضَّمِيرِ
الضَّمِيرُ الْأَبْكَمُ
أَعْمَى الضَّمِيرُ

وافترشوا القتادا
يَعْرِقُهَا الذَّلُّ
تَذَرِي عَلَى الضَّيْمِ
انْحَنَتِ الرِّقَابُ
يَجُرُّ الْخِصْيَ
يَجُرُّ ذُيُولَ الْخَنَى وَالْغَنَى
المُقِيمِ عَلَى ذُلَّةٍ
عَلَى قَدَمِي غَاصِبِيهِ ارْتَمَى
يَتَهَا فْتُونَ عَلَى مَوَاطِيْ أَرْجُلِ
لَمْ تَنْفَقِيْ خَجَلًا
بِكَفٍّ وَغَدٍ تُلْطَمُ
إِغْتَصَبَ الْبِلَادُ
سَيَاطُ الْبَغْيِ
خِيُولُ الْبَغْيِ
سِمْتُهَا الْخَسْفَ
شَطَّ الْإِجْتِرَامُ
صَرَّحَ الشَّرُّ
انْجَلَى اللَّثَامُ
أَطْلَقَ لِلصَّيْدِ أَظْفَارَهُنَّ، وَأَنْيَابَهُنَّ
سَنَسْتَبِيحُ جُلُودَكُمْ لِلْسَّالْخِينَ
اسْتَبَاحَ الْوَعْدُ
بَحَّ صَوْتُ الْحَقِّ
المِعْطَاشُ لِلدَّمِ
الشاربين دَمَ الشَّبابِ - الشَّارِبِ
يَلْغُ الدِّمَاءُ مَعَ وَحُوشِ نَهَارِهِ

لُقَا حَ الشَّرِّ
ذُنَابَا تَرْتَعِي لَحْمِي
غُصَّةٌ فِي حَلَاقِينَ الشَّوَاهِينِ
وَحْشٌ بِلَحْمِ بَنِي أَبِيهِ يُطَعَّمُ
أَكُولُ لَحْمَهُ
حَشْدُوا عَلَيْهِ الْجُوعَ
يَنْشَبُ نَابُهُ
يُخَفِّفُ عَنْ قُبْحِهَا بِالْكُنَى
وَجَدْنَا الْخُبَائِثَ وَالطَّيِّبَاتِ تُصْطَفَى
بِدَعْوَى الْجَبَانِ بِحَبِّ الْوَعَى
مَطَايَا الْإِثْمِ
وَأَشَاعَ لَحْمِي
حَمَى لُحُومًا
الْمُغْدِقُونَ عَلَى الْبَيَاضِ نَعِيمُهُمْ
وَالْخَالِعُونَ عَلَى "السَّوَادِ" زُرَائِبُ
أُحْتَلَبَتْ لَهَا أَشْطَارُ
جَمَدَتْ عَلَى الْجِلْدِ الْيَبِيسِ ضُرُوعُهَا
بُنَاةٌ قُبُورُهُمْ
مَتَمَرِّينَ يَنْصَبُونَ صُدُورَهُمْ
وَحْشٌ تَنْمَرُ
طَالَتْ أَظَافِرُهُ
تَعَاَفَ عَيْشَتُهَا الْكِلَابُ
شَكَى خُمُولُهُمُ الذَّبَابُ
تُدِّي الْخُمُولُ
كَفَّ الْغَبَا

لزموا جحورهم
طار حلیمهم ذعرا
مبصبصون
عن غیره مسخ
ومن آثامه آثار
يُلوى عصبُ البلاد
تُشتري ذمم الرجال
تُحجز الأفكار
يُظهر الورمُ
يُلجم
يُسخر
طوعَ بنانهم كلب صيد يَبْرُونَ أنيابا له ومخالبا
ذئبُ الحضارة
نُزْهة الحقد
تُسِيلُ أطماع الحياة لُعابَهُ
وتشَبُّ منه سَنامه والغاربا
يخبط في دُجَاها حَاطِبا
يصيد في متكدر
الخابطون حياة الناس
القاتلون عَثانينا مهرأة
يكافئون على الخراب رواتب
يجنبون الكلب وخزة واخر

ولقد وظّف محمد مهدي الجواهري ألوان البيان من مجاز، واستعارة، وكناية، وتشبيه، ليولّد من خلالها معاني جديدة، جعلت معجمه اللّغوي ثريًا، غنيًا، متنوعًا، يعكس قدرته، وتمكّنه على الخلق، وما يمتاز به من امكانات نادرة تساعده على اللّعب بالألفاظ، واختيار المعاني اللائقة بها، وابتكار دلالات جديدة من خلال حسن صياغة تراكيبه، والتحكّم بطريقة عالية في اللّغة، وفنونها، وأسرارها، وخباياها، ورموزها المستعصية.

وجمعت في هذا الفصل مجموعة الألفاظ الدالة على المظاهر الأليمة، والمتعفّنة، التي انتشرت في المجتمع العراقي على غرار ما حدث في باقي الأقطار العربية، على يد الحكّام المستبدّين، أو الاستعمار الغربي بمختلف ألوانه، وأساليبه، لأنّ المصير واحد، والهدف واحد، والمعاناة نفسها، والأسلوب الذي يستعمله العدو وأذياه واحد يتمثّل في الظلم، والاستبداد، والاستغلال، والوحشية والاذلال، والتآمر، والخداع، والاستباحة، والنفاق، والتفرقة، والتآمر.

ولقد وضعت هذه الألفاظ ضمن مجموعة واحدة غير قابلة للتجزئة لأنّ المعاني متداخلة، متشابكة، من الصعب تفريقها، وتقسيمها، ومن هذه الألفاظ التي قمت بإحصائها معتمدة دائماً على معنى السياق، أذكر على سبيل المثال:

الألفاظ الدالة على التّمادي، والاعتداء، والظّلم، والجور، والبغي، والتّعسف، والابتزاز، والحقّد، والغدر، والذلّ، والتدنيس، حيث ورد والوحش يَرِيضُ في الثّنايا منذراً، ويربض

بمعنى يمدّ قوائمه ويقيم⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها بين القوة والشدة، والثنايا هي الطرقات، والموت جَارَ بها وزَارَ، وجَارَ بمعنى رفع صوته⁽²⁾، وزَارَ من زَارَ الأسد⁽³⁾، صيغ مضارعة حروفها شديدة قوّة مدوّية، فيها صدى كبيرا ومبالغة، استعملها الشاعر في إطار الكلام عن المستعمر الذي استقرّ في بلاده، وجثم على صدرها، ورمى بكلّكله، وثقله، واستراح، حيث قال مشبّها إياه بالحيوان على سبيل الاستعارة ليؤدّ دلالة جديدة فقال:

والوحشُ يربضُ في الثنايا منذرا * والموت جَارَ بها وزَارَ (104)

فهو لا يقصد بالوحش الحيوان المفترس ولكّته، يتكلّم على العدو الأجنبي الذي يشبّهه بالوحش إلى حدّ كبير يمتدّ في الطرقات ويعطّل الحركة والحياة، وهو حجر عثرة فهو لا يفهم ولا يعي، يتصرّف بغريزته، وينساق وراء شهواته، يريد الوصول إلى هدفه، ولا يراعي مشاعر الشعب، فلا حدود لامتداده، ولا قوانين تردعه، ولا ضوابط تحكمه، ينشر الرعب والخوف، يستعمل أسلوب البطش والافتراس، ويقضي على كل مظاهر الحياة، ينذر، ويتوعّد، يرهّب، ويرعب، ويتمادى ولا يتزحزح من مكانه، يحكم الشعب بقبضة من حديد، فلا أحد يستطيع أن يتصدّى لهذا الحيوان المفترس الهائج الذي لا يفهم إلا لغة الغاب.

أمّا في ما يخص عبارة الموت جَارَ بها وزَارَ، فلقد جسّد الشاعر الموت وجعله مثل الحيوان الفتاك الجوعان الذي يبحث عن فريسة يملأ بها بطنه ويصرخ بأصوات مدوّية وهذه

¹ - المعجم الوسيط (ربض) // 323.

² - المرجع ذاته (جار) // 103.

³ - المرجع ذاته (زار) // 387.

استعارة كذلك للدلالة على زرع الدمار، والخراب من قبل المستعمر أينما حلّ. وأصبح الشاعر يرى الموت متربّصاً بشعبه في كل أرجاء وطنه، يخيفه مثل الحيوان، يصرخ، ويتوعّد، وينذر، ويزأر، ويقضي على الحياة ويسحقّها، وهدف المستعمر هو البطش وزهق الأرواح والتّرهيب، والتّرعيب، وهي سياسة معروفة للجميع يفرضها العدو لتركيع الشعوب، وإرباك كل المحيط، ومن هنا تسهل عليه السيطرة، والحكم بقبضة من حديد، وهذا الأسلوب الذي طبّقه الاستعمار الانجليزي في المشرق العربي، عانت منه كذلك شعوب شمال إفريقيا وعلى رأسها الجزائر، التي أحكمت فرنسا سيطرتها عليها لمدة تزيد عن قرن، ذاق فيها الشعب الويلات وجسّد ذلك التاريخ.

وقد استعمل الشاعر مستفهما أَعْقَابُ لِبْنَانِ تُدْنَسُ وكره؟ صيغة اسمية مضافة، والعقاب لفظه مؤنث للذكر والأنثى من كواسر الطيور، قويّ المخالب، مسرول، له منقار حاد قصير أعقف⁽¹⁾، ودنّس بمعنى لطّخ حروفه شديدة، صيغة فعلية متعدية، مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، عبّر الجواهري على استباحة لبنان من قبل الأعداء على يد المرتزقة من أبناء الوطن الواحد، الموالين للأعداء، واستعمل الاستعارة ليشبّهم بالعقبان الذين اعتدوا على أوكارهم، وآذوا صغارهم، مثلما يفعل المتآمرون مع الأجنبي الذين دنّسوا الحرمات، واستباحوها، وفتحوا الأبواب على مصراعيها للأعداء ليعيثوا فسادا فقال:

أَعْقَابُ لِبْنَانِ تُدْنَسُ وكره * للأجنبي قواعد، ومطار؟(104)

¹ - المعجم الوسيط (عقب) 613.

وفي معرض كلامه عن المستعمر الذي استباح الأرض، واعتدى على الشعب، وحرماته وداسها، وشاركه في هذه العملية الدنيئة بعض الخونة من أبناء الوطن الذين غرّتهم الظروف، وافتقدوا المبادئ والقيم، وخدعوا بأقوال المستعمر المعسولة، وجعلتهم يتواطئون، ويتآمرون معه ووصفهم بالعقاب، فهؤلاء المتواطئون يعملون على اقتناص الشعب، والعبث بالمحرمات، وسفك الدماء، والقهر، والاستباحة في وضح النهار، فليس هناك وازع يردعهم، باعوا ضميرهم للعدو، وتتصلّوا من مبادئهم، وأصبحوا مطيّة في يد الغير، يوظّفهم للقيام بهذه الأعمال الدنيئة التي لا تليق بالكرماء وبالأبطال، وترفضها كل الأعراف والتقاليد والشرائع، وجعلوا من ديارهم ومنازلهم ومؤسساتهم مطارا للعدو، وملاذا هادئا يصول ويجول فيه مثلما أراد، فالشاعر هنا محتارا في أمره يسأل نفسه كيف استطاع هؤلاء أن يسمحوا لأنفسهم بالهبوط إلى الحضيظ الأسفل بتقرّبهم من العدو، ومدّ يد العون له ربما كانوا يظنّون أنهم خيرا يفعلون، فلقد شاركوا في هذه المهزلة بطريقة غير مباشرة دون وعي أو علم.

وورد سَوُطٌ مَنْ؟ سَوُطٌ كُلُّ عُلْجٍ عُلْفٍ، والسوط ما يضرب به الجلد ، وكل عُلْجٍ صيغة اسمية مضافة وعلج هو حمار الوحش السمين القوي⁽¹⁾، والعليف ما يعلف للسمنة من الدواب ولا يرسل للرعي⁽²⁾، دَنَسَ الْأَصْلَ وَالْمَنَابِتَ عَفْنًا، ودَنَسَ بمعنى لَطَخَ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وباقي الألفاظ معروفة، الأصوات قويّة شديدة فيها عنف، عبّر من خلالها الجواهري عمّا عاناه وقومُه من اعتداء وضرب من طرف عدوّه،

¹- المعجم الوسيط (علج)/621.

²- المرجع ذاته(علف)/622.

ونعته بالعج السمين الذي يتغذى على خيرات الشعب، وحرّم النَّاسَ لقمة العيش وأفرغ خزائهم ولطّخ كلّ ما يجد أمامه، فقال مستعملاً الاستعارة، لأنّ لفظ سَوَط ورد في غير سياقه، وولّد معنا جديداً وهو البطش، والجبروت زاد لغة المعجم ثراء:

سَوَطٌ مَنْ؟ سَوَطٌ كُلِّ عَجٍ عَلِيْفٍ * دَنَسَ الْأَصْلَ وَالْمَنَابِتِ عَفَنَ (173)

فعدوّه مثل حمار الوحش القويّ، الشره، تقوّت بلحم الشعب، ولم يبذل أقصى جهدا للذهاب للمرعى ليتعب ويملاً بطنه وسرق وأكل حتى التّخمة، ونعته بالكسول الذي يرفض العمل ويمدّ يده ليتناول مال غيره، ويبذّره بدون حدود حتى الافلاس ولم يترك شيئاً، إلى جانب هذا يقوم بتسليط شتّى أنواع العذاب على الأمة، والتّكيل بها، والانتقام منها، والشّاعر متدبّر من هذا الوضع ساخط، ثائر، رافض لكل هذه السلوكيات، ناقد على عدوّه، مستفسر عن سرّ تماديه في تدنيس الحمى بأفكاره المريبة التي تعمل على زعزعة المجتمع، وتقسيمه، وانتشار الفتنة، والفوضى، وكل المظاهر التي تعمل على عرقلته.

وجاء ينزلُ عشّه و يدُسّه من داس بمعنى وطأ، صيغتان فعليّتان متعدّية، ألفاظها معروفة، حروفها شديدة، حيث قال يصف ما اقترفه العدو الغاصب في أرض لبنان، ومشبّها إيّاه مرّة أخرى بالعقاب الذي أصبح يعتدي على الفراخ الضعاف، ويحطّم عشّهم، ويتركهم في العراء، ولا يستطيعون التصدّي له، وهنا استعارة، فلفظ يدُسّه ورد في غير سياقه ليعطي دلالة جديدة وهي الاحتقار، والازدراء، والاعتداء، أضفت غناء وتنوّعا على لغة المعجم:

اليوم يُنزلُ عشّه ويدُسّه * لا الرّيشُ يُنجدّه ولا المنقار (105)

فهو لا يقصد العش بالمعنى المتعارف عليه، و لكنه يقصد الكرامة المستباحة، فرمز بالعش لخصوصياته التي وطأها المغتصب، وداسها، واحتقرها، وضرب بها عرض الحائط، والعش هو المأوى والوكر، وهو المكان الذي ينزوي إليه الإنسان، ويجد فيه راحته، ويتصرف فيه كيفما شاء بعيدا عن الأنظار. إلا أن الأجنبي لم يترك شبرا على أرض لبنان إلا داسها، ونجسها، ولطخها، واستولى عليها، وجعلها ملكا له، فلم تعد تهمة الحرمان، ولا الشرف، ولا الخصوصية، فعاث فسادا وعريضة، ولم يلق مقاومة شديدة مثل الفراخ لأنه لم يكن يتوقع كل هذه الشراسة والعنف، ولم يحسب حسابه ليردّ على عدوه.

ووظف وغدا يُلَقِّفه وينتف ريشه، و فيما يُلَقِّفُ أجدل جبار، ويُلَقِّفه بمعنى أخذ الطعام بفمه وابتلعه بسرعة⁽¹⁾، صيغة فعلية مبنية للمجهول والهاء تعود على عُقاب لبنان التي ذكرتها سابقا، حروفها قوية شديدة، فيها حركة كبيرة، وقال الله سبحانه وتعالى: "وَأَلْقِ ما في يمينك تَلَقَّفْ ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى"⁽²⁾، وينتف بمعنى نزع الريش بقوة وينتج عنه الألم والمعاناة، صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها جمعت بين الرخوة والشدّة متعدية، وصف الشاعر ما يقدم عليه الأعداء والمتعاونون معه الذين باعوا كرامتهم، وعرضهم، وامتهنوا الابتزاز والسرقة، وأفرغوا خزينة الأمة إلى حدّ الإفلاس، وشبّههم بالطيور الجارحة التي تسطو على الفراخ الصغار، وتحرمهم قوتهم، وهنا استعارة، لأنّ يُلَقِّفه ورد في غير سياقه للدلالة على قيام

¹- المعجم الوسيط (لقف)/735.

²- سورة طه/69.

بعض أبناء الشعب الخونة بمساعدة الأجنبي الغاصب على التهام حقوق الشعوب، وهضمها بسرعة خارقة للعادة حتى لا ينتبه له أبناء الشعب الكرام، وعملوا على تقويته، ومساعدته على تنفيذ مخطّطه، والتفريط في مصلحة البلاد والعباد، ولكنّ العدو الغاصب لن يهدأ له بال حتى يعيد الكرة مرّة أخرى وينتقم من المتآمرين معه، وينتف ريشهم، وهو لا يقصد الريش بل سيضحيّ بهم ويضعفهم، وينهكهم لأنّ الغدر من طبعه ولن يثق بهم لأنّه يعرف في قرارة نفسه أنّهم تخلوا عن أهلهم، وذويهم من أجله، ولهذا السبب لن يترك لهم المجال حتى يدركوا ويستفيقوا من سباتهم لينالوا منه ويطعنوه في ظهره، فأغلق عليهم المنافذ وأضعفهم ولم يعطهم فرصة ليستقوا ويحلّقوا بأجنتهم عاليا فقال:

وغدا يُلَقِّفه وينتفُ ريشه * فيما يُلَقِّفُ أجدل جبار(105)

رسم الشّاعر صورة رائعة للخطوات التي يقوم بها العدو لإرضاخ الشعوب من نتف للريش أي تعرية المواطن اللبناني، وابتزازه أمام الملأ وبطريقة سريعة جدا دون ترك المجال للشعوب حتى تستردّ حقوقها، فعملوا على سرقتها والاعتداء على حرّماتها، وإيذائها بكلّ وقاحة، ويَنَمّ هذا عن روح الوحشية والحدّ الكبير، وللدّلالة كذلك على برمجة العدو لتصرّفاتة وللخطوات التي سيتّبعها للإذلال، وكأنّ الجواهري يحذّر هنا من هذه الأساليب التي تخفي الكثير من المكر والخبث، ومن المؤامرة المحاكاة ضدّ وطنه، فهم مثل الطيور الجارحة التي تعتدي على الأوكار، وتنتف ريش الفراخ الصغار الذين لا يستطيعون ردّها، والدفاع عن

أنفسهم، وبعد ذلك تأتي عليهم وتتخلص منهم، وهذه الصورة التي رسمها الجواهري عبارة عن مسرحية حقيقية واقعية تعرضت لها الشعوب العربية على يد المستعمر الغربي.

أما فيما يُلقَف أجدل جبار، والأجدل بمعنى قوّي شديد⁽¹⁾، فهي كذلك صيغة فعلية مبنية للمجهول وصف من خلالها الجواهري درجة تواطؤ أبناء الوطن مع أعداء الأمة، واستعمل يُلقَف التي وردت في غير موضعها لتعطي معنى تسهيل مهمة الابتزاز والسرقة التي كان يقوم بها أبناء الدّار حيث عملوا على فسح المجال للعدو، وساعدوه وشجّعوه على إتمام مهمّته الحقيرة بسرعة البرق حتّى لا يثير الانتباه، ولا يصبح عرضة لأصحاب الضمان الشرفاء من المواطنين، لأنّ أعداءهم يعرفون عملهم جيّدا فهم جابرة ظالمين لا يحتاجون إلى معونة أحد، والشّاعر لا يعجبه هذا التصرف الجبان، ويرفضه، ويثور عليه.

أما الحكم يشمخ كاذبا، صيغة اسمية وهناك تناقض بين الشموخ، والكذب، والشموخ هو العلو، والسمو، والارتفاع، قال محمد مهدي الجواهري يصف حكم الاستعمار في البلاد العربية الذي بني على الغش، والظلم، والجبروت، والكذب، واستعمل المجاز لأنّ لفظ يشمخ جاء في غير موضعه جسّد من خلاله حكم الأعداء الظالم الذي يحمل بين طيّاته الكذب، والغش، والزور، والعار:

ورأيت كيف الحكم يشمخ كاذبا * في حين يملأ رَفْتِيهِ العارُ (99)

¹ - المعجم الوسيط (جلد) / 110.

ولقد جمع الشاعر هنا بين يشمخ وكاذبا، وعادة الشموخ شيء جميل إلا أنه يحمل في طياته ازدراء الآخرين، والكذب، والنفاق، والتعالي على الشعوب، والاستبداد، والجبروت، نشتم منه رائحة الخداع والعار، لأن هذا الشموخ جاء في غير موضعه، وبني على أسس غير سليمة، سينهار لا محال، لأنه لا ركيزة صلبة يعتمد عليها، ولا أسس ينطلق منها، جاء لتركيع الشعوب وقهرها، فهو حكم غير مرغوب فيه، تحاربه كل الأعراف والتقاليد، والقيم، أسسه مليئة بالخداع، والخبث، يتباهى به أصحابه، ولكنه لن يستمر طويلا، ولن يدوم إلى الأبد لأنه هش.

وجاء كذلك في نفس البيت يملأ رفته العار، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر ألفاظها معروفة، ورَفَّتِيهِ من رَفَّة وهي خشب يوضع جنب الجدار توضع عليه الأواني وغيرها⁽¹⁾، والاستعمال مجازي لأن لفظ يملأ جاء في غير مكانه وأعطى دلالة جديدة وهي هشاشة حكم الأعداء، هذا الحكم الذي بني على قاعدة هشة، وعلى أنقاض الشعوب المكلومة المستباحة، لا تحكمه قوانين ولا مبادئ بل تقوده أساليب الذلّ والقهر، والاستصغار، والقتل، والابتزاز، وكل الصفات السيئة التي امتاز بها، حيث حوت طيات حكمه الغش والخداع، ولهذا السبب سيندثر ويهوي كقصور الرمال ليحلّ محله الحق والصدق، ولا ينال العدو إلا الازدراء واللّعة على ما اقترفه.

¹ - المعجم الوسيط(رفه)/361.

وجاء حكم كالدجى و عريان صاف، صيغتان اسميتان، والدجى هو الظلام الحال ك معروف، والحروف بين القوة والضعف، استعملها الشاعر ليصف الحكم الذي يفرضه المستعمر في أرض العراق، إذ بُنيت أسسه على الظلم، والجبروت، والعنف، ومورست فيه أشد أنواع القمع والاذلال والازدراء، قال موظفا الكناية، ليعبر عن تمادي الأعداء في القمع والقهر والاعتداء:

وحكم كالدجى عريان صاف * فلم ينكر، إذا انتسب، السوادا(260)

ولقد نعت الشاعر حكم الأجنبي بالظلام القاتم، الدامس، الذي يُخفي وراءه شتى أنواع الظلم، والعدوان، إلا أنه بالنسبة للشاعر عريان، صاف، مارسه على مسمع ومرأى من العالم فيه قهر، وقسوة، وجبروت، وجعل الشعوب تعيش في سواد، وفي ظلم قاهر، وفرض عليها ستارا قاتما، ومنع نور الحقيقة من الظهور، وسد كل المنافذ، وحكم بقبضة حديدية، ولجم الأفواه، وصادر الأفكار، ونشر الجهل، وسادت الفوضى، وارتدى المجتمع حلّة سوداء عبر من خلالها على التشاؤم والقنوط ممّا يحدث.

وورد انتسب السوادا، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، حروفها شديدة ألفاظها معروفة، جسد حكم العدو واستعمل المجاز لأنّ انتسب جاء في غير محلّه للدلالة على تلك القرابة والصلة القوية التي نشأت بين اللون الأسود القاتم، وحكم المستعمر الغاصب، وكأنّه ولد من رحمه، فهذه الصلة المبنية على الظلم، والاستعباد، والقهر، اشتركت معه في مظهر السواد، وانتشرت، واستشرت، واتسعت رقعتها في أرجاء

العراق، حيث انعدمت الرؤيا، وتعقّدت الأمور، وساد التشاؤم، وهيمن الظلام الحالك، وعمل هذا المعنى الجديد على إثراء معجم محمد مهدي الجواهري.

واستعمل الجورُ، صلبُ كيائها، صيغة اسمية واسمية مضافة، نقول هذا من صلبه بمعنى من ذريته وفي التنزيل العزيز: "وحلائل أبنائهم الذين من أصلابكم"⁽¹⁾، أصواتها في معظمها بين الضعف والشدة، والجور هو الظلم والتماذي فيه وباقي الألفاظ معروفة، قال الشاعر يصف الحكم الذي يطبقه العدو على الشعب العراقي، موظفا الكناية ليلخص تماذي العدو في تطبيق الظلم، والجور الذي ولد من رحمه:

الجورُ صلبُ كيائها، ونظامُها * الإقطاع، والإذلال، والإفقار(111)

وللدلالة على الحكم القاسي الذي فرضه العدو على الشعب، حيث أقام كيانه وهياكله ونظامه على أسس الاستعباد، والافتقار، والاذلال، والابتزاز، فالبناء الذي تكون قواعده مستقاة من الظلم، والجور، والجبروت، سيكون مصيره الزوال، والخراب.

واستعمل ولمستُ كرسياً يرُجُ، صيغة فعلية، والرُّج هو الزعزعة، والزعزعة حركة قوّة مزلزلة، حيث قال الشاعر يصف حكم العدو مستعملا أصواتا قوّة، ويقصد بالكرسي حكم العدو الزائف، جسده وجعله يهتزّ وهذا مجاز، وهو كناية على هشاشة النظام وضعفه، أضاف دلالة جديدة للغة المعجم:

ولمستُ كرسياً يرُجُ كأنّه * نعش يُدَقُّ بجنبه مسمارُ(99)

¹ - سورة النساء/23.

وللدلالة على الحكم الذي أقامه العدو الأجنبي والمتآمرون معه في أرض لبنان، فهو حكم هَشَّ تهزّه الأحداث بسرعة، فكَلَّمَا أَحَسَّ بحركة أو دَقَّ أو ضَجَّة ارتجَّ، وتزعزع ولم يتماسك وارتبك لأنّه حكم ضعيف يعاني من اللااستقرار، لا أساس متين يرتكز عليه، ولا قاعدة ينطلق منها، ستعصف به الرِّياح بين عشية وضحاها، وسيزول إلى الأبد، فهو مثل النّعش لا روح فيه، لأنّ هدفه هو القضاء على الحياة ودفن الشعوب، ولهذا السبب سينهار ويتزعزع ولن يدوم طويلا.

وجاءت عَصَفْتُ بها الشّهوات والأسباط والأصهارُ، صيغة فعلية مرتبطة بتاء التانيث والعصف معروف من عصف الرِّياح بمعنى اشتدّت، الحروف شديدة اهتزازية، والشّهوات هي النّزوات، والأسباط جمع سبط ولد الابن أو الابنة، والسبط من اليهود كالقبيلة عند العرب⁽¹⁾، وفي التّنزيل العزيز: "وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما"⁽²⁾، واستعمل الشّاعر لفظ عَصَفْتُ مجازا، وجعل الشّهوات والنّزوات تدمّر وتجرف مثل الرِّياح العاصفة الشديدة التي لا تبقى شيئا في طريقها وهنا استعارة أضافت معنا جديدا للمعجم فقال:

خويت خزائنّها لما عصفْتُ بها * الشّهوات، والأسباط والأصهارُ (114)

وللدلالة على إفراغ خزينة الدولة، والاستيلاء على أموال الشعب من طرف العدو الأجنبي، وأذياله، وأصداؤه، والمتآمرون معه اللصوص، لأنّ الشّهوات عادة لا تعصف ولكن الرِّياح هي التي تعصف، وتدمّر، وتخرّب، وتترك في بعض الأحيان خسائر كبيرة،

¹ - المعجم الوسيط (سبط)/413.

² - سورة الأعراف/160.

واللدّالة كذلك على الانسياق وراء العواطف الجامحة، والجشع المفرط والطّمع وهو من طبع الأعداء إذ تغلب على أصحاب النفوذ، وجعلهم لا يستطيعون أن يتحكّموا في غرائزهم الحيوانية، لأنّهم عديمي الأخلاق والمبادئ، هدفهم الوحيد هو ابتزاز الشعب، وتكوين ثروة حتى الثمالة، ولا يهتمّهم تجويع الناس وحرمانهم من أدنى المتطلبات، ولقد عملوا على توزيع ثروات الأمّة وخيراتها على أبنائهم وأصدقائهم وذويهم دون تحقّظ ولا حياء يدفعهم الطّمع والجشع والنهم الذي تحكّم فيهم وأصبحوا رهن إشارته وجرفهم إلى أدنى مستوى وإلى الحضيظ الأسفل لأنّهم ضعاف النفوس.

ووظّف الجواهري وتعرّت أغصانها غير بّقيا، و ورقّ عُدّ بالأصابع عدا، وتعرّت صيغة فعلية أصواتها قويّة شديدة والمعنى معروف وباقي الألفاظ مألوفة، وعُدّ صيغة فعلية مبنية للمجهول معناها معروف أصواتها قويّة، استعمل الشّاعر المجاز في لفظي تعرّت وعُدّ ليعطي معنى مبالغة العدو الأجنبي في إفراغ خزينة الشعب وإفقاره وحرمانه من قوت عيشه فقال:

وتعرّت أغصانها غير بّقيا * ورقّ عُدّ بالأصابع عدا(83)

ومهدي الجواهري لا يقصد أغصان الأشجار التي تعرّت من الورق، ولكنّه يوحي بشيء آخر وبفكرة جديدة وهي خزينة لبنان التي أفرغها العدو ولم يترك بها شيئا، حيث استولى على ثرواته، وابتزّ، وسرق، وبالغ، وجعل كل شيء خاويا، عاريا، مثل الشّجر الذي تساقطت منه الأوراق نتيجة الرّيح القويّة. ويبدو من خلال هذا البيت مدى تأثر الشّاعر

بالطبيعة العراقية التي مازالت راسخة في مخيلته أينما حلّ، سواء في أوروبا أو في لبنان، فهو يتذكّر أرض العراق وسفوحها، وأشجارها، وفصولها، فهذه الرّوح الرّومانية تطبع الكثير من قصائده، وتثري تراكيبه اللغوية، وتساعد القارئ على الوصول إلى معاني جديدة، عميقة، ولم يبق الاستعمار للشعب إلّا الفتات الذي لا يغني من جوع، ولا يسدّ الرّمق، بل سيعمل على إضعاف الشعوب وإنهاك قواهم إذا لم يتقنوا في الوقت المناسب لخطّة الأعداء الجهنمية، فسوف يعمل على التغلب عليه، وسلب كلّ خيراته، وتعرّيته كما تعرّي الرّياح الشديدة الأشجار في فصل الشتاء.

وجاءت موتى الضّمائِر، صيغة اسمية مضافة والموت نقيض الحياة، والحياة هي الاستمرار، قال الشّاعر يصف أولئك المنافقين الذين يتآمرون على الشعب ولا يظهرون على حقّقتهم، ولا يكشفون عن نواياهم السيّئة التي يشوبها الغش والزور فلقد فقدوا الكرامة والضمير، واستعمل الكناية ليعبّر عن انعدام الضمير والوازع الأخلاقي عند أولئك الذين فوّضوا أنفسهم علماء الأُمّة، ورجال دين وعلم وهم بعيدون كل البعد على هذا المجال.

موتى الضّمائِر تُعطي الموت دمعَتها * وتستعين على حيّ بسكين (41)

وللدّلالة على انعدام الأخلاق، والتّربية، والوعي، والمسؤولية والكفاءة عند البعض الذين تزعموا العلم والمعرفة، والقدرة على الخلق والابداع، وهم يمتلّون الرداءة بحذافيرهما لأنّ لا ضمائِر تردّعهم وتوضّح لهم طريق الخير والنور، ماتت عندهم القيم والمبادئ، وأصبحوا مطيّة للعدو يوظّفهم ويستخدمهم مثل العبيد، لأنّهم فقدوا حرّيتهم وشرعيّتهم، وأصبحوا مثل

الآلة المبرمجة همّهم الوحيد إيذاء الشعب وزرع الموت، وطعن الأكفاء وقتلهم، فهم لا يستطيعون المواجهة لأنّهم جبناء، لا يحكمهم ضمير، ماتت عندهم القيم، وداسوا على كل المعايير، ولم يعد يهّمهم شيئاً إلا الانصياع لأوامر العدو، والركوع أمامه إذا رأوا جنازة عالم مقتدر يحيونه حزناً ونفاقاً، ويذرفون دموع التماسيح، ويعملون في المقابل على إيذاء الجواهري وأمثاله ويطعنونهم بدون تردد.

وجاء أَعْمَى الضمير يَعْدُ الأدب، صيغة اسمية مضافة وفعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، الأصوات في معظمها ضعيفة، عبّر من خلالها الشاعر عن امتعاضه من حكام العراق الذين لا يقدرّون الأدباء، ولا يحترمونهم، ولا يعرفون مكانتهم، واستعمل الكناية ليصف عدم تكرّاث حكام العراق بما يلقاه العلماء والأدباء من عراقيل وآلام، وإجحاف في حقهم، وهذه دلالة جديدة دخلت إلى معجم الجواهري وزادت لغته إثراء وتنوعاً وابتداعاً فقال:

وأَعْمَى ضمير يَعْدُ الأدب * صفراً..إذا الصَفَرُ منه عدد(150)

وأَعْمَى الضمير بمعنى الإنسان الذي لا ضمير له وكأنّه فقد الرؤية والبصر فلا عقل يحكمه، ولا منطق يتبعه، ولا وازعا أخلاقياً يردعه، يتصرّف كما يحلو له بكلّ حرّية، فهو متهور يُلقى أحكامه على الآخرين، ويجعل المبدعين عبارة عن صفر، ويقصد الجواهري هنا أصحاب البلاط الذين تخلّوا عنه وطردوه، وأزاحوه من مكانه واحتقروه، فحرّ في نفسه هذا السلوك وهو صاحب الإحساس المرهف، والنظرة التشاؤمية الحزينة، ولفظ أَعْمَى استعمله في

غير محلّه متأثراً بما جاء في القرآن الكريم، قال الله سبحانه وتعالى: "فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي هي في الصدور"⁽¹⁾، فصاحب الضمير الأعمى لا يرى نور الحقيقة ولا يتقبلها، بل يعيش في خيال يتحايل على نفسه التي عادة ما تأمره بالسوء، ويتجنب الحوار والنقاش، ويبتعد كل البعد عن الواقع المعاش، ولقد عانى مهدي الجواهري من ظاهرة الاستصغار والاحتقار التي أثّرت فيه وظهر هذا في معظم قصائده.

وجاء غَاضَ الضَّمِيرُ بِهَا، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المذكر الغائب، نقول غاض الماء في الأرض بمعنى نزل وغاب في الأرض⁽²⁾، حروفه قوّة، استعمل المجاز ليعبر عن يأسه من أمّته التي تغطّ في نوم عميق ولا تدرك خطورة الأمر، وتعتّده فقال من منفاه المفروض عليه في يوغسلافيا بأوربا:

لهفى على أمة غاض الضمير بها * من مدّعي العلم والأدب والدين (41)

يتحصّر الشاعر هنا على الوضع المتدنّي الذي آل إليه مجتمعه، حيث انتشر الجهل، وساد الظلام، واختلطت الأمور، وانقلبت المعايير والموازن، ومات الضمير، ولم يعد أحد يهتم بما يحدث من منكر، وكل هذا يحزّ في نفسه، ويُدْمي قلبه نتيجة لهذه الفوضى التي استشرت في أرض العراق، كيف لا وهو رجل علم وأدب ودين، إذ تلقّى على يد أبيه بالنجف مبادئ الشريعة الإسلامية السّمحاء التي أثّرت فيه وفي شعره وزادته خلقاً وقدرة وإبداعاً.

¹ - سورة الحج/46.

² - المعجم الوسيط (غاض)/668.

وتدلّ هذه العبارة كذلك على اختلال الموازين فحلّت الأنانية مكان المسؤولية، واشتدّ الخصام بين دعاة العلم والأدب، ورجال الدّين الذين أصبح أغلبهم يعملون لمصلحة العدو، ويصدرون الفتاوى الخاطئة ويوظّفون الدّين والشرعية السّمحاء لمصلحة الساسة وبهذا يكونون قد نسوا مهمّتهم المقدّسة، ودورهم في المجتمع وهو نشر العلم، وصقل العقول، ومحاربة الظواهر السلبية والانحرافات التي انتشرت بسرعة كبيرة، ولم تقتصر هذه الظاهرة على المجتمع العراقي وحده بل شوهت كذلك في العديد من الأقطار العربية حيث ألهمت الشّعراء والمبدعين وجعلتهم يرفضون هذه الحقيقة ويوظّفون أقلامهم لمحاربتها، لأنّ مثل هذه الظواهر ساعدت على تعفن المجتمع، وانتشار الفساد، والانحطاط، والخراب، والفوضى.

وورد **إِرْتَمَى الضَّمِير**، ورمى الشيء قذفه، صيغة فعلية حروفها رخوة في معظمها، عبّر من خلالها الجواهري على المستوى المنحط الذي وصل إليه البعض حيث قال في تأبينه لعبد الحميد كرامي بلبنان⁽¹⁾ مستعملا المجاز للدلالة على التخلّي من قبل البعض على المروءة والشهامة والعزّة والكرامة والإيلاء والشّموخ:

حُوشِيَتْ مَا قِيَمَ الرِّجَالُ إِذَا إِرْتَمَى * مِنْهَا الضَّمِيرُ وَصَوَّحَ الْإِثَارُ (101)

للدلالة فقدان الرجال لقيّمهم لأنّ الضمير لا يرتمي، ولا يسقط فهو شيء غير ملموس قصد به الجواهري هؤلاء الذين تخلوا عن ضميرهم، ورموه بعرض الحائط، وتلاعبوا به مثلما يلعب الطفل بالكرة أو باللّعبة ويعبث بها، فانحطّت مكانتهم، وتخلوا عن عزّتهم وكرامتهم،

¹ - وهذه القصيدة أخرجوه بسببها من لبنان، قبل ما يقرب من سبع عشرة سنة، ديوان الجواهري/95.

وفقدوا كل شيء، وأصبح النَّاس يسخرون منهم ويقلّلون من احترامهم، فهم نقطة ضعف المجتمع، يجسّدون العار مقارنة بأحمد كرامي هذا الرجل العزيز الكريم المخلص الأبّي، الذي خدم لبنان بصدق وبتفاني، وفي نفس المقام تعرّض الشّاعر مفدي زكريا للنواب الجزائريين وذوي المناصب والموظّفين إبّان الاستعمار الفرنسي فوسّعهم نقداً، وتقريعاً، ولأمهم عن تقاعسهم على خدمة الوطن، فهذه المجالس التي ينتمون إليها عبارة عن أصنام تحرّكها يد المستعمر وليس في القيادة إلاّ أبقار معمّمة حيث قال:

و في المجالس أصنام تحرّكها * يد المعمر تحميها التقاليد

رموا بها الشعب كالبهتان تحسبها * شهادة الزور ترويه المناكيد

و في القيادة أبقار معمّمة * للعار تدفعها غريبتها السود

وفي الوظائف أخشاب مسنّدة * لا يستجيبون للحسنى إذا نودوا⁽¹⁾

وجاء صحافة صفر الضّمير، صيغة اسمية مضافة، حروفها فيها صفير وهي شديدة في معظمها، والصفر عدد معروف، قال الشّاعر يصف الصحافيين الذين لا ضمير لهم يمدحون أسيادهم، ويستعملون الكلام المعسول لإرضائهم، والتّغطية على أفعالهم، والدّوس على كل القيم والأعراف لخدمة الغير مستعملاً الكناية ليعبر عن درجة الذلّ والانحطاط التي

¹ - مفدي زكريا، اللهب المقدس/ 266-267.

وصل إليها هؤلاء وهي مثل الصفر، إلا أنَّ الصفر عدد، وهذه دلالة جديدة أغنت لغة الشاعر :

وصحافة صفر الضمير كأنها * سلعٌ تُباع، وتُشتري، وتُعار(102)

فصحافتهم لا تساوي شيئاً، ولا روح فيها ولا ضمير، فهي كالسلعة الرخيصة لا قيمة لها ولا موقف، ولا دور تؤدّيه في المجتمع، فأصحابها باعوا كرامتهم وأصبحوا أذياناً لغيرهم، يجاملون العدو، ويسايرونه، وينافقونه، ويعبّدون له الطريق، ويعينونه في الاعتداء على الآخرين والتّماذي، فهم يشتركون في الجريمة ولا يحاربونها، فلي الصحافة وزن كبير في المجتمع، وقيمة معتبرة تلعبها، وتعمل كذلك على تغيير بعض السلوكات غير المستساغة في المجتمع، وخاصة إذا كانت ملتزمة بقضايا الوطن والأمة، إذ تساعد في نشر الوعي والحماس وتنوير العقول، وفتح المجال أمام الشعوب، لتثور وتغيّر الواقع المرّ، وللصحافة سلطة سياسية واجتماعية تلعبها، وتستطيع كذلك أن تطيح بالبعض وترفع شأن البعض، وتغيّر مجرى الأحداث.

أمّا بعض الصحف فلا قيمة لها عندما لا تكون حرة تسعى إلى خدمة الحاكم، والدّفاع عنه، والتستّر على عيوبه، وغض النظر على أفعاله ومدحه والإعلاء من مكانته، وتقديسه. والإنسان صفر الضمير بمعنى لا ضمير له، ولا حافز يؤثّر فيه ولا عزيمة تدفعه لتغيير وضعه، فهو عالة على المجتمع فوجوده في حدّ ذاته يشكل خطراً، لا رأي له ولا

موقف يُبدية ليغير مجرى الأحداث، فهو كالشبح ومثل الطفيليات المضرة التي تتغذى على الأعشاب المجاورة.

أما يصيح في الليل الضمير الأبكم، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها قوية معبرة، وصيغة اسمية مضافة، نلاحظ على هذه العبارة تضادا في بعض الألفاظ مثل: يصيح بمعنى يصرخ، والأبكم هو الأخرس الذي لا ينطق، وباقي الألفاظ معروفة، قال الشاعر في قصيدة بعنوان "كرستان" أو "يا موطن الأبطال"، متخذا موقفا معاديا من المناصرين للحكومة العراقية ضد الأبطال الأكراد مستعملا المجاز لأن يصيح والأبكم وردا في غير موضعهما ليذلا على المتآمرين مع الأعداء الذين يعبرون خلسة عن آرائهم خوفا ورعبا من السيد وهذه دلالة جديدة ذكرها الجواهري:

تعشى البصائر منهم راد⁽¹⁾ الضحى * ويصيح في الليل الضمير الأبكم(17)

يصف هؤلاء الخونة الذين لا يقولون الحق، ولا ينطقون به في وضح النهار وفي وقت الضحى وأمام العالم، ولا يساندون الأكراد الذين يناضلون من أجل إثبات النفس، وتقدير المصير، فقضيتهم عادلة إلا أن هؤلاء المتآمرين قد عمت قلوبهم قبل أبصارهم، وسدت أفواههم وكُمت عن قول الحق، لأنهم خائفون من أسيادهم، فقدوا الشجاعة والمروءة، يخفون عن الأنظار ويرفضون المواجهة، ويخضعون للسيد، ولكنهم يعرفون أن هذه القضية

¹ - راد بمعنى انبسطت شمسهُ وطلع نهاره- المعجم الوسيط (راد)/319.

عادلة، وعندما يستفيق ضميرهم ويعذبهم ويؤنبهم يصيحون بالحق ويقولون صدقا عندما ينزرون ويكونون بعيدين على عين المراقبة، لأن الحق يعلى ولا يعلى عليه.

وورد تَذَرَى عَلَى الضَّيْمِ ذُرُو الهَشِيمِ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر، وذرو مفعول مطلق من ذرى الشيء نثره في الهواء⁽¹⁾، وفي التَّنْزِيل العزيز: "فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ"⁽²⁾، الأصوات هنا تتراوح بين القوة والرخاوة والضَّيْم بمعنى الظلم⁽³⁾، والهشيم بمعنى المتكسر، أما يَعْرِقُهَا الذُّلُّ عَرَقَ اللَّحَا، ويعرقها صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وعرق العظم عرقا بمعنى أكل ما عليه من لحم ونهشه بأسنانه⁽⁴⁾ ويؤخذ كذلك معنى يذبلها وينهكها ويقضي عليها، وعرق اللحَا صيغة اسمية مضافة، واللَّحَا بمعنى قشر جذع الشجرة⁽⁵⁾ قال الجاهري يستكر ما قام به حكام العراق من تفريق الشعب وامتصاص دمائه، وابتزاز خيراته وموارد رزقه، وإضعاف قوته وإنهاكه حتى لا يقوى على الوقوف في وجههم، وهذه كناية أضاف من خلالها دلالة جديدة لمعجمه اللغوي:

تَذَرَى عَلَى الضَّيْمِ ذُرُو الهَشِيمِ * وَيَعْرِقُهَا الذُّلُّ عَرَقَ اللَّحَا (239)

للدلالة على الدور السلبي الذي لعبه حكام العراق والمتآمرون معهم، حيث شتتوا صفوف الشعب، وطبقوا عليه سياسة فرق تسد، وأباحوا الظلم والجبروت، ونشروا العداوة

1- المرجع نفسه (ذرى)/310.

2- سورة الكهف/45.

3- المعجم الوسيط (ضام)/548.

4- المعجم الوسيط (عرق)/596.

5- ديوان الجاهري/239.

والضعيفة، فأصبح مصير الناس كالهشيم والرماد الذي يتناثر في الهواء، بمعنى أنهم قضوا على وحدة الصف، وتمكّنوا من نشر الشقاق والفرق بين الإخوة الذين تربطهم وحدة الدين والمصير والوطن والتاريخ، إلى جانب ذلك قاموا بإضعافه وإنهاك قوّته وسرقة خيراته، فأصبح هزيلا منهارا لا يقوى على ردّ الظلم ومحاربة التعجرف، وأتوا على كلّ شيء ولم يتركوا له حتى القشور مثلما تفعل بعض الحشرات بالأشجار عندما تدبّ فيها وتضعفها وتتهكها وتأتي حتى على قشورها، حيث عمل هؤلاء الأعداء على نهش اللحم، وكسر العظام، والقضاء على الإرادة وإذلال الناس واستعبادهم وهضم حقوقهم، وابتزازهم وامتصاص دماءهم، والتمادي وتجاوز الحد، وبالغوا كذلك في تعرية الشعب من كلّ ما يملك ولم يتركوا سوى الفتات الذي لا يغني من جوع، فأصبح الشعب بائسا، هزيلا، ضعيفا، منهكا لأنهم طبّقوا عليه سياسة القهر، وحكموه حكما استبداديا، وركّعوه، وتركوه شبه ميت لا يقوى على فعل شيء، وهذا ما قام به العدو الغربي في باقي أرجاء العالم العربي وخاصة في الجزائر، أين قامت فرنسا بتطبيق سياسة الاستباحة، والتعدي، والحرمان لتقضي على الشعب وتروّعه، وفي هذا المقال وصف الشّاعر مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية همجية العدو وفضاعته فقال:

يا للفضاعة من وحوشٍ جُوعٍ * تَسْمُو على أخلاقها الأنعام!

وضعت فرنسا في النذالة بدعةً * لم تروها الأعصار وهي ظلام

يا لعنة الأجيال أنت شهادة * أن التمدن للشروع لثام⁽¹⁾

وجسد الجواهري الدّل وصور لنا كيف يستطيع أن يقضي على الإنسان، ويأتي على قواه ويلتهمه مثل الوحش الضاري، ويصبح فريسة سهلة في يد أعدائه، لأنّ الإنسان عندما تخور قواه، وينال منه عدوه ويتصرّف فيه كيفما يحلو له ينهار ولا يستطيع بعد ذلك الدفاع على نفسه ولا على وطنه، وعادة الدّل لا يعرق ولكن المعاناة من الدّل، والشعور بالاستصغار، والاحتقار، والظلم، ترهق الإنسان، وتضعفه وبالتالي لا يقوى على الردّ، ويسعى في بعض الأحيان للقبول بهذا المصير المنحط والاستسلام، والركوع.

واستعمل إنحنت الرقاب، صيغة فعلية حروفها ضعيفة في معظمها متصلة بتاء التانيث، والانحناء لله سبحانه وتعالى، إلّا أن مهدي الجواهري لا يقصد الخضوع لله ولكنه يقصد الخضوع للآخر أي العدو، فقال مستعملا الكناية ليصف مستوى الدّل، والخضوع للعدو والانبطاح أمامه:

لم يعرفوا لون السماء * لفرط ما انحنت الرقابا(59)

وللدلالة على الوقوف إجلالا، وإذلالا، وخضوعا، واستكانا، أمام العدو، ولقد تدمر الجواهري مما يحدث في وطنه العزيز الكريم الأبّي من وقوف البعض وقفة دّل، وضعف، واحتقار، فليس لديهم الحقّ حتّى في النظرة إلى السماء والتّعرف على لونه، بل تراهم مستسلمين، متقبّلين الوضع، راضين، فرحين، طائعين مبدّين له كل الولاء والوفاء والطاعة،

¹ - مفدي زكريا، اللهب المقدّس/46.

ويقصد الشاعر كذلك الحالة المزرية التي أصبح يعاني منها الشعب العراقي الأبّي، فهو مثل الآلة المبرمجة حسب إرادة السيّد ووفقا لما يريد، يستعملها لمصلحته عندما يضغط على الزّر، لأنّ العدو الأجنبي تمكّن من التّغلغل في العقول، وسيطر على النفوس الضعيفة واستغلّها لمصلحته.

أَمَّا تُسْمَنُ مِنْهَا عِجَافٌ مِشْتٌ، وَ إِلَى الْأَجْنَبِيِّ يَجْرُ الْخِصْيُ، وَ تُسْمَنُ صِيغَةً فَعْلِيَّةً
معناها مألوف وعِجَافٌ من أعجف بمعنى هزيل⁽¹⁾، وفي التّنزيل العزيز: " يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ
عِجَافٌ"⁽²⁾، وَيَجْرُ صِيغَةً فَعْلِيَّةً مُتَعَدِّيَّةً، وَالْجَرُّ هُوَ الْجَذْبُ وَالسَّحْبُ مَعْرُوفٌ مَأْلُوفٌ، حُرُوفُهَا
قَوِيَّةٌ شَدِيدَةٌ، اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ الْجُزْءَ لِيَقْصِدَ الْكُلَّ، وَعَبَّرَ عَنِ التَّخَاذُلِ، وَالضَّعْفِ، وَالْخَوْفِ
الَّذِي يَبْدِيهِ الْبَعْضُ أَمَامَ الْأَعْدَاءِ، حَيْثُ انْعَدَمَ الْكِبَرِيَاءُ، وَالرَّجُولَةُ، وَعَزَّةُ النَّفْسِ، وَوَصَفَ هَؤُلَاءِ
الْمُتَخَاذِلِينَ بِالْعِجَافِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ عَلَى مَلءِ بَطُونِهِمْ، وَيَنْهَشُونَ لَحْمَ الشَّعْبِ، وَهَذِهِ كُنَايَةٌ
زَادَتْ دَلَالََةً جَدِيدَةً لِللُّغَةِ الشَّاعِرِ، وَعَمِلَتْ عَلَى اغْنَائِهَا، وَإِثْرَاءِهَا، وَتَنَوَّعِهَا، وَأَثْبَتَ مِنْ خِلَالِهَا
مُحَمَّدَ الْجَوَاهِرِيَّ عِبْقَرِيَّتَهُ الْفَدَّةَ، وَالْفَرِيدَةَ مِنْ نَوْعِهَا فِي مِيقَانِ الْإِبْدَاعِ فَقَالَ:

وَتُسْمَنُ مِنْهَا عِجَافٌ مِشْتٌ * إِلَى الْأَجْنَبِيِّ تَجْرُ الْخِصْيُ (240)

وَاللَّذَلَالَةُ عَلَى حَكَامِ الْعِرَاقِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ بِالْعِجَافِ، الضَّعَافِ، الْمُنْهَكِينَ، الْمُدْمَرِينَ،
الْمُحْتَقِرِينَ الَّذِينَ يَتَوَدَّدُونَ لِلسَّيِّدِ، وَيَرْكَعُونَ أَمَامَهُ، وَيَمْتَصُّونَ دِمَاءَ الشَّعْبِ، وَيَأْتُونَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ، الْمَهْمَمَّ عِنْدَهُمْ هُوَ إِشْبَاعُ رَغْبَاتِهِمْ عَلَى حَسَابِ الْآخَرِينَ، فَهُمْ يَسْعُونَ إِلَى تَكْوِينِ ثَرْوَةٍ

¹ - المعجم الوسيط (عجف) / 585.

² - سورة يوسف / 43.

ولا يهتمّهم المصدر، هدفهم الوحيد هو خدمة مصلحتهم على حساب كرامتهم، وشرفهم الذي فقدوه، وتاجروا به في السوق السوداء، وباعوه بأبخس الأثمان إلى جانب رجولتهم التي منحوها هدية للعدو، وأصبحت لا تعنيهم، فهم لا يملكون منها إلا الاسم والصفة، وتحولوا بذلك إلى أشباح لا يمتّون للجنس البشري بصلة لا من قريب ولا من بعيد، فلقد تخلّوا حتى عن هذه الطبيعة الذكورية التي ترمز للرجولة، والعزة، والإيباء، والشرف، والقوة، لإرضاء الأجنبي وتلبية رغباته، فهم أقل درجة من الرجال وأدنى من العبيد، فأصبحوا مثل الشواذ الذين لا يعرفون أي الطرق أصلح لأنهم دخلوا في متاهات ليس لها نهاية همّهم الوحيد هو ملء البطون، وتكوين الثروات.

وورد **يَجْرُ ذِيُولُ الْخَنِى وَالْغَنِى**، صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والخنى هو الفحش⁽¹⁾، غلبت القوة على أصواتها، معاني الألفاظ معروفة مألوفة وصف من خلالها الشاعر أذيال العدو التّابعين له الذين انعدمت عندهم الرجولة، والمروءة، وخضعوا لأهوائهم، وألصق بهم صفة الخنى، واستعمل المجاز في يَجْرُ الذي ورد في غير محله ليخرج بدلالة جديدة وهي التودّد لنيل الغرض والحاجة فقال:

يَجْرُ ذِيُولُ الْخَنِى وَالْغَنِى * وتهفُو عليه ظلالُ المُنَى (228)

وللدلالة على هذه الجماعة التي تحكمها الفاحشة، والقبح، وتسيطر عليها وتتفاد وراءها، وتجعلها تتبّع نزواتها، وتخضع لها، وتقَدّسها، وتلتصق بها، وأصبح الفحش صفة

¹ - المعجم الوسيط (خنى وخنى) / 260.

متجذرة فيها، ولهذا السبب استعمل الشاعر لفظ ذيول جمع ذيل، للدلالة على انتشار هذه الظاهرة بكثرة، واستشرائها في المجتمع، وهذا هو الأسلوب الذي يتعامل به هؤلاء المنحطون مع العدو لأنه يناسبه، همهم الوحيد هو الغنى، وإشباع الرغبات، وملء الجيوب، ونيل مرتبة مرموقة على حساب عزتهم، فباعوا ضميرهم وأصبحوا يقولون مدحا كاذبا يحمل بين طياته الزور والغش والنفاق ليتحصلوا في المقابل على ثروة، راضين بالذل، معتمدين التذليل، ليتبوؤوا مكانا مرموقا داخل البلاط، ولقد جمع الشاعر بين الخنى والغنى، أي الفساد والفحش، للدلالة على الثروة التي تحصل عليها هؤلاء مستعملين طرقا ملتوية، منحطة، غير مشروعة، لأنهم فقدوا القيم والأخلاق وماتت ضمائرهم.

وجاء المقيم على ذلة، و هجينا يسخر أو يلجم ، والمقيم صيغة اسمية معرفة فيها مبالغة، حروفها ضعيفة في معظمها ألفاظها مألوفة معروفة، وهجينا هو الخليط، ويسخر ويلجم صيغ فعلية مبنية للمجهول معناها معروف، أصواتها قوية، وظف الشاعر الكناية ليعبر على العلاقة الوطيدة التي نشأت بين منعدمي الإرادة والضمير من جهة، والذل والقهر والاحتقار من جهة أخرى هذا في الشطر الأول، أما في الشطر الثاني فجعل المتواطئ مع الأعداء مثل الحيوان الهجين الخليط الذي يستعمل للحاجة وللغرض، أو يلجم ويقهر وهذا مجاز أضاف دلالة جديدة على لغة المعجم فقال:

فَقُلْ لِلْمَقِيمِ عَلَى ذُلَّةٍ * هَجِينًا يُسَخِّرُ أَوْ يُلْجِمُ (181)

للدلالة على الذل الذي أصبح جزءاً من هذه الفئة لا يقلقها ولا تتذمر منه، التصق بها وعاشرها فلا تستطيع أن تفارقه وبهذا أصبح مألوفاً عندها، لأن الظروف المحيطة بها جعلتها تتقبله ويعمل العدو على تسخيرها لمصلحته ولغرضه، مثل الفرس الهجين الذي يستعمل لحمل الأثقال، وبعد ذلك يوضع اللجام في فمه حتى لا يكون حراً، وبهذا يكون المستعمر قد ضيق الخناق، وكنم الأصوات، وقتل الإرادة والطموح، وأصبحت هذه الفئة الخائنة تابعة له وذراعه الأيمن، يوظفها ويأمرها، فهي رهن إشارته.

ووظف الجواهري يتهافتون على مواطئ أرجل، ويتهافتون صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المذكور بمعنى تتابعوا وتهافت القوم بمعنى تساقطوا موتى⁽¹⁾، ومواطئ أرجل بمعنى موضع القدم صيغة اسمية مضافة، أما يَوْمى لهم بكُعوبها ويُشار، يَوْمى بمعنى يشير ووماً بالشيء بمعنى ذهب به⁽²⁾، صيغة فعلية مبنية للمجهول، حروفها ضعيفة في معظمها، وصف مهدي الجواهري المبصيصين، الأذلاء، الراكعين للعدو، مستعملاً الكناية، ليعبر على أقصى درجة الذل، والاحتقار التي انحدروا إليها، ولا يتقبلها محمد مهدي الجواهري فقال:

يتهافتون على مواطئ أرجل * يَوْمى لهم بكُعوبها ويُشار (103)

وللدلالة على التسابق لغرض إرضاء السيد، والتودد إليه، وإظهار الخشوع، والاستسلام أمامه، والسير وفق املاءاته، والتنازل على كل المبادئ، والشرف، والرجولة،

¹ - المعجم الوسيط (هفت) 989.

² - المرجع نفسه (وما) 158.

والكرامة إرضاءً له، وللدلالة كذلك على الانبطاح ودرجة الذل التي وصلت إليها هذه الفئة من المجتمع، فهي تعيش رهن إشارة العدو، وتتسارع لتقبيل مواطئ الأرجل، وتسجد تقديراً له، والسجود لله عز وجل حيث جاء في التنزيل العزيز: "إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ"⁽¹⁾، وللدلالة كذلك على القداسة، والرغبة، والخشوع التي يبيديها البعض اتجاه العدو الأجنبي في باقي الأقطار العربية، لأنه يربع ويخيف ويجعل الأذلاء ينحنون له تقديراً واحتراماً، ويأمرهم أن يطأطئوا أمامه رؤوسهم، وينحنوا خوفاً من ازعاجه وعدم إرضائه، والشاعر بطبيعته المتمردة يرفض التحلي بهذه السلوكات ويدعوا إلى محاربتها، ومن خلال هاتين العبارتين ألاحظ أن الجواهري خرج عن المعنى المعروف للألفاظ، وولد من خلالها دلالات جديدة عبّر بها على درجة الاحتقار، والازدراء التي وصل إليها المرتزقة، المتآمرين ضدّ الشعب، هدفهم الوحيد إملاء جيوبهم وبطونهم على حساب عزّتهم.

واستعمل لم تنفقي خجلاً عيون أبصرت، وجه الكريم بكفّ وغدّ يلطم، وتتفقى من فقاً العين أي شقّها وخرج ما فيها، صيغة فعلية منقّية، أمّا يلطم فهي كذلك صيغة فعلية مضارعة مبنية للمجهول، واللطم الضرب على الوجه، تراوحت الحروف بين القوة والشدة، قال الشاعر متذمّراً من الوضع المحيط به مستعملاً المجاز، لأنّ تنفقي خجلاً ورد في غير موضعه، فعادة الخجل لا يشقّ العين ولا يضرّ بها، بل يجعل الإنسان يغمض طرفه، وحول الجواهري الخجل إلى داء يصيب العين ويفقدها الرؤية، وتمنى أن يحدث ذلك فقال :

¹ - سورة السجدة/15.

لَمْ تَنْفَقِي خَجَلًا عِيُونَ أَبْصَرْتَ * وَجْهَ الْكَرِيمِ بِكَفٍّ وَغَدٍ يُلْطَمُ (21)

تعجب الشاعر وأبدى دهوله من هذه العيون التي ترى المناكر، ولم تنفقي، وما زالت تبصر، وتتفرج على هذه المسرحية القاسية التي تجعل الأنظار العادية تعزف، وتتفر من هذه المناظر المقرفة، ومن هول ما ترى، فلا بد لها أن تستحي من ظلم يسلط على الكريم الأبّي، فهو منظر لا يطاق، ولا يحتمل، وربط الشاعر هنا بين تنفقي، والخجل لفظتان بعيدتان في المعنى، ولكن الشاعر أحسن توظيفهما ليعبر عن غضبه ورفضه من فظاعة الأحداث التي يندى لها الجبين، وتخجل أمامها الرؤيا، وتنفقي العين ويضيع البصر لأنّ الوضع صعب لا يحتمل، والظلم قاسي والمنظر مقرّف.

وورد إغْتَصَبَ الْبِلَادَا، صيغة فعلية متعدية حروفها شديدة قوّة، والاعتصاب هو الاعتداء على حرمة الآخرين، صف الشاعر الحالة اليائسة التي آلت إليها بلاده، على غرار باقي الدول العربية، مستعملا المجاز في لفظ إغْتَصَبَ الذي ورد في غير موضعه، ليعطي دلالة جديدة وهي الاعتداء، والاستباحة من طرف العدو، وبسط سيطرته على كامل أرجاء الوطن، والسطو على مال الغير، وتدنيس الشرف، ومحاربة الأعراف والتقاليد، والقضاء على المقومات الأساسية للمجتمعات كالدين، واللغة، والتاريخ، والعمل على إخضاع الشعوب بقوة السلاح، والتحكّم في مسيرتها فقال:

وكان الأجنبيّ وقد تولّى * زمام الأمرِ واغتصبَ البلادَا (264)

والاغتصاب كذلك هو الدّوس على الشّرف، والاعتداء عليه قهراً، والنيل من الوطن الذي يأوي، ويحمي، ويُظَلّ، واستباحة الأرض كاستباحة العرض لأنّ الوطن هو العزّة والكرامة، حيث تمكّن منه الأجنبيّ مستعملاً الطرق غير المشروعة من تدنيس، واعتداء، وقتل الرّجولة، والقضاء على الإرادة، واللّطم، والإذلال.

والاغتصاب ظاهرة ترفضها كل الشرائع والقوانين، وهو اعتداء على الخصوصيات، وتدنيس العفّة والعزّة، والتّدييد به واجب على الجميع، والاغتصاب جريمة كبرى يعاقب عليها القانون، وتقف ضدها كل الأعراف والقيّم، وتجمع على محاربتها كل البشرية، واغتصاب البلاد هي المساس بالقيّم، وبالدين، وبالتاريخ، وبالماضي، وبالتّقاليد، وبالعوادات، وبالتّقاليد، والدّوس عليها، وتدنيسها، واحتقارها، واستباحتها.

وجاءت عبارة سيّاط البغي ناقعةً في مائك الطّهر، صيغة اسمية مضافة، الأصوات قويّة في معظمها، والسيّاط من السّوط وهو ما يضرب به، والبغي تجاوز الحدّ وهو الاعتداء، ويظهر هنا تأثر الشّاعر بالقرآن الكريم، وقال الله سبحانه وتعالى: "فإنّ بغتِ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله"⁽¹⁾، أمّا ناقعة من نقع الشيء في الماء تركه فيه⁽²⁾ وهي صفة، ومائك الطّهر صيغة اسمية مضافة، وباقي الألفاظ معروفة، استعمل الشّاعر الكناية، وعبر عن همجية العذاب التي يتلقّاها أبناء الأمّة على يد الأوغاد الذين لا يرحمون، ولا يشفقون، ولا يندى لهم الجبين، ويتمادون في إلحاق الضرر بالشعب، وتسليط

¹- سورة الحجرات / 09.

²- المعجم الوسيط (نقع)/948.

أشدّ العقوبات عليه، ولقد بعث بسلامه الحار إلى أرض العراق من أوروبا حيث لا يزال يناضل بقلمه من أجل تحرير بلاده، ويؤلمه ما يدور فيها من مأساة اقترفها الأعداء فقال:

ما إن تزال سيّاطُ البغي ناقعةً * في مائك الطّهر بين الحين والحين(68)

فالبغي ليس له سوط يستعمله، يريد الجواهري أن يجعلنا أمام الأمر الواقع وهو في منفاه مازال السّوط يرّن في أذنه، ولكنّه ليس أي سّوط بل سّوط الجبروت والبغي، وما زال يسافر عبر خياله الواسع إلى نهر دجلة والفرات وربوع وطنه الشّاسع، ليصف لنا تماذي المستعمر، ومبالغته في استعمال العنف، والقوّة المفرطة، وتعذيب الشعب، والشّاعر لن ينسى هذا الوضع وهو لا يزال راسخاً في مخيلته إلى الأبد، ولا يفارق تفكيره، فأصبح جزءاً منه يتعايش معه تارة ويرفضه تارة أخرى، ويستسلم إليه في بعض الأحيان، وعبارة سيّاط البغي يقصد بها المعمر الذي سيطر على أرضه العراق، وسلّط عليها السّوط.

أمّا ناقعة في مائك الطّهر يقصد بها مرّة أخرى عدم اكتفاء الاستعمار بتعذيب الشعوب، وتسليط عليها أقصى أنواع القمع، ولكنّ التّفنّن في نقع الصوت في مياه العراق الطاهرة، حتّى ينتفخ، ويصبح أشدّ قسوة، وصلابة، ومتانة وإيذاء، وبعد ذلك يقوم العدو بتوظيفه في قهر النّاس، وهنا كناية كذلك على وحشية الأعداء الذين لا يمتّون إلى الجنس البشري بصلة، همّهم الوحيد هو تركيع النّاس، ولا تهّمهم الطريقة المستعملة لتحقيق طموحاتهم، والجواهري يعرفهم جيّداً وما زال يُشفق على أهله من هذا المصير الجهّمي الذي

آل إليه سكان العراق، وفي نفس المقام قال شاعر الثورة الجزائرية الكبيرة معبراً عمّا لاقاه من عذاب لا يطاق على يد جلّاده وهو بالزنزانة:

أم السيّاط، بها الجلاّد يُلهبني * أم خازن النّار يكويني فأصطفق

والحوض حوضٌ، وإن شتّى منابعه * ألقي إلى القعر أم أسقى فأنشرق⁽¹⁾

أمّا والغاتٌ خيول البغي، صيغة اسمية من وَلَغ بمعنى شرب بلسانه ما في الإناء، والولَغ هو الاغتياب⁽²⁾، وخيول البغي صيغة اسمية مضافة، ألفاظها مألوفة، والبغي هو الظلم كما سبق وأن ذكرت، استعمل الشّاعر الكناية ليعبر على تجنيد العدو كل طاقته وامكاناته لقهر الشعب والاستيلاء عليه، وفرض السيطرة بالقوّة فقال:

ووالغاتٌ خيول البغي مُصبحة * على القرى آمّات والذّهاقين⁽³⁾ (20)

يصف الشّاعر هنا الدوريات الهجومية التي ينظّمها المستعمر الغاصب على القرى الآمنة في الصباح الباكر، مستعملاً الخيول للاعتداء على الشعب والتّماذي في الظّلم، فالخيول تلك الأنعام التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وسخرها ليستفيد منها الإنسان، ويستعملها لقضاء حاجته، وتخفيف معاناته، وتسهيل أمورهِ، سخرها العدو للبغي والتّعدي والظّلم، ومن خلال هذا البيت أستنتج أن الجواهري وعبر قصائده ذكر لنا معظم الطّرق والأساليب التي اعتمدها المستعمر لبسط سيطرته على الشعب من أسلحة مدمّرة فتّاة

¹ - مفدي زكريا- ديوان اللّهب المقدّس/20.

² - المعجم الوسيط(ولغ) 1057/3

³ - الذّهاقين، الذّهان، هو رئيس القرية، المرجع نفسه(دهقن)/300.

مازالت آثارها موجودة إلى حد الآن، إلى جانب استعماله كذلك الخيل للوصول للمناطق الوعرة.

وورد سِمَتُها الخسف، وأمنعُ الخسف، صيغتان فعليتان متعدّتان استعمالها متضاد، حروفها ضعيفة، وسامه خسفا بمعنى أولاه ذّلا وخسف بمعنى نقص وهزل⁽¹⁾، وسام بمعنى تقويم السلعة لغرض البيع، قال الله سبحانه وتعالى: "خَسِفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضُ"⁽²⁾ بمعنى غيبيهم، قال الشاعر من منفاه في يوغسلافيا وهو في حالة صعوبة مجسّدا معاناته ومستعملا المجاز، لأنّ لفظ سمتها ورد في غير موضعه وأعطى معنا جديدا عبّر من خلاله على المستوى المنحط الذي وصل إليه، وأنهكه، وأشعره بالضعف، والتّذمر، والذلّ وحزّ هذا في نفسه ورفضه لأنّ النفس ليست سلعة تُباع ولا بد من السّمو بها والمحافظة على عزّتها وكرامتها:

ألزمتُها الجدُّ حيثُ الناسُ هازلة * والهزلُ في موقفٍ بالجدِّ مقرون

وسمتُها الخسف أعدى ما تكون له * وأمنعُ الخسف حتى من يعاديني(44)

يصف الشاعر هنا وضعه بين قومه والمكانة التي وصل إليها والازدراء الذي شعر به من طرفهم، إذ كانوا يحتقرونه ويذلّونه ولهذا السبب غادر العراق مُكرها، ولكن كل هذه المعاملات القاسية مازالت تعيش داخل أعماقه، وتجعله يعاني ويتألّم، ولم يتحرّر منها، وهو الذي يُعرف بعزّة النفس، والكبرياء، والشموخ، فعندما كان بين قومه، كان يتمتّع بمكانة

¹ - المعجم الوسيط (خسف)/234.

² - سورة القصص/81.

مرموقة، وكانت وضعيته جدّ حسنة حسده عليها الكثير وتآمروا عليه، وأزاحوه بكل بساطة من موقعه، وقد حَزَّ في نفسه الوضع الذي آل إليه لأنّه تعود على مثل هذه المعاملة، ولكن كفة الزمن دارت عليه فهو كما يقول لا يتمنى الذلّ حتى لأعدائه، لأنّ الذلّ يؤلم كثيرا، ويجعل الإنسان يعاني معاناة لا توصف، وخاصة عندما تكون له مكانة مرموقة في مجتمعه، مثل محمد مهدي الجواهري، ولهذا السبب يرفض الجواهري التّعامل بمثل هذا الأسلوب حتى مع أعدائه لأنّه يعرف جيدا الألم الذي ينتج عنه فلا أحد يطيقه ويقدر على حمله، ولهذا السبب أشفق عليهم، وهذه من شيم الطّبايع، والعفو عند المقدرة من صفات المؤمنين.

وجاء شَطُّ الاجترام، بمعنى جاوز الحد وحملت معنى ارتكاب الذنوب كذلك⁽¹⁾، صيغة فعلية أصواتها قوية شديدة مسندة إلى ضمير المفرد الغائب، وفي التّنزيل العزيز: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا أقرب للتّقوى"⁽²⁾، قال الجواهري مستعملا الكناية للدلالة على هول المعركة وقوّتها وعنفوانها وشدّتها وتجاوزها القوّة العادية وقسوتها وكأنّ الاجترام أصبح حصنا متينا وقلعة صلبة من الصعب خرقها وغلبتها، وشَطُّ ورد في غير موضعه فقال:

وانبرى أشنع ما * خطّ وشطّ الاجترام(286)

1- أساس البلاغة(شط)/329.

2- سورة المائدة/08

وللدّالة على البطولة، والشجاعة، التي أظهرتها القوات الروسية للدّفاع عن المدينة ضدّ الأعداء، وصدّتهم بكلّ شراسة وبكلّ ما لديها من قوّة وبطش ووقفت في وجههم وصمدت أمامهم صموداً بطولياً، وفرضت عليهم الذات وتحدّتهم، ووقفت أمامهم النّد للنّد، ولقد جمع الشّاعر بين شطّ وفيه مبالغة كبيرة وعنف، والاجترام وهو اقتراف الجريمة، وهذا ليس مبالغة منه في الحديث عن المعركة القائمة، ولكنّه يريد أن يجعل القارئ يعيش هذه الأحداث، وما دار فيها من بغي وجرم، واستعمال كل الذخائر الحربية والمحرمّة دولياً للقضاء على الخصم وإحداث دماراً شاملاً.

وفي معرض حديثه دائماً عن المستعمر الذي لوّث البلاد، ودمّرها، وأذلّ العباد ورد صرّح الشرّ، وإنجلي اللّثام، وصرّح بمعنى انكشف وأزّيح القناع، صيغتان فعليتان مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، غلبت الأصوات الشديدة على هاتين العبارتين، الاستعمال مجازي لأنّ صرّح وإنجلي وردا في غير مكانهما وجسّد الشّاعر الشرّ وجعله مثل الإنسان الذي يكشف عن أمر مهم، وهو كناية على كشف العدو عن وجهه الحقيقي وتكشير أنيابه، وإبداء السوء فقال:

صرّح الشرّ وجلى * وإنجلي عنه اللّثام(282)

فالشرّ عادة لا يصرّح بل الإنسان هو الذي يصرّح بما يجول في خاطره، سواء كان خيراً أم شراً، والشّاعر هنا يجعل الشرّ يكشف عن وجهه الحقيقي ليظهر نواياه السيئة والتي طالما أخفاها وهي تحطيم المجتمع وتدميره، ويقصد كذلك القضاء على الوجود السوفيّاتي في

العراق من قبل الحلفاء حتى يتسنى للعدو التمسك بزمام الأمور والسيطرة على بلاده حتى لا يلقى منافسة كبيرة ويتمكن من شدّ قبضته على الوطن وعلى الشعب.

أما انجلي عنه اللثام، فهو تعبير مجازي وهو كناية على سقوط القناع، فالليل هو الذي ينجلي للدلالة على سقوط قناع الأعداء الذين يحاولون تحرير أرض العراق من الروس إلا أنهم في المقابل استعمروها وبقوا فيها ونصبوا أنفسهم حماة، والشاعر يعرف نواياهم والأساليب التي يستعملونها ويتمنى أن يستفيق شعب العراق، ويفهم هذه اللعبة القذرة ويعمل على إسقاط القناع لأنّ نية الأعداء واحدة، وهدفهم معروف وهو ابتزاز ثروات الشعوب واستعمال الأساليب الملتوية المعسولة للوصول إلى الهدف المسطر.

وورد أطلق للصيّد أظفارهنّ و أنيابهنّ واختفى، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية أصواتها شديدة، تحمل في طياتها العنف والشراسة والانقضاض والافتراس، فلفظ أطلق ورد في غير سياقه وصف من خلاله الشاعر الطرق الملتوية التي يمارسها العدو لفرض سيطرته على الشعوب، حيث يقوم بتوظيف طغمة من المتآمرين معه يُنخمهم بفضلاته ويأمرهم بالتحكم في رقاب الناس، وغرس شوكتهم فيهم، ونهش لحومهم وفسح المجال أمامهم ليفعلوا ما شاءوا، ويختفي منتظرا النتيجة، وشبه هذه الفئة الدنيئة بالحيوانات الشرسة التي تستعمل مخالبتها وأنيابها لتتقضّ على فريستها، وهذه استعارة أضفت على هاتين العبارتين دلالات جديدة زادت لغة المعجم قوّة وتنوعا قال:

وأطلق للصيّد أظفارهنّ * وأنيابهنّ بها واختفى(254)

وللدّالة على انقضاء العدو على الشعب الأعزل مثلما يقوم به الحيوان المفترس، الكاسر، الغادر، الذي يستعمل أنيابه وأظافره للاقتراس، وينهش اللحم، ويمزّقه، ويعبث به، ويقتات منه، وهذا ما يفعله الغاصبون حيث يقومون بالبطش والقهر مستعينين بالمكر والحيلة مثل الذئاب، ولأنّ الشعب أعزل جرّده العدو من إرادته، وحرّيته، وقهره، واستباح وطنه وحرّمته، وأصبح يترّص به كما يترّص الحيوان بصيده، ينال منه بطريقة تشمئزّ لها النفس ويقشعر لها البدن، وبعد ذلك يختفي ولا يترك أثراً، والشاعر لا يفرّق بين ما يقوم به الحيوان المفترس والعدو الغاصب في البلاد العربية، فالهدف واحد والأسلوب نفسه والعنف ذاته والنتيجة هي إيذاء الشعوب، وسرقتها، والنيل من مقدّساتها، وقهرها، وابتزاز خيراتها، ونزواتها، والتّماذي في سرقتها، دون حدود تذكر ضاربة بعرض الحائط كل الأعراف، والقوانين، والقضاء على اقتصادها، وإنهاكها، وإضعافها مثلما تفعله الوحوش بالحيوانات الضعيفة، مما يفتح الأبواب لانتشار التخلف، والركود، والانحراف، والتقهقر.

وفي معرض حديثه عن الاستعمار الأجنبي، استعمل وفي المشرق الأقصى له عُنُق وله ذنَب، والعنق معروف، صيغة اسمية حروفها بين الشدّة والضعف، والذنَب كذلك معروف وهو ذيل الحيوان، قال محمد مهدي الجواهري مجسّدا المستعمر مشبّها إياه بالحيوان الضخم على سبيل الاستعارة لأنّ عُنُق وذنَب وردا في غير سياقهما ليّدلا على امتداد الاستعمار الأجنبي من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وتمكّنه من السّيطرة على كلّ أرجاء الوطن

العربي دون استثناء، وهذه دلالة جديدة ولّدها الشاعر ليعبر مرّة أخرى على قدرته بالابداع والخلق:

هناك في المشرق الأقصى له عُقٌّ * تكاد بالقبضات الصفر تَخْتَرُمُ

وفي يد المشرق الأقصى له ذنب * يلوى، وفي غداه المحتوم يُصْطَلَمُ(62)

وللدلالة على الرقعة الجغرافية الكبيرة، والشاسعة، التي استولى عليها العدو إذ وصفه الشاعر بالحيوان الضخم الذي يمدّ عنقه وذنبه في كافة أرجاء الوطن العربي من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، ويفرض عليه سيطرة كاملة، واستعمل هنا الجزء ليعبر عن الكل، ونراه دائما في معظم قصائده يصف عدوّه بالحيوان المفترس الذي يجثم على صدر فريسته ويستولي عليها ويقطّع لحمها.

فلقد مكث هذا المستعمر كثيرا ببلاد المشرق، ومدّ جذوره هنا وهناك، إلّا أنّ عمره أصبح معدودا، فثورة الشعوب ستنتاله وستطاله، وستتخلّص منه الأمة وستقطع عنقه وذيله إلى الأبد لأنّ دوام الحال من المحال.

ووظّف الشاعر كذلك نَسْتَبِيحُ جُلُودَكُمْ، والاستباحة هي الانتهاك والاعتداء⁽¹⁾، صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المتكلم الجمع، الأصوات جمعت بين الرخوة والقوّة، ينتج عنها القهر والتعذيب، ولقد حدّثنا مهدي الجواهري عن مظهر من مظاهر التعذيب والقمع التي يستعملها الأعداء مع أبناء الشعب العراقي، مستعملا سنستبيح في غير موضعها وهي

¹ - لسان العرب (بوح)، 486/2.

مجاز، والاستباحة عادة تكون للشرف، وظّفها الشاعر ليصف مرّة أخرى همجيّة الأعداء التي لا يتقبّلها العقل، وترفضها كلّ الأعراف والقوانين والأديان فقال:

قالوا الصّحيح: سنستبيحُ جلودكم * للسّالخين لأنكم أحرار! (118)

فهذه الأساليب يشترك فيها المستعمرون الذين حلّوا بالبلاد العربية من أقصى الشرق إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، وكأنّهم تلقّوا نفس الأوامر ودرسوا في نفس المدارس، فكان الغاصبون يقومون بالتّعذيب مستعملين الطرق الوحشيّة التي يقشّر لها البدن ويندى لها الجبين، حيث يعمدون إلى سلخ جلود أولئك الأبطال الأشاوس بطريقة شرسة لا يتجرّأ على القيام بمثل هذه الأعمال إلّا مريض النّفس وفاقد العقل. وهذه الطريقة يمارسها كذلك الساسة العراقيين للانتقام من المعارضين للرأي، فهم يتفكّنون في تعذيبهم، وترعيبهم، وترهيبهم، لأنّهم أصحاب رأي وقضية عادلة تزعجهم وتتغصّ عليهم عيشتهم مثلما كان الاستعمار الفرنسي يفعل للأبطال الجزائريين، فلقد سلّط عليهم أقصى أنواع التّعذيب التي تحرّمها الأعراف والقوانين كسلخ الجلد عن الرأس مثلما حدث للبطل أحمد زبّانة⁽¹⁾ وأمثاله من الشجعان الذين ضحوا بالنفس والنفيس لأجل الحرّية والوطن، حيث بقوا عبدة للآخرين وتاريخاً منيراً في سجّل الشهداء، وجلد الإنسان عادة لا يُسلخ ولا يستطيع العقل البشري العادي أن يتصوّر هذه الحادثة وهذا الإجرام فهو تعديّ، وظلم، وقسوة، وقهر، يرفضه العالم، والهدف من هذا العمل هو قتل الإرادة والعزيمة، وتكميم الأفواه، والقضاء على الثورات وخنقها في مهدها،

¹ - مجلة الشهاب، ج5، م230/13.

ولقد تغنى الشاعر الجزائري مفدي زكريا بالبطل الشهيد أحمد زبانا الذي أقدم الاستعمار الفرنسي على سلخ جلد رأسه حتى الموت فقال مفتخرا به:

وسرى في فم الزمان "زبانا" * مثلاً ، في فم الزمان شروداً

يا "زبانا" أبلغ رفاقك عنا * في السموات، قد حفظنا العهود⁽¹⁾

وورد بُحَّ صوتُ الحقِّ بمعنى غلظ الصوت وخشن⁽²⁾، صيغة فعلية مبنية للمجهول، وصوت الحقِّ صيغة اسمية مضافة، الأصوات ضعيفة في معظمها خافتة لأنَّ المقام يتطلب ذلك، استعملها مجازاً، فُبُحَّ ورد في غير مكانه وهو من خصائص صوت الإنسان ليعبر من خلاله على التعسّف الذي يمارسه العدو مع الشعب الأعزل حيث يعمل على كتم الأصوات، وإغلاق الأبواب أمام حرّية الرأي والفكر، والجواهري غير مقتنع بما يقوم به الأجنبي وهو المتمرد بطبعه النائر فقال مندداً:

وقد بُحَّ صوتُ الحقِّ فيها فلم يكن * ليسمعَ إلا ما تقول المدافع⁽¹⁹¹⁾

وللدلالة على تكميم الأفواه، والتعسّف، والقهر الذي طبّقه العدو على الشعب العراقي وهذا ما حدث لكافة الشعوب العربية الواقعة تحت الاستعمار الغربي، الذي عمل على طمس الحقيقة، وخنق الشعب، وفرض القيود عليه حتى لا يستطيع أن يعبر عن رأيه، ويكشفه أمام الملأ، فلقد انتهج أسلوب التّرهيب، والتّرهيب، والتّمادي، لكنّ الوضع لن يستمر طويلاً وسينطلق صوت المدافع مدوّياً في سماء العراق، لأنّ الشعب ملّ وحن وقت التغيير،

¹- مفدي زكريا- اللّهب المقدّس/11.

²- لسان العرب (بوح)، 474/2.

وانطلق صوت الحقّ الذي يعلى ولا يعلى عليه، ولقد استعمل مفدي زكريا لفظ بَحّ ليحث عن الثورة وطرده العدو الفرنسي والقضاء عليه فقال:

لئن بَحّ صوت السيوف الصقال * وأغفى صرير الرّماح العوالي

فحربُ اليراعِ أعاد الصِرا * ع، يقودُ سراياهُ نجم الشمال⁽¹⁾

وجاء المِعْطاشُ للدم، صيغة اسمية فيها مبالغة بمعنى كثير العطش، والمعطاش من العطش وهو الظمّ، حروفها قويّة، صوّر الجواهري نهم العدو وتعطّشه لرائحة الدم وتشوّقه لمنظر القتل، والتتكيل، مستعملا الكناية ليعبر عن امتهان العدو الفتك والقتل فقال:

فسلوا المِعْطاشُ للدم * أما بِلّ الأوام(285)

وعادة ما تستعمل لفظة المعطاش للماء ولبعض السوائل ولكن العطش هنا لدماء الآخرين الأبرياء الضّعاف الذين عدّبهم الجلاد، وما زال لم يشبع بعد من دمائهم، فهو مصّاص الدماء بامتياز وبحرفيّة عالية لا يملّ ولا يكلّ يطلب دائما المزيد، لأنّه مريض معتوه ينتابه الفرح عندما يرى لون دماء الشعب، ويتلذّذ ويستمر في الإدمان عليها لأنّه لن يرتوي أبدا، والشاعر هنا يحثّ بني قومه على زعزعة الأجنبي، والتخلّص منه وأخذ العبر، وتغيير الوضع، والصمود أمامه، ومنعه، من التّمادي، لأنّ عطشه لن يزول أبدا ولن يرتوي، فلا بد له من المزيد حتى يشفي غليله، ويحس بالنشوة، وتعترّيه فرحة كبيرة لأنّ همّه الوحيد هو القضاء على الحياة، وتلبية رغباته التي لا تنتهي، فهو لا يزال يتغذّى، وينتعش من دماء

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر/61.

الشهداء الطاهرة، إلا أنه في مقابل ذلك يشعر بحرقة العطش التي أصبحت هاجسا يسيطر عليه ويجعله يتمادى.

أما بُلّ الأوام، صيغة اسمية مبنية للمجهول الحروف ضعيفة في معظمها، والأوام بمعنى حرارة العطش⁽¹⁾، خاطب من خلالها عدوّه مستفسرا عن مبالغته في مواصلة سفك الدماء وقتل الأبرياء، والتّمادي في الظلم والبطش لأنّ حقّده على الشعب وغضبه عليه أضناه وأنهكه مثلما يضعف العطش صاحبه، وهنا مجاز لأنّ بُلّ لا يقصد به الجواهري العطش بالمعنى المتعارف عليه ولكنّه يتكلّم عن النّهم، والشراسة، والطمع الذي وصف به عدوّه إلى جانب المبالغة في القتل، والتّكيل، والقمع، الذي لم يتوقّف وأصبح منهجه وسنّته في التّعامل مع المجتمع.

وجاء الشّاربين دمّ الشّباب، صيغة اسمية متعدّية، حروفها بين الشّدّة والرخوة في معظمها، ودمّ الشّباب صيغة اسمية مضافة، شبّه الجواهري الحاقدين الطّغام المستعمرين المجرمين الذين يقتتصون الشّباب، ويفتكون به، ويقتلونه بالأفاعي، الذين يتغذّون على الدّماء، ويطلبون المزيد وهذه استعارة لأنّ لفظ الشاربين لم يأت في سياقه ونتج عنه معنى المبالغة في القتل، وسفك الدّماء، وإظهار الوجه الحقيقي للأعداء، وهذه دلالة جديدة عملت على إثراء لغة معجم الجواهري اللّغوي حيث قال:

الشّاربين دمّ الشّباب لأنّه * لو نال منهم لكان الشّاربا(137)

¹ - المعجم الوسيط(أوم)/33.

وللدّالة على هؤلاء الفجرة، الطّماعين، المدمّرين، المعتوهين، المختلّين عقليا الذين يتغذّون من دماء الشباب، ويستقوون بامتصاصه، ويبالغون في القتل، والفتك بهذه الفئة التي تمثل مستقبل البلاد، لأنّهم تفتّنوا أن هذه النخبة من الشعب هي التي تستطيع أن تغيّر مجرى الأحداث فلا بد من القضاء عليها، لأنّها لو نالت منهم وانقلبت الكفّة فسوف يقوم شباب العراق باسترجاع بلاده، وإراقة دماء أعدائه، والانتقام منهم.

واستعمل **يلغُ الدماء مع وحوش نهاره**، يلغ بمعنى يشرب، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، حروفها مزيج من الشدّة والرخاوة، والصيغة الثانية بدورها اسمية مسبوقة بحرف جر، قال مهدي الجواهري بمناسبة تكريم الدكتور هاشم الوتري عميد كلية الطب العراقية، يصف المتآمرين مع العدو الذين شبّههم بالوحوش القذرة مثل الضباع التي تتغذى على دماء الفريسة في وضح النّهار وهذه استعارة، والجواهري لا يقصد الحيوانات الشرهة المفترسة، ولكنّه يقصد الخونة الجبناء الذين يعملون لمصلحة غيرهم، ويشاركونهم في التّكيل والقتل:

يلغُ الدماء مع وحوش نهاره * ويعود في اللّيل النّقيّ الراهباً (145)

وللدّالة على هذه الشرذمة من الأنذال الذين فقدوا القيم، والكرامة، وعزّة النفس، وباعوا المبادئ والأخلاق، فهم كمصاصي الدماء مثل الوحوش يتلذّدون، ويستمتعون أمام الملاء دون إحراج ويشبعون نزواتهم التي لا تشبع لأنّهم معتوهون نفسيا يبالغون في قنص الشباب وإعدامهم، أما عندما يأتي اللّيل ويحلّ الظلام يتحوّلون إلى تقاة مؤمنين خاشعين يخافون الله

محاولين إعطاء صورة مخالفة عن الحقيقة التي يُعرفون بها في وضح النهار، والشاعر قد سئم من هذه المظاهر المقرفة وعافها ورفضها لأنه عانى الكثير من مثل هذه التصرفات اللاأخلاقية ومن هذا الأسلوب المتدني في التعامل مع أبناء شعبه الشرفاء، الأبطال الذين لا يستحقون كل ما يحدث لهم.

وأسلوب النفاق هذا، والخداع، والخبث، والمكر، والمراوغة، استخدموه مع الشعب لزمن طويل وحاولوا تضليله، إلا أنّ الشعب عادة لا ترهبه ولا تخيفه، ولا تعجبه مثل هذه الأساليب القذرة المنحطة، لأنه فقد الثقة الكاملة في هؤلاء المنافقين خدمة العدو.

وورد لِقَاحُ الشَّرِّ، صيغة اسمية مضافة حروفه بين القوّة والشدة، ولَقَحَ بمعنى أبر⁽¹⁾، ومعنى الألفاظ مألوف، عبّر الشاعر عن استباحة العدو لأعراض النساء والنيل من الشرف والتّعدي على الحرمات وما ينتج عنه من عواقب وخيمة ومن مآسي لا تغفر، ليعطي فكرة جديدة مغايرة وهي الاعتداء على شرف النساء العفيفات واغتصابهنّ والنيل من هنّ قال الشاعر:

وسلّوا الحُبلى لِقَاحَ الشَّرِّ * هلْ بعدُ وِحام(285)

فنتيجة التلقيح تكون عادة مثمرة تنتج عنها الحياة، إلا أنّ الوضعية هنا اختلفت وتغيّرت الموازين وقواعد الطبيعة وفقدت معناها، ويصف الشاعر الظروف القاسية التي تعرّضت لها نساء العراق الماجدات على يد الأجنبي الدّخيل من اعتداء واستباحة للعرض،

¹ - المعجم الوسيط (لقح) // 834.

مثلما كان يحدث في باقي الأقطار العربية على يد العلوج، ولهذا السبب استعمل الجواهري لقاح الشر لأنّ هذا اللقاح يحمل في طيّاته الشرّ والبلاء والحرام ويمثل الاعتداء فهو اغتصاب لا محالة، فهل ستستطيع المرأة الحبلى أن تشعر بظاهرة الوحم الطبيعية التي تمرّ بها أيّ امرأة بل ستشعر بالاشمئزاز، وبحزن عميق يعتريها، ويسيطر عليها، لأنّ هذه الوضعية فرضت عليها ووضعتها أمام الأمر الواقع، وفضحتها أمام المجتمع وأفقدتها قيمتها، ومكانتها، وطهارتها، ونقاءها، وعفتها، وشرفها، وأصبح العار يترّص بها من كل جانب، إلا أنّها لم تكن طرفا في هذه المعادلة القذرة فهي بريئة غير مسؤولة.

وورد أخزى الوحوش كواسرا وأذلّها، صيغة اسمية وأخزى من العار فيها مبالغة وتمادي وباقي الألفاظ معروفة، أما وحشٌ بلحم بني أبيه يُطعمُ، ويُطعم صيغة فعلية مبنية للمجهول بمعنى يتغذى ويتقوّى⁽¹⁾، حروفها قويّة في معظمها وباقي معاني الألفاظ معروفة، وفي صيف سنة 1969 انعقد بمدينة ميونيخ مؤتمر الطلبة الأكراد ألقى الشاعر قصيدة والحرب مشتعلة بين عمالقة الأكراد، وأقزام الحكومة المجانين⁽²⁾ حيث شبّه أعداءه بالوحوش الضارية التي تنقضّ على فريستها، ولا ترحمها، ولا تشفق عليها، ووصفهم كذلك بالطيور الجارحة التي تتغذى على صغارها، ولا تذهب بعيدا لمطاردة فرائس أخرى بالرغم من قوّتها، وقدرتها فهي كسولة، منهكة، خائرة القوة، وهذا خزي وعار، وهي كناية على الحقارة، فقال:

أخزى الوحوش كواسرا وأذلّها * وحشٌ بلحم بني أبيه يُطعمُ (16)

¹- المعجم الوسيط (طعم) 557.

²- ديوان الجواهري/5.

ويلاحظ تناقض بين لفظي كواسرا والتي تدلّ القوّة والشدّة، وأدّلّها بمعنى أضعفها، فبالرغم من قوّة البطش، والقهر، والعنف التي يتّسم بها أعداء الشعب، إلا أنّ الشّاعر جاعلهم أقوياء وأذلاء في نفس الوقت لأنّهم ينالون من المقربين منهم بكل سهولة، ويصبّون جمّ غضبهم عليهم، والأمر تعدى الغضب والحقّد المفرط، فهذه الشرذمة من فاقد العزّة، والكرامة، من العدو وأذيله الذين تصدّوا لأبناء وطنهم يبتزّون، ويسرقون خيراته، وينكّلون بالشعب الأزل، ويعذبونه دون رأفة، ويملأون بطونهم من خيرات أبناء جلدتهم، ويستقوون بأرزاقهم، ويتمادون، وهنا استعارة فعبارة بلحم بني أبيه يُطعم جاءت في غير سياقها لتعطي معنى استغلال الأهل، ونهبهم، وأكل لحمهم، والنيل منهم، والانتقام الشديد منهم إلى حدّ لا يُطاق، ولقد نهت الشريعة الإسلامية السّمحاء على إلحاق الضرر بالنّاس فقال الله سبحانه وتعالى: "أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه"⁽¹⁾، لأنّ هؤلاء لا تحكّمهم مبادئ، ولا قوانين، ولا عادات، ولا أخلاق، ولا شرائع، ولا أهداف يحاربون من أجلها، أصبحوا مثل الطفيليات يتغذّون على الأعشاب المجاورة، لا تهمهم لومة لائم، ولا معرفة مصدر الرزق فالمهم عندهم هو حشو البطون بالحرام والبقاء في كرسيّ الحكم، والتّضحية بأبناء الشعب، والصعود على أشلائهم جهارا نهارا، وبهذه المواقف أصبحوا أذلاء أمام الشعوب، يحتقرونهم لأنّهم عبدوا الكراسي، وركعوا للمناصب وخضعوا لشهواتهم، وأصبحوا عبيدا لما تملّيه عليهم أنفسهم البائسة من جرائم يرتكبونها في حقّ المجتمع من ابتزاز واستغلال وامتناسص الدماء والتّضحية بالأبطال والانتقام من الشجعان، وبالمقابل هم مستضعفين أمام العدو لا يساؤون

¹ - سورة الحجرات/12

شيئا يستعملهم كمطيّة للوصول إلى الهدف، ويبرمجونهم مثل الآلة لينتقموا من الشعب، وبعد ذلك يعملوا على التخلص منهم بكل بساطة وسهولة، كيف لا وهو العدو الغادر المنافق الذي لا يُؤتمن.

وجاء أكل لحمه شرها (144) صيغة مبالغة متعدية حملت نفس المعنى وهي كناية عن التّماذي في الاستغلال والابتزاز والسرقة، والنّهب دون حدود وهذه دلالة جديدة زادت لغة المعجم إثراء لأنّ لفظ أكل ورد في غير سياقه ولا يقصد به الأكل بالمعنى المتعارف عليه ولكنه يخرج بفكرة جديدة وهي نهب وسلب ذوي القربى وهذه استعارة.

واستعمل كذلك حشدوا عليه الجوع، ويُشبّ نابّه، وحشدوا صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب الجمع المذكر، والحشد بمعنى الجمع⁽¹⁾، حروفها قويّة في معظمها، ويُشبّ صيغة فعلية كذلك مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية بمعنى يعلق، فالجوع شيء غير ملموس لا يعلق بين الأسنان لا يجمع ولا يحشد، ولكنه ينهك ويضعف ويجعل صاحبه هزيلا مريضا، قال الشاعر يصف حالة الجندي العراقي الذي قام يشدّ الحزام ويدافع عن بلاده واستعمل المجاز لأنّ حَشَدُوا ورد في غير محله وأعطى معنى التّأمر على الجندي والوقوف حجر عثرة في طريقه، وهذا معنى جديد دخل إلى المعجم اللّغوي للجواهري:

حتى إذا الجندي شدّ حزامه * ورأى الفضيلة أن يظلّ محارباً

حَشَدُوا عليه الجوع يُنْشَبُ نابّه * في جلد "أرقط" لا يبالي ناشبا! (141)

¹ - المعجم الوسيط (حشد)/175.

يصف الشّاعر التّكالب والتّآمر والعرقلة التي يفرضها السّادة على الجندي البطل الذي قام يحمي الحمى ويدافع عن الوطن بكل بطولة، حيث قاموا بتجويعه وإضعافه وجنّدوا كل الوسائل السلبية لقمعه وإرباكه، واتّحدوا ضده حتى خارت قواه وأصبح لا يستطيع أن يتصدّى للعدو، ويبقى الوضع على حاله لأنّ التّجوع ينتج عنه الهزال والإرهاق والتّعب الشديد، ويؤدي إلى نقص الإرادة ويصبح لقمة سهلة في يد الغير، ويبقى الساسة يعملون على تحسين أوضاعهم وخدمة مصالحهم. وهنا تبرز قمة التّآمر على الوطن من طرف السّادة العراقيين الذين يعملون لمصلحة العدو ويقهرون الشعب، ولقد جسّد الشّاعر الجوع واعتبره خصما عنيدا يعمل على جمع كل قوّاه للتّخلص من الجندي البطل رمز الحرّية، والسيادة الذي صمد بكل بطولة، وثبت أمام كل هذه الأساليب، وشمر على ساعديه، وكثر أنيابه أمام العدو وأذياه.

ويكون الشّاعر قد جعل الجوع والحرمان مثل الحيوان المفترس والطائر الكاسر ينقضّ بأنياه على فريسته ويقضمها ويمزّقها ويعبث بها، ولقد سلّط ساسة العراق على الجندي الباسل، الجوع والحرمان حتى لا يستطيع أن يقف وقفة المجاهد المناضل ويُقهر في الميدان، وحتى يتسنى للعدو العيش في اطمئنان وراحة بال، ولقد عرفت الأقطار العربية مثل هذه الوضعيات، وهناك الكثير من المتواطئين الذين وقفوا إلى جانب العدو وحاربوا الثّوار، وعندما رحل العدو غادروا معه، إلّا أنّ هؤلاء الأبطال لن يخضعوا لمثل هذه الأساليب البائسة وزادتهم إرادة وتحديًا، ورفضوا رفضا قاطعا رغيف الدّل الذي يعمل الأعداء بكلّ قواهم

باستدراجهم إليه، وفي هذا المقام قال مفدي زكريا يحفز ثوار بلاده ويشجّعهم ويتحدى أعداءه:

وثبنا كالكواسر، واتخذنا * إلى استقلالنا الأرواح طرّقا

إذا الرزق، صار حليف دُلّ * مَضِينًا نَبَتَغِي في الموت رزقا! (1)

واستعمل يُخَفِّفُ عن قُبْحِهَا بالكنى، يخفف صيغة فعلية مضارعة مبنية للمجهول، والقبح ضد الحسن، والكنى من كنى الشيء بمعنى سرّه وأخفاه⁽²⁾، الأصوات خافتة في معظمها، عبّر الجواهري عن الوضع المنحط الذي وصل إليه بعض الرجال الموالين للحكومة العراقية، واستعمل الكناية ليصف المستوى الأدنى الذي انحدروا إليه لإرضاء السيّد، ويكونون بهذا قد فقدوا مكانتهم، وكرامتهم، وحتى أسماءهم الحقيقية، وهذا معنى جديد دلّ على الذلّ، والازدراء، والاحتقار، فقال:

وجدنا الرجال وأسماءهم * يُخَفِّفُ عن قُبْحِهَا بالكنى (258)

وللدلالة على المواقف السلبية التي يتحلّى بها بعض المنافقين من الشعب العراقي المتآمرين مع الأعداء، الذين سيطروا، واعتدوا، ومارسوا شتى أنواع العذاب والقهر على الشعب الأعزل وطعنوه لإرضاء السيّد وتلبية لرغباته، ونزلوا بتصرفاتهم هذه إلى الحضيض الأسفل حيث فقدوا كرامتهم، وعزّتهم، ونبذهم الشعب، ونفر منهم، ولم يبق لهم شيئا يفخرون به حتى ألقابهم لم يعودوا يتباهون بها، وأصبحت مصدرا للمسخرة والاستهزاء والازدراء أمام

¹- مفدي زكريا- اللّهب المقدّس/122.

²- المعجم الوسيط (كن)/801.

الشعب، لأنّهم فرطوا في كل شيء لصالح العدو الغاصب، وأصبح الشعب يستحي أن يناديهم بأسمائهم لأنّها تجلب لهم العار، والمقت، والدّل، والاستهزاء، واستبدلت هذه الأسماء في بعض الأحيان بالكنى للتّخفيف من احتقارهم، وتصغيرهم شفقة عليهم لأنّهم لم يعودوا يساووا شيئاً، فهم مثل الصفر إلا أنّ الصفر عدد مثلما سبق وأن قال الشّاعر، وأصبحت أسماءهم رمزا للزدرءاء، والجبن، والخيانة، والضحك، تحمل بين طيّاتها الخضوع، والخنوع، وفقدان الوجود والمكانة الحقيقيّة، في المجتمع الذي يعيشون فيه.

وورد وجدنا الخبائث والطّيّبات بأضدادهنّ تُصطفى، وجدنا صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المتكلم متعدية، والخبائث هي عكس الطّيّبات بمعنى الشيء المكروه الفاسد الدنيء وفي التّنزيل العزيز: "ويحلّ لهم الطّيّبات ويحرّم عليهم الخبائث"⁽¹⁾، لفظتان متقابلتان حروفها بين الرخوة والشّدّة، وصف من خلالها الشّاعر ما يحدث في وطنه العراق مستعملاً الكناية، وجسد الخبائث والطّيّبات وجعلها ملموسة، ليعبر على تدهور الأمور، واختلاطها، وانتشار الفوضى، وتدمير المجتمع متأثراً بقول الله سبحانه وتعالى: "لا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن"⁽²⁾، حيث قال:

وجدنا الخبائث والطّيّبات * بأضدادهنّ -هنا- تُصطفى(258)

ويقصد الشّاعر هنا الفوضى العامرة التي عمّت في المجتمع العراقي، وقلبته رأساً على عقب، وغيّرت فيه المبادئ التي تحكمه، فأصبحت الخبائث تسيطر على الوضع،

¹- سورة الأعراف/157.

²- سورة فصلت/34.

وترتقي إلى مرتبة الطيّبات أو أكثر من هذا، ممّا جعل الجواهري يقف مذهولاً مما يحدث في بلاه، ويتحسّر عليها مستغرباً من انفلات الأمور، ووصولها إلى هذا الحد من الانحطاط والركود، حيث تشابك كل شيء، واختلت الموازين، وانتشر الفساد، واستشرى، وعمّت الفوضى، وحلّ الخراب، والشّاعر هنا مقهور ممّا يدور أمامه من أحداث لا يستطيع تحمّلها، والسكوت عليها، فهو يرفضها رفضاً قاطعاً، ولا يتقبّلها، ويسخر منها ويستنهزأ.

وجاء بدعوى "الجبان" بحبّ الوغى، صيغتان اسميتان مضافة مسبوقة بحرفي جر، الحروف بين الشّدّة والضعف، والجبان معروف ضد الشّجاع، والوغى هو الحرب، جمع الشّاعر هنا بين متناقضات هي الجبن والحرب والسلامة، حيث قال متهمّاً بهؤلاء الخانعين الذين يركعون لعدوهم، ويربضون في مكانهم، ويستسلمون لمصيرهم، وهي كناية على روح النفاق، والجبن، والخوف التي يضمرونها، وعلى تضليل المجتمع وغشه، وهذا معنى جديد أضافه الجواهري إلى قاموسه اللّغوي عبّر من خلاله على مقدّته باللّعب بألفاظ اللّغة وتوظيفها في دلالات جديدة عملت على إثراء لغة معجمه:

يُحِبُّ السّلامَةَ مشفوعةً * بدعوى "الجبان" بحبّ الوغى (248)

فهؤلاء الجبناء يتمنون العيش في أمن واستقرار حتى ولو كان يحكمهم العدو، ويفرض عليهم سيطرته وأوامره، فكل هذا لا يؤثّر فيهم ولا يهتمهم، وهم يقولون بصوت خافت نحن مع الحرب لأنّ الحرب تؤدّي إلى التحرير، ولكنهم منافقين لا يستطيعون أن يواجهوا عدوهم ويصمدوا في ميدان المعركة، هذه المعركة التي لم يشاركوا فيها بتاتا فهم يتصنّعون

الشجاعة، والبطولة إلا أنهم في الحقيقة ليسوا كذلك لأنّ التناقض من شيمهم لا يقوون على تغيير واقعهم والصمود أمام عدوهم، وقد استعمل الشاعر لفظتي الجبان والوغى ليتكلّم على التناقضات الكبيرة التي يعيش فيها هؤلاء أشباه الرجال، الذين وصفهم في كثير من الأحيان بالمسوخ الذين لا يصلحون لشيء، لأنهم فقدوا الرجولة، والكرامة، والذات.

واستعمل محمد مهدي الجواهري وهم مطايا الإثم يحسدُ مُسرجاً، ومنهم ليوم حسابهِ من يُلجَمُ، ومطايا الإثم صيغة اسمية مضافة، من مطيّة وهو ما يُركب مثل: البعير والناقة والدواب، والإثم هي الذنوب معروفة مألوفة، ويحسدُ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، ومُسرجاً مفعول به بمعنى شدّ السرج على فرسه ليغادر، ويُلجَمُ صيغة مضارع مبنية للمجهول بمعنى ألبس الدابة اللجام، وباقي الألفاظ معروفة مألوفة، والأصوات بين القوّة والضعف في معظمها، قال الشاعر في معرض حديثه عن المعركة التي تدور بين الأكراد، والحكومة، مشبّها المتآمرين معها بالمطيّة التي تُركب، وتُستعمل لقضاء بعض الأغراض، لكثرة الذنوب التي يحملونها على أكتافهم وفي صدورهم، وتراكت من خلال تماديهم في الظلم، والقهر، وهذه استعارة أضفت دلالة جديدة على لغة الشاعر:

وهم مطايا الإثم يحسدُ مُسرجاً * منهم ليوم حسابهِ من يُلجَمُ (18)

واللدّالة على أعدائه الذين يحملون أثقالا، وخطايا، وآثاما نظرا لما ارتكبه في حقّ الشعب من ظلم، وقهر، وبطش، وبالغوا وتمادوا وهم على علم بأنهم أخطأوا في حقّ المجتمع واستدركوا أنّهم وقفوا في وجهه فأصبحوا يحسدون الذين يتأهبّون للرحيل والمغادرة

وربما الموت، لأنهم سيلقون يوم حسابهم وسيعاقبون على ذنوبهم وسيتخلّصون منهم، ويبقى غيرهم ينتظر دوره الذي ربما لن يأتي قريباً، ولفظ مسرجاً هنا ورد مجازاً يقصد من خلاله الشاعر نيّة السفر والتنقّل.

ووردت فأشاعَ لحمي للذئاب، وحمى لحوماً بالنتانة تزخّم، صيغتان فعليتان متناقضتان متعدّيتان مسندتان إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وفي التّنزيل العزيز: "أحب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه"⁽¹⁾، الحروف بين الرخوة والشدة، أشاع بمعنى استباح، وحمى وفرّ لها الحماية، وتزخّم بمعنى تتنّ وتخبّث، وباقي معاني الألفاظ معروفة مألوفة، وجعل عدوّه كالذئب الغدار الذي استفحل في نهش لحم صغاره، ونهش لحم الحيوانات الأخرى الضعيفة، وهذه استعارة للدلالة على عملية الابتزاز، والسرقه، والنهب، والسلب، وكلّ ما تعرّض له قومه من مظاهر الظلم، والاستباحة، والاعتداء، والهمجية، والعنف، والبطش، ومقابل ذلك وفرّ الحماية والأمن للمتواطئين معه الذين نشتم منهم رائحة الخيانة، والنذالة، والغدر، مثل الرائحة المنبعثة من اللحوم المنتهية صلاحيتها فقال:

وأشاعَ لحمي للذئاب ولحمهم * وحمى لحوماً بالنتانة تزخّم (21)

فعدوّه مثل الذئب الماكر الغدار الذي يتصرّف بغريزته المعروفة، ينقضّ ويندفع ويأكل ويلتهم ويفسد مثل العدو الذي يبتزّ ويألم ويتمادى ويقهر، لأنّ الساسة لا يهتمّ أمر الشعب ولا يهتمون بحالته ولكنهم يعملون دائماً لمصلحتهم، ووفّروا لأقزام الحكومة الحماية الكبيرة

¹ - سورة الحجرات/12.

ووظّفهم لمحاربة الأكراد الأبطال الصادقين، فهؤلاء الأقزام تنبعت منهم رائحة النفاق والخبث مثل رائحة اللحوم الكريهة التي لم تعد تصلح للاستهلاك وأصبحت تشكّل خطراً على حياة الناس، فلا بد من رميها والتّخلص منها لأنّ الزّمن تجاوزها والعفن سكنها، فهم وأمثالهم يشكّلون خطراً على المجتمع الذي يعيشون فيه ويتلقون كل الدّعم والمآزرّة من طرف المسؤولين الكبار، فتراهم يظلمون، ويضطهدون، ويحاربون حرّية الرّأي وإثبات الوجود مستعملين كل وسائل القمع، والاستباحة، والظّلم، والقوّة، والعنف، ويعملون على نشر الباطل، وأصبح الشعب ينفر منهم، فمصيبرهم الزوال.

وجاء المُغْدِقُونَ على البياض نعيمهم، صيغة اسمية معرّفة متعدّية، والمُغْدِقُونَ مفردة مُغْدِق وهو المطر الكثير وكذلك العطاء⁽¹⁾، قال الله سبحانه وتعالى: "وإنّ لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً"⁽²⁾، أمّا الخالعون على السواد زرائباً، وخلع بمعنى نزع، الحروف قويّة وشديدة في معظمها، استعمل الشّاعر هنا تضاداً في الكلمات بين المغدقون والخالعون، والبياض والسواد، واصفاً مبالغة العدو في سرقة الشعب قال مستعملاً الكناية في العبارتين ليعبّر على تمادي الأعداء في سرقة الشعوب بلا حدود في وضح النهار، وعندما يأتي الليل ودون توقّف:

والمغْدِقُونَ على "البياض" نعيمهم * و"الخالعون" على السواد زرائباً⁽³⁾ (127)

¹- لسان العرب (غدق)، 682/10.

²- سورة الجن/16.

³- زرائب: حضيرة الماشية، المعجم الوسيط(زرب)/391.

ويقصد الشّاعر اللّصوص الذين يتصرّفون في أموال الشعب العراقي، ويغدقونها على مرأى من النّاس وعلى البياض، دون حدود ولا تردّد ولا تحقّق ولا يخشون شيئاً، يبعثرون الأموال ويبتزونها، ويسرقونها، ولا يخافون لومة لائم ولا يشعرون بحرج ولا حياء، مبالغين في الإغداق والتبذير غير مبالين بالنتيجة وهي حتما الإفلاس والخسارة، وهذا لا يهتمّ لأنّهم ليسوا أصحاب الشّيء، وفي الحقيقة فإنّ كل المجتمعات العربية تتعرّض لمثل هذه المواقف، فالسّادة والمسؤولين العرب يتصرّفون في أموال الشعوب كما يحلو لهم لا يخشون رقابة ولا عدالة يمشون لأصحابهم وأحبائهم وللخونة المتآمرين معهم على البياض دون خوف أو ارتباك، لأنّهم بعيدين عن العيون متجاوزين القوانين لا يخضعون للقيّم والمعايير، يستمعون لأهوائهم وشهواتهم وتحكمهم رغباتهم.

أما الخالعون على السّواد، صيغة اسمية مفردّها خالغ والخلع ليس النّزع فقط ولكنّه يحمل كذلك معنى سرقة الشعب في الخفاء كما يفعل الحّكام العراقيين بعيدين عن الأنظار، فلا ضمير يراقبهم فتراهم يقتتصون الفرص لينقضّوا على ما بقي من مصادر الرزق، والشّاعر هنا جعل ليلهم كنهارهم، يسرقون في وضح النهار ويتفنّنون في السرقة عندما يأتي الظلام، لأنّهم لصوص بطبعهم لا يستطيعون تغيير حقيقة أمرهم والتّغلب على هذه العادة السيئة، حيث امتدّت أياديهم إلى كافة مصادر الرزق، وجعلهم مثل الحيوانات المفترسة التي تنقضّ على زرائب الحيوانات عندما يخيم اللّيل وتخفّ الحركة، وتندم الرؤية تفترس وتفسد بعيدة عن الأنظار وعن الرقابة، وبعدما تشبع تترك البقايا والفتات وتعاود الكرّة من جديد

بحلول الظلام، وتتضح هنا مرة أخرى مدى حقد الجواهري على العدو الأجنبي الذي وصفه بأشنع الصفات، وقارنه بالحيوانات المفترسة ويكون بهذا قد أعطاه مرتبة في الحضيض الأسفل وهذا ما يستحقه، ويظهر كذلك مدى تدمر الشاعر من هذا الوضع المتعفن الذي طال أمده واستمر كثيرا.

واستعمل الشاعر جَمَدْتُ عَلَى الْجِلْدِ الْيَبِيسِ ضُرُوعُهَا، وَجَمَدْتُ بِمَعْنَى صَلَبْتُ صِيغَةً فعلية أصواتها ضعيفة وباقي الألفاظ معروفة، وَ مِنْ فَرَطٍ مَا أُحْتَلِبْتُ لَهَا أَشْطَارُ، وَأُحْتَلِبُ فعل مزيد من حلب مبني للمجهول بمعنى استخراج ما في الضرع من حليب، وأشطار بمعنى النصف والجزء كذلك، وجلب الدهر أشطره بمعنى خبره وتمرس بخيره وشره⁽¹⁾، وفي التَّنْزِيلِ العزيز: "فول وجهك شطر المسجد الحرام"⁽²⁾، حيث قال الشاعر معبرا عن اشمئزازه من ممارسات العدو وتصرفاته وشبه خزينة الدولة التي نهبها الأعداء ولم يتركوا شيئا فيها بالشاة التي جفت ضروعها من كثرة ما تعرضت للحلب والمبالغة فيه، وهذه استعارة نتج عنها السلب والابتزاز، وكناية على التماذي في السرقة:

جَمَدْتُ عَلَى الْجِلْدِ الْيَبِيسِ ضُرُوعُهَا * مِنْ فَرَطٍ مَا أُحْتَلِبْتُ لَهَا أَشْطَارُ (111)

والشاعر لا يقصد ضروع الماشية بالمعنى الحقيقي المعروف التي جفت وأصبحت يابسة لكثرة ما أُحْتَلِبْتُ ولم تعد تدر لبنا، ولكنه يتكلم عن خزينة الدولة وأموال الشعب التي سرقت على فترات، واستنزفت من طرف العدو الغاصب، ولم يبق شيئا ولم يعد هناك مصدرا

¹ - المعجم الوسيط (شطر) 482.

² - سورة البقرة/144.

للرزق، حيث جُوع الشعب وأصبح منهكا هزيلا مثلما يحدث لصغار الماشية الذين لم يجدوا حليبا يتغذون به، فتنهار قواهم ويموتون جوعا لأنّ مصدر قوتهم انقطع وجفّ.

وفي معرض حديثه عن المتخاذلين الجبناء الذين استسلموا لقدرهم، ولم يحركوا ساكنا وانبطحوا أمام العدو وحفروا قبورهم بأيديهم، قال الشاعر مستعملا بُنَاةً قُبُورَهُمْ، صيغة اسمية مضافة وردت جمعا حروفها بين القوّة والضعف، فعادة الإنسان لا يبني قبره بيده، وهي كناية على فقدان العزيمة، والإرادة، والطموح، والاستسلام للمصير المشؤوم وهذه دلالة جديدة أدخلها الجواهري لمعجمه اللغوي:

أَطْبِقْ جَزَاءً عَلَى بِنَاةٍ * قُبُورَهُمْ أَطْبِقْ عِقَابَ (59)

فلقد تمنّى الجواهري الموت لهؤلاء بالموت لأنّهم رضخوا لمصيرهم واستبقوا قدرهم وبنوا قبورهم واستسلموا لمصيرهم، وتقبّلوا قرار العدو الذي حكم عليهم بالإعدام، وأراد دفنهم بسرعة، ولم يرفضوا أوامره بل ساعدوه في خطته وفتحوا له المجال على مصراعيه، وسهّلوا عليه المهمة، بل وساعدوه كذلك على حفر قبورهم، وزوّدوه بالأدوات لكي لا يتعبوه بعد موتهم، ومن هنا يخلو له الجو ويعبث مثلما أراد لأنّهم بالنسبة له عبارة عن أشباح، وأشباه رجال لا يستحقّون الحياة فهم عالة على المجتمع فلا بد من التخلص منهم.

ووردت كذلك مُنْتَمِرِينَ يُنْصَبُونَ صُدُورَهُمْ، صيغة اسمية، وتتمرّ أصبح مثل النمر، الأصوات قويّة في معظمها، والنمر قويّ فتأك شجاع مفترس مقبل غير مدبر، وعادة ما شبّه الجواهري عدوّه بالنمر، لأنّه يعرف الكثير عن هذا الحيوان، كيف لا وهو الذي عاش

فترة طويلة في البادية بين سفوحها، وأشجارها، وطيورها، وحيواناتها، أما ينصبون صدورهم، فهي صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المذكر متعدية، بمعنى يتصدون للعدو ويصمدون أمامه، الأصوات في معظمها قوية، قال الجواهري واصفا أتباع العدو المنافقين الذين يتصنعون القوة، وشبههم بالنمر تهكماً منهم، لأنهم يتصدون للدفاع عن أعداء الأمة ضد شعوبهم، وهم مثل السباع يتكالبون بضراوة كبيرة على أبناء الوطن العزل، وينصبون أنفسهم مسؤولين حازمين أشداء يُفرغون قوتهم وجبروتهم في الشعب، وهذا معنى جديد استخلصته من هذه العبارة وهي استعارة وضّح من خلالها الجواهري حقيقة هؤلاء الأوغاد المنافقين وسخر منهم واحتقرهم:

مُتَنَمِّرِينَ يُنْصَبُونَ صُدُورَهُمْ * مثل السباع ضراوة وتكالباً (135)

وللدلالة على التظاهر بالشجاعة، والرجولة، أمام الشعب الأعزل، والانتقام منه وتسليط عليه أقصى أنواع العذاب، والعنف، والافتراس، وطعن المواطنين، والتنكيل بهم، والانتقام منهم، لمصلحة العدو، وتبدو هنا انعدام الروح، وموت الضمير التي تكلم عليها الجواهري فيما سبق، فوقف محتاراً رافضاً لهذا الوضع الذي استمر طويلاً، ولم يجد ما يقوم به إلا الدعاء عليهم بالموت علّ هذا يريحه.

وورد وحشٌ تنمر، و طالت أظافره، صيغتان فعليتان حروفها قوية شديدة، وتنمر من النمر مثلما سبق وأن ذكرت حيوان معروف مفترس، شبه الشاعر العدو الغدار الغاصب الذي جثم لمدة طويلة على صدر الأمة العربية، وجعلها تنن، وتتألم، بالنمر الذي طالت

مخالبه وأصبح خطيرا فتآكا لا يستطيع أحد مجاراته، والوقوف في وجهه نظرا لهذا السلاح الفتاك الذي يستعمله، وهذه استعارة ولدت معنى العنف، والقوة، والغدر، والمكر، والجبروت، والانقضاض، والسرعة الخاطفة، فقال:

وحش تَمَرَّ إذ طالت أظافره * واليوم يشخص مشحوناً لها الجلم (61)

فحتى استعمال الحيوانات لغريزتهم في الصيد فيها درجات، والنمر أشرسهم وأقواهم والنمر أخبث من الأسد، وتَمَرَّ بمعنى ساء خلقه⁽¹⁾، والمعروف على النمر كذلك سرعته الخاطفة فهو كالسهم، ويقصد هنا المستعمر الخبيث سيء الطباع النذل الحقيّر الذي يشبه الوحش، يستعمل الغريزة في تصرفاته، وتتغلب عليه روحه الماكرة، ويفتك بمخالبه، وينصاع وراء شهواته وطمعه، إلا أن الشعب سيقوم بالقضاء عليه.

أما طالت أظافره، للدلالة على انتشار المستعمر في أرض العراق، وفي أرجاء الوطن العربي، فالشاعر لا يقصد طول أظافر الحيوانات بالمعنى الحقيقي المألوف، بل يتكلم عن العدو الذي بسط سيطرته، وتغلغل وامتدت جذوره إلى أعماق مما نتصور، والأظافر عندما تطول تصبح مقرا للجراثيم والأمراض، وتتغفن فلا بد من تقليمها، واستمرار العدو حقبة زمنية كبيرة سيصبح من الصعب محاربته والقضاء عليه، وهنا الشاعر يحث على اجتنائه وتدميره إلى الأبد، لأنّ الوقت قد حان لتغيير الوضع، وأصبح الشعب يتذمر من هذا الوحش النمر، وسيعمل على تقليم أظافره، وقلع جذوره، وكسر شوكته، وإعادته من حيث جاء حتى لا

¹ - لسان العرب (نمر)، 235/5.

يتوغل أكثر ويصبح جزءا من المجتمع، ومن هنا يستحيل إبعاده، والشاعر ينبّه من هذه المؤامرة ويعمل على توعية الشعب للدفاع عن الحمى.

وفي موضوع آخر مازال الشاعر يتكلّم عن الكارثة العظمى التي يعيشها المجتمع العراقي وكل المجتمعات العربية، الرّازخة تحت نير الاستعمار الأجنبي، حيث استعمل تَعَاْفُ عِيشَتِهَا الْكِلَابُ، صيغة فعلية متعدية، أصواتها رخوة شديدة، وتعاف بمعنى تكره الطعام، قال الجواهري متمنيا الموت والهلاك لأشباه الرجال، المنحطّين الذين فقدوا هيبتهم، وكرامتهم في مجتمعهم، واستعمل الكناية، ليزدريهم أكثر، ويحتقرهم، ويتبرأ منهم، ويكشف عن حقيقتهم أمام المجتمع:

أَطْبِقْ عَلَى هَذِي الْمُسُوخِ * تَعَاْفُ عِيشَتِهَا الْكِلَابُ (59)

يبدو أن الجواهري قد سئم من الخضوع، والكسل، والخمول الذي استشرى في مجتمعه، وهو الذي يعرف بطابعه المتمرد الثوري لا يخضع لأسياده ولا يرضى بالذلّ، فهو متكبر عزيز النفس كريمها، فهذا الخضوع، والانحناء، والانبطاح جعل هؤلاء الجبناء ينحطّون إلى مرتبة الحيوان وبالضبط أدنى من مرتبة الكلاب، لأنّ الوضع الذي وصلوا إليه وقنعوا به وتقبّلوه، تعافه حتى الكلاب وتشمئز منه وترفضه وتتعالى عليه، وقد نعتهم الشاعر بالمسوخ، أشباه العباد.

فالكلاب لم يعرف عنها النقاوة، والطهارة، والنظافة فحتى شريعتنا منعتنا من العيش معها تحت سقف واحد، نمتلكها فقط للصيد والحراسة ونعافها في كثير من الأحيان، عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب حرث و ماشية"⁽¹⁾، لأنّ الكلب فيه نجاسة تمنعنا من معاشرته والعيش معه، وبالرغم من ذلك مثلما قال أصبحت هذه الكلاب تحتقرهم وتترفع عنهم، ووضعهم الجواهري في نفس المرتبة وبعد ذلك فضل الكلاب وأبدى لهم قدرا كبيرا من الاحترام والتقدير، لأنّهم اتخذوا موقفا واضحا من هؤلاء الأشباح، وأحاطوهم علما أنّهم أفضل منهم مكانة، لأنّهم لا يفعلون شيئا لتحسين ظروفهم، وأصبحوا مثل الدمى لا يحركون ساكنا، ولعبة في أيدي الأعداء يستعملونها للتسلية والترويح عن النفس.

وورد شكّا خمولهم الدُّبَابُ، صيغة فعلية متعدية، الحروف بين الشدة والرخوة، وشكى بمعنى تألم أي أظهر ما فيه من وجع، وقال الله سبحانه وتعالى: "إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله"⁽²⁾. والشاعر هنا يظهر اشمئزازه وغضبه الكبير، وسخطه على بني قومه الكسالي، حيث قال مستعملا المجاز ليعبر مرّة أخرى عن الخمول، والكسل، والركود، والجمود الذي وصل إليه هؤلاء فحتّى الدّباب أصبح لا يطيقهم، ويتقرّز منهم وكأنّهم أشباه أحياء وتمنّى لهم الرحيل:

أطبق على متلبدين * شكّا خمولهم الدّباب (59)

وللدلالة على رفض هذا المصير المشؤوم الذي وصل إليه هؤلاء الأفراد من المجتمع ولم يعملوا على تغيير واقعهم، ونفض الغبار المتراكم لأنّه أصبح لا يطاق، فحتّى الدّباب

¹- رواه البخاري 6/5، ومسلم 240/10.

²- سورة الجن/16.

اشتكى خمولهم وضعفهم، والدَّباب لا يشتكي عادة ولكن الشَّاعر رسم هذا المشهد وربط بين لفظتي الخمول والدَّباب، فالدَّباب يجد راحته، وضالته، ومتعته، في الأماكن الملوثة والعفنة التي تتراكم فيها الجراثيم ليتغذى منها ويستفيد، إلا أنه في هذه المرّة أبدى رفضه لهذا الوضع البائس اليائس الذي استمر طويلاً، وبقي على حاله وتدهور وبدأت الروائح الكريهة تُشتم من بعيد وتُنقَر الناس، الشيء الذي حَزَّ في نفس الشَّاعر فتمنّى لهم الموت القريب، ليتخلص من الوضع المقرف المتعفن، ومن عذاب الضمير الذي أصبح يلاحقه في كل مكان، لأنّه مهما كان الأمر ينتمي إلى هذا المجتمع وهو جزء لا يتجزأ منه، ويحزّ في نفسه تدهور الظروف وإغلاق المنافذ، وانسداد الرؤية، وتفشي الجمود والكسل، والخنوع، واستمرار الحال مدة طويلة، والشَّاعر لا يرى طريق أمل ولا مخرج، فلا بد من المبادرة إلى طرد الدباب، ونفض الغبار، وتغيير الوضع، وقال الله سبحانه وتعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ"⁽¹⁾، والشَّاعر حتى في غربته أصبح يطمح إلى تغيير الوضع، إلا أنّه أعزل لا يستطيع، لأنّ مصير بني قومه بين يدي العدو والمنافقين من السّاسة الذين لا يهتمهم الوضع الذي آل إليه الشعب.

وجاء ثُدَيُّ الخُمُول، صيغة اسمية مضافة، والثُدَي تصغير للفظ ثُدَي، والثُدَي هو منبع الرزق بالنسبة للطفل الرضيع، فهو الذي يقوّيه وينتفع من حليبه وينشّطه حتّى يصبح قادراً قوياً والخمول هو الكسل ونقول خمل ذكره وصيته بمعنى خفي⁽²⁾، أما كَفُ الغبَا فهي

¹ - سورة الرعد/11

² - المعجم الوسيط(خمل)/256.

كذلك صيغة اسمية مضافة، والكفّ معروف للدلالة على اليد التي اعتنت بهذا الصغير وهو في المهد ورعته وقامت بخدمته، واستعمل الشاعر الكناية في تُدَيّ الخمول للدلالة عن خيبة أمله في بعض أبناء الشعب الذين ألصق بهم صفة الخمول، وولدت منهم وتجدّرت فيهم وأصبحت لا تفارقهم واستشرت وتعقدت لأنّهم لم ينشأوا على حب الوطن، ولم يجدوا من ينير عقولهم ويعتني بهم، فلقد سيطر الغباء على أفكارهم والجبن على ضمائرهم وجعلهم غير قادرين على تغيير الواقع فقال الشاعر:

أَدَرَّ عَلَيْهِ تُدَيّ الْخُمُول * وهزته في المهد كفّ الغبا (227)

وتصغير لفظ تُدَيّ لم يستعمله الشاعر عن غير قصد ولكنّه أراد من خلاله أن يتهكّم ويحتقر ويستهزأ، فحتّى الثدي الذي يتكلّم عليه صغير لا يقوم بوظيفته الطبيعية، فالحليب الذي يخرج من الثدي هنا أصبح كالمخدر فيه خمول وركود، يريد الشاعر هنا أن يزدري هؤلاء الجبناء ويصغّرهم ويحطّ من مستواهم، لأنّهم في نظره لم يتشبّعوا منذ صغرهم بحبّ الوطن وبروح التضحية والاستشهاد والوفاء والدفاع عن الحمى والشرف، حيث سرى في دمهم الكسل والتخاذل وأصبح من طبعهم وجزءاً من يومياتهم.

فحتّى الكف التي اعتنت بهذا الوليد تتسم بالغباء والكسل لا فائدة فيها وهي كناية، ولقد فشلت في المهمة الموكلة إليها وكأنّها مكسورة لا تصلح لمثل هذا العمل الجبار وهو الاعتناء بالطفل الرضيع وهو في مهده، وتوفير كلّ ما بالوسع حتى تصقل ذكائه وتفتح له آفاقاً تساعد على بناء وطنه حتى لا يكون عرضة للاستهزاء والمسخرة.

فالإنسان الذي تربى منذ ولادته وفق هذه المبادئ لا نستطيع أن ننتظر منه شيئاً لأنه تغدّى بالكسل، والجبن، والتفّاعس، وسرى في دمه الضعف، والتقهقر، وأصبح لا يعرف من أمور الحياة إلاّ سواه، وهذه صرخة قويّة يطلقها الشّاعر إلى أجيال المستقبل ويحدّثهم مما آل إليه الوضع، وينبّههم من تعقيد الأمور وتعفّنها وتقبّلها، وعدم الاكتراث بمثل هذه الحقيقة المرّة، وهنا رفض لهذا الوضع البائس، ولهذه الظروف القاسية، ولهذا المنهج الخاطئ في تربية النشء فهم مستقبل البلاد، فلا بد من غرس روح الثورة والنضال والحماس، وطرد التفّاعس والتخاذل، وتزويد الأجيال بحب الوطن وروح التّضحية وهم في المهد، لأنّه إذا فات الأوان انتهى كل شيء، ومهدي الجواهري يزدرى ويسخر من هذه الأساليب الرخيصة ومن هذا التقهقر، والذلّ، والتراجع، والجبن.

وورد لَزِمُوا جُحُورَهُمْ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب الجمع متعدية، ألفاظها معروفة مألوّفة والجحور هي مأوى الحيوانات، ولزم مكانه بمعنى بقي فيه، ولم يبرحه واستقرّ، وطارَ حليمُهُم ذِعْرًا، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، الأصوات في معظمها شديدة، والحلم بمعنى العقل، وهناك تناقض بين لزموا بمعنى بقوا وطار بمعنى ذهب بسرعة، وصف محمد مهدي الجواهري حالة الرّعب والخوف التي انتشرت في المجتمع العراقي، وسيطرت عليه حيث شبّه بعض الجبناء من أبناء الشعب بالحيوانات الصغيرة، التي لا تقوى على الدفاع على نفسها أمام الخطر وتأوي إلى جحورها

لتكون في مأمن، واستعار لفظ جحر الذي ورد في غير سياقه على سبيل الاستعارة وزاد دلالة جديدة للمعجم اللغوي وهي الخوف الشديد وعدم المقدرة على درأ الخطر فقال:

لَزِمُوا جُحُورَهُمْ وَطَارَ حَلِيمُهُمْ * ذُعِرَا وَبُدِّلَتْ الْأُسُودُ أُرَانِبًا (136)

صوّر من خلالها الشّاعر حالة الذعر التي تنتشر في أوساط المجتمع عندما تشتعل الحرب وتشتدّ ضراوتها، فترى هؤلاء الجبناء لا يبرحون أماكنهم مثل الحيوانات الضعيفة التي تأوي إلى جحورها عندما تشعر بخطر يترصّص بها، فتلزم السكون حتى يبتعد الخطر، كما يفعل أولئك الخائفين وقت المعركة، فتراهم يتراجعون إلى الوراء ولا يصمدون في مكانهم، ويتحولون من أسود كاسرة قويّة فتّاكة أمام الشعب الأعزل إلى أرانب ضعيفة خائفة القوة لا تقوى على شيء، ولا تستطيع أن تصمد أمام الثوار الأبطال، فتهرب لأنّ الضعف والموت يترصّص بها.

أمّا طار حليمهم بمعنى فقدوا رشدهم وتوازنهم وفلنت أعصابهم وأصبحوا لا يعرفون كيف يتصرّفون فهم في مأزق كبير، والحليم لا يطير ولكن العصافير وبعض الكائنات الأخرى هي التي تطير وتحلّق وهذا مجاز، وهو كناية عن الإنسان عندما يصبح عرضة للمشاكل وتأتيه المصائب من كل جهة، وتستعصي عليه الأمور ولا يجد الحلول، يطير عقله ويذهب بعيدا، هذا بالنسبة للإنسان العادي الرزين المتبصّر فما بالك هؤلاء المتخاذلين الذين لا يستطيعون الصمود ولو لوقت يسير أمام الأحداث، لأنهم جبناء منهارين لا يقوون على استعمال العقل ولأنّهم في الحقيقة لا عقل لهم.

واستعمل مُسْتَنَوِقِينَ، وَيَزَارُونَ، صيغتان اسمية، وفعلية مسندة إلى ضمير الجمع الغائب المذكر، ويقال استنوق الجمل أصبح ذليلاً كالناقة، حروفها فيها قوة وشدة، ويزارون من زار وهو صوت الأسد معروف، قال الشاعر مستهزئاً متهمّاً من أشباه الرجال هؤلاء الأشباح الذين لا يملكون من الرجولة إلا المظهر والاسم، وشبههم بالنوق الذين يريدون تقليد الأسد إلا أنهم لا ينجحون، فتخونهم قوتهم المنهكة مثل هؤلاء المنهارين الذين لا يستطيعون الدفاع عن الوطن والحمى، لأنهم لا يملكون الشجاعة، والإرادة، والصبر، والتّحدي:

مُسْتَنَوِقِينَ وَيَزَارُونَ * كَانَهُمْ أَسَدٌ غَلَابَا (63)

فالجمال عند الشاعر تحوّلت إلى نوق هادئة، مستكينة، لا تتور، ولا تقوى على الصّياح مهما جرى، ومهدي الجواهري لا يقصد النّوق بالمعنى المتعارف عليه ولكنّه يقصد أذيل العدو الذين حوّلتهم ظروفهم القاهرة إلى أشباح وخيال، فلا وزن لهم ولا معنى، وفي الحقيقة أنّ الجمال لا تزأر بل الأسود هي التي تزأر، ولهذا السبب أضاف أسدٌ غلابا صيغة اسمية بمعنى مرضى خائرين فقدوا مكانتهم في الغابة، ولم يعودوا يتحكّمون في شيء، ويقصد الشاعر هنا المتآمرين مع العدو العملاء فاقدى الكرامة، والشرف، والعزة، الخونة الذين يخدمون مصالح المستعمر ومصالحهم بالدرجة الثانية، وليس لهم مكان في المجتمع لأنّهم منبوذون من طرف الشعب، لا يستطيعون الدفاع عن الوطن والصمود أمام الأعداء، مثل الجمل المُسْتَنَوِق الذي يريد مجارة زئير الأسد وتقليده ولكنّه لا يقوى على ذلك لأنّ

ضعفه قد خانه وجعله ذليلاً، مستكيناً، فاقدا لمكانته، ويتقاطع هذا البيت مع قاله أحد الشعراء:

ضعافُ الأسدِ أكثرها زئيراً * وأضرَمها اللواتي لا تزور⁽¹⁾ (57)

فالزئير وحده لا يكفي، ولا نستطيع من خلاله أن نغيّر الأوضاع، ولإسماع الصوت لابد من استعمال القوة، لأنّ المستعمر لا يخضع إلا لإرادة الشعوب، لأنّ الأسود القويّة تجعل الغابة الساكنة تهتّر بزئيرها، وتزلزلها، وتجعلها ترتعش وترتجّ، كذلك التّصدي للأعداء يستطيع أن يغيّر الحياة، ولتغيير الوضع لابد من جمع الوسائل وتهيئة الأجواء وتوفير ما يمكن توفيره للوصول إلى الهدف.

وجاء مُبْصِبُونَ، وكأَنَّهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مَسَخٌ وَمِنْ آثَامِهِ آثَارٌ، صيغة جمع اسمية نقول بصبص الكلب حرّك ذنبه طمعا أو ملقا⁽²⁾، الأصوات هنا جمعت بين الشدّة والرخوة تتّم عن الحركة، ومَسَخٌ صيغة اسمية بمعنى غير صورته إلى أقبح وقال الله سبحانه وتعالى: " وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ وعبدَةَ الطّاغوتِ"⁽³⁾، وآثار بمعنى علامات وفي التّنزيل العزيز: "انْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"⁽⁴⁾، وباقي الألفاظ معروفة مألوفة، استعمل الشّاعر التشبيه ليصف من خلاله أذيل الحكومة الموالين لها بالكلاب التي تقف إجلالا أمام سيّدها مبدية له الطاعة والولاء، وشبّههم كذلك بالأشباح التي

1- أشعار العامرين الجاهليين/57.

2- المعجم الوسيط (بصبص)/59.

3- سورة المائدة/06.

4- سورة الأحقاف/4.

ترعب الشعب، وتطبق سياسة الأعداء، وتجمع الذنوب والآثام من خلال تصرفاتها المناهضة للشعوب، فقال في تأبين عبد الحميد كرامي⁽¹⁾ متحدّثا عن الجوّ العام السائد في البلاد العربية ومدى الانهيار الذي عصف بهذه الأوطان:

مَبْصُصُونَ كَأَنَّهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ * مَسْخٌ وَمِنْ آثَامِهِ آثَارٌ (102)

وللدّلالة على الدّل الذي يبيديه السّادة والحكّام أمام العدو الذي قهرهم فأصبحوا يتوسّلون إليه، ويتودّدون، ويظهرون له الحبّ والمودّة، والإخلاص، والرحمة، والحنان، مثل الكلب عندما يرى صاحبه يقابله مبتهجا، محرّكا ذنبه، احتراما، وتقديرا، واعترافا، وامتنانا، إلّا أنّ الكلب صادق يتصرّف بغريزته فهكذا يفعل هؤلاء المساكين أمام عدوّهم فتراهم يركعون له خاشعين، مستكينين، فرحين بمصيرهم البائس الذي أثر في محمد مهدي الجواهري وحزّ في نفسه، وجعله يكرههم، ويحقّد عليهم، ولا يستطيع أن يتحمّلهم، فلقد طفح الكيل لأنّهم في نظره لا يختلفون عن الحيوانات وعلى الأشباح في تصرفاتهم، إلّا الكلب لا يتدلّل إلّا أمام صاحبه ولكنّهم يتدلّلون أمام العدو الغريب عن الدار.

وورد واستنجدت ودم الشعوب ضمانها ورفاهها، و يُلوى به عَصَبُ البلاد، واستنجدت من طلب النجدة بمعنى بعد ضعف اجترأ على فلان بعد أن كان يهابه⁽²⁾، صيغة فعلية حروفها قويّة في معظمها، ودم الشعوب صيغة اسمية مضافة ألفاظها معروفة أصواتها ضعيفة في معظمها، أمّا رفاها من رفه بمعنى رزق نعمة ويُلوى صيغة فعلية مبنية

¹ - ديوان الجواهري/96.

² - المعجم الوسيط(نجد)/902.

للمجهول بمعنى يُغلب⁽¹⁾، وعصب البلاد صيغة اسمية مضافة، وتستعمل الأعصاب لشدّ المفاصل وربط بعضها ببعض إلا أنّ مهدي الجواهري لا يقصد الأعصاب بالمعنى الحقيقي، وصف ما آل إليه الوضع في بلاده على يد الخونة الذين تناسوا مصلحة الوطن، وباعوها بالقليل من المال، وتاجروا بها، وفرطوا فيها، واستقوا على الشعوب، وضمنوا مصيرهم البائس، من خلال تطبيق سياسة التفريق، والتشريد، والتمزيق، والتككيل بالعباد، وممارسة القهر، وإملاءات العدو مقابل دولارات يدفعها المعتدون ثمن العديد من الخدمات، ولفظ يُلوى ورد في غير موضعه للدلالة على تفريق وحدة الصّف وهذا معنى جديد زاد لغة المعجم إثراء وتنوعاً، أمّا واستنجدت ودم الشعوب ضمانها فهي كناية على التّضحية بالأهل، والأقرباء، والتّفريط وهي نذالة، وخيانة، وغدرن ونفاق، تجاوز الحدود والأعراف فقال:

واستنجدت ودم الشعوب ضمانها * ورفاهها وأمدّها "الدولار"

يُلوى به عصب البلاد وتشتري * ذمّ الرجال وتُحجز الأفكار (114)

وشعار هؤلاء الخونة المتآمرين مع الأعداء هو امتصاص ما بقي من دماء، وتقوية العدو وإضعاف الشعوب لتضمن رفايتها وسعادتها على حساب أمّتها، وتكون بذلك قد أفرحت المستعمر ولبّت رغباته فيقوم هو بدوره بإمدادها بالدولار، فهذه الشّرذمة تقوم بما لا يقوى العدو بفعله فتضمن له ما يريد وهو يوفّر لها النفوذ ويمدّها بدريهمات قليلة تحمل بين

¹ - أساس البلاغة (لوى) 577.

طيّاتها المكر والخدع والنفاق، والشاعر ساخط على هذه الفئة التي عمدت على بيع الوطن والذّم والمتاجرة بالدماء والتفريط في الحمى.

أما يُلوى بها عصب البلاد، فكما خلق الله سبحانه وتعالى العصب لشدّ المفاصل، وربطها بعضها ببعض حتى لا تتضرّر وتؤدي وظيفتها على أحسن حال، فإنّ للبلاد عصب يوحدّها ويجمع شملها يتمثّل في تاريخها ومصيرها ووحدة شعبها وهدفها الذي تُضحي من أجله الشعوب بالنفس والنفيس، إلّا أنّ العدو الغاصب يريد أن يلوي هذا العصب ليفكّك روابط الشعب ووحدته ورموزه، ويخضعه لسيطرته وهذه كناية، فمثلاً يفعل المستعمر الأوروبي في كل الأقطار العربية حيث يعتمد سياسة فرق تسد، كما فعل الاستعمار الفرنسي في الجزائر بالتغلغل بين أوساط المجتمع، قال الشاعر مفدي زكريا:

أفاق من الوهم حزب البيان * فأسلم للمخلصين البيان

و زائله الشك في أصله * فمدت لحزب البيان اليدان

وأوحى اندماج فرنسا اندما * جا لحزبين مرماهما توأمان⁽¹⁾

واستعمل تُشترى ذِمّم الرّجال، وهي صيغة فعلية مبنية للمجهول، الأصوات ضعيفة في معظمها، والذّم لا تُشترى لأنّها ليست سلعة تباع، والذمة هي الحرمة، واستعمالها جاء في غير محلّه، وهي كناية على التفريط في الشهامة، والكرامة، والحرية، والإيباء، وبيعها بأبخس الأثمان، والعمل على خدمة مصلحة الأعداء، والهيمنة على الشعوب والتحكّم فيها،

¹ - مفدي زكريا، الإلياذة/64.

وعندما تُشتري الذّم يفقد المجتمع توازنه، وهويّته، وتاريخه، ويصبح تابعا لعدوه فاقدًا الشرعية والمصادقية، وهذا هو الهدف الذي يريد المستعمر أن يصل إليه وهو محو التّراث، والعادات، والتقاليد، والقيم، والتاريخ، والدين، وجعل البلاد تابعة له وجزءًا لا يتجزأ من كيانه.

أما تُحجّز الأفكار فهي صيغة فعلية مبنية للمجهول، حروفها تتراوح بين الشدّة والرخاوة، فالأفكار لا تُحجّز وهي كناية على التّحكم في حرّية الشعوب وكمّ الأفواه ومحاربة حرّية الرأي، وتضييق الخناق، واستعمال أسلوب البطش والقهر حتى يخاف النّاس، ولا يستطيعون أن يعبروا بعد ذلك عن آرائهم، حتى يهدأ بال العدو، لأنّه تخلص من هذه الأفكار الخطيرة المنيرة، ومن هذه النخبة المثقفة إلى الأبد، لأنّ دور هذه الطّبعة المثقفة في المجتمع هي تغيير الواقع ومحاربة العدو، وجسد الجواهري الأفكار وجعلها كالسّجين في القفص وفي زنزانة نظرا لخطورتها وثقلها، والهدف الذي ترمي إليه والنضال الذي تريد تجسيده على أرض الواقع لأنّها ترمي إلى انتشار الوعي، والثقافة ومحاربة الركود والجمود، ولهذا خافها العدو، وحاربها، وخنقها وهي في المهد، وقضى عليها نهائيا حتى يتسنى له أن ينشر ما يريد في المجتمع، ويعمل على تظليله وإبعاده عن الحقيقة حيث يستشري التّعفن، والجهل، والانحطاط، وتنتشر الفوضى.

ووظّف يُظْهَرُ الْوَرْمُ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها رخوة شديدة، والورم هو الانتفاخ، ويكون هذا الانتفاخ إمّا حميدا أو خبيثا، وقد خاطب محمد مهدي الجواهري الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ونصحه بتوخّي الحذر من

المحيطين به، وعدم منحهم ثقته فقال مستعملا الكناية ليعبر عن سوء النية، وعن الخداع والغدر:

وذوب الشحم من كبش الفداء لها * ومدعي النصح عنها يظهر الورم (61)

ويقصد الشاعر هنا النوايا الخبيثة التي يكتنها أعداء الشعب فهذه النوايا الكامنة التي يتستر وراءها تظهر في تصرفاته، فالعدو يحاول أن يعطي صورة إيجابية مستعملا أسلوب النصح، والتحضر، والرقى، والتطور، إلا أن تصرفاته تخدعه وتطفو نواياه على السطح ويظهر أمام الملاء على حقيقته، فهو بالنسبة للشاعر كالورم الذي لا يقلق صاحبه في بداية الأمر، إلا أنه بعد انتشاره في الجسد وتمكنه منه مخلفا دمارا كبيرا مثل الهزال والضعف والانهييار، يصبح الإنسان خائر القوة لا يستطيع أن يتصرف تصرفا صحيحا، فلا بد من القضاء عليه في بدايته قبل أن تتسع رقعته وينتشر في باقي الجسم، كذلك لابد من التخلص من المستعمر وأذialه، ودحرهم وكسر شوكتهم وإضعافهم، لأنهم نخروا جسم الأمة بأساليبهم الملتوية التي أساسها النفاق والكذب، والجواهري عانى من المقربين منه الذين أذاقوه الويلات ودمروه، ولهذا السبب لم يعد يثق بأحد وعلمته التجارب ألا يغمض عينيه.

وورد ألقوا كلب صيد، فراخ طوع بنانهم، ويبرون أنيابا له ومخالبًا، وألقوا صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المذكر الغائب وفي التنزيل العزيز: "تلقون إليهم المودة"⁽¹⁾، وكلب صيد صيغة اسمية مضافة، أما طوع بنانهم فهي صيغة اسمية مضافة كذلك بمعنى

¹ - سورة الممتحنة/01.

الانقياد والمطاوعة وقال الله سبحانه وتعالى: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ"⁽¹⁾، ويبرون صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المذكر الغائب متعدية بمعنى برى العود أو الحجر بمعنى نحتته، وباقي الألفاظ معروفة والحروف رخوة شديدة في معظمها، قال الشاعر يصف حُماة المستعمر، وما يفعلونه في المجتمع، مشبها إياهم بكلب الصيد الماهر الذي يدرّبه مالكة، ليتتبع آثار الفريسة ويلهث وراءها ويحضرها في وقت سريع ويعمل رهن إشارة سيده، ولا يعارضه، ويطبق أوامره مقابل قوته، فكَذلك يعمل هؤلاء بمهارة عالية وحرفية كبيرة، وبأقصى حرية على تعقب الشعوب والاستفسار عن تحركاتهم، ويقومون كذلك بالتحري، والتقصي لمصلحة المغتصبين، والعمل على خنق الشعوب، وقمعهم، مقابل دربهات مثلما سبق وأن قلت، لأنّ العدو الأجنبي استعمل كلّ ما في وسعه للاستيلاء على عقولهم، وصقلها، وتجريدتهم من ضمائرهم، ولهذا السبب وظّف الشاعر فراح طوع بنانهم وهي كناية على السير ضمن برنامج الغير، وإبداء الطاعة والولاء، أمّا يبرون أنيابا له ومخالبا فهي مجاز لأنّ يبرون ورد في غير موضعه ليعطي دلالة جديدة وهي تجهيز هؤلاء الخونة بكلّ الوسائل وشحذهم للقضاء على الشعوب:

ولقد رأى المستعمرون فرائسا * منا وألقوا كلبَ صيدٍ سائبا!

فتعهدوه فراح طوع بنانهم * يبرون أنياباً له ومخالبا (135)

¹ - سورة المائدة/30.

وللدّالة على هؤلاء المرتزقة الذين وظّفهم العدو لاقتناص الشعب والفتك به، واصطياد النّخبة من العراقيين، حيث منحهم حرّية التّصرف وفتح لهم الباب على مصراعيه ليفعلوا ما يحلو لهم، ويتربّصون بالأبطال المناضلين ويسلّمونهم إلى للعدو الأجنبي بعدما يصطادونهم، وينالون منهم، ويلقونهم في شباكهم، ويصبحون تحت إمّرتهم.

أمّا طوعَ بنانيهم، والبنان هي الأصابع، أصواتها رخوة، للدّالة على المناصرين للمستعمر الذين سلّموا أنفسهم ومصيرهم إليه، ورضوا بالذلّ والهوان، وأصبحوا كالأشباح لأنّهم فقدوا الضمير والهمّة، وأصبحوا لعبة بين أصابع أسيادهم يتفنّنون بها، ويعبثون يملون عليهم تصرفاتهم ويتحكّمون فيهم، ويشدّدون قبضتهم عليهم ويصقلونهم، ويضعونهم في بوتقة تناسب الدور الذي سيقومون به في المجتمع وهو التّصدي للشعب، لأنّهم أصبحوا مثل الآلة المبرمجة التي تخضع لمن يتحكّم فيها عن بعد.

أمّا يبرون أنيابا له ومخالبا للدّالة على طريقة توظيف العدو لبعض الموالين له من أبناء الشعب العراقي حيث يقومون بمأ رؤوسهم بالأفكار السوداء، وشحذهم مثل الآلة للسّكين، وتقوية مخالبتهم مثل الطيور الجارحة حتى يسهل عليهم المهمّة المتمثلة في الانقضاض على الشعب والفتك والافتراس.

ويكون العدو بهذه الطريقة قد غرّر بهم وتحايل عليهم، فأصبحوا طوع يديه حيث سهّل عليهم المهمّة لأنّه تمكّن من ضمهم إلى صفّه، ومن تخديرهم، وتزويدهم بكل ما يلزم ليقنّوا، ويشردوا، فأصبحوا يطبقون بكل جدارة أوامره لأنّ الاستعمار الأجنبي جعل منهم أداة

للقضاء على الحياة وتدمير المجتمع، وهم بفعلهم هذا قد نجحوا ونالوا جزاءهم على ما قاموا به، ولهذا السبب تدمّر الشاعر لما يحدث فعبر عن سخطه ورفضه بطريقة يشوبها التّهم والاستهزاء واصفا إياهم بأبشع الأوصاف.

وجاءت ذُنْب الحضارة ماذا أنت مُحْتَقَبٌ صيغة اسمية مضافة، والذنب معروف وهو حيوان يتسم بالذكاء والخبث والمكر في آن واحد، ومُحتَقَب احتقَب الإثم بمعنى ارتكبه⁽¹⁾، وقد جمع الجواهري بين الحضارة الغربية والذنب لأنهما يتشاركان في الخبث، والمكر، والخداع، وتحينّ الفرص وهنا كناية ولّد من خلالها الشاعر دلالة جديدة ساهمت في إثراء لغة المعجم فقال:

ذُنْبُ الحضارة ماذا أنت مُحْتَقَبٌ * في يوم تُمتَحَصُ⁽²⁾ فيه الأوزارُ والتّهم(62)

فالذنب مكر مفترس ويعرف كذلك بدهائه وانقضاضه بسرعة فائقة على فريسته، والحضارة هي النّطور، والرقي، والتّقدم في الميادين السياسية والاجتماعية والعمرانية، ومن المتعارف عليه أن المستعمر الغربي عندما حلّ بالوطن العربي من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه كان يدّعي أنّه سينشر الحضارة، والتّقدم في هذه المجتمعات المتخلفة الجاهلة، ويساعدها على تغيير وضعها، ومحاربة الرّكود، والجمود، وقد انتهج أسلوب الاحتيال والمراوغة مثل الذنب الذي يتأهّب لفريسته، ويتحينّ الفرص ليسطو عليها، ويتمكّن منها حتى يقضي عليها، ولن يتركها تتلمصّ منه، لأنّه استعمل في اصطياده أسلوب الخبث،

1- أساس البلاغة(حقّب)/134.

2- تمتحَص من محص، انكشف، المرجع ذاته(محص)/583.

والغدر، والخداع، والحيلة، مثلما يقوم به المستعمر الغربي بكافة ألوانه وأطيافه داخل أرجاء الوطن العربي، فقد اعتمد نفس المخطط في بلاد المغرب العربي كما في مشرقها.

ولكن هذا الأسلوب الذي مارسه المعمّر قد انكشف وسقط القناع أمام الجميع وعلى مرأى من العالم، وahan الوقت لتغيير الوضع وطرّد الذئاب، والمستعمر لأنّه المسؤول عن تخريب المجتمع وتدميره.

وجاءت الصيغتان الاسميتان المضافتان كذلك نُزهة الحقدِ، وحقدُ الذئاب، والحقد هو الغلّ، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن الحقد لأنّ النفوس الحاقدة هي نفوس مريضة تحتاج إلى علاج، قال الله سبحانه وتعالى: "ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم"⁽¹⁾، والمعاني معروفة، والأصوات ضعيفة قوّة، صوّر من خلالها الجواهري ما قام به العدو في وطنه من إجرام، قال الشّاعر مستعملا المجاز لأنّ لفظ نزهة ورد في غير موضعه وكشف من خلاله على النوايا المبيّنة الخبيثة للأعداء:

ويا نزهة الحقد... حقد الذّئاب * على حمل سارج لم يُصد(148)

ويعتبر الجمل ذاك الحيوان الصبور من أحقد الحيوانات وأشدّها، والشّاعر اختار الذئب لأنّه أشدّ مكرا، وكأنّ المستعمر الغاصب أتى في نزهة وفسحة وجولة ولكنها ليست ككلّ الفسح، وراءها خلفيات وبرامج ومخطّط، جاء حاقدا على الشعب يريد أن يفرض عليه القوّة والجبروت مستعملا أسلوب الخبث حتى يستطيع أن يتمكّن منه، ويسلبه خيراته وثقافته

¹ - سورة الحشر/10.

وتاريخه، ويجرّده من كل ما يملك مثلما قلت سابقا، عندما وصفه بالذئب الذي يتحایل على فريسته وينقض عليها ويفتك بها، فكذلك يعمل العدو الغاصب على العبث بكل حرّ جميل، وينشر سمومه في كل الأرجاء، يدنس، ويبترّ، ويدوس، ويغتصب، ويستبيح، وينتقم، لأنّه عديم الضمير يصول ويجول في الوطن العربي لا يخشى شيئا، فهو كالذئب الحاقد الذي يترصّ لافتراس حمل صغير ضعيف سارح ساذج مرتاح البال لم يشك لحظة أن هناك خطر ينتظره.

والى جانب الخبث الذي من طبيعة الذئب وصفه الجواهري كذلك بالحاقد، الشرير، الحاسد الذي انتهج أسلوب الغدر، والانتقام، والتتكيل، وهذه صفات العدو الذي جاء من بعيد بخلفيات مسبقة وبأفكار واضحة، غرضه الوحيد النيل من الشعب الأعزل، المطمئن، الهادئ الذي تحكمه العادات، والتقاليد، وفن الضيافة، والمتشبع بالقيم، وبالدين، شعاره التسامح والعفو، لا تعرف الضغينة طريقا لقلبه، واسع الصبر، لا يسترق النظر لأنّه في مأمن وفي أرضه وبين أرجاء وطنه، والعدو الماكر استغل هذه الصفات الحميدة واستعملها لمصلحته وجعل منها أداة حرب ضد الشعوب الإسلامية والعربية، والشاعر هنا يصوّر قمة الحقد، والضعن التي يكتّنها العدو للشعوب.

وجاء تسيل أطماع الحياة لعابه، وتسيل صيغة فعلية متعدية، وسال بمعنى جرى، نقول سال الماء أو جرى، وقال الله سبحانه وتعالى: "وأسلنا له عين القطر"⁽¹⁾، والطمع هو

¹ - سورة سبأ/12.

الأمل والرجاء، أما تشبُّ منه سنامُه والغارِبَا، تشبَّ من شَبَّت النار بمعنى اشتعلت⁽¹⁾، صيغة فعلية حروفها قوِّية، وسنامه من السنام كتل من الشحم محدبة على ظهر البعير والناقة ومن كل شيء أعلاه⁽²⁾، والغارب بمعنى الكاهل ما بين السنام والعنق وهو الذي يلقي عليه خطام البعير إذا أرسل ليرعى حيث شاء⁽³⁾، ومعظم الألفاظ معروفة والأصوات تراوحت بين الرخوة والشدة، ولقد عبّر الجواهري على نهم المستعمر وشراسته وضعفه أمام ملذات الحياة، وعدم تمكّنه من كبّح جماحه فقال مستعملا المجاز في الألفاظ تسيل وتشبُّ اللذان وردا في غير موضعهما ليعطيا دلالة جديدة عملت إغناء وتنوّع لغة المعجم، وأبرزت قدرة الشاعر على الخلق، والابداع، والتمكّن من مفردات اللغة العربية ودلّت على تجويع الشعب وحرمانه من أدنى حقوقه حتى تخور قواه:

وتُسِيل أطماعُ الحياة لُعابه * وتشبُّ منه سنامُه والغارِبَا (145)

وللدلالة على المستعمر الغاصب الذي ينغته بالطمّاع الذي لا يتماسك أمام مغريات الحياة وملذاتها وشهواتها، حيث يسيل لعابه ويضعف، وتتغلّب عليه نفسه الأمّارة بالسوء، ويفقد توازنه وكرامته، وينزل إلى الحضيض الأسفل، ويصبح يلهث مثل الحيوان لا يتمالك، يتطاير لعابه، ويظهر بمظهر منفر، فكل من رآه يزدريه ويحتقره لأنّ لا حدود تحكمه ولا نفس عزيزة تكبح شهواته، ولا يكتفي بإشباع رغباته وإنّما يتمادى وبيالغ ولا يشبع أبدا.

¹ - لسان العرب (شبيب)، 481/1.

² - المعجم الوسيط (سنم)، 455.

³ - المرجع نفسه (غرب)، 647.

أما تشبُّ منه سِنَامُهُ والغَارِيَا، للدَّلالة على امتصاص دماء الشعب العراقي، والحرص على تذويب شحمه، والقضاء عليه، وكأنَّه تعرّض لعملية الصهر والحرق وأصبح لا يقوى على شيء ضعيفا، هزيلا، منهارا مثل البعير المريض الذي تدهورت صحته، ولم يعد قادرا على الحركة، والشاعر هنا لا يبالغ في رسم طمع وجشع العدو وابتزازه للشعب وتماديه في ذلك وتجويعه وإفقاره.

وجاء يَخْبِطُ في دُجَاهَا حَاطِبًا، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها شديدة رخوة، وخبط بمعنى ضرب ضربا شديدا⁽¹⁾، وَيَصِيدُ في مُتَكَدِّرٍ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر كذلك، الألفاظ معروفة مألوفة، ومتكدر عكس صافي، استعمل الشاعر المجاز في العبارتين ليصف تمادي المستعمر في الغشّ، والنفاق، وعدم كشف اللثام عن وجهه الحقيقي، وعدم التصريح بنواياه الخبيثة وعمله في الخفاء وفي الظلام على سرقة الشعوب، ونهبها، وسلبها، وابتزازها، وهذا معنى جديد أضافه الجواهري لمعجمه اللغوي لأنَّ يخبط ورد في غير موضعه فقال:

عاش الحياة يَصِيدُ في مُتَكَدِّرٍ * مِنْهَا وَيَخْبِطُ في دُجَاهَا حَاطِبًا (145)

وللدَّلالة كذلك أن أذيال العدو الذين يعيشون حياتهم مستفيدين من الاضطرابات، ومن الأزمات، ويصطادون في المياه العكرة وهذه كناية على مكرهم وخداعهم، ولا يواجهون عدوهم ولا يصرّحون بنواياهم، ينشطون في الخفاء ومن وراء الأفتنة، ويعتمدون الحيلة، والخبث في

¹ - لسان العرب (خبط)، 280/7.

سلوكاتهم، يبتزون، ويعتدون على القانون، ويعبثون بالناس ليكونوا ثروة، ويخبطون مثل اللصوص في الظلام خبط عشواء، المهم عندهم هو تلبية رغباتهم، وإشباعها على حساب الآخرين، لأنّ هذا هو منهجهم في الحياة وقد تعودوا على الاصطياد ليلاً معتمدين أسلوب المراوغة والمكر، يترنّحون ويختفون عن الأنظار وبعد ذلك ينصبّون أنفسهم دعاة حقّ وعدل وحضارة، ويرتدون أقنعة تحميهم لقليل من الوقت، إلا أنّه في نهاية المطاف سيسقط القناع، وتظهر الحقيقة، ويسود الحقّ، وينقشع الظلام.

وورد الخابطون حياة الناس صيغة اسمية متعدية، واسمية مضافة، وخبط كما قلت من قبل ضرب بقوة، حروفها شديدة، قال الجواهري في ذكرى وفاة أبي العلاء المعري بدمشق سنة 1944 بحضور وفود البلاد العربية، واصفا بعض الدعاة، ورجال الدين، ومعاتبا إياهم⁽¹⁾، مستعملا المجاز في لفظ الخابطون الذي ورد في غير مكانه وهو كناية عن التلاعب بحياة الآخرين، وتقنينها حسب أفكارهم، والتحكّم فيها، والسطو على حرية التفكير، والهيمنة على العقول، وفرض الرأي بالقوة:

والخابطون حياة الناس قد مسحوا * ما سنّ شرع وما بالفطرة اكتسبا (210)

واستعمل الجواهري التناص متأثرا بما قاله الشاعر الكبير الجاهلي زهير بن أبي سلمى، حيث وظّف لفظ **خبط عشواء** ليتكلّم من خلاله على الموت الذي يأتي فجأة ويضرب الكبير والصغير، حيث قال:

¹ - ديوان محمد مهدي الجواهري/194.

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءٍ مِنْ تُصَب * ثُمَّتَهُ وَمِنْ تُخْطَى يَعْمَرُ فِيهِمْ⁽¹⁾ (110)

والخابطون هنا تُعْنِي المتحكّمون المسيطرون على حياة النَّاس الذين يستعملون شرع الله ويحاولون العبث به وتحريفه، ويسمحون لأنفسهم بسنّ قوانين مخالفة لمبادئ الشريعة لا أساس لها في النصوص القرآنية، يوجهون حياة النَّاس ويفرضون آراءهم، ويُمَلِّون عليهم أفكارهم وتصرفاتهم، فهم يدّعون أنهم رجال دين ولكنهم في الحقيقة مختلفون تماماً عما يقولون، فهم لا يعتمدون الشريعة لسنّ قوانينهم، ولكنهم يخبطون خبط عشواء وفق خواطرهم ومصالحهم وأهدافهم مثلما قال الشاعر، يستعملون الدين للوصول إلى أغراضهم وجعل الناس يعيشون تحت رحمتهم.

وجاء الفاتِلون عثانيناً مُهْرَأةً، والفاتلون صيغة اسمية متعدية من فتل بمعنى برم الحبل أو غيره⁽²⁾، والعثانين هي اللحية⁽³⁾، ومهْرَأة من تهرأ اللحم زاد نضجه حتى سقط من العظم⁽⁴⁾، وساءت لمحتطبٍ مرعى ومُحتطباً، صيغة فعلية حروفها قوّة في معظمها، والمُحتطب من احتطب بمعنى جمع الحطب وهو اسم فاعل والمُحتطب اسم مفعول، وباقي معاني الألفاظ معروفة، يقصد الشاعر هنا رجال الدين الملتحين الذين لا يعرفون من الشريعة السّمحاء إلا القشور والمظهر الخارجي، حيث قال يتهمّ بهم وبمنظرهم المقرف، فحتى لحيتهم ليست بصحّة جيّدة فهي مُهْرَأة عليلة، وشبّها بالأعشاب السيئة التي لا تصلح حتى للرعي،

1- ديوان زهير بن أبي سلمى/110.

2- المعجم الوسيط(قتل)/673.

3- المعجم ذاته(عثن)/584.

4- المعجم نفسه(هراً)/980.

ولا جدوى من جمعها لأيّ غرض كانت، وهنا استعارة فلفظاً مُحْتَطَبٌ ومُحْتَطَبَا وردا في غير سياقهما، للدلالة على عدم الجدوى من الظهور بمظهر ديني فالمهم هو الجوهر:

والفاتلون عثانيناً مهراً * ساءت لمُحْتَطَبٍ مرعى ومُحْتَطَبَا (210)

والدلالة على الاعتناء بالمظهر الخارجي، واستعمال الغش، والنفاق، مع المجتمع وإهمال الجوهر، والباطن، والابتعاد كل البعد عن النهج الصحيح، وعدم الاقتداء بالسلف الصالح، لأنّ هذه اللّحي لا معنى لها ولا قيمة، ولابد من حلّقها لأنّ الدّين لا يُختزل في لحية، أو في مظهر، فمثل هذه الطريقة تقلق الشّاعر لأنّه تشبّع بمبادئ الإسلام وهو صغير على يد قومه، ويستطيع أن يفرّق بين المهمّ والأهم، وبين الجوهر والمظهر، فحتى لحيم التي يتباهون بها أمام الملاء يعملون على فتلها لا قيمة لها لأنّها ليست كثيفة وبصحة جيدة ولكنها مهراً، مقرّفة، عليّة، منقّرة، قبيحة.

وورد مُستأجرين يُخربون ديارهم، صيغة اسمية وردت جمعا، واستأجر أي وظّف، وفي التّنزيل العزيز: "واتّخذّه أجيرا على أن تأجرني ثمانى حجج"⁽¹⁾، ويخربون ديارهم صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع الغائب المذكر متعدية، جمعت الأصوات بين الضعف والشّدّة، ويُكافئون على الخراب رواتبا، صيغتان اسمية، وفعلية متعدية مسندة إلى ضمير الجمع المذكر، وكافأ بمعنى نال جائزة فهل نكافئ على الخراب، وصف الشّاعر المنافقين المتآمرين المستأجرين الذين وظّفهم المستعمر لتدمير الشعب، حيث قال مستعملا المجاز

¹ - سورة القصص/27.

ليعبّر عن التواطئ ضد مصلحة الشعب والعمل على تدمير البنى التحتية، وتلقّي هدايا في المقابل، فلفظ مُستأجرين ويكافؤون وردا في غير موضعهما، لأننا لا نستأجر عادة أحدا للخراب، ولا نكافئه براتب، وهذه دلالة جديدة أضافها الشاعر لمعجمه اللغوي:

مُستأجرين يُخربون ديارهم * ويكافئون على الخراب رواتباً (135)

وللدلالة على هؤلاء المتواطئين مع العدو الذين أصبحوا يقومون كالمليشيات بتخريب البلاد، والديار، لا تهمهم مصلحة الوطن، ولا مصير الشعوب، وبالمقابل يُشكرون، فهم مثل المرتزقة، فالمعادلة خاطئة أصبح الذي يخرب، ويدمر يلقى هدايا، وعرفانا، واحتراما، وأجرا، وللدلالة كذلك على التناقض الذي استشرى في المجتمع وأصبح يحكمه وهو أحد أركانه، وقاعدة سارية المفعول يُؤجر عليها أصحابها، والاستعمار شجع هذه الظاهرة، وباركها، ومولها بأموال الشعب التي ابتزها وسرقها واستهتر بها، واستعملها في الشر ودمر بها المجتمع وخربه بواسطة شرذمة امتهنت الفساد والقمع والخراب مقابل دربهات.

وورد يُجنّبون الكلب، و وَخْزَة وَاخِر، وَيُجْهَزُونَ على الجموع معاطبا، وجنب بمعنى تتحى صيغة فعلية متعدية إلى مفعولين حروفها قوّة، ووخزة بمعنى طعنه طعنا غير نافذ⁽¹⁾، وَيُجْهَزُونَ بمعنى أسرع في قتله وإيذائه، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع الغائب المذكر، الأصوات قوّة في معظمها تحمل في طياتها العنف، وباقي الألفاظ معروفة، والعبارتان متناقضتان في المعنى واستعمل المجاز في يجنبون الكلب وهو لا يقصد الكلب

¹ - المعجم الوسيط (وخز) / 1018.

بالمعنى المعروف، وللدلالة على عدم تعرض العدو لأذياله بالأذى البسيط والعمل في المقابل على قهر الشعب، والتتكيل به وإيذائه فقال منددا بهذه التصرفات:

يُجَنَّبُونَ الْكَلْبَ وَخِزَةَ وَاخْز * وَيُجَهَّزُونَ عَلَى الْجَمُوعِ مَعَاطِبًا (128)

وللدلالة على هذه الفئة الضالة من المجتمع التي تعمل تحت حماية المستعمر ونعتها بالكلب الغدار، والمقصود بالكلب هنا عميل العدو الذي عمل على ترويضه فأصبح يعمل تحت إشارته، ولا يستطيع الخروج عن أوامره، ويعلن ولاءه التام له، مثل الكلب الذي يلهث وراء سيده إخلاصا، ووفاء، وينحني أمامه ولا يخالفه، ويتودد إليه ويبصص حتى يرضيه، ولذلك يقوم العدو بتوفير الحماية والأمن لهؤلاء وتجنيب إيذائهم لأنهم يمثلون ذراعه الأيمن، ويستطيع أن يعتمد عليهم في قتل الشعب وتدمير البلاد، فلا أحد يتجرأ على النيل منهم وفي مقابل ذلك يفتكون بالشعب، فحتى مجرد الوحز وهو الطعن الخفيف هم بمنأى عنه لأنهم بذلوا كل ما في وسعهم لإرضاء سيدهم، ولهذا السبب وهبهم الأمن والاستقرار لأنهم حلفاءه المبجلين.

وورد على قَدَمِي غَاصِبِيهِ ارْتَمَى، ورمى بمعنى قذف، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، الأصوات ضعيفة والمعاني معروفة، قال الجواهري في مقصورته التي احتوت على مختارات من قصائده نظمها سنة 1947⁽¹⁾، واصفا مدى الانحطاط، والظروف الصعبة، والمزرية التي استشرت في مجتمعه، واستعمل الكناية ليستهزا من الخونة الذين

¹ - ديوان الجواهري / 223.

نصّبوا أنفسهم أسيادا على الشعب الأعزل، وفي المقابل يتذلّلون أمام الأعداء وينحنون إلى الحضيض الأسفل، ويقبلون أقدامه لإرضائه:

وجدنا الزعيم - كما ينعثون * على قدمي غاصبيه إرتمى(258)

وللدلالة على الحالة البائسة التي يعيشها الزعماء العراقيين آنذاك، والوضع المنحط الذي وجدوا أنفسهم فيه، حيث قاموا بالركوع أمام عدوّهم، وفقدوا الكرامة والعزّة، ولبوا مطالبه ورغباته وإملاءاته دون مناقشة ولا رفض، غير مباليين بالقمع والظلم لأنّهم اعتادوا على هذه السلوكات وتعايشوا معها، فهم ينصّبون أنفسهم زعماء الأمة وقادتها ولكنّهم في الحقيقة فقدوا المبادئ والاحترام أمام المستعمر وأمام الشعب، فتراهم يقبلون أقدام العدو، ويتودّدون له ربما يعفو عنهم.

مما يستخلص من هذه المجموعة:

1-ورود بعض الأفعال المبينة للمجهول مثل: يُطعم (16)، يُخفف (238)،

أُحتلبت (111)، يُلجم (181).

2-استعمال بعض الصيغ الإضافية:

نزهة الحقد (148)، ذنب الحضارة (62)، لقاح الشر (285)، خيول البغي (28)، سيّاط البغي (28).

3-ورود بعض الصيغ بمعنى واحد ودلالة واحدة، مثل:

ارتقى الضمير (101)، عاض الضمير (41)، الضمير الأبكى (148)، صفر الضمير (102)، أعمى الضمير (150)، موت الضمير (41)، ودلت كل هذه الصيغ على فقدان الضمير.

4-وردت بعض الصيغ الاسمية والفعلية مثل:

يعيشون اجتارا (242)، الخابطون حياة الناس (210)، الشاريين دم الشباب (137)، تعاف عيشتها الكلاب (59)، شكى خمولهم الدّباب.

5-ورد تقابل في العبارات التالية: المغدقون على البياض (128)، النازعون على السواد، يجنبون الكلب وخزة واخر (128)، ويجهّزون على الجموع معاطبا (128).

الخلاصة

ضمّ الفصل الثاني من هذا البحث، مجموع الألفاظ والصيغ التي عبّر من خلالها الشاعر على الاستباحة، والظلم، والقهر، والتواطئ، والتآمر، والتقاعس، والخمول، والخضوع، والرّضوخ، والنفاق، والخداع، والطمع، والابتزاز، وما يمت له بصلة.

ولقد صوّر محمد مهدي الجواهري هذه المظاهر بدقّة كبيرة معتمداً على شدة الملاحظة، والتبصّر والقدرة على الخلق والابداع، سواء داخل التراكيب، أو في الأفعال والكلمات، وبقدر كبير من التمكن والبراعة، حيث عمل على اختيار كلماته التي تدلّ على ضراوة العدو وقسوته، حيث استعمل على سبيل المثال تنمر(61)، وطالت أظافره(61)، وكذلك ترتعي لحمي(285) للدلالة على نهش المستعمر للشعب العراقي وتمزيق لحمه، واستعمل كذلك يلفج الدماء(145)، المعطاش للدم(285)، ليقصد المستعمر الذي شبّهه بالحيوان مصاص الدماء، الذي لا يرتوي.

وتكلّم كذلك عن المكر، والخبث، حيث وظّف يُظهر الورم(61)، ذئب الحضارة(62)، كما أبرز العديد من الأساليب التي مارسها العدو في التعذيب مثل، تستبيح جلودكم للسالخين(118)، أطلق للصيد أظفارهن وأنيابهن(254).

وإلى جانب ذلك، صوّر الشاعر الوضع المزري والمتدني في مجتمعه، وما ساد فيه من خمول، وركود، وتدحرج، وهروب إلى الوراء والاستقالة الجماعية من الحياة، مستعملاً على

سبيل المثال لا الحصر، شكى خمولهم الذباب (59)، بناء قبورهم (59)، تعاف عيشتهم الكلاب (59)، لزموا جحورهم (136)، مستنوقين (63)، أدرّ عليه ثدي الخمول (227).

واختيار الشاعر الألفاظ، والتراكيب الدالة على المتآمرين مع العدو، الذين دنسوا المجتمع، وعملوا على انحطاطه، وسرقوه، وابتزوه، وافرغوا خزائنه، وقدموه لقمة للعدو، حيث وصفهم بالأذيال مستعملا، المغدقون على البياض (128)، الخالعون على السواد (128)، انحنت الرقاب (59)، بناء قبورهم (59)، حمى لحوم بالننتانة تزخم (21)، تسيل أطماع الحياة لعابه (145)، أحتلبت أشطار (111).

إلى جانب استعماله الألفاظ التي دلّت على أسلوب القمع مثل: بُحّ صوت الحق (191)، ليوم حسابه يُلجم (18).

ولقد ركز الجواهري كذلك، على ما قام به الساسة العراقيين من قهر الشعب، وظلمه، وحكمه بقبضة من حديد، والتّمثيل به، مثل: وحش بلحم بني أبيه يُطعم (16)، حشدوا عليه الجوع ينشب نابه (141).

إلى جانب انحدار هؤلاء الساسة إلى الحضيض الأسفل، وفقدانهم العزة والكرامة، حيث استعمل لوصفهم: وجدنا الرّجال وأسماءهم يخفّف من قبحها بالكنى (258).

ورمز كذلك إلى انقلاب الموازين، والمعايير في العبارات التالية: وجدنا الخبائث والطّيّبات بأضدادهن تصطفى (258).

ولقد وردت الكثير من الصيغ والتراكيب الإضافية مثل: ذنب الحضارة(62)، موت الحضارة(41)، المعطاش للدم(285)، ثديّ الخمول(227)، خيول البغي(20)، موتى الضمير(41).

احتوى الفصل الثاني العديد من الأفعال التي وظّفها الجواهري، على أصوات انفجارية قويّة، معبّرة مثل: صرّح الشرّ وجلّى(282)، خطّ وشطّ الاجترام(286)، يَرَج(99)، يلقّفه(105).

الفصل الثالث

مجموعة الألفاظ الدالة على الثورة والانتصار

- أ- الألفاظ الدّالة على الثّبات والصّمود.
- ب- الألفاظ الدّالة على التّغيير والشّجاعة.
- ج- الألفاظ الدّالة على العزّة والشّموخ والكرامة.
- د- الألفاظ الدّالة على المجد والتّضحية والوحدة
- هـ- الألفاظ الدّالة على التطلّع إلى المستقبل

والبناء

والرّقي وما شابه ذلك.

-مجموعة الألفاظ الدالة على الثورة والانتصار.

ثَبَّتْ عَلَى وَفْدِ الْوَعَى وَجَحِيمِهِ قَدَمًا
إِذَا بَرَدَ الثَّرَى تَتَأَلَّمُ
صَابِرٌ عَلَى الْبَلْوَى فَعُقْبَى ضَرَّهَا نُعْمًا
الشَّدَائِدُ تُسْتَنْصَفِي النُّفُوسُ بِهَا
يَلْقَيْنَ ظِلًّا عَلَى وَجْهِهِ فَيُلْتَطِمُ
وَيَزِدْجَمْنَ عَلَى وَجْهِهِ وَيَبْتَسِمُ
وَاصْنُدْ يُطَاوِعُكَ الْقَضَاءُ
هَمُّ الرِّجَالِ هِيَ الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ
وَصِلَ الْكِفَاحَ غُدُوهُ بِرَوَاحِهِ
"بَارِزَان" يَا قِمَمًا يُشَبِّبُهَا الدَّمُ
"بَارِزَان" يَا لُغْزًا تَعَاصَى حَلُّهُ
عَبَّرَ الْقُرُونِ الْغُبْرَ فَهُوَ طَلَسَمُ
وَتُعَارِكُ الْمَوْتَ الزَّوَامُ فَتُظْلَمُ
الْمَوَاكِبُ ذَابَتْ
جَمْرُ الْكِفَاحِ الْعَنِيدِ
أَنَّ الْحَدِيدَ قَارِعَهُ - فِي مَسْمَعِ الدَّهْرِ
وَجَدْتُكَ كَالْفُلَانِ ضَرَمَهُ طَبَعٌ
مَطَارِقُكُمْ هُنَّ جَرَسُ الزَّمَانِ
يَدَقُّ... فَيَسْمَعُ حَتَّى الْحَدِيدَ
ذَكَأَ بِهِ وَهَجُ الْإِبَا
وَقَدَا يَشُبُّ كَمَا تَشُبُّ النَّارُ
كَمْ طَرِيقٍ مُعَبَّدٍ بِدِمَاءٍ
كَمْ رُؤُوسٍ هَوَتْ لِرَأْسِ شَمُوحٍ
تَحْدَى أَظْفَارَ الطُّغَاةِ

أَظْفَارُ الْوُحُوشِ تُقْلَمُ
تُقْلَمُ الْأَظْفَارُ
يُشَخَّصُ مَشْحُودًا لَهَا الْجَلْمُ
كُنْ دَاءَ حَقْدِهِمُ الدَّافِينَ وَطِبَّهُ
يَنْضُجُ كُلُّ بُرْعَمِ زَهْرَةٍ
بِشَذَى عَبِيرِ دَمٍ بِهَا يُنْتَسَمُ
وَاسْتَثْمَرَ اللَّعْنَاتِ الْعَاصِفَاتِ بِهِ
فَأِنَّهِنَّ جُيُوشُ لَيْسَ تَنْهَزُمُ
الدَّمُ الْغَالِي يَسِيلُ ضَوْءٌ يُنَارُ بِهِ السَّبِيلُ
الدَّمُ الرَّفَاقُ رِكَاضٌ
لِغَايَتِهِ عَجُولٌ
الدَّمُ الرَّفَاقُ نَهَاضٌ
بِمَا يُعْيِي حَمُولَ
مُتَحَدِّرًا كَالسَّهْمِ صُلْبًا لَا يَزِيغُ
تَجَرَّ الدَّمَاءُ
لَنْ يُبْرِدَ الدَّمُ إِلَّا الدَّمُ
بِئْسَ الدَّمُ الْمُرُّ حُكْمًا
أَنْ دَمًا يَسْعَى إِلَيْكَ هُوَ الْمَحْكُومُ وَالْحَكَمُ
وَطَهَّرَ الْبَيْتَ - وَلَنْ يُطَهَّرَهُ إِلَّا دَمٌ، وَدَمٌ
جَرَّاحُ الشَّهِيدِ تَظَلُّ عَلَى الثَّارِ تَسْتَفْهَمُ
تَمْتَصُّ دَمًا ثُمَّ تَبْغِي دَمًا
تُلْحُجُّ وَتَسْتَطْعِمُ
أَسَلٌ يُخَضَّبُ مِنْ دَمٍ وَشِفَارَ
السَّحَابُ الْجَوْنُ يُسْتَسْقَى بِهِ الْبَلَدُ الْمَحِيلُ
الْمَجْدُ اشْعَاعُ الضَّمِيرِ لَضَوُّهُ

عَانَقَ الْمَوْجَةَ مَدًّا وَإِنْحَسَارًا
يَتَحَدَّى الْإِغْتِرَارَ
يَا ابْنَ صَيْدِ الرِّجَالِ
مَشَى الْوَعْيُ فِي أُمَمِ الْمَشْرِقَيْنِ
وَلُمْتُ لِكُنْسِ الْوَسِيخِ الْحُشُودُ
تُنْقَضُ عَنْهَا الْخُمُولُ الرُّقُودَ
وَقَدْ نَفَضَ الْكَهْفُ عَنْ أَهْلِهِ - غُبَارَ السَّنِينَ - وَوَعَثَ الْبَلَى
تَجُرُّ الصَّفُوفُ الصَّفُوفَ
وَيَسْتَتِيرُ الْوَقِيدَ الْوَقِيدُ
أَنْتُمْ فِكْرَةٌ يُغْدِبُ اللَّفْظُ بِهَا
وَتُشْحَذُ الرُّوحُ عَلَى مِرَاتِيهَا
بَنُوا الْحَيَاةَ وَرَمَمُوا
عِنْدِي خَوْفَ الشَّجَاعِ
وَطَيْشِ الْحَلِيمِ
وَمَوْتَ الرَّدَى
أَنْضَجْتُ نُضْجَ الشِّوَاءِ جُلُودًا
أَبْقَيْتُ مَنْ مَيَّسِمِي فِي الْحَيَاةِ وَشَمَا
تَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ أُمُّ الْكِفَاحِ
وَتَرْبِطُ أَحْلَامَهَا بِالسَّمَاءِ
قَبَسًا مِنْ لَهْيِبِ الْحَيَاةِ
تَبَيَّنَتْكَ رَزَايَاهُ شَعَارًا
طَلَعَتْهُ الْبِشْرُ وَضَحَكَةُ الْفَجْرِ
مَشَى الْحَقُّ فِي الصَّفَيْنِ
يَدْمَغُ بَاطِلًا
وَيَغْمُرُ بِالرَّيْحَانِ أَوْفَاهُمَا كَسْبًا

تَحَدَّثَ غُبَابَ الْبَحْرِ تَرْعِجُ حُوتُهُ
وَمَنْ قَبْلَهُ فِي الْبَرِّ أَرْعَجَتِ الضَّبَا
سَرَتْ كَشُعَاعِ النُّورِ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى
مِثْلَ النَّسِيمِ الرَّخْوِ فِي يَبَسِ هَبَا
وَدَبَتْ مَدَبَّ الرُّوحِ فِي الْكَوْنِ رَحْمَةً
وَشَدَّتْ لَجْسَمِ خَائِرٍ مُتَعَبٍ صُلْبَا
وَمَدَّتْ بِرَفَقٍ كَفَّهَا فَتَلَمَّسَتْ
جِرَاحَ بَنِي الدُّنْيَا فَآسَتْ لَهُمْ نُدْبَا
تَرَكَّتْ الَّذِي رَامَ السَّمَاءَ يُلْمِسُ الثَّرَى
وَمَنْ كَانَ يَشْكُو بِطُنَّةٍ يَشْتَكِي السَّعْبَا
قَصَصَتْ جَنَاحِيهِ فَقَرَّتْ شَدَائُهُ
وَعَادَتْ "تَوَازِي" شَرَّهُ أَفْرَحًا زُغْبَا
افْتَرَشُوا خَدَّ الدَّلِيلِ، أَوْطَأَتْ لِأَقْدَامِهِمْ، وَالْخُدُودِ الضَّوَارِعِ
بِئْسَ مُفْتَرِشِينَ جَمْرًا
تَمَنَيْتَهُمْ لَوْ افْتَرَشُوا الْقَتَادَا
اسْتَكْرَهُوا طَعْمَ الْمَمَاتِ فَأَبْطَأُوا
أُتِيحَ لَهُمْ ذِكْرُ الْخُلُودِ فَسَارَعُوا
أَبَى دِينُهَا أَنْ تَجْمَعَ اللَّهُ وَالرُّعْبَ
يَدٌ جَدَّ يَوْمَ الْقَيْرَوَانِ غُرُوقَهَا
وظَهَرَ عَلَى الْفُقُقَاسِ مُسْتَغْلِيَا جُبَا
عِنْدَهُ مِنْ "أَبْجَدِيَّاتِ" الضَّحَايَا مُعْجَمٌ، الْجِبِلَّ الْأَشْمَ
دَخَرَجَتْهُ عَنْ "مِصْرَ"
وَهُوَ مُعَرَّسٌ بِأَحْلَامِهِ
أَعْرَاسُ مَمْلَكَةٍ تَزُفُّ لِمَجْدِهَا
غُرِرَ الشَّبَابُ إِلَى التُّرَابِ كَوَاكِبَا

وراحَ الجَوُّ يُمَطِّرُهُم عَطْبًا
حَانَ الازْتِطَامُ
أَرْكَبُ الهَوْلَ
تَصْدُ عُبَابَهُ وَجْهًا لُوجَهُ
وَتَرْحُمُهُ انْعِكَاسًا وَاطْرَادًا
كَفَاكَ وَالْخَطْبُ فَخْرًا أَنْ تُصَارِعَهُ
سَيَنْجُرُّ عَنْ شَوْكِ الْجَمَاهِيرِ غَرَامُ
خُذِي الْكَوَارِثَ لَا نِكْسًا وَلَا جَزْعًا
إِنَّ الْمَصَائِبَ أَعْدَنَ نَحْتِي
كَمَا أَبْدَعْنَا تَلْوِينِي
شَعْبٌ دَعَائِمُهُ الْجَمَاجِمُ وَالْدَمُّ
تَتَحَطَّمُ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَطَّمُ
أُبْتَلُوا بِي صَاعِقًا مُتْلَهَبًا
أُبْتَلِيتُ بِهِمْ جِهَامًا كَاذِبًا
غَرَسْتُ رِجْلِي فِي سَعِيرِ عَذَابِهِمْ
افْتَحِمِ الطَّغَاةَ مَصْرَحًا، لَمْ أَعُودْ أَنْ أَكُونَ الرَّائِبَا
دَعَا ظِلَامُ اللَّيْلِ أَنْ يَخْتَطَّ لِي
بَيْنَ النُّجُومِ اللَّامِعَاتِ مَضَارِبَا
لَسْتُ الَّذِي يُعْطِي الزَّمَانَ قِيَادَهُ
وَيُرَوِّحُ عَنْ نَهْجِ تَنَّةَ جَ نَاكِبَا
عِنْدَهُمْ عَزَائِمٌ مِنْ قَبْلِ السُّيُوفِ قَوَاطِعُ
لَكُمْ "الْجَنُّ" تَهْرُجُ
مِثْلَمَا "الْإِنْسُ" تَخْضَعُ
نَفْسٌ هَدَّبَتْهَا الشَّدَائِدُ
الْأَكْلِينَ بِلَحْمِي سُمَّ أَغْرِبَةُ

وَعُصَّةٌ فِي حَلَاقِينِ الشَّوَاهِينِ
يَا جَبْهَةَ الْمَجْدِ يَا قَلْبًا وَيَا رِئَةً
فِي "يَثْرِبَ" حَرَمُ اللَّهِ كَعْبَتُهُ
وَفِي "دَمَشَقَ" لَشَرْقِ زَاخِفِ حَرَمُ
لَكَ "النُّورَ" فَأُطْلِقُهَا عَلَى شَرَفِ
وَحَلَّ تَنْحَدِرُ الْعُقْبَانِ وَالرُّحَمُ
خِيُولُ اللَّهِ زَاخِفَةً
لَا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ
قَلْبُ حُرِّ عَصِي الزِّمَامِ
يَتَمَخَّضُ التَّارِيخُ فِي أَعْقَابِهِمْ حَمْدًا
وَتَعْصَفُ لَيْلَةٌ وَنَهَارٌ
أَرَى أَفْقًا بَنَجِيعِ الدَّمَاءِ
تَتَوَّرُ وَاخْتَفَتِ الْأَنْجُمُ
فِيَا لَكَ مِنْ مَرَّهَمَ، وَيَا لَكَ مِنْ بَلْسَمٍ يُشْتَفَى
وَيَا لَكَ مِنْ مَبْسَمٍ عَابِسٍ
تُغَوِّرُ الْأَمَانِي بِهِ تَبْسَمُ
إِنِّي وَجَدْتُ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا
تَأْوِي إِلَى حُكْمِ عَدَلٍ... وَتَحْتَكِمُ
تَدُسُّ فِي الشَّرِّ خَيْرًا
وَتَنْزَعُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ

جمعت في الفصل الثالث من هذا البحث جملة من الألفاظ، والتراكيب، والصيغ التي وظّفها الشاعر محمد مهدي الجواهري ليعبّر من خلالها على العديد من القيم والمبادئ التي يمتاز بها أهل العراق وتقاسمه فيها الدول العربية والإسلامية، مركزاً على الصمود، والتصدي، والثبات، والاقدام، والتغيير إلى الأحسن، والشجاعة، والبطولات، والعزة، والسيادة، والشرف، والشموخ، والإباء، والأمل الذي ظلّ يلاحقه مدى الحياة ويبعث فيه روح العزيمة والمثابرة.

ولقد استعصى علي الأمر ولم أستطع تقسيم هذه المجموعة الكبرى إلى مجموعات صغرى متفرعة نظراً لتشابك ألفاظها، وتراكيبها، وتلاصقها حيث أنّها تصبّ في قالب واحد وتهدف إلى التغيير، وتحمل العبء الثقيل، والدفاع عن الوطن، والحمى وفرض الذات، وتحدي الأعداء بالرغم من كثرة المصاعب، والكوارث، وتراكم الأزمات، وتآمر الحكّام موتى الضمائر كما يحلو له أن يسميهم مع العدو الأجنبي، وتواطؤ بعض أبناء الشعب الواحد مع المستعمر الغربي، إلّا أنّ روح التفاؤل والنضال تبقى هي سيّدة الموقف، والانتصار هو الهدف، والتغيير هو الحلم الكبير الذي تسعى إليه شعوب العالم العربي من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.

وفيما يلي عرض لهذه الألفاظ والتراكيب التي وردت في ديوان مهدي الجواهري، وشرح لبعضها على سبيل المثال لا الحصر، آخذة بعين الاعتبار السياقات التي وردت فيها والتراكيب التي انبثقت عنها.

والمدقق في ألفاظ، وتراكيب وصيغ هذه المجموعة يلاحظ أنّ الشاعر استعمل الاستعارة، والكناية، والمجاز، والتشبيه ليولّد معاني جديدة لم نتعود عليها من قبل عملت على إثراء المعجم اللّغوي للشاعر، وأضفت عليه تنوعاً أبرز من خلالها قدرته مرّة أخرى على الخلق، والابداع والابتكار بطريقة فريدة من نوعها، جعلته يتحكّم في مفردات اللّغة العربية، ويوظّفها بطريقة عجيبة نتجت عنها معاني ودلالات جديدة.

حيث ورد **ثَبَّتَ عَلَى وَقْدِ الْوَعَى وَجَحِيمِهِ قَدَمًا**، صيغة أمر مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر حروفها قويّة، وثَبَّتَ بمعنى مكّنه من الثّبات عند الشدة⁽¹⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ"⁽²⁾، ووقد **الوعى** بمعنى نار الحرب، صيغة اسمية مضافة، وبقيّة الألفاظ معروفة، أما إذا بَرَدَ الثّرى تتألّم، صيغتان فعليّتان الأولى مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والثانية مسندة إلى ضمير المفرد المؤنث الغائب، أصواتها ضعيفة في معظمها، قال الشاعر داعياً الأكراد في شمال العراق إلى الكفاح، والصّمود موطّفاً الاستعارة ومشبّها قساوة الحرب وشدّتها، وعنفوانها بشرارة النّار التي تأتي على كل شيء فلفظ وقد الوعى ورد في غير سياقه فقال:

ثَبَّتَ عَلَى وَقْدِ الْوَعَى وَجَحِيمِهِ * قَدَمًا إِذَا بَرَدَ الثّرى تتألّم(11)

فكما للحرب شرارة تدمّر الأعداء، وتسحقّهم من على الأرض، وتقضي عليهم نهائياً وبلا هوادة، فكذلك للنّار لهيب يحرق ويشوي ويأتي على الأخضر واليابس، ولا يترك شيئاً

¹- المعجم الوسيط ('ثبّت)/93.

²- سورة إبراهيم/27

أمامه، وبهذا دعا الشاعر هؤلاء الأبطال إلى الصمود أمام شراسة المعركة، ولهيب النيران وقسوة الحرب وصعوبتها، وتحمل المشقة لحد الاستنزاف ولوقت كبير في ميدان المعركة والتأني، والتمهل، والصبر، وترويض النفس على هذا الامتحان العسير، وقال الله سبحانه وتعالى: "إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"⁽¹⁾.

فبالرغم من عدالة قضية الأكراد في شمال العراق التي يساندها الجواهري بكل ما يملك من قوة، إلا أنّ الحكومة استعملت كل ما لديها من بطش، وسلاح للقضاء على هذه الانتفاضة في بدايتها، ومهدي الجواهري لا يؤيد هذا الأسلوب من العنف بل يحث الأكراد على عدم مغادرة ساحة القتال والصمود، وتحمل هول وشراسة المعركة حتى يحقق أحلامه، لأنّ الدنيا تأخذ غالبا كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني * ولكن تأخذ الدنيا غالبا⁽²⁾

أما إذا برد الثرى تتألم فهي صيغتان فعليتان مسندتان إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، تحتويان على فعل الشرط وجوابه، للدلالة على مواصلة الكفاح، وإشعال فتيل الثورة، وعدم ترك متنفسا للأعداء يساعدهم على جمع قواهم الخائرة، ومراجعة خططهم، وربما يُعيدون الكرة مرّة أخرى لأنّ الحرب خدعة، وأبناء شمال العراق هم من أوقد فتيلها وهي فرصتهم للنيل من خصمهم وتلقيه درسا لن ينساه، فلا مجال للتخاذل ولا بد من ضم الصف وتوحيده حتى لا تكون هناك مفاجئة تحبط كل هذه العزيمة وتأتي عليها، وبهذا يفقد الشباب

¹- سورة آل عمران/222.

²- ديوان أحمد شوقي /99.

الثقة بالنفس، ويزول الحماس وتخبو العزيمة وتبرد، وتضمحلّ فرص النَّصر، ويُصاب الجميع باليأس، والخمول، والاحباط، مما يوَلِّد المعاناة، والتَّدمر، والقلق، ولأنَّ نار الحرب عندما تخدم سيتألَّم المناضلون، ويبرد الثرى، وهنا كناية حتّ من خلالها الجواهري على المزيد من إشعال فتيل الثورة.

واستعمل كذلك صابِرَ على البَلْوى فَعُقْبَى ضَرَّهَا نُعْمَى، صيغة فعلية وردت أمراً، وصابر من الصبر فيها مبالغة، والبلى هي المصيبة، ونلاحظ هنا تضاد في لفظتي ضَرَّهَا، ونُعْمَى، و تُثِيبُ الصَّابِرِينَ وتُلْهِمُ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث، من أتاب بمعنى كافئ وجازأ، وفي التَّنْزِيل العزيز: "فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ"⁽¹⁾، وتُلْهِمُ من ألهم بمعنى إلقاء الشيء في القلب بمعنى يطمئن⁽²⁾، ومعظم الأصوات بين الشدّة والضعف، نصح الشّاعر بالمضي قدما في الكفاح فقال مستعملا المجاز، وجسّد البلى وجعلها تغدق الهدايا على الصابرين الذين عرفوا كيف يستثمرون فيه، ويحوّلونها لمصلحتهم، فلفظا تثيب وتلهم وردا في غير موضعهما، للدلالة على استغلال الأزمات وتحويلها إلى نعمة ومخرج فقال:

صابِرَ على البَلْوى فَعُقْبَى ضَرَّهَا * نُعْمَى تُثِيبُ الصَّابِرِينَ وتُلْهِمُ(11)

نصح الشّاعر من خلال هذه الحِكم، والمواعظ، والارشادات بقلب الموازين، واستخلاص العبر مما يحدث، وتحويلها إلى نعمة، وفرج، ونصر، ويتحقّق هذا من خلال

¹- سورة المائدة/45.

²- المعجم الوسيط(ألهم)/842.

الصبر على المحن، والتماسك، وعدم الاستسلام بسهولة، لأنّ البلوى بمثابة الامتحان العسير، والابتلاء الذي يتعرّض له الإنسان وفي الأخير سيُجاز ويفرح بما حقّقه، وهنا دعوة صريحة للاستمرار في النضال، والكفاح، ولأنّ حبّ الوطن من الإيمان فلا بد من التّضحية في سبيله، وليس من السهولة أن يعيش الإنسان في سعادة ونعمة دائمة فعليه أن يجتهد، ويتعب، ويعرّض نفسه في بعض الأحيان للمخاطر، ليتحصّل على ما يريده، واعتبر الشّاعر الشّدائد منبعاً للإلهام لمن يعرف كيف يستخلص منها العبر، ويوظّفها لصالحه، فسينتقوى من خلالها، ويكتسب تجارب لأنّها بمثابة الموعظة، ستساعده في صقل أفكاره من جديد، وإعادة النظر في العديد من الخطوات السابقة، والاستعانة بالعقل والتّروي، والتبصّر، واتّخاذ القرارات، والسير في منهج سليم.

أما إنّ الشّدائد تُستصفى النفوس بها، وهي صيغة فعلية مبنية للمجهول مزيدة، حروفها بين القوّة والرخوة ألفاظها معروفة، وتستصفى النفوس من صفى صفوا بمعنى خلص من الكدر⁽¹⁾، قال الشّاعر في قصيدة بعنوان "معركة المصير"، مستفيداً من تجربته في الحياة مستعملاً المجاز:

إنّ الشّدائد تُستصفى النفوس بها * مثّل الحُظوظِ على أصحابها قِسَمُ (56)

اعتبر محمد مهدي الجواهري المصائب، والشّدائد التي تحلّ بالإنسان، وتهجم عليه الواحدة تلوى الأخرى، بمثابة زكاة للنفس تطهّرها من الذنوب، وتعمل على تقويمها، وصقلها،

¹ - المعجم الوسيط (صفا) 517.

وتصفية الضمير من الشوائب التي علقت به في بعض الأحيان، وتطهيراً للروح والسمو بها، وهي ابتلاء تنقلب بعد ذلك إلى نعمة عندما نصبر عليها، ولا نرفضها، ونتحملها بصدر رحب محاولين اتخاذ العبر مما يدور حولنا من أحداث، ومقابلتها بعدم الرضوخ، والمقاومة، والاستبسال، واستعمال أسلوب المواجهة والتّصدي، والعمل على كسب المعركة، وهذه المصائب تأتي بالتداول فالذي يحسن استغلالها يستفيد منها، ويجعل الأمور تنقلب لصالحه، ويصبح محظوظاً، مذموماً من طرف الأعداء، راضياً بمصيره المحتوم، مؤمناً بقدره وما يظهر له سواء كان خيراً، أو شراً، صبوراً، قنوعاً لأنّ دوام الحال من المحال، والإنسان إذا أحبّه الله ابتلاء.

واستعمل **يَلْقِينَ ظِلًّا عَلَى وَجْهِ فَيُلْتَطِمُ، وَيَزْدَحِمْنَ عَلَى وَجْهِ وَيَبْتَسِمُ،** وألقى صيغة فعلية حروفها ضعيفة إلى حد ما متعدية بمعنى طرح، والظل ضوء شعاع الشمس إذا استترت عنك بحاجز، ومن الشيء أوله، وظلّ الليل سواده⁽¹⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: **"تَلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ"**⁽²⁾ وألقى الله الشيء في القلوب قذفه، والقرآن أنزله⁽³⁾، ويُلْتَطِم من اللَّطَم وهو معروف الضرب على الوجه، حروفها شديدة قوّة، ويَزْدَحِمْنَ هي بدورها صيغة فعلية من الازدحام بمعنى التّدافع في مكان ضيق، مسندة كذلك إلى جمع المؤنث، استعمل مهدي الجواهري التّضاد في معاني هذه الصيغ، فَيُلْتَطِم دلّت على الغضب، والاحباط، وَيَبْتَسِم تحمل معنى الفرح والسعادة، عبّر من خلالها على قوّة التحمّل، والصبر عند البعض،

1- المعجم الوسيط(ظل)/576.

2- سورة الممتحنة/1-13.

3- المعجم الوسيط(لقى)/836.

والانهيار، والضعف، والسقوط عند البعض الآخر، فقال معبراً عن الصراعات العنيفة التي تدور في داخله:

يلقِين ظلاً على وجهٍ فيُلْتَطَمُ * ويزدحمَنَ على وجهٍ ويبتسمُ (56)

واعتبر الجواهري أنَّ بعض المصائب التي تعرّض لها البعض ليست إلّا ظلاً بسيطاً، سطحياً، لا يؤذي ولا يضرّ، وهو مجرد انعكاس لنوبات شديدة حجبتهما الأقدار، وغيّرت طريقها، ولم تمكّنها من العبث بكامل قواها بمصير الشعوب، وشكّلت أمامها حاجزاً كبيراً، إلّا أنَّ هذه الفئة لم تصمد أمام هذا الافتزاز النسبي، والمتوسط، وأظهرت ضعفها للوهلة الأولى ولم تتماسك، وانهارت بسرعة فائقة، وفتحت الباب على مصراعيه أمام هذه العراقيل التي تمكّنت من المجتمع وأرهبته، وأرعبته، ولم يتمالك أمامها وأظهر الذعر، والخوف الشديد، والأمر لا يحتاج إلى كل هذا الفزع.

ولكن الفئة الثانية تتوالى عليها نوبات الدهر الواحدة تلو الأخرى دون انقطاع، إلّا أنّها تقابلها بالابتسامة، والبشاشة، والصبر، والإيمان، والثبات، والتريث، مؤمنة بقدرها خيره أو شرّه قانعة، ومن هنا ستتغلب على هذه الأزمات القويّة، وستنتصر، وتساعد في ذلك الإرادة الصلبة التي تتمتع بها ويد الله التي ستمتدّ لها.

ويُلْتَطَمُ من اللّطم وهو الضرب على الوجه وينتج عندما تشتدّ المحن، وتُغلق الأبواب، وتَسْوَد الدّنيا ويحلّ الظلام، ويليه الغضب، والتذمر، والصراخ، والعويل، وفقدان السيطرة على النّفس، والشّاعر لا يحبّذ هذا التّصرف البدائي، أمّا يبتسم فتدلّ على الأمل، والقناعة،

والتروي، والثقة بالنفس، وهذه الفئة مؤمنة بمصيرها وما يحكيه لها الدهر من عراقيل، ستعمل على التغلب عليها عاجلاً أم آجلاً، وأضفى استعمال هذه الألفاظ المتضادة معاني جديدة عملت على إثراء لغة المعجم وتنويعه، ويظهر الشاعر هنا تفاؤلاً كبيراً يحث من خلاله على عدم التشاؤم، والقنوط، واستعمال العقل، وتفويض الإرادة، والانتصار على النفس الضعيفة للوصول إلى نتيجة إيجابية وهي كسب المعركة.

ووردت **واصمُ يُطاوعُك القضاء**، صيغة أمر أصواتها قوية مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر، **يُطاوعُك** هو جواب الشرط لفعل **اصمُ** مسند إلى ضمير المفرد الغائب المذكر بمعنى الانقياد ومعاني الألفاظ معروفة، أما **همم الرجال هي القضاء المبرم**، صيغتان، اسمية مضافة وردت جمعا، واسمية، والمبرم من برم الأمر وأحكمه، والحكم في القضاء أيده⁽¹⁾، وهمة بمعنى العزم والقوة، قال يحث على الصمود، والنبات، موظفاً المجاز فلفظ **يُطاوعُك** ورد في غير موضعه، للدلالة على تسخير إرادة السماء كل قوتها للوقوف إلى جانب الحق ومناصرته، وكأن هناك صفقة بين الأكراد وإرادة السماء، لأن القضية عادلة ولا تحتاج إلى نقاش:

واصمُ يُطاوعُك القضاء وحكمه * همم الرجال هي القضاء المبرم(11)

نظرا لعدالة قضية الأكراد، فإن القضاء الرباني، والحكم الإلهي، سيؤدي في النهاية إلى نصرها، وإنصافها، ومساندتها، والشاعر لا يقصد هنا القضاء الوضعي الذي سنّه

¹ - المعجم الوسيط(برم)52.

الإنسان، بل تلك اليد الإلهية التي ستمتد وتأتي معجزة النصر، فهؤلاء الرجال عازمون على التغلب على عدوهم، واتقون من الفرج الذي سيأتيهم قريباً لأنهم مؤمنون متمسكون بحبل الله، قال الله سبحانه وتعالى: "ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه"⁽¹⁾، ويبدو على هذا البيت مدى تأثر الشاعر بالتربية الدينية التي تلقاها على يد أبيه بالنجف وشيوخه، ويبدو ذلك في استعماله لعبارتي **القضاء وحكمه** و **القضاء المبرم**، فمصير هؤلاء النفاة إذا استشهدوا جنة الخلد، وإذا استمروا في المعركة فالتنصر بإذن الله من نصيبهم، لأنهم يتمتعون بإرادة فلاذية لا تحطمها الأحداث، ولا تلويها المصائب متشبعين بإيمان عميق لا تقوى على زعزعة الشدائد، ولأن عزمهم القوية ستتقاطع وتتشابك مع أيدي الأقدار التي ستمتد إليهم لتزيدهم إقداماً، وصموداً، وإحاحاً، على تحقيق أمنياتهم، وهذا هو القضاء المحكم العقلاني الذي أنتجته الظروف وأيدته يد السماء.

أما فيما يخص الجملة الفعلية **وَصِلَ الْكِفَاحَ غُدُوهُ بِرَوَاحِهِ**، صيغة أمر مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر من صال بمعنى سطا عليه ليقهره⁽²⁾، وغدوه من غدى غدواً، غدوة بمعنى ذهب وانطلق⁽³⁾، وبرواجه من راح بمعنى صار في العشي⁽⁴⁾، الأصوات بين الشدة، والضعف، استعمالها الشاعر لينصح، ويخاطب أكراد العراق محمّساً، ومشجّعا، ومستعملاً المجاز في لفظ **صِلَ** الذي ورد في غير مكانه، نقول واصل الكفاح واصل من

¹- سورة الأحزاب/23.

²- المعجم الوسيط(صول)/528.

³- المرجع ذاته(غدا)/646.

⁴- نفس المرجع(راح)/380.

صال وحمل معنى الغلبة والانتصار، والاستماتة في ساحة المعركة، وإبداء الشجاعة والصبر:

وَصِلِ الْكِفَاحَ غُدُوهُ بِرَوَاحِهِ * كُلُّ الْمَوَاسِمِ لِلْمُكَافِحِ مَوْسِمٌ (11)

وللدلالة على مواصلة القتال، والضرب بقوة كبيرة، والعمل على زعزعة الأعداء، وتدميرهم، والقضاء عليهم، وحسن استعمال الوقت، وعدم الانقطاع على ساحة الوغى، وعدم التفريق بين الليل، والنهار، ومحاولة التربص بالعدو ومباغتته، لأنه انتهازي بطبعه يتحين الفرص لينقض على الشعب الأعزل، وبما أن مهدي الجواهري قد اعتنق قضية الأكراد وتبناها، فهو ينصح بعدم التخاذل، والتراجع، والتدحرج مهما كانت الظروف، ومهما طال الزمن وامتد، لأن النصر آت لا شك في ذلك، فلا بد من ملازمة ساحة المعركة ليلا نهارا وفي كل المواسم، والمضي في الجهاد، وعدم الاستسلام لأن كل المواسم والفصول يستطيع من خلالها المكافح أن يفرض نفسه، ويثبت في ساحة القتال، ويصمد أمام أعدائه، المهم ألا ينقطع على مقاتلة العدو لأنه إذا توقّف يوما أو دقيقة فربما سيتعرّض إلى مكيدة من طرف خصمه، ويستطيع بذلك أن يقضي عليه، ويضعفه ويتخلص منه، ولهذا السبب نصح بالتّكّيل بالأعداء، والوقوف في وجه الحكومة العراقية الظالمة، التي عملت على تقزيم قضية الأكراد، والقضاء عليها في مهدها.

واستعمل الشاعر "بارزان" يا قِمَمًا يُشَبِّهُهَا الدَّم، يشببها من الشباب وهي صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، ويعرف الشباب بالعنفوان، والطاقة،

والإرادة، والاقبال، والتسابق إلى ميدان القتال، والتنافس على الشهادة، والموت في سبيل الوطن، الأصوات ضعيفة في معظمها، تغنى من خلالها الشاعر بجمال "بارزان" التي تقع في شمال العراق معقل الأكراد الأبطال الأشاوس، المناضلين الذين صمدوا لوقت كبير، فقال موظفا الكناية، للدلالة على البطولة الأسطورية التي أثبتتها المجاهدون، وأسالوا الدماء على قمم هذه الجبال الشامخة وأعادوا الأمل، والشباب، والحيوية، وهي مثل الطبيب المداوي الذي يسعى إلى إعادة الحياة، والنشاط، لعجز أنهلكه المرض وكاد يفنيه، وتركت السنين آثارا كبيرة على جسده الذي أصبح مترهلا ضعيفا منهكا:

"بارزان" يا قِمَمًا يُشَبِّبُهَا الدَّم * وَتَنُوءُ كَاهِلُهَا الثَّلُوجُ فَتَهْرُمُ (15)

إنّ دماء هؤلاء الشباب قد غدّت تراب "بارزان"، وأعادت له الحيوية، والنشاط، بعدما قهرته ثلوج الشتاء الباردة التي جثمت على كاهله، وأشعرته بالشيخوخة، والهرم، والتعب الشديد، وعلى هذه القمم الشامخة تدور المعارك الطاحنة، وبهذا يتغيّر لونها من أبيض ناصع صافي إلى أحمر فاقع، وهو لون الدماء الزكية الطاهرة التي تتبعث منها رائحة الشهادة العبقّة من أجل إعلاء كلمة الحقّ، والانتصار على الأعداء، وباكتساء هذه القمم حلّة حمراء يكون الشاعر قد عبّر على بطولة، وشجاعة شباب الأكراد هذه الفئة التي لم تبخل بدمائها، وأرواحها، وأهدتها لأجل قضيتها العادلة، وجعلت من هذه الجبال شاهدا على ما دار فيها من معارك شرسة بين هؤلاء الشباب وقوّات الحكومة الغادرة، التي عملت ما في وسعها للقضاء على هؤلاء الأبطال وسفك دمائهم، إلّا أنّ هذه الدماء الزكية لن تذهب سدى

ولكنّها ستروي الثرى، وستنبعث الحياة من جديد لتواصل المعركة حتى النصر أو الاستشهاد، ولا بد من الإشارة كذلك إلى جمال طبيعة العراق الخلّابة، وما تحتويه من جبال شامخة تكسوها الثلوج في فصل الشتاء، تحوّلها إلى لوحة فنيّة خلّابة، رائعة، تستهوي الفنانين، والرّسامين، تختلط فيها ألوان الدّماء ببياض الثلوج، والجواهري يسافر بخياله عبر الزمان، والمكان سابحا في قاموس اللّغة العربية، موظّفا التّضاد في لفظتي يُشَبِّها، ويَهْرَم، ليعبّر من خلالها على المتناقضات الموجودة في الطبيعة والتي أملتّها عليه ظروف قاهرة خارجة على نطاقه، وزادت تنوّعا في المعنى وجودة في شعره.

وفي نفس السياق تغنّى شاعر الثورة الجزائرية الكبرى مفدي زكريا بجبال الأطلس الشامخة المحصّنة معقل الثوار ورمز البطولات فقال:

أرضَ الجزائرِ، والسّماءُ، تحالفا * فاختلفت حلفهما النّجيع الأحمر!

و"الأطلس الجبّار" بتّ قراره * فاندكّ منه "الأطلس المتجبر"⁽¹⁾

وجاء "بارزان" يا لُغْزًا تَعاصَى حَلُهُ، و عَبَرِ القُرُونِ الغُبْرَ فهو طَلْسَمٌ، ولُغْزًا صيغة اسمية معناها معروف سبقت بحرف نداء، وتَعاصَى حَلُهُ بمعنى صعب وفيه مبالغة، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر وباقي الألفاظ معروفة، والقُرُونِ الغُبْرَ صيغة اسمية وردت جمع، نقول غُبْرَ اللَّيْلِ بقاياها وأواخره، وكذلك بالنسبة للمرض، وغَبَّرَ بمعنى أثار

¹ - مفدي زكريا- اللّهب المقدس/134.

الغبار في وجهه⁽¹⁾، واستعمل الكناية للدلالة على شجاعة الأكراد التي حيرت العالم، ولم يجد لها تفسيراً، وهي تعني كذلك الشّدائد، والمصائب، والمصاعب، التي أنتجتها الظروف القاهرة وجعلت الشاعر يقف أمامها حائراً مستفسراً عن الحلول الناجعة وهذا معنى جديد أضفى تنوعاً للغة المعجم، فقال متغنياً مرة أخرى بـ"بارزان":

"بارزان" يا لُغْزاً تَعاصِي حَلَّهُ * عَبَرِ الْقُرُونِ الْغُبْرَ فَهُوَ طَلَسَمُ (15)

وللدلالة على وقوف الشاعر حائراً من أمره، عاجزاً على تفسير هذا اللّغز، وهذا الطلسم، وهذا الغموض، وهذه المعادلة الصعبة التي تدلّ على الشّجاعة، والاقدام الذي يتحلّى به الأكراد، فلقد عملوا على قهر الشّدائد، والتغلب على نكبات الدّهر، وإرضائها، والصمود أمامها، وعدم فسح المجال لها لتتحكّم في حياتهم، ويرمز بلفظ "بارزان" للأبطال العظام الذين جنّدت لهم الحكومة العراقية كلّ أنواع الأسلحة المتوقّرة للقضاء عليهم، إلّا أنّها لم تستطع، لأنّ هناك سرّ إرادة الشعوب لا يقهرها السلاح بل يزيد لها قوّة، واقتناعاً، وإقداماً، وثباتاً، والشاعر هنا يتساءل عن مصدر هذه القوّة والشّجاعة والبطولات المترسّخة عبر الأزمان والقرون، فهو لغز لا يستطيع حلّه إلّا الذين يعرفون الشعب الكردي عن حقيّته مثل الجواهري مناصره، إذ يكتنّ له احتراماً كبيراً ويقف إجلالاً وخشوعاً أمام هذه القوّة الخارقة للعادة التي لا تضاهيها شجاعة، فهي فريدة من نوعها، لأنّ يد الله ترعاها وتحميها وتدافع عنها، لأنّها عادلة مستقيمة.

¹ - المعجم الوسيط (غير) / 643.

وورد تُغَازِلُ الْقَمَرَ الْمَضِيَّ فَتَزْدَهِي، وَتُعَارِكُ الْمَوْتَ الزَّوَامَ فَتُظْلِمُ، وَتُغَازِلُ وَتَزْدَهِي صيغتان فعليتان مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث، والغزل من الحب، وزدهي بمعنى أخذته الخفة في الزهو والكبر⁽¹⁾، حروفها قوية ومعاني الألفاظ معروفة، أمّا تُعَارِكُ من العراك وهو معروف مألوف، والزوؤام من زام بمعنى أَسَكَّتَ⁽²⁾، أصواتها قوية شديدة، قال الشاعر متعنياً بشجاعة الأكراد، مستعملاً الاستعارة في الشطر الأول من البيت، حيث شبه ما يحدث بين جبال "بارزان" والقمر بعلاقة حب، وعشق، جمعت بين حبيبين، ونتج عنها تفجّر العواطف، والأحاسيس، وزادها ضوء القمر مزيداً من الحسن، والجمال، جعلها تبرز عن مفاتنها، ويعتريها شعور من الكبر، والغبطة، والعظمة، تستمدّه من ماضيها الزاخر بالبطولات، والأمجاد، وتغلبها على الشدائد، ووظف المجاز في الشطر الثاني، حيث لفظ تُعَارِكُ جاء في غير موضعه، للدلالة على التّحدي، والتّصدي، والصّمود، والتّبات، والإيمان بالنّصر، وهذه دلالة جديدة زادت لغة المعجم إثراء:

وَتُغَازِلُ الْقَمَرَ الْمَضِيَّ فَتَزْدَهِي * وَتُعَارِكُ الْمَوْتَ الزَّوَامَ فَتُظْلِمُ (15)

وللدلالة على القوّة الخارقة، والاستبسال، وطلب المستحيل، وهذا ما يمتاز به هؤلاء الأبطال، إلى جانب الشّجاعة الأسطورية التي يتّسمون بها، والشّاعر هنا جسّد الصراع القوي بين ما يدور من معارك في جبال بارزان الكردية، وما يبديه هؤلاء الأبطال من صمود،

¹ - المعجم الوسيط (ازدهى) 405.

² - المرجع ذاته (زام) 410.

وتحدّي، معرّضين أنفسهم للمخاطر، والمصاعب، والموت، وهناك صراع كبير من أجل الحياة ومن أجل البقاء.

فأكرد العراق لا ينحنون، ولا يخافون، ويصمدون حتّى أمام الموت الذي إذا حضر ليقضي على الحياة، فهو لا يخيفهم، ولا يرعبهم، بل يتحدّونه، ويصارعون، ويقفون له النّد للنّد، ويصرخون في وجهه فهو لا يربكهم، ولا يرعبهم، ولا يخيفهم، ويحدوهم الأمل الكبير وهو سيّد الموقف، والشّاعر هنا مازال منبهاً بهذه الرّوح المتمرّدة، الفدّة التي تتبعث من أعالي جبال بارزان، وتكشّر على أسنانها أمام الموت الرهيب، والقدر المحدق، وتتوي التغلّب عليه، ومقارعته، فهي لا تخشاه لأنّها فرضت نفسها، وأبدت بطولات سجّلها التاريخ.

وجاءت المَواكِبَ ذَابَتْ و جَمْرَ الكِفَاحِ العَنِيدِ، صيغتان فعلية واسمية مضافة، فالمواكب لا تذوب، والذوبان للزبدة والتلج وبعض المواد الأخرى، الأصوات بين الشدّة والضعف، المعاني مستساغة، قال الشّاعر يصف شدّة القتال بين الأكراد وأقزام الحكومة العراقية، ويشيد بشجاعة وبطولة المكافحين، مستعملاً المجاز فلفظ ذَابَتْ، وجَمْرَ الكِفَاحِ وردا في غير موضعهما، وأنتج دلالة جديدة وهي التّضحيات الكبار، والتّهاتل على ميدان المعركة دون انقطاع، والمزيد من الاستشهاد، والموت في سبيل الوطن:

أُذَكِّرُوا تِلْكَ المَواكِبَ ذَابَتْ * من حوالي جَمْرَ الكِفَاحِ العَنِيدِ (31)

فالمواكب التي يتكلّم عليها الشّاعر لم تأت في زيارة، وفسحة، واستعراض، ولكنّها مواكب الشهداء الذين أهدوا أنفسهم من أجل استقلال الوطن، ورفع راية الكرامة، والتّسابق

إلى ساحة المعركة، والتّضحية، والاقدام، والموت، والشهادة، ومصير هذه الكوكبة كمن سبقها ستتحلّل في الطبيعة، وتسكن بعد ذلك في التّراب الذي خلقت منه وتلك سنّة الحياة، ولهذا السبب استعمل الجواهري ذابّت، والذوبان معروف وهو تحويل المادة إلى سائل، إلّا أنّ هذه المواكب لا ينساها أحد لأنّ التاريخ يسجلها، ويدونها بقلم من ذهب، اتّسمت بالبطولة، والاقدام، والصّمود أمام جمر الكفاح، فلفظ جمر هنا لا يقصد به ذلك الجمر من النّار المعروف المألوف، ولكنّه يريد به قساوة الكفاح، وشدّته، ومرارته، ولهذا وصفه بالكفاح العنيد الذي يقصد به الوقوف النّد للنّد بالرغم من عدم تكافؤ موازين القوى، إلّا أنّ هؤلاء الأبطال وهبوا أنفسهم فداء الوطن، وعقدوا العزم على النّصر، والاستشهاد، مستعملين كل ما لديهم من قوّة، وإرادة، وقال الله سبحانه وتعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"⁽¹⁾، فسيتمدّد الثرى من هذه الدّماء الطاهرة، وستنبعث الحياة من جديد، وسينتصر الحقّ ويعمّ العدل.

واستعمل الجواهري أنّ الحديد الفخّم قارعةً و في مسمع الدّهر عمّا غيره صمّم، وقارعة صيغة اسمية وردت خبراً، من قرع بمعنى فزع وضرب الأبطال بعضهم ببعض⁽²⁾، الحروف قويّة شديدة، والمعاني معروفة، وقال الله سبحانه وتعالى: "القارعة ما القارعة وأما أدراك ما القارعة"⁽³⁾، أمّا في مسمع الدّهر فهي صيغة اسمية مضافة تتّسم أصواتها بالقوّة، قال ناصحاً، ومخاطباً الرئيس جمال عبد الناصر، ومستعملاً المجاز في عبارة الحديد الفخّم،

1- سورة الأنفال/60.

2- المعجم الوسيط(قرع)/728

3- سورة القارعة/1،2،3.

ويقصد بها الإرادة الفلاذية، والقوية التي يتمتع بها جمال عبد الناصر، وتجعله يتصدى لأعدائه، ولفظ قَارَعَة ورد في غير موضعه، للدلالة على إسماع الصوت عاليا، وعدم الرضوخ، وقصد بعبارة في مَسْمَع الدَّهْر أرجاء الكون، والدنيا التي ستصغي إلى هذه الإشارة، وسيسمعها حتى الصم، وهو لا يقصد المعنى الحقيقي ولكنه يريد القول الذين يتعاملون على الإقرار بالحق، والاعتراف به، حيث عمت أبصارهم، وقست قلوبهم، وهذه دلالات جديدة عملت على إثراء معجم الجواهري اللغوي:

وذاك أَنَّ الحَديدَ الفَخَمَ⁽¹⁾ قَارَعَةً * في مسمَعِ الدَّهْرِ عَمَّا غيره صمم (60)

أبدى إعجابه الكبير بالرئيس المصري المتوفي المرحوم جمال عبد الناصر الذي حمل قضية الوطن العربي في قلبه، ودافع عنها بكل جوارحه، وعرض نفسه للمخاطر من أجلها، واعتبره معدنا فخما، نادرا، ولقد ناضل طويلا لإعادة الحق المهضوم، والجواهري مبهور بحكمة هذا الرجل الذي صارع الحلف الأطلسي، وقارعه، وفرض عليه نفسه، ولم يخشاه، ووقف وجها لوجه أمام نكبات الدهر، وعاش ما تعرض له العالم العربي من مأساة، إلا أنه لم يركع، ولم يستكن، وأسمع صوته عاليا، وفرضه أمام الرأي العام، وأمام القوى العظمى وما تملكه من أسلحة فتاكة تقهر بها الشعوب وتذلها، ووقف وقفة الرجل البطل، وصرخ على مسمع من العالم دون خوف، ولا تخاذل، على عكس غيره من الرؤساء الذين أصابهم صمم، ولم يستجيبوا لرغبة الشعوب، ولهذا السبب أصبحوا منبوذين من طرف الجميع، وقد سجّل

¹ - وورد خطأ في لفظ الضخم ويقصد به الحديد الفخم-ديوان مهدي الجواهري/223.

التاريخ شهامة جمال عبد الناصر، ومازال الكثير يقفون أمامه إجلالا، واحتراما، وتقديرا، لمواقفه الرائدة التي عمّت أرجاء الكون وأذهلت العالم إلى حد الآن.

واستعمل وَجَدْتُكَ كَالْفُلَادِ ضَرَمَهُ طَبَعٌ، وضَرَمَهُ من ضَرَمَتِ النَّارُ بمعنى انقَدَت، الحروف قوّة شديدة معبرة في معظمها، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، وباقي الألفاظ معروفة، قال الشاعر مخاطبا الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومتغنيا بشجاعته الفريدة من نوعها، وموظفا التشبيه في لفظ الفُلاذ، حيث شبّه إرادة، وعزيمة، وقوّة جمال عبد الناصر بالحديد الصلب، ووظّف لفظ ضَرَمَهُ مجازا لأنّه ورد في غير موضعه، حيث أسنده للطبع، ونتج عنه معنا جديدا زاد قوّة، وتنوّعا في المعجم اللّغوي، ودلّت على إرادة الرئيس الراحل الذي لا تؤثر عليه الأحداث، ولا ينحني، ولا ينفعل، وعندما يثور ويتجهّم، يُلحق أشد الضرر بعدوه، ويبطش به، ويؤذيه، ويصبح مثل الحديد الذي انصهر بقوّة النَّار، وأصبح محرقا لا يطاق:

لَكِنْ وَجَدْتُكَ كَالْفُلَادِ ضَرَمَهُ طَبَعٌ * فَلَا يَتَمَشَّى فَوْقَهُ هَرَمٌ (64)

والفُلاذ مادة صلبة معروفة تحتاج إلى حرارة شديدة لكي تُصهر، وجمال عبد الناصر الرئيس المصري يتّسم بالقوّة، والصلابة، والثبات، والشجاعة أمام المصاعب، فهو لا ينحني، ولا يركع، ولا يستكين، يمتاز بالشموخ والتّعالي في بعض الأحيان، وإن لزم الأمر بطابع حاد، متلهّب، متوهج، للدفاع عن الحمى، ومواجهة العدو، فالطبع عادة لا يتضرّم ولكنّ الحديد إذا تعرّض للنّار يتضرّم، وعند الضرورة يتحوّل طبع هذا النوع من الرّجال المسالمين

الذين يمتازون برجاحة العقل، والتّبصر في الأمور، والحكمة، والرّزانة، إلى كتلة من النّار،
وشعلة حارقة لا ترحم من يريد أن ينال من الوطن، ومن العرض، وجمال عبد الناصر كما
وصفه مهدي الجواهري متّزناً، متّقداً، متعالياً، متكبراً، على أعداء الشعوب، لن يرضخ أمام
الكوارث، ولا تتثنيه على الصّمود، والثّبات.

وورد مَطَارُكُمْ هُنَّ جرسُ الزّمان، والمطرقة معروفة وردت جمعا، عادة ما يستعملها
البناء لرصّ البناء وتقويمه، أصواتها قويّة مدويّة مزلزلة، أما جرسُ الزّمان فهي صيغة اسمية
مضافة، أصواتها فيها من القوّة ما ينبّه ويحفّز، ويَدَقُّ فَيَسْمَعُ حَتَّى الْحَدِيدَ، ويَدَقُّ صيغة
فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، معناها معروف، وهو الضرب بقوّة، أصواتها
قويّة جداً، مدويّة، لأنّ المقام يتطلّب ذلك، خاطب من خلالها محمد مهدي الجواهري عمّال
العراق بمناسبة الذكرى العالمية لعيد الشغل سنة 1961 مستعملا الكناية في الشطر الأول
للدّلالة على إسماع صوت الحقّ ولفت الانتباه، ووظّف المجاز في الشطر الثاني من البيت
لفلظ يسمّع ورد في غير موضعه، فعادة الحديد لا يسمع، ونتج عنه معنى الرضوخ،
والاستسلام لصوت الحقّ، والإقرار به، وهذه دلالة جديدة دلّت على قدرة الجواهري الابداعية:

مَطَارُكُمْ هُنَّ جرسُ الزّمان * يَدَقُّ... فَيَسْمَعُ حَتَّى الْحَدِيدَ

وَمِنْ بَيْنَكُمْ سيمدُّ الكفاح * جيلٌ عنيدٌ... شديدٌ... مريدٌ (131)

وللدّلالة على انطلاق شرارة الثورة، والتأسيس للبناء، واستجابة الكلّ للمساهمة في
النهوض بالوطن دون استثناء، وأشاد الشّاعر بدور هذه الفئة العمالية في بناء المجتمع،

والرقيّ به، والعمل على ازدهاره، فذكره للمطرقة ليس صدفة ولكنّه تعمّد لأنّ العامل يستعمل أدوات أخرى كذلك، ولكنّ للمطرقة الدور الكبير في عملية التّرميم، فبواسطتها يصقل بناءه، ومن خلال ضرباتها المتناسقة يُلفت الأنظار، ويوقظ الضمائر الغارقة في سبات عميق فتعود الحياة من جديد.

وللدّالة كذلك على أنّ الوقت حان لتغيير الواقع، وإرساء أركان الوطن، وإعادة تقويم ما أفسده الأعداء، والانطلاقة من جديد، فكما ألانت مطارقهم الحديد وسوّته وهو معدن مستعصي، عملوا على إرساء ركيزة الوطن ودعم قواعده، وساهموا في كسر الأعداء، وتركيعهم، وإجبارهم على الانسحاب بقوة الإرادة، والعزيمة، أما جرس الزّمان فيريد الشّاعر من خلال هذه الصيغة التّنبية إلى خطورة الأمر، وتوعية المجتمع، وعدم تضييع الفرصة، فالوضع أصبح لا يطاق، ودقّت ساعة الزمن للعمل على إحداث زلزال في المجتمع، والاستفاقة من النوم، ونفض الغبار، وزحزحة الأعداء، والقضاء على الركود، والخمول، والكسل، وللعَمَل الشرف الكبير للإعلان عن الانطلاقة الكبرى، ومن خلال مطارقهم سيسمع العالم أصواتهم، وسيلبي الأحرار نداءاتهم، وستتضمّ الصّفوف وسيُرتب البيت، وسينتعش الوطن ويحيى من خلال وعيهم، وحماسهم، وتأزّره، وسيحدث التّغيير، وتنطلق المسيرة من جديد.

والشّاعر لا يقصد ضربات المطرقة المدويّة، الرّنانة، الصّاخبة، ولكنّه يتكلّم على إرادة هذه الطبقة من المجتمع التي تعمل دون توقف، وتتأبر بقوة وبشجاعة على تغيير الزمن،

وإِسماع صوتها عاليا، وإِطلاق صرخة مدويّة عبر الكون ستصغي لمطالبها الشعوب المضطّهدة، والشّاعر هنا يشيد بهذه الطبقة الشّغيلة في تفجير الثورة، والقضاء على الديكتاتورية، والهمجية، لأنّ هذه الضربات المتناسقة سيسمعها الحديد، وهو ما يمثّل بالنسبة للشاعر قوّة الاستعمار الخارقة، وما يستعمله من سلاح فتّاك لقهر الشعوب، إلّا أنّ هذا السلاح سيلين، ويضعف أمام ضربات العمال القويّة، وهنا حتّ على القيام بالتّغيير، والقضاء على الديكتاتورية، والصراخ في وجهها، وزرععتها، وإِسماع الصوت بقوّة شديدة، والوقوف في وجه العدو، والتّصدي، والتّحدي، اعتمادا على الإرادة المتلهّبة، وقوّة هؤلاء العمال التي لا تضاهيها قوّة ومن خلالها سيستنفر الزمن، ويترك المجال أمام هؤلاء ليصنعوا تاريخهم، ويسجّلوه، من خلال دقّ المطارق والعمل والمواظبة.

وفي نفس المقام قال مفدي زكريا متعنّيا بالعمال الجزائريين الذين ساهموا هم كذلك في إشعال فتيل الثورة وإنجاحها:

نحن جند الاتّحاد والعمل * ننجز الأشغال لا نرضى الكسل

نعقد العزم لتحقيق الأمل * نرفع الراية ما بين الدول

..... *

نحمل الجيل على أكتافنا * نرفع الشعب على أضلاعنا

نصنع التاريخ من أعصابنا * ننسج الراية من أكبادنا⁽¹⁾

¹ - مفدي زكريا- اللهب المقدس/103.

ووظف ذكا به وهج الإباء، وذكا بمعنى ذكت النار واشتد لهيبها⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المذكر الغائب، وهج الإبا صيغة اسمية مضافة من توهمت النار بمعنى اتقدت واشتد حرها، والإباء معروف، الأصوات بين القوة والضعف، أما فيما يخص وقد يشب كما تشب النار، ويشب بمعنى يتقد ويشعل بقوة، صيغة فعلية حروفها قوية، قال الشاعر في حفل تأبين عبد الحميد كرامي في لبنان، مستعملا المجاز في ذكا به وهج الإباء، فكلمة وهج وردت في غير موضعها، للدلالة على روح الشموخ، والتسامي، والعزة المتقدة التي يتمتع بها عبد الحميد كرامي، واستعمل لفظ يشب كذلك في غير مكانه، للدلالة على روح النضال، والحماس التي يتمتع بها هذا الأخير، وجعلها مثل شرارة النار التي تأتي على كل شيء، وهذا معنى جديد أضافه الشاعر لمعجمه اللغوي:

وذكا به وهج الإباء فردّه * وقد يشب كما تشب النار(96)

وللدلالة على روح التسامي، والعزة المتقدة بين طيأته، وجوانحه، وفي أعماقه، فكما يشتد لهيب النار وعنفوانها، واتقادها، وحرقتها، تتقد روح المقاومة الشرسة، وتشحذها تلك الأحاسيس المتراكمة، الصادقة، التي تتم عن روح المسؤولية، والالتزام، وتحولها إلى شعلة كشعلة النار في ميدان التحرير وفي ساحة المعركة، يحذوها النصر، والاستشهاد، وقهر الأعداء، ودحضهم، والقضاء عليهم.

¹ - المعجم الوسيط(ذكت)/314.

واستعمل الشاعر كَمْ طريق مُعَبَّد بدماءٍ و كَمْ رُؤوسٍ هَوَتْ لِرأسٍ شَمُوخٍ، ومعَبَّد من عبَد الطريق ذلَّه صيغة اسمية، ألفاظها معروفة، أصواتها بين القوة والضعف، وهَوَتْ بمعنى سقطت صيغة فعلية، أصواتها ضعيفة، استعمل الشاعر المجاز في مُعَبَّد بِدِمَاءٍ و رُؤُوس هَوَتْ، للدلالة على التضحية، والنضال، والاستشهاد، والموت في سبيل العزة، والسيادة، فقال معبراً عن بطولات شعبه وتاريخ نضاله:

كَمْ طريقٍ مُعَبَّد بدماءٍ * لشهيد على عظام شهيد

كَمْ رُؤُوسٍ هَوَتْ لِرأسٍ شَمُوخٍ * ونفوس شقت لأجل سعيد (32)

فالطرق لا تعَبَّد بالدماء، ولكنها تسوّى بمواد أخرى، ومهدي الجواهري لا يقصد المعنى الحقيقي للأشياء، ولكنه يعني المستقبل العظيم، والزاخر الذي بناه الأبطال الشهداء، الشجعان، الذين أسسوا أركان البلاد، وذلَّلوا الصعوبات، ونزعوا العراقيل، والأشواك بما قدّموه من تضحيات كبار في سبيل الوطن، وهدية لأجيال المستقبل التي ستتعلم بالحرية، والعزة، والكرامة، فلقد هيَّئوا الأجواء ورفعوا الزاية عالياً على أشلائهم، وفي هذا المجال قال الشاعر مفدي زكريا في قصيدة بعنوان "إرادة الشعب تسوق القدر" سنة 1961:

عَبَدَتْ يا شعب، لنا مهيعاً * جعلت (لافتاته) الأضلعاً⁽¹⁾

إليك عهد الله، لن نُحْجَمَا

وقال في موضع آخر:

¹ - مفدي زكريا، اللهب المقدس/ 248.

وصنعنا من دمانا وطننا * واندفعنا فسبقنا الزمنّا... (1)

أما رؤوس هَوْتٍ لرأسِ شَمْوَحٍ فدلّت على الموت في ميدان الشّرف، والتّضحية بالنّفس الغالية، لاستعادة الكرامة المسلوبة، وتحقيق الشموخ للأجيال القادمة لكي تعمّ العزّة، والحرّيّة، فلا بد أن ننحني أمام هؤلاء الأبطال اعترافاً، وتقديراً لما قاموا به من مواقف خالدة، فلكي ترتفع رؤوس لآبد في المقابل أن تهوى أخرى، وتسقط، وتستشهد، ولقد جمع الشّاعر بين رؤوس هَوْتٍ، ولرأسِ شَمْوَحٍ وهي أضداد ليجرز لنا الصورة الرّائعة التي رسمها هؤلاء الأشاوس الذين لم يخلوا بشيء في سبيل السيّادة والنّصر، وهذا رهان كبير، وحلم من أحلام الجواهري الذي يعمل لتحقيقه.

ووظّف تحدّي أظفار الطّغاة، فيه أمر ونصح وهي صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المذكر متعدية، أصواتها قويّة، والتّحدي هو طلب المبارزة، وأظفار الطّغاة صيغة اسمية مضافة، فكيف نتبارى مع أظفار الطّغاة، استعمل الجواهري الاستعارة حيث شبّه عدوّه بحيوان مفترس له أظافر طويلة لآبد من التخلّص منها حتى لا يتمادى في إيذاء الآخرين فقال:

وتحدّي أظفار الطّغاة فإنّها * أبداً كأظفار الوحوش تُقلّم (12)

وللدّلالة على قلع مخالب العدو، وتقليمها، ونزع سلاحه، وشوكته، وتجريده من قوّته، وإذلاله، والقضاء على قدراته، فعدو الشّاعر عبارة عن وحش متممّر، خطير، يوظّف مخالبه

¹ - المصدر ذاته/103.

للافتراس، والقنص، والانقضاض، واستعمل مهدي الجواهري الجزء ليعبر عن الكل، وينصح أبناء شمال العراق أن يكسروا شوكة عدوهم ويضعفوه، ويعملوا على الحد من إيذائه حتى يتهاوى وتخور قواه، والغرض هنا هو شحذ الهمم، والتحميس، ورفع المعنويات، والشاعر أخذ من جسم الحيوان الأظافر التي بواسطتها يستطيع أن يفترس بسهولة وبسرعة، ولهذا السبب نصح الشاعر بقطعها، ويظهر هنا مدى تأثر الشاعر مرة أخرى بالبيئة البدوية التي عاش فيها، وبالحيوانات المفترسة التي يعرفها بدقة كبيرة، ولهذا السبب اختار الأظافر الحادة التي تسهل المهمة، وتؤدي، وتترك آثارا مؤلمة فلا بد من التخلص منها.

وجاء **تَقْلَمُ الأظفار** (115) بالمعنى ذاته، وهي كناية على كسر شوكة العدو والقضاء عليه ووضعه في قفص الاتهام، وهنا دلالة جديدة أضافها الشاعر لمعجمه اللغوي عملت على إثراء لغته.

وورد **والיום يُشْخَصُ مَشْحُوذًا لها الجَلَمُ**، صيغة فعلية مبنية للمجهول، أصواتها فيها القوة والرخاوة، وقال الله سبحانه وتعالى: **"إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ"**⁽¹⁾، ويُشْخَصُ من شَخْص بمعنى ضخم وعظم جسمه، وشخص الشيء شخوصا أي ارتفع والجرح ورم⁽²⁾، ومشحوزا من شحذ بمعنى أحد السيف والمديّة وجعلها قاطعة، أما **الجَلَمُ** نقول **جَلَمَ الصوف** والشعر **بالجَلَم** جزّه⁽³⁾، وقد حثّ الشاعر على القضاء على الأوغاد،

1- سورة إبراهيم/42.

2- المعجم الوسيط(شخص)/475.

3- أساس البلاغة (جلم)/98.

موظفا الكناية للدلالة على قرب نهاية العدو المأساوية على يد الشعوب الأبية، والتخلص منه، وجزه، واقتلاع جلده، وقص رأسه، والقضاء عليه نهائيا فقال:

وحشٌ تنمر إذ طالت أظافره * واليوم يُشخصُ مشحودًا لها الجلم (61)

والعدو كان يعلم مصيره البائس، وكان يترقبه، ولكنه يُخفي الحقيقة على نفسه لأن طعمها مرّ، ولأنّ التحكم في رقاب الأحرار لن يدوم طويلا، وحان الوقت للقصاص والانتقام وردّ الاعتبار، والجلم لا يستعمل لقص الأظافر لأنّه غير مستساغ وغير عملي، ولكنه يستعمل لقص صوف الحيوانات وجزه، لأننا لو قلّمنا به الأظافر سنؤذيها، والشاعر تعمّد هنا استعمال هذه اللفظة لأنّ عدوّه نمر مفترس فتاك، ولأنّه في مكان غير مكانه استولى عليه بالبطش والقوة فلا بد أن نعرف أي سلاح نصوّبه نحوه لنؤذيه أكثر، ولابد من مخاطبته باللغة التي يفهمها، وهي لغة القوة، والبطش، والعنف، والقهر، والإيذاء، وإلحاق أقصى الضرر، وفرض النفس، ومعاقبة الأعداء على الذنوب التي اقترفوها، وشحذ الهمم للقضاء عليهم، وطردهم من الأرض، وتطهير البلاد من نجاستهم، والفتك بهم.

وجاء كُن داءٌ حقدهم الدفين وطبّه، جمع الشاعر في هذه العبارة بين لفظتين متضادتين هي داءٌ بمعنى العلة والمرض، وطبّه بمعنى الدواء، ونقول فلان داء دفين، لا يعلم به حتّى يظهر شرّه⁽¹⁾، الأصوات هنا بين الضعيفة والقوية، وحقدهم من الحقد وهو العداوة، والبغضاء، وباقي الألفاظ مألوفة، قال الشاعر مخاطبا الطلبة الأكراد، شاحدا

¹ - المعجم الوسيط (دفن) / 290.

همهم، ومحرضاً، ومستعملاً المجاز في لفظي داءً وطبّه حيث وردا في غير مقامهما،
وأسندهما لحقدّهم، للدلالة على إضرار الشرّ، والعداوة، والبغضاء للأعداء، ومن هنا
التخلّص منهم، والسّخط عليهم، وإراحة المجتمع من هذا الكابوس وهذه دلالة جديدة ولّدها
الشاعر:

كُنْ داءَ حقدِهِم الدّفين وطبّه * ولزّب داءِ بالمنية يحسم(12)

فالحقد الدفين الذي يضمّره الأعداء للأمة بمثابة المرض العضال المستعصي، الذي
يحتاج إلى عملية استئصال، ومراجعة، وعناية كبيرة، حتى يتخلّص منه الجسم ويتعافى،
ولا بد من توفّر طبيب ماهر، ذكيّ، خبير، يعرف كيف يضع يده على موضع الألم ليعالجه،
فحقدّهم ليس عادياً بل دفيناً، متجذّراً، عميقاً، مؤذياً، والشاعر يقصد اجتثاث الأعداء
ومسحهم تماماً، فإذا كانوا يتّسمون بالحقد فلا بد للأكراد الأشاوس أن يكونوا أشدّ حقداً منهم
وأبغض، وبهذه الطريقة سوف يسهل مداواة الجراح، وتوفير الرعاية الكافية والعناية، حتى
تزول الضغينة، وتحلّ مكانها الرحمة، والشفقة، والسلم، وهذه المسؤولية ملقاة بالطبع على
كاهل هؤلاء الشباب الذين أشعلوا فتيل الثورة في شمال العراق لإعلاء كلمتهم، ونشر العدل،
والقضاء على هذه الطبيعة الخبيثة، الغامضة.

واستعمل مهدي الجواهري يَنْضُجُ كُلُّ بُرْعِمِ زَهْرَةٍ وَ بِشْدَى عَبِيرِ دَمٍ بِهَا يُنْتَسَمُ،
ويَنْضُجُ بمعنى أدرك وطاب، صيغة مضارعة مسندة إلى ضمير المفرد المذكر الغائب،

وَبُرْعَم هي زهرة الشجرة قبل أن تتفتح⁽¹⁾، والشذى بمعنى المسك وعبير من الطيب، وباقي الألفاظ معروفة، أما يُتَسَمُّ فهي صيغة مضارع مبنية للمجهول، من تنسَمَت الرِّيح بمعنى هبَّت⁽²⁾، الأصوات في معظمها رخوة لأنَّ الوضع يتطلب المهلة، والصَّبْر، والتَّروِي، والانتظار، حيث قال الشاعر محفّزاً على الاستمرار في الثورة، فمثلما تتضح البراعم وتتفتح في فصل الصيف، وتعكس عودة الحياة، والنشاط بعد فصل الشتاء والبرد الذي خمدت فيه الطبيعة، وغطّت في نوم عميق، فكذلك أفكار الكفاح، والنضال تتبلور، وتتشكّل، وتفرض نفسها في الواقع، وتتجسّد في الحقيقة، وتنتشر الروائح العطرة المنبعثة من دماء الشهداء عبر أرجاء السّماء، وهذا مجاز، وهي كناية على مواصلة النضال والاستمرار في الاستشهاد، أنتج من خلاله الشاعر معاني جديدة أكّد من خلالها مرّة أخرى على مقدرته الفذة الخلق والابداع:

وَبِحَيْثُ يَنْضُجُ كُلُّ بُرْعَمٍ زَهْرَةٍ * بِشَذَى عَبِيرٍ دَمٍ بِهَا يُتَسَمُّ (13)

والدلالة على استمرار الحياة، والأمل، ولكي يتحقّق هذا لابد من النضال، والشهادة، وإراقة الدماء الطاهرة، الزكية التي ستغذي الأرض، والحرث، والأزهار، ومنها ستنبعث الروائح العطرة، العبقة، الطيبة التي غمرت أرجاء الكون، وسرت في الوجود، ويعمّ الأمل، والتفاؤل، ويعود الاستقرار، وينتفش الوطن، وتهض البلاد نتيجة للتضحيات الكبار التي قام بها الأبطال حبّاً للوطن، وعشقا للحياة، مقابل الحرية، والكرامة، والازدهار، والرقى، ويعكس

¹ - المعجم الوسيط (برعم) // 50.

² - المرجع ذاته (نسم) // 919.

هذا البيت جو التّفاؤل الذي اعترى محمد مهدي الجواهري على غير عادته، فهو في معظم الأحيان عبوس، متجهّم، متشائم، لا يرى مخرجا للأشياء، وهذا ما يجعله يعيش احباطا كبيرا يظهر في معظم قصائده.

وورد واستثمر اللّعنات العاصفات به، والاستثمار لفظة اقتصادية، والاستثمار في الأموال للنتاج إمّا مباشرة كشراء الآلات والمواد الأولية، أو بطريقة غير مباشرة كشراء الأسهم مثلا⁽¹⁾، ونستطيع أن نستثمر كذلك في العلاقات الاجتماعية لغرض المنفعة، ويستثمر كذلك الآباء في أبنائهم عندما يحسنون تربيتهم لأجل المستقبل، ولأجل بناء المجتمع، واستثمر صيغة أمر متعدية حروفها قوّة، واللّعنات من لعنه الله أبعد من الخير وطرده فهو ملعون، والعاصفات من عصفت الرّيح بمعنى اشتدّت، وفي التّنزيل العزيز: "جاءتها ريح عاصف"⁽²⁾، أمّا فإنّهن جيوش ليس تنهزم، وتنهزم بمعنى تغلب صيغة فعلية، أصواتها بين القوّة والشدّة، وباقي الألفاظ معروفة مألوقة، إلّا أنّ الجواهري طلب هنا الاستثمار في اللّعنات، حيث قال ساخطا على عدوّه، ناصحا بالتخلّص منه، موظّفا المجاز، فلفظ استثمر ورد في غير مكانه، فاللّعنات التي يوجّهها الشّعب للأعداء، وكرهم، والحدّ عليهم، بمثابة الرّياح القويّة التي تنسف كل ما تجد في طريقها، وهي تمثّل سلاحا فتّاكا في يد الشعوب التي تعمل على العصف بهم، والإطاحة بنفوذهم، وتدميرهم مثلما تدمّر

¹ - المعجم الوسيط (ثمر) /100.

² - سورة يونس / 22.

العواصف كلّ شيء، واعتبر اللّعنات إذا أحسنّا استغلالها، كالجيوش التي لا تعرف الانهزام، وهذه دلالة جديدة أبدعها الجواهري:

وَاسْتَثْمَرَ اللَّعْنَاتِ الْعَاصِفَاتِ بِهِ * فَإِنَّهُنَّ جُيُوشٌ لَيْسَ تَنْهَزُمُ (62)

وللدّلالة كذلك على الكره المتزايد، والمتنامي، الفريد من نوعه، الذي تكنّه الشعوب للمستعمر الأجنبي وللأعداء، وتعمل على نبذهم، ولعنهم، وعدم تحمّلهم، والنّفور منهم، هذا ما يولّد في الشعوب الحماس، والرّوح الثورية التي ستعصف بهؤلاء الأعداء، ولهذا السبب طلب الشّاعر من اغتنام هذا السّخط، وتوظيفه لمصلحة الشعوب المقهورة، فمن خلالها ستثور، وتشعر بالغيرة على الوطن، وبهذا تعمل على تغيير الأوضاع، والقيام بالثورة التي ستزلزل الكون، وتقضي على الظلم، وتعيد الكرامة، واعتبر الشّاعر اللّعنات مثل الجيوش التي لا تقهر، ولا تنهزم بسهولة، فلا بد من استغلال هذه النعمة للتعبئة العامة، والاستنفار، والتأهب، لكي تصبّ جمّ غضبها على الأعداء، ويظهر هنا مدى حقد الجواهري على أعدائه، وكرهه العميق لهم، واختيار الألفاظ التي تدلّ على ذلك، فهو ينصح باستعمال كل ما بوسع الشعوب لتغيير مجرى الأحداث، ولم يستثن حتى اللّعنات ليوظّفها لمصلحته، ويجعلها سلاحاً فتاكاً في وجه الأعداء تساعد على التخلّص منه.

ووظّف الدّم الغالي يَسِيلُ ضَوْءٌ يُنَارُ بِهِ السَّبِيلُ، ويسيل بمعنى يتدفّق صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكور، ويُنَارُ صيغة مضارع مبنية للمجهول، من أثار وهو معروف وضوء عكس ظلام، الأصوات ضعيفة في معظمها، وباقي الألفاظ معروفة، قال

الشاعر محرّضا على القتال، ومستعملا المجاز فلفظ ضوؤه ورد في غير محلّه، مولّدا بذلك معنا جديدا، فالدماء الغالية، المتدفقة، الطاهرة التي طالب بها الجواهري وركّز عليها في العديد من قصائده هي التي ستعبّد الطريق المظلمة، وتعمل على توضيح الرؤية، وبزوغ نور الحرية، وتذليل الصعوبات بالنسبة للأجيال:

خَلِي الدَّمُ الْغَالِي يَسِيل * ضَوْءٌ يُنَارُ بِهِ السَّبِيلُ (49)

وللذّلاله على دماء الشهداء الطّاهرة، الرّكية، التي تراق من أجل الحرية، والسّيادة، وهنا دعوة للفداء، والجهاد، وهذه الدماء الغالية ستتحوّل إلى مصباح يُنير الدرب عندما يتحقّق طموح الشعوب، وينزاح الظلام الدّامس، ويطلع فجر الحرية، ويرحل العدو، وينجلي، وينقشع الضباب، وترتفع الراية، وتتّضح الرؤية، وتعود الكرامة، والسّيادة.

وفي نفس السياق كذلك ورد هَذَا الدَّمُ الرَّقْرَاقُ رَكَاضٌ وَلِغَايَتِهِ عَجُولٌ، ورَكَاض من ركض بمعنى عدا مسرعا، وفيه مبالغة، فالدماء لا تركض ولكنّ الإنسان هو الذي يركض للوصول إلى هدفه ومبتغاه، وعجول من العجلة وهي السرعة للوصول إلى الغاية وفيها كذلك مبالغة، صيغتان اسميتان، حروفها قويّة، ألفاظها معروفة، قال الشاعر يحثّ على المزيد من الاستشهاد، ومستعملا المجاز لأنّ رَكَاضٌ وعَجُولٌ وردا في غير محلّهما وجسّد من خلالها الجواهري الدماء وجعلها تشقّ طريقها مسرعة مستعجلة:

هَذَا الدَّمُ الرَّقْرَاقُ * رَكَاضٌ لِغَايَتِهِ عَجُولٌ (50)

فالدِّماء التي يتكلَّم عليها مهدي الجواهري ليست ككل الدِّماء العادية، فيها ما يكفي من السرعة، والعجلة، والاندفاع، للوصول إلى الغاية، والهدف المنشود، وهو الحرّية، والعزّة مثلما سبق وأن قلت، وكأنّ مكوّناتها تختلف عن كل الدِّماء، فلها مميّزات خارقة للعادة خلقت لهدف سامي، وهي تجري في عروق الأبطال والشهداء بطريقة مختلفة، تسعى إلى الفداء والاستشهاد في ساحة المعركة، تتدفّق بسرعة، تحنّ إلى الموت ولا تخشاه في سبيل إعلاء كلمة الحقّ.

وورد الدّم الرّقراقُ نَهَاضٌ، ونَهَاض صيغة مبالغة من نهض بمعنى قام يقظا نشطا، ونهض إلى العدو وأسرع إليه⁽¹⁾، الحروف قويّة، وباقي الألفاظ معروفة، أمّا بما يُعْيِي حَمُولٌ، يُعْيِي من العياء وهو العجز والتعب، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وحمول بمعنى الصبور الحليم⁽²⁾، قال الشّاعر مستنفرا، محمّسا، ومستعملا المجاز مرّة أخرى في لفظ نَهَاض، ليجسّد الدِّماء، ويعطيها دورا مهمّا في إزاحة المستعمر نظرا لنشاطها الدائم، والفريد من نوعه، وهذه دلالة جديدة دخلت إلى المعجم اللّغوي للجواهري:

هذا الدّم الرّقراقُ * نَهَاضٌ بما يُعْيِي حَمُول(51)

فهذه الدِّماء المتدفّقة بغزارة هي التي سترفع الغبن على الشعوب المحترقة، الرّازخة تحت الاستعمار، وأعيائها هذا الحمل الثقيل الذي جثم على صدرها لزمان طويل، وأصبح يشكّل كابوسا أنهلك العباد، وأسرعت دماء الشهداء لنجدة هذه المجتمعات البائسة، ورفعت

¹- المعجم الوسيط(نهض)958/.

²- المرجع ذاته(عي)299/.

الظلم، وواجهت المغتصبين، فالطريق إلى الزيادة هي الدماء الرقراقة، النهاضة، المصارعة، الركاضة، الطاهرة، العطرة، العبة، فهي وحدها قادرة على التخلص من العدو الذي نخر جسم الأمة، وأضعفها، وكاد أن يفنيها لولا يقظة هؤلاء الشباب، وتفطنهم في الوقت المناسب، لأن القضية بحاجة إلى حسم والأمر خطير فلا بد من تداركه.

ووظف الشاعر مُتَحَدِّراً كَالسَّهْمِ صُلْبًا لَا يَزِيغُ، ومتحدِّراً من تحدر بمعنى هبط بسرعة كالسهم، الحروف قوية، ويزيغ بمعنى يميل⁽¹⁾ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وفي التنزيل العزيز: "رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا"⁽²⁾، وصلبا عكس سائل، وباقي معاني الألفاظ داخل العبارة معروفة، استعمل الجواهري التشبيه حيث جعل دماء الشهداء المتدفقة بغزارة ودون توقف، كالسيف المسلول، والصلب الذي لا يُخطئ هدفه، وسيقضي على الأعداء، فقال يصف بطولة المجاهدين العراقيين:

مُتَحَدِّراً كَالسَّهْمِ صُلْبًا * لَا يَزِيغُ وَلَا يَمِيلُ (50)

فهذه الدماء التي يصفها محمد مهدي الجواهري بالصلابة لها مميزات خاصة، ومكونات مختلفة، فهي ركاضة، عجولة، نشطة، قوية، صلبة، عريضة، تعرف هدفها جيّداً وتصيبه ولا تذهب سدى، لأن مصوبها إنسان محترف، ومجرب، لا يخطئ، علمته الظروف أن الحرية لا تتال إلا بالشهادة كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

¹- المعجم الوسيط (زاغ) 409/.

²- سورة آل عمران/08.

والحرية الحمراء باب * بكل يد مدرجة يدق⁽¹⁾

ونلاحظ هنا مدى تأثر الشاعر بأقرانه من شعراء زمانه الفطاحلة، الذين عملوا لمصلحة أوطانهم، ودعوا إلى الجهاد، والاستشهاد، واستعملوا لفظ الدماء وهي رمز الحرية، والعزة، وأضاف لها محمد مهدي الجواهري لفظي مُتَحَدِّراً، وصلباً، للدلالة على الاندفاع بقوة كبيرة نحو الاستشهاد، وهنا تبرز صلابته، وشجاعة هؤلاء الأبطال الذين يعرفون طريق الحق، ولا ينحرفون ولو للحظة عن الهدى، ويرمون بأنفسهم إلى التهلكة، ويتسابقون سباق الأبطال لغرض الموت في سبيل الكرامة والعزة.

وجاء تَجَرَّ الدِّمَاءِ، والجرّ معروف بمعنى تسحب، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر متعدية، أَمَا لَنْ يُبْرِدَ الدَّمُ إِلَّا الدَّمُ فهي كذلك صيغة فعلية منفية، الحروف هنا قوِّية في معظمها، قال مهدي الجواهري في تأبين أخيه جعفر، داعياً إلى الجهاد، مستعملاً المجاز في لفظي تَجَرَّ وَيَبْرُدُ اللذان جاءا في غير موضعهما، للدلالة على مواصلة النضال، وعدم الابتعاد عن ساحة المعركة، والمطالبة بالتأثر للشهداء المتعطّشين للمزيد من التّضحيات، ولأنّ تدفّق الدِّمَاءِ وحده هو الفيصل وهو الذي يقدر على أن يشفي الغليل، ويعيد الحقّ المهضوم وينتقم من العدو:

سَتَبْقَى طَوِيلاً تَجَرَّ الدِّمَاءِ * وَلَنْ يُبْرِدَ الدَّمُ إِلَّا الدَّمُ (188)

¹ - ديوان أحمد شوقي/296.

ويَتَّسِمُ هذا البيت بنزعة ثورية، حرّض من خلالها الشاعر على التّضحية في سبيل الوطن، وهو لا يقصد الجرّ بالمعنى المتعارف عليه ولكنّه يريد القول أن هناك من سيلتحقّ بأخيه جعفر في ساحة المعركة، وأنّ الاستشهاد سوف لن يتوقّف بذهاب أخيه ولكنّه فسح المجال أمام الآخرين لمواصلة الكفاح، وللدّلالة هنا على العزم على التّضحية المستمرة لأنّ المعركة طويلة، والرّهان صعب ولا بد من تحمّل العبء والمشقّة، للوصول إلى الغاية لأنّه لن يبرد الدّم إلا الدّم، ولكي ينطفئ لهيب الحرب، ونارها، ويعمّ الاستقرار، والانتصار لا بد من إراقة الدّماء بغزارة، فبدونها لا يأتي الانفراج، ولا يُشفى الغليل، ولا تلتئم الجراح، ولا يظهر الحقّ، فالدّماء الرّكية، الطاهرة، العبة، هي الشفاء، وهي البلمس الذي سيؤدي إلى راحة الضمير، وطمأنة النّفس، وسكينتها، وهدوئها، فبدونه تبقى العواطف متأجّجة، مشتعلة، تتحيّن الفرص لتجد الرّاحة والاطمئنان.

واستعمل بئس الدّم المرّ حُكمًا، صيغة فعلية تدلّ على الدّم عكس نعم، وقال الله سبحانه وتعالى: "بئس الشراب وساءت مرتقباً"⁽¹⁾، الأصوات هنا ضعيفة في معظمها، أمّا يَسْعَى إِلَيْكَ هُوَ الْمَحْكُومُ وَالْحَكَمُ فهي صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر، والسعي هو المشي، وفي التّنزيل العزيز: "إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت واعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما"⁽²⁾، قال الشّاعر محدّراً عدوّه ومتوعّداً إيّاه، مجسّداً شجاعة قومه، ومستعملاً المجاز في لفظ يَسْعَى، حيث وردا في غير موضعهما، للدّلالة على

¹- سورة الكهف/29.

²- سورة البقرة/158.

صعوبة النَّيل من دماء الأحرار، والتحكّم في مصيرهم، وعدم القبول بالذّل، والقهر، والرّضوخ لإملاءات الأعداء، وهذه دلالة جديدة أدخلها الجواهري إلى معجمه اللّغوي أبرز من خلالها مرّة أخرى قدرته وتفوّقه في الابداع:

بِئْسَ الدَّمُ الْمُرُّ حُكْمًا غَيْرَ أَنْ دَمًا * يَسْعَى إِلَيْكَ هُوَ الْمَحْكُومُ وَالْحَكَمُ (67)

وللدّلالة على صعوبة التحكّم في رقاب الشعوب الحرّة، الأبيّة، وإخضاعها، فمن المستحيل أن ينتصر البغي، والظلم، مهما طال الزّمن أو قصر لأنّ الموازين ستتقلب، وسيندم الأعداء على ما أقدموا عليه، وستتحوّل دماء الشعوب إلى نقمة، ولعنة، ومصيبة، لأنّ هذه الدّماء طعمها مرّ كالعلقم، مسمومة، وليست لقمة سهلة، والشّاعر لا يقصد الطعم بالمعنى المتعارف عليه ولكنّه يريد القول أن أمّته عصيّة على الأعداء، صعبة المنال، مستحيلة الخضوع، مقاومة فتّاقة، ليس من البساطة النيل منها والسيّطرة عليها، فمذاقها حنظل لا يصلح حتّى للتذوّق والمتعة، وهنا تهديد ووعيد وتحذير للأعداء وتحميس واستنفار للشعوب.

أما يسعى إليك، فالدماء لا تسعى ولا تمشي فهنا تجسيد للنّضال، والكفاح، والاستماتة في الدفاع عن الأرض، والعرض، وهو الاقبال المتزايد على ميدان الشّرف دون تهاون، فإمّا الموت أو النّصر، وستتغيّر الأدوار، وينقلب الحاكم إلى محكوم، وستعود المياه إلى مجاريها وتتّضح الرؤية، ويأتي الفرج، ويسود العدل.

ولقد أعطى الجواهري حيّزا كبيرا للفظ الدّم، واستعمله تارة مفردا وأخرى جمعا في العديد من العبارات التي سبق وأن أشرت إليها، وجسّدها وجعل من دماء الشهداء خصما عنيدا للعدو الأجنبي، ولن تُحسم قضايا الوطن العربي إلّا من خلال تدفّقها بغزارة، وجعل اللون الأحمر يطغى على جميع الألوان الطبيعية المحيطة به، وحتّى على أنوار نجوم السّماء، ومن خلال الدّماء يتغذّى الثرى، وتتبعث الحياة من جديد، ويتحقّق أمل الشعوب، وهي السلاح الوحيد والبلسم الذي سيشفي جراح الأمّة المتعفّنة، وبها ستطهّر الدّيار من النجاسة، وبواسطتها سيعم العدل وتعلو كلمة الله.

ووظّف وطهّر البيت من رجس، صيغة فعلية وردت أمرا متعدّية مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر، حروفها قويّة، وطهّر من الطّهارة عكس النجاسة، قال الله سبحانه وتعالى: "يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا"⁽¹⁾، وقال كذلك: "وأنزّلنا من السّماء ماء طهورا"⁽²⁾، أما ولن يُطهّره إلّا دَم، ودَم، صيغة فعلية مسبوقه بنفي متعدّية، والدّماء عادة فيها نجاسة لا تُطهّر، قال الجواهر ينصح بطرد العدو، ومواصلة الكفاح، والمزيد من التّضحيات، ووظّف المجاز في لفظ البَيْت الذي ورد في غير مكانه ويقصد به أرضه الطّاهرة التي لها من الوقار، والقداسة، والهيبة ما يلامس البيت الحرام أول القبلتين، أمّا يُطهّره فاستعملها الشّاعر كذلك في غير مكانها، للدّلالة على القضاء على العدو الوغد

1- سورة الأحزاب/133.

2- سورة الفرقان/48.

التَّجَسُّسُ الذي داس على الأرض، والعرض، ودواؤه الوحيد هو التهاافت على ميدان المعركة،
والتَّضْحِيَّة، وإسالة الدِّمَاء التي ستطَهَّر هذه الأرض الغالية من أدرانها وأوساخها:

وطَهَّرَ الْبَيْتَ مِنْ رَجَسٍ يَلُوثُهُ * وَلَنْ يُطَهَّرَهُ إِلَّا دَمٌ، وَدَمٌ (59)

واعتبر محمد مهدي الجواهري بلاده العراق بمثابة البيت المقدس الذي حرَّمه الله سبحانه وتعالى على التَّجَسُّسِ الكفرة، واستعمل لفظتين متضادتين هي طَهَّرَ، وَرَجَسَ، للدلالة على المستعمر الغاصب، القذر، الوسخ الذي حلَّ بوطنه وببيته الطاهر، النقيّ، وعاث فيه فساداً، ونجسّه، وداس على كل الحرمات والمقدّسات ولم يستثن شيئاً، قال الله سبحانه وتعالى: "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالرَّكْعِ السَّجُودِ"⁽¹⁾، فلا بد من اقتلاع الأعداء، ومسح آثارهم نهائياً، والتَّضْحِيَّة، وسفك الدِّمَاء بغزارة، فالدم عادة يحتوي على نجاسة إلا دماء الشهداء الرقراقة النقيّة، قال الله سبحانه وتعالى: "وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"⁽²⁾، فبمثل هذه الدِّمَاء الطاهرة طالب الجواهري لأنّها وحدها القادرة على نزع الدرن، والشوائب العالقة، ومحو آثار الأعداء وهمجيّتهم التي لا تعرف حدوداً، ولا تخضع للمقاييس لأنّ العدو استباح الأرض والعرض والمال، ولطّخ كل شيء.

وجاء جراح الشَّهيد تَظَلُّ على الثَّارِ تَسْتَفْهَمُ، وتُسْتَفْهَمُ بمعنى تسأل، صيغة مضارع حروفها قويّة، أمّا تَمْتَصُّ دَمًا ثُمَّ تَبْغِي دَمًا، صيغتان فعليتان متعدّية أصواتها قويّة،

¹- سورة آل عمران/169.

²- سورة الأنفال/60.

والامتصاص معروف، وباقي الألفاظ معروفة، قال الجواهري مفتخرا بالشهداء الذين احتضنوا قضيتهم، وتقاتلوا في الدفاع عنها، وماتوا من أجلها، وما تزال عيونهم مشربّة حتى النصر، فلفظا تَسْتَفْهِمُ، وَتَمَنَصَّ وردا في غير سياقهما على سبيل الاستعارة حيث جسد الجراح، وأنطقها، وجعلها تستفهم مثل الإنسان الذي أمامه معادلة مازال لم يجد كل عناصر الإجابة، ولم يتمكن من فكّ ألغازها، ويسعى جاهدا لحلّها، فجراح الشهيد ما تزال تنزف، وتبحث عن المزيد، وتريد الحقيقة لتشفى غليلها، ولترتاح، وتطمئن في مثاها الأخير:

أَتَعْلَمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ * تَظُلُّ عَلَى الثَّأْرِ تَسْتَفْهِمُ

تَمُصُّ دَمًا ثُمَّ تَبْغِي دَمًا * وَتَبْقَى تُلْحُ وَتَسْتَطْعِمُ (181)

والشاعر لا يريد المعنى الحقيقي للألفاظ، ولكنّه يذهب بعيدا ليقصد أنّ الشهيد لن يرتاح في قبره الأخير، ولن يهدأ له بال، ولن تطمئن روحه، حتى تعمّ العدالة، وتتحقّق الحرية، والاستقلال، فجراحه لن تندمل، ولن تشفى حتى ينال مبتغاه، ويسود العدل، أمّا تَمُصُّ دَمًا، ويقصد التّضحية في سبيل الوطن، وإراقة المزيد من الدّماء لترتوي الأرض، فالشّهِيد يتغذى على هذه الدّماء وهو حيّ عند ربّه، ويطالب بها، ويتمناها، لأنّها تنعشه وترريحه، يستطعمها، ويميّز بينها وبين ذوق الدّماء الأخرى، يتلذّذها وتفتح شهيته للمزيد من التّضحيات، والاستشهاد في ساحة الشّرف، والتّصميم على مواصلة المسيرة بالطريق طويل، والدروب وعرة، والإرادة قويّة، والشّهِيد وحده كفيل بالإلحاح على القتال لأنّه دفع بروحه وجسده مقابل العزّة والكرامة، وله الحقّ بلا منازع في المطالبة بالمزيد.

وفي هذا المجال قال شاعر الثورة مفدي زكريا في قصيدة بعنوان "تشيد جيش

التحرير" مستعملا لغة عامية لأنه بصدد خطاب عامة الشعب:

هذي دمانا الغالية دفاقا

وعلى الجبال علامنا خفاقة

وللجهاد رواحنا سبّاقة⁽¹⁾

ووظف الشاعر أَسْلَ يُخَضَّبُ مِنْ دَمٍ وَشِفَارَ، ويُخَضَّبُ مِنْ خَضَّبٍ بمعنى إخضر

الشجر والنبات⁽²⁾، صيغة فعلية مبنية للمجهول حروفها قوِّية، أَمَّا أَسْلٌ فهو الرِّمَحُ⁽³⁾، قال

الشاعر بمناسبة تأبين عبد الحميد كرامي اللبناني، مبرزا محاسنه، مستعملا المجاز فلفظ

يُخَضَّبُ ورد في غير موضعه، وهي كناية على الصعوبات، والعراقيل التي يجدها هؤلاء

الثقاة المؤمنين في الطريق التي يسировون عليها فهي شاقّة، وعرة، خطيرة، وحادة المسالك،

وفيها مخاطر كثيرة، سيتمّ التغلّب عليها بواسطة الإرادة، والعزيمة التي جعلها الشاعر كالرِّمَح

المخضّب بالدماء نتيجة لمقاتلة الأعداء وسفك دمائهم:

وَسَلَكْتَ نَهْجَ الْمُخْلِصِينَ وَإِنَّهُ * أَسْلٌ يُخَضَّبُ مِنْ دَمٍ وَشِفَارَ (58)

فنهج المخلصين حسب الجواهري صعب الوصول إليه، وثنمه هي التضحية بالنفس

الغالية، والدماء الزاكيات، الدافقات، ويظهر هذا البيت سخط الشاعر على الأوضاع المزرية

التي تدور في بلاده العراق، وتشاطره فيها باقي الدول العربية، والمثال على ذلك هذا الرجل

¹ - مفدي زكريا- اللهب المقدس/79.

² - المعجم الوسيط(خضب)/237.

³ - أساس البلاغة(أسل)/16.

المخلص لوطنه ولأمته الذي كرّس حياته من أجل إعلاء كلمة الحقّ، وحمل قضية بلاده بين يده، ويختلف عن حكام العراق الذين تأمروا مع العدو ضد الشعب، وقال الله سبحانه وتعالى: "ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه"⁽¹⁾، فمسير هؤلاء المخلصين لوطنهم، المجاهدين، الأبطال، هو الشهادة والموت لأتّهم رفضوا الدّل والاستكانة، ووقفوا في وجه القمع والاضطهاد، دافعين ثمننا باهظاً، ودماء زكية، ولقد رسم الجواهري لوحة فنيّة، مميّزة، فريدة من نوعها، ويرمز عادة للأمل باللّون الأخضر، وللحرية باللّون الأحمر، ولكننا لا نستطيع أن نحقق آمالنا إلا بتعريض أنفسنا إلى الخطر، وإلى الشّفة الحادة مثمنا قال الشّاعر، ولكل شيء ثمن، وألاحظ هنا طغيان لون الدّماء الفاقعة على الألوان الأخرى بلا منازع، جعل منها الشّاعر رمزا للحرية الحمراء التي لا نستطيع افتكاكها إلا من خلال تدفّق الدّماء.

وجاء السّحابُ الجَوْنُ، ويُستسقى به البَلْدُ المَحِيلُ، والسحاب الجون صيغة اسمية وهو السحاب الذي تنتج عنه أمطاراً غزيرة وعواصف شديدة، ويُستسقى صيغة مضارع مبنية للمجهول مزيدة، حروفها قويّة معناها معروف، والمَحِيل من أَمَحَلَ بمعنى احتبس المطر⁽²⁾، قال الشّاعر حاثاً على التمرّد، والثورة، موظفاً الاستعارة ليجعل من الغضب الشديد، والعنيف، والمتطايير من طرف الشعوب المضطهدة، سلاحاً ضد العدو ينتج عنه النّصر، وإعلاء

¹- سورة الأنفال/60.

²- المعجم الوسيط(محل)/856.

الرّاية، وإعادة الأمل، كما تعيد الأمطار الغزيرة الحياة للأرض العطشى، والتي عانت وقتاً طويلاً من الجفاف، وهنا كناية تولدت عنها معاني جديدة:

هَذَا السَّحَابُ الْجَوْنُ * يُسْتَسْقَى بِهِ الْبَلَدُ الْمَحِيلُ (51)

والشاعر لا يقصد به السحاب الذي ينتج أمطاراً تسقى بها الأرض الميّتة، ولكنه يقصد ذاك الغضب، والتوتر، والسخط الذي تشعر به الشعوب المضطهدة وتحوله إلى تمرد، وثورة، وهيجان، وللدلالة كذلك على التآمر من هذا الوضع الذي طال واستقرّ وجعل الوجوه متجهمة، مسودة، عبوسة، كئيبة، تحمل بين طياتها براكينا نائرة عند انفجارها ستتغيّر الأشياء ويسطرّ التاريخ، وتتبعث الحياة من جديد، وتدبّ الحركة، وتتقلب أركان نظام العدو، وتتحوّل إلى أثر بعد عين، ويتحقّق التّغيير. فكما تدمّر العواصف كل ما تجده أمامها، وتقتلع الشجر، والحجر، فكذلك موجة الغضب الشديد ستلهب شرارة الثورة، وستزلزل الدّنيا، وتغيّر الموازين، وهذا ما يحدث أماناً اليوم في معظم الدول العربية، أين انفجرت الشعوب وقامت بالتّغيير، وأزاحت العديد من الديكتاتوريات التي جثمت لوقت كبير على صدر الأمة، وهذه الظاهرة أصبحت معهودة ومستمرة لأنّ الضغط يسبب الانفجار.

واستعمل الشاعر المجدُّ إشْعاعَ الضمير لضوئه، والمجد معروف وإشْعاع من الشّعاع والضوء، صيغة اسمية مضافة حروفها قويّة، قال محمد مهدي الجواهري في عبد الحميد كرامي، مستعملاً المجاز لأنّ إشْعاعَ الضمير لضوئه جاء في غير مكانه، فالضمير عادة

ليس له ضوء، ولا إشعاع، حيث ربط الشاعر بين صحوة الضمير، والوعي، والتبصر، والاستفاقة من النمو، وبزوغ فجر جديد، بتحقيق المجد، والسيادة، والرقى، والتقدم:

والمجدُ إشعاعُ الضمير لضمّنه * تهفُّ القلوبُ وتشخصُ الأبصارُ (98)

وليس من السهولة بالأمر تحقيق المجد، والعزة، والكرامة فلا بد من المثابرة والعمل والوعي بما يخطّطه العدو من مآمرة جعلت المجتمع يتقهقر، وينحطّ، ويدخل في دوامة من الجهل لا حدود لها، ومن الصّعب تداركها لولا الاستفاقة في الوقت المناسب، والسّعي إلى تغيير الواقع المرّ، فالأبصار تشرب، والأعناق تمتدّ لترى حقيقة الأشياء، وتستبشر بهذا النور الذي طال انتظاره، ونتج بعد تبصر، ونضج، ونضال عسير، ومرير، كان ثمنه العديد من التّضحيات، وصحوة الضمير ويقظته، وتفتّنه لما يحاك أمامه من مناورات عبارة عن إشراقة شمس سطعت بعد ظلام دامس، غيّرت مجرى الكون وبعثت الأمل والحياة والبشاشة. ورسم الشاعر من خلال هذا البيت لوحة فنيّة تميّزها الأضواء السّاحرة، المتناسقة، القويّة، المشعّة، التي رمز بها إلى الوعي، والتفتّن، والتبصر، واليقظة، والنّهضة، والتحوّل، والتّغيير.

وورد عائق الموجة مدّا وإنحساراً، وعائق صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، بمعنى أدنى عنقه منه وضمّه إلى صدره⁽¹⁾، حروفها قويّة، قال الجواهري من منفاه في يوغسلافيا سنة 1962 مستعرضا ذكريات الشباب، وروح التمرد التي

¹ - المعجم الوسيط (عائق) 632.

كان يمتاز بها، مستعملا المجاز في لفظ عَانَقَ الذي ورد في غير موضعه، وهي كناية على التحدي، والمغامرة، وفرض الذات، ومقارعة العراقيين، وملاعببتها، والتباري معها:

يا سَبُوحًا عَانَقَ المَوْجَةَ * مدًا وإنحسارًا (233)

وللدلالة على إنكار الخوف، والتمرد، والطيش في بعض الأحيان، واللامبالاة التي كان يتمتع بها الشاعر عندما كان شابا يركب أمواج البحر العنيفة، ويتبارى معها، ويتصدى لها، ويتحدّاها، ويلعبها، مهما بلغت من عنفوان، وشدة، وقوة، ومحمد مهدي الجواهري لا يقصد معانقة الأمواج، وركوب البحر، واللهو، والتّباري فقط، بل يعني روح التّحدي، والصّمود، والثّبات، وعدم الاكتراث بالمصائب التي حلّت به الواحدة تلو الأخرى، فعقّه المقربون منه، وتخلّوا عنه، ونهشوا لحمه، وأزاحوه من المكانة المرموقة التي كان ينعم بها، فاضطر أن يسافر إلى أوروبا، إلى جانب ذلك فقد أخاه وابن عمّه، ولقد أثرت كل هذه الحوادث فيه، إلا أنّه من خلال هذا البيت لم يفقد الأمر ومازال يصارع من أجل البقاء وفرض الذات.

ووظّف يتحدّى الاغترار، والتّحدي هو طلب المباراة لإظهار الشّجاعة والغلبة، صيغة فعلية مضارعة، معتلّة، متعدية، مسندة إلى ضمير المذكر الغائب المفرد فيها قوة، والاغترار من الغرور، قال الشاعر مجسّدا روح الصّمود والمبارزة وعدم الاستكانة، واستعمل المجاز مرّة أخرى في لفظ يتحدّى الذي ورد في غير موضعه، للدلالة على التّصدي للغرور،

والتغلب عليه، لأنّه مثل الخصم العنيد الذي لا بد من القضاء عليه، وقهره، حتّى لا يشكّل خطراً على الحياة، ويتنافس مع العقل، والرّجولة الحقيقيّة:

الرُّجُولَاتُ إِعْتِرَازٌ * يَتَحَدَّى الْإِغْتِرَارَ (238)

والرّجولة هي كمال الصفات المميّزة للرّجال، وهي مواقف، ومبادئ، وهي الفحالة، لا تقاس بالغرور، وبالاعتزاز، والتّظاهر، والتّباهي أمام المجتمع بالشّجاعة، والإباء، فلا بد من التغلب على هوى النّفس وقهرها، وكبحها، وتحكيم العقل، والتّبصر، والحكمة في معالجة المشاكل، وصقل النّفس، وترويضها، والتحكّم في العواطف الجامحة، والعمل على تحسينها والسموّ بالروح إلى أعلى الدرجات، والانتصار على النّفس لأنّ النّفس أمارّة بالسّوء، قال الله سبحانه وتعالى: "إِنَّ النّفسَ لِأَمَارَةٍ بِالسّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي"⁽¹⁾، والتّحدي من شيم الأبطال والغرور خصم عنيد لا بد من غلبته والقضاء عليه وإبعاده والتّعامل مع الواقع بذكاء، وخبرة، ورصانة، فكما نتحدّى العدو ونصمد أمامه ونعمل على القضاء عليه، فكذلك نسعى إلى القضاء على الاغترار لأنّه نقطة ضعف لا بد من محاربتها.

واستعمل يا ابنَ صَيْدِ الرّجَالِ صيغة اسمية مضافة، حروفها قويّة نوعاً ما، والصيد ما تُصَيّد، وقال ابن جني كل وحش صَيْدٌ صَيْدٌ أو لم يُصَدَّ⁽²⁾، وفي التّنزيل العزيز: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصّيدَ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ"⁽³⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: "أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ

¹- سورة يوسف/53.

²- لسان العرب(صيد)/621.

³- سورة المائدة/95.

وطعامه متاعا لكم وللسيارة"⁽¹⁾، وفي معرض مدحه لصديقه الشاعر العراقي محمد صالح بحر العلوم الذي كان يقاسي في سجون حزب البعث سنة 1963، قال مذكرا بمرتبة الرجل وانتماءاته مستعملا الكناية، للدلالة على الشجاعة، والإيباء، والشرف، والعراقة، والأصالة:

يا ابنَ صيدِ الرّجالِ دريكَ لا * دربُ الخوّرينَ⁽²⁾ من كلالٍ ووهنٍ (167)

وللدلالة على نسب صاحبه محمد بحر العلوم، الذي انحدر من أحسن سلالة، ومن أشرف الرجال، ومن خيرتهم، وأشجعهم، فهو الملك، والسيّد، والزعيم، فهو نبيل، عريق، صافي النسب والدم، والشاعر هنا يريد أن يعرفنا على ماضي صاحبه، والأسرة التي ينحدر منها لها امتداد وجذور عميقة، وأصالة، وشرف عظيم، لا ينافسه أحد من المقرّبين منه، يمتاز بندرة كبيرة في الوسط الذي يعيش فيه، يجعل الآخرين يرغبون في الجلوس معه، والاستمتاع برفقته، والتمتع بصحبته، ويتنافسون على التقرب منه، والتفاخر بصداقته.

وصاحب الشاعر لا يعرف الكلّ، والملّ، ودربه درب الشجعان، المناضلين، القانونيين، ولا يخطر الخوف على باله ولو لوهلة، ولا يركع، ولا ينحني، بل يبقى شامخا شموخ اللّيث في الغابة، لا يقوى عليه أحد، ويخافه الكلّ لأنّ صوته مدوّي، وشعره قاتل، زلزل به أركان الحكومة العراقية، وجعلها ترتجّ، وتهتزّ، ولهذا السبب أُلقي في السّجن، ومازال صوته يرتفع من وراء القضبان، يخيف عدوه مرّة أخرى، ويزأر كزئير الأسد مدوّيا، عاليا، مرعبا.

¹- سورة المائدة/95.

²- الخوّرين من خار، خؤور بمعنى ضعف وانكسر- المعجم الوسيط(خار)/261.

ووظّف الشّاعر مَشَى الوَعْيُ في أُمَمِ المَشْرِقَيْنِ، و لُمْتُ لِكُنْسِ الوَسِيخِ الحُشودَ، ومشى من المشي، صيغة فعلية معنّاة، مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها قويّة، والوعي لا يمشي والشّاعر جعله يتحرّك، أما لُمْتُ فهي صيغة فعلية كذلك مبنية للمجهول، متّصلة بتاء التّأنيث، معظم معاني الألفاظ معروفة، قال الشّاعر بمناسبة العيد العالمي للعمال سنة 1961 مستعملا المجاز في لفظ مَشَى الذي ورد في غير مكانه، وجسّد من خلاله الوعي وجعله يمشي مثل الإنسان، للدّلالة على استفاقة الضمير بعد سبات دام طويلا، وإدراك الشعوب للمخاطر المحدقة بها، أما لُمْتُ لِكُنْسِ الوَسِيخِ فهي كناية على إزالة آثار العدو، والتخلّص من التراكمات التي دامت سنين طويلة وأضرّت بالمجتمع وجعلته يتقهقر، وينحطّ، وهذه دلالات جديدة أضافها الشّاعر لمعجمه اللّغوي زادته إثراء وتنوّعا:

مَشَى الوَعْيُ في أُمَمِ المَشْرِقَيْنِ * و لُمْتُ لِكُنْسِ الوَسِيخِ الحُشودَ (135)

وللدّلالة على انتشار الوعي في أرجاء المجتمعات المقهورة، شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، وهي حتميّة تاريخية ستعمل على تغيير الظروف وتحريك الشعوب.

ولقد جسّد الشّاعر لفظ الوعي وجعله مثل الإنسان الراشد الذي يسعى إلى تنوير العقول، وإزاحة الظلام، وتعبيد الطريق، وتخفيف العقبات وتذليلها، ويأتي الوعي بفضل تنقيف الشعوب، والقضاء على الانحرافات، والسلوكات المشبوهة، والرّقي بالفكر، ومحاربة التخلّف، وبهذا تتحرّر الأُمّة، والوعي بالنسبة للشّاعر ككائن حي يتّجه صوب هدف معين، ويعرف طريقه جيّدا وهو تغيير مجرى الأحداث، ودلّت عبارة و لُمْتُ لِكُنْسِ الوَسِيخِ الحُشودَ

على القضاء المتخاذلين، المستكينين، الأوباش الذين شبَّههم بالقاذورات المتركمة هنا وهناك وحان الوقت لتطهير المجتمعات من هذه الشرذمة، ورميها في سلَّة المهملات لأنَّها كالطفيليات تتغذى على غيرها من الأعشاب، وينجرَّ على ذلك ضررا كبيرا، وهنا دعوة لتغيير الوضع، وعدم التقاعس، والوقوف صفاً واحداً أمام الأعداء، ولمَّ الشمل، وعمل المستحيل لتغيير الوضع، قال الله سبحانه وتعالى: "أعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"⁽¹⁾.

وورد كذلك في نفس السيّاق تُنْفَضُ عَنْهَا الْخُمُولَ الرُّقُودَ، وتُنْفَضُ صيغة مضارع فيها مبالغة من فعل نفض الغبار بمعنى أزاله، أصواتها قوِّية، قال الشاعر يدعو إلى التَّغيير، وهو لا يقصد الغبار بالمعنى المتعارف عليه، ووظّف المجاز في تُنْفَضُ الذي جاء في غير موضعه، وجعل الخمول مثل الغبار المتراكم، للدلالة على أنّ الوقت قد حان لفتح صفحة جديدة، والعمل على تغيير الأوضاع إلى الأحسن، والقضاء على التعفن، والتأسيس لمستقبل أركانه صلبة، وقوِّية، نتيجة لانتشار الوعي والحماس بين أوساط المجتمع:

وفَرَّتْ⁽²⁾ على صَرَاحَاتِ الْجُمُوعِ * تُنْفَضُ عَنْهَا الْخُمُولَ الرُّقُودَ (135)

وجسّد الشاعر الخمول، والكسل، والتراخي، والتّقاعس، وجعله مثل الغبار المتراكم، لأنّ الخمول لا يُنْفَضُ بل يعالج بالمثابرة، والإرادة، والعمل، والنشاط المتواصل، فلا بد من نفضه، وإزاحته، وكنسه، والتخلّص منه، وتنظيف المكان، وتطهيره، وتهبئة الأجواء، والقضاء

¹- سورة الأنفال/60.

²- فَرَّتْ بمعنى نشطت وتوقّدت- المعجم الوسيط(فرّ)/687.

على كل المعوقات التي تمنعنا من تغيير الوضع، وتحقيق الحلم، ولابد من العمل على إزاحة الحواجز، والمضي قدما، وتحفيز الناس، وصقل الهمم، وعدم تضييع الفرص لتغيير الواقع الأسود الذي استمر طويلا، وأصبح من الصعب التخلص منه إلا بالعزيمة، والوعي، والعمل، والشجاعة.

وجاء وَقَدْ نَفَضَ الْكَهْفُ عَنْ أَهْلِهِ، غُبَارَ السَّنِينَ، ووعثَ الْبَلَى، ونفض الغبار بمعنى نزع، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المذكر الغائب، أصواته قوية متعدية، أما غبار السنين، ووعث البلى، ووعث بمعنى تعسّر صيغتان اسميتان مضافتان، معانيها معروفة، أصواتها رخوة، وقال الله سبحانه وتعالى: "ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ثم بعثناهم نعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا"⁽¹⁾، ويظهر مدى تأثر الشاعر بالقرآن الكريم وبما حدث لأهل الكهف الذين أنامهم الله سبحانه وتعالى مدة طويلة، وبعد ذلك أفاقهم بمعجزة إلهية، فأصبحوا عبرة كبيرة للكون، قال الجواهري داعيا إلى تغيير الوضع، واستعمل لفظ نَفَضَ في غير موضعه، وجسّد الكهف وجعله يقوم بعملية تطهير، وإعادة الحياة لأصحابه الرُقُود، وبثّ فيهم الحيوية، والنشاط، وهذا مجاز دلّ على العمل على انطلاقة جديدة تكون بمثابة الشرارة لإعادة هيكلة المجتمع، وإحيائه من جديد، أما غُبَارَ السَّنِينَ، ووعثَ الْبَلَى فكلاهما كناية على القضاء على الوضع المزري الذي استشرى في المجتمع العربي، وأنها كاهل الأمة وحان الوقت لإزاحة الغبن، والهموم والتخلّص منها إلى الأبد:

¹ - سورة الكهف/12.

وَقَدْ نَفَضَ الْكَهْفُ عَنْ أَهْلِهِ * غُبَارَ السِّنِينَ وَوَعَثَ الْبَلَى (242)

ومهدي الجواهري لا يقصد نفض الغبار بالمعنى الحقيقي، ولكنه يتكلم على تغيير الوضع وتصحيح الأخطاء، وإعلاء كلمة الحق، والاقتداء بالسلف الصالح، والسير على نهجه، والاستفادة منه، واستغلال المواعظ للنهوض بالوطن، وقلب الموازين، وإحداث المعجزة، وقهر الحلف الأطلسي، ومحو آثار العدو، والتخلص منه نهائياً، والتغلب على الشدائد، واستثمارها لصقل النفس وحثها على إعادة البناء من جديد، وبعث الحياة وانطلاقتها.

ووظف الجواهري تَجَرُّ الصَّفوفِ الصَّفوفِ، و يَسْتَثِيرُ الْوَقِيدَ الْوَقِيدُ، ويجرّ من الجرّ وهو معروف، صيغة فعلية، حروفها قوية متعدية، أما يَسْتَثِيرُ الْوَقِيدَ، آثار وثور بمعنى هيّج⁽¹⁾ واحتوت الصيغتان على تقديم وتأخير ساهما في تعميق معناها، وقال الله سبحانه وتعالى: "فَأَثَرْنَا بِهِ نَقْعًا فَوْسَطْنَا بِهِ جَمْعًا"⁽²⁾، دعا الشاعر إلى التهافت، والاقبال على ميدان المعركة، والتدفق بغزارة لأن القضية عادلة، والحرية غالية، فقال مستعملا المجاز في لفظ تَجَرُّ، الذي ولد معنا جديدا وهو التّدافع إلى ميدان القتال ضمن صفوف منظمة، وفيالق، ومجموعات، أما يَسْتَثِيرُ الْوَقِيدَ فدلت على إشعال فتيل الثورة، ولهيبها، والمُضي في المعركة، وهذه دلالات جديدة دخلت إلى معجمه اللغوي، ودلت مرة أخرى على قدرة الشاعر على الخلق والابداع:

¹- المعجم الوسيط(ثار)/102.

²- سورة العاديات/4-5.

غداً إذ تجرّ الصّفوف الصّفوف * وإذ يستثيرُ الوقيدَ الوقيدُ (136)

ولأنّ القضية عادلة، ومنطقية، فلا بد من شحذ الهمم، والحماس في ميدان المعركة، والعمل على إشعال فتيل الحرب، والمواجهة، والاستبسال، واستعمال كل ما توفّر من ذخيرة، وإرادة من أجل العزّة، والسيادة، ولابد من إهداء الرّوح والدّماء، والصبر والحزم لبلوغ الهدف.

واستعمل أنتم فكرةً، صيغة اسمية، والفكرة معروفة وهي صورة ذهنية للأمر، ويُعذّب اللفظُ بها، يُعذّب صيغة فعلية مبنية للمجهول، وعذّب بمعنى حسن، حروفه قويّة، أمّا تُشحذُ الرّوح على مرّاتها، وتُشحذُ من شحذ الآلة بمعنى سنّها فأصبحت حادّة وهي صيغة مبنية للمجهول كذلك، أصواتها قويّة، استعمالها في غير محلّه، قال الشّاعر أمام إتحاد الطلبة العراقيين سنة 1959 ببغداد معترّاً بدورهم في بناء مستقبل البلاد، مستعملاً المجاز، ورمز بأنّتم فكرة إلى فئة الشباب، جيل المستقبل الواعي، المثقّف، الذي سيعمل على بناء الوطن، وتجسيد أفكاره، وابداعاته في الواقع، وبلورتها والعمل من خلالها على التّهوض بالأمة، أمّا تُشحذُ الرّوح فاستعملها الشّاعر كذلك مجازاً لأنّنا لا نشحذ الرّوح عادة، ويقصد بها صقل أفكار الشباب، وتحفيزهم، والتركيز عليهم، والاعتناء بهم، وجعلهم أولويّة من أولويات المجتمع، لأنّهم هم وحدهم قادرون على التّغيير، وهذه دلالة جديدة عملت على إثراء لغة الشّاعر:

يا شباب الغدِ أنتم فكرة * يُعذّب اللفظُ بها إمّا تَعِن⁽¹⁾

¹ - عَنْ بِمَعْنَى ظَهَرَ، الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ (عَنْ) 632.

تُشَدُّ الرُّوحَ عَلَى مِرَاتِهَا * مِثْلَمَا يَشُدُّ مِرَاةَ مِسْنٍ (144)

وقال الشاعر الكبير أحمد شوقي:

يَا شَبَابَ الْغَدِ وَابْنَايَ الْفَدَى * لَكُمْ، أَكْرَمُ وَأَعَزُّ بِالْفِدَاءِ

هَلْ يَمُدُّ اللَّهُ لِي الْعِيشَ، عَسَى * أَنْ أُرَاقِمَ فِي الْفَرِيقِ سَعْدَاءَ

وَأَرَى تَاجَكُمْ فَوْقَ السُّهَى * وَأَرَى عَرْشَكُمْ فَوْقَ ذُكَاةٍ؟⁽¹⁾

وفي هذا الصدد قال مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية الكبرى سنة 1960 في

مهرجان "شباب الجزائر":

صُعْدًا نَحْوَ الْعَلَا وَالسُّودِ * يَا شَبَابَ الْيَوْمِ أَبْطَالُ الْغَدِ

أَنْتُمْ الْيَوْمَ رَجَاءٌ وَغَدًا * أَنْتُمْ أَرْكَانُ صَرْحِ الْبَلَدِ⁽²⁾

فالشباب هم بناء المستقبل، ووحدتهم الفئة القادرة على النهوض بالوطن، وتأسيس أركانه لما يتمتعون به من وعي، وثقافة، وحماس، واندفاع، وعنفوان، وشجاعة، وقوة أملتها الظروف القاهرة التي مروا بها، والهزات العنيفة التي تعرّضوا لها، وما نالوه على يد الأعداء، ولهذا السبب يستحقّون التّغني بهم، وتمجيدهم، واختيار أحسن الألفاظ، وأبرعها، وأعذب الموسيقى لردّ الجميل لهم، وفسح المجال أمام الخيال، والموهبة، لتوفيههم بعض حقوقهم، وتشجيعهم، والشدّ على أياديهم، ومازرتهم، لأنّ المسؤولية ملقاة على عاتقهم، والزّهان

¹- مفدي زكريا، اللهب المقدس/196.

²- ديوان احمد شوقي/05.

صعب، والتّحدي ضروري للخروج من هذا الدهليز المظلم الذي فرضه الأعداء لفترة طويلة، فحان الوقت ليقود الشباب زمام الأمور، ويعملون على تغيير الأوضاع، وللشعر كذلك مسؤولية كبرى لإعطائهم حقّهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، والتّعريف بهم، والوقوف أمامهم إجلالاً، وعرفاناً، فالشباب فكرة بّناء، نافعة، ذكيّة، تتجسّد في الواقع الملموس، وتعمل على تطوير المجتمع، وهذه الفكرة نابعة من روح صادقة، صافية، وفيّة، مؤمنة بقضية الوطن فيها حدّة، وثورة، وهيجان، وتوقّد، واندفاع، واستماتة تعمل على صقل الرّوح، وشحذها، وتحفيزها، لتجد نفسها قويّة أمام الأعداء، فعالة، ضرورية تسعى إلى تغيير الواقع، فالرّوح لا تُشحذ ولكن الشباب عندما يتبصّرون، ويدقّقون، ويخمنون وبعد ذلك يعملون على تجسيد ما يجول في خاطرهم من أفكار ستنعكس على أرض الواقع وتُقتن، وتُقتل وفق الخطّة التي وضعوها، وعكستها إرادتهم، وبلورتها في أرض الواقع، وصاغوها بطريقة نافذة، قويّة، معبّرة، هدّافة ستعمل على قلب الأوضاع، وتغييرها، وتجديدها، وهذه العملية تشبه إلى حدّ ما، ما يقوم به الحدّاد من شحذ شفرته حتى تصبح عمليّة أكثر، ومفيدة، ونافعة ومن هنا تتحقّق الأمانى.

وفي هذا الصدد قال الشّاعر مفدي زكريا:

وخذُوا الأفكار عنّا

واغصّروا منها الحياة

وابعثوا منها الجزائر⁽¹⁾

¹ - مفدي زكريا، اللهب المقدس/98.

وورد **بَنُوا الْحَيَاةَ وَرَمَّمُوا**، صيغتان فعليتان متعدّية مسندة إلى ضمير الغائب الجمع المذكر، وبالباء والترميم معروف، أصواتها قويّة في معظمها، قال بمناسبة انعقاد مؤتمر الطلبة الأكراد في ميونيخ بألمانيا، مشيدا بدور هؤلاء الأبطال الذي وهبوا أنفسهم من أجل مستقبل زاهر، موظّفا المجاز في لفظي **بَنُوا**، و**رَمَّمُوا**، اللذان وردا في غير موضعهما، للدلالة على إعادة تأسيس أركان الوطن، والعمل على التطلّع إلى المستقبل، وهذه دلالة جديدة عملت على تنوّع معجم محمد مهدي الجواهري:

ذُوبَتْ آلامِي فَكَانَتْ قَطْرَةً * فِي كَأْسٍ مِنْ بَنُوا الْحَيَاةَ وَرَمَّمُوا(07)

فعادة لا نبني الحياة، بل نعمل على النهوض بالوطن، وتأسيس قواعد صلبة، متينة، لانطلاقة جدّية، وللدلالة هنا على التطلّع إلى مستقبل أفضل، وتغيير جذري، وعميق للواقع، والشاعر هنا يشيد بهؤلاء الأبطال الذين لن يغفلوا ولن ينسوا أنّهم الفئة المعوّ عليها لإرساء أركان صلبة للوطن، وإعادة بلورة وإنجاز أفكارهم، ولهذا السبب استعمل محمد الجواهري فعل **بنوا** بمعنى إعادة النّظر في كل ما حدث، وتقويمه، وغربلته، واختيار المواد المناسبة، والتصميم الجيّد لإنجاح عملية التّشييد مثلما يفعل البناء، أما **رَمَّمُوا** فهي كذلك محاولة إعادة النّظر فيما أفسده العدو، والمتأمرون معه، ومحاولة إصلاحه، وتسطير برنامجا، ووضع قواعد صلبة، لأنّ ما خزّبه العدو الأجنبي ليس من السّهل إعادة تصحيحه من جديد فلا بد من توفّر الإرادة، والشّجاعة، والطّموح حتى تجسّد الأفكار، وتعود الحياة إلى مجراها

الطبيعي، وتتبعث من جديد، وبهذا تتحقق إرادة الشعوب، ويرتاح البال، قال مفدي زكريا في نفس المجال:

نحن طُلاب الجزائر

نحن للمجد بناءة⁽¹⁾

واستعمل خَوْفَ الشَّجَاع، و طَيْشَ الْحَلِيم، والحليم من الحِلْم وطاش عقله بمعنى خفّ وتشبّث فجعل وأخطأ⁽²⁾، وفي هذا الصدد قال الله سبحانه وتعالى: "وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم"⁽³⁾، ومَوْتِي الرَّدَى، صيغ اسمية مضافة، تتراوح أصواتها بين القوّة والرخاوة، المعاني معروفة، وقصد بهذه الصيغ التي تدلّ على خبرة كبيرة، وتجربة في الحياة، والتّروي، والتعقّل في اتّخاذ القرارات، وارتكاب بعض الأخطاء من حين إلى آخر، وهذه طبيعة البشر وجلّ من لا يخطئ، وتحديّ المخاطر، والرّمي بالنّفس إلى الهلاك في سبيل العزّة، والكرامة، فقال معتزّا بنفسه مخاطبا أعداءه:

بلى! إِنَّ عِنْدِي خَوْفَ الشَّجَاع * وَطَيْشَ الْحَلِيمِ وَمَوْتِي الرَّدَى (234)

ويلاحظ على هذا البيت استعمال الشّاعر ألفاظا متناقضة مثل خوف الشجاع، وطيش الحليم، أمّا موت الرّدَى فهل الرّدَى يموت، يريد الشّاعر أن يقول أنّه يخاف من شجاعته، وإقدامه، واندفاعه في بعض الأحيان، لأنّ هذه الشّجاعة التي يتميّز بها لا تعرف

¹ - مفدي زكريا- اللهب المقدس/97.

² - المعجم الوسيط(طاش)/574.

³ - سورة التوبة/102.

حدودا، ولا تخضع لمعايير، ولا أحد يستطيع لجمها، والتحكم فيها، وتقنينها، وربما قد تؤدي بصاحبها إلى ما لا يحمد عقابه، وإلى ما لا يرضى عليه العقل، ولهذا السبب فهو يخافها، ويحسب لها ألف حساب لأنها أصبحت مثل العدو تهدده، وتتوعدده، وتربكه.

ولم يستثن الجواهري الحليم المعروف بالرزانة من الطيش، ولهذا استعمل طيش الحليم والذي تكون أخطاؤه فادحة، وكبيرة في بعض الأحيان لأن صاحبها اعتاد على استعمال العقل، واتسم بالرزانة، والحكمة، ما إن يتغافل حتى يهوى، وينشئت فكره، ولا يحسن التصرف في بعض الأمور، ولكل جواد كبوة، ولكل فارس عثرة، وهذه متناقضات موجودة في شخصية محمد مهدي الجواهري، وأبرزها في العديد من قصائده.

أما موت الردى، دلت على روح التحدي، والشجاعة إلى درجة مبارزة الموت ومصارعته، والوقوف لها الند للند، فهو لا يخشاها، ويحاول قهرها، والتغلب عليها، ومجاراتها، وإبعادها من طريقه، ونفيها، وعدم الاعتراف بها.

ومن خلال هذه الألفاظ المتضادة استطاع الجواهري أن يعبر عن الروح العالية التي يتسم بها، والحكمة، والخبرة، والتجربة التي تميزه، والتي أمضى حياته في صقلها، وبلورتها، وبذل جهد كبير للوصول إلى هذه الدرجة من التبصر، والرزانة، فأصبح لا يخشى حتى الموت.

ووظف أنضجت نضج الشواء جلوداً، وأنضج من النضج وهو معروف، صيغة فعلية مزيدة مسندة إلى ضمير المفرد المتكلم متعدية، حروفها قوية، وقال الله سبحانه وتعالى: "يوم

يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم⁽¹⁾، قال الشاعر مخاطبا أعداءه، ومتوعدا إياهم بالانتقام، مستعملا الكناية، فالجلود عادة لا تشوى للدلالة على تسليط شتى أنواع التعذيب، والقهر على عدوه، مبرزاً مدى كرهه، ومقته، وحقده عليه، متمنياً أن يراه يتعذب، ويئن، ليشفي غليله قليلاً:

إِذَا شِئْتُ أَنْضَجْتُ نُضَجَ الشَّوَاءِ * جُلُودًا تَعْصَتْ فَمَا تُشْتَوَى (235)

والشاعر هنا لا يقصد شواء الجلود وطهيها بالمعنى الحقيقي، ولكنه يصبّ جم غضبه على أعدائه يريد أن يعذبهم، ويمثّل بهم، ويقهرهم، ويؤذيهم، وينتقم منهم، ويوقفهم عند حدّهم، ويُرِيهم أقصى أنواع العذاب، لأنّهم تفتّنوا في تعذيبه، وأذاقوه العلقم، وأحرقوا قلبه، وداسوا على كرامته، واحتقروه، وابتزّوا حقوقه، ونكّلوا به، وكانوا يظنون أنّهم أقوياء لا يستطيع أحد النيل منهم إلّا أنّ القدر تمكّن من إيذائهم، وإلحاق الضرر بهم.

ويلاحظ هنا مدى السخط الكبير الذي يكنّه الشاعر لأعدائه، وجعله يكشف عن وجهه الحقيقي المتجهّم، العابس، الناقم، المتذمّر، الشديد، فصفعهم وأفهمهم أنّه يستطيع أن يدافع عن نفسه، ويصبح عنيفاً إذا اضطّرتّه الظروف، ويستعمل كل أنواع العنف ومنها حرقهم، والتّكيل بهم، والجواهري غير مسؤول على مثل هذه التّصرفات التي يرفضها بطبعه ولكن الضغوطات جعلته يقدم على ما لا يتحمّله العقل.

¹ - سورة التوبة/35.

وورد أَبْقَيْتُ مَنْ مَيَسَمِي فِي الْحَيَاةِ وَشَمًا، وَأَبْقَيْتُ مَنْ أَبْقَى بِمَعْنَى تَرَكَ صِيغَةً فَعْلِيَّةً
مُتَعَدِّيَّةً مُسْنَدَةً إِلَى ضَمِيرِ الْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ، أَصْوَاتُهَا ضَعِيفَةٌ، وَبَاقِي الْأَلْفَاظِ مُعَانِي الْأَلْفَاظِ
مَعْرُوفَةٌ، وَاسْتَعْمَلَ وَشَمًا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَهُوَ مُجَازٌ، وَوُلِدَ مَعْنَا جَدِيدًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْآثَارِ،
وَالْبَصْمَاتِ، الَّتِي خَلَّفَهَا فِي صَفُوفِ خُصُومِهِ، وَأَثَبَتْ مِنْ خِلَالِهَا وَجُودَهُ، وَقُوَّتَهُ، وَصُمُودَهُ،
لَأَنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَلْمَسَ الْحَيَاةَ، بَلْ نَعِيشُهَا، وَهَذِهِ دَلَالَةٌ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا الشَّاعِرُ، فَقَالَ مَرَّةً
أُخْرَى مُسْتَعْرِضًا بِطَوَلَاتِهِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي:

أَبْقَيْتُ مَنْ مَيَسَمِي فِي الْحَيَاةِ * وَشَمًا كَوَشَمِ بَنَاتِ الْهَوَى (235)

وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى صُمُودِهِ، وَتَحْدِيهِ لَعْدُوَّهُ، وَالبَطْشِ بِهِ، وَتَلْقِينِهِ دُرُوسًا لَنْ يَنْسَاهَا، وَلِهَذَا
السَّبَبُ اسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْوَشْمِ لِأَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ التَّخَلُّصِ مِنْهُ، وَهُوَ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ لَا يَزُولُ
إِلَّا بِاسْتِعْمَالِ مَوَادِّ مُسْتَعَصِيَةٍ مِثْلَ اللَّيْزَرِ، وَهُوَ آخِرُ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الطَّبِّ الْحَدِيثُ، وَبِالرَّغْمِ
مِنْ ذَلِكَ تَبَقَّى آثَارُهُ مُوجُودَةٌ، وَسَيَبْقَى الْعَدُوُّ يَتَذَكَّرُ هَذِهِ الشَّجَاعَةَ، وَهَذَا الْإِقْدَامَ الْمَلْفَتَ لِلنَّظَرِ
عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وَالْأَزْمَانِ، فَهِيَ وَصْمَةٌ عَارٍ عَلَى جَبِينِهِ لَا تَمَحِّي بِسَهُولَةٍ، وَتَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ
يَعِيدَ الْكَرَّةَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَيَعْمَلُ عَلَى إِحَاقِ الضَّرَرِ بِالشُّعُوبِ وَمَتَى تَذَكَّرَ يَشْعُرُ بِالْخِزْيِ، وَالْعَارِ،
وَهَذَا تَرْعِيبٌ، وَتَرْغِيبٌ لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَنَالَ مِنَ الْأُمَّةِ وَمِنْ كِبَرِيَائِهَا.

وَاسْتَعْمَلَ تَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ أَمْ الْكِفَاحِ، وَتَرَبَّطُ أَحْلَامُهَا بِالسَّمَاءِ، وَالْعِيشُ هُوَ اسْتِمْرَارُ
الْحَيَاةِ صِيغَةً فَعْلِيَّةً مُسْنَدَةً إِلَى ضَمِيرِ الْمَفْرَدِ الْغَائِبِ الْمُؤَنَّثِ، أَمَّا أَمْ الْكِفَاحِ فَهِيَ صِيغَةٌ
اسْمِيَّةٌ مُضَافَةٌ، وَتَرَبَّطُ كَذَلِكَ صِيغَةً فَعْلِيَّةً أَصْوَاتُهَا شَدِيدَةٌ مُتَعَدِّيَّةٌ، وَالرَّبْطُ مِنَ الشَّدِّ، تَغْنَى مِنْ

خلالها الجواهري ببطولات أرض العراق بلاد الرافدين، وقصد بأمّ الكفاح معقل الثوار ورمز البطولات، وهي كناية على الشجاعة، والإيباء، والصمود، والتصدي، والثبات، أمّا تربط أحلامها فهو مجاز ورد في غير موضعه، ولّد من خلاله الشاعر معنى التطلّع إلى العلا والمجد، وعدم الانحناء والرّضوخ، فقال:

تَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ أُمُّ الْكِفَاحِ * وَتَرْبُطُ أَحْلَامَهَا بِالسَّمَاءِ (242)

ويتقاطع هذا البيت مع ما قاله مفدي زكريا مخاطبا ملك المغرب الحسن الثاني:

ملك الكفاح، تحية من أمة * شهد الزمان كفاحها فعنا لها⁽¹⁾

وجّه الجواهري خطابه إلى أمّة العراق، وشعبها الذي يعيش في أرضه الباسلة مهد الثورات، ومعقل الأحرار الأشاوس، إذ تزخر بماضي مليء بالنصر، والملاحم، والبطولات، ممّا جعل الجواهري يعتزّ بهذا التاريخ فهي قدوة للجميع، ومنها يستلهم الثوار في العالم العربي، وهنا دعوة للجهاد، ورفض للاستكانة، والحثّ على صنع المعجزة الكبرى، ولهذه الأمّة الحقّ في أن تربط أحلامها بالسّماء وتطلب المزيد من النصر، والتقدّم، لأنّها قادرة على تغيير الوضع، وتجسيد أمانيتها عن طريق الكفاح لأنّها تنتمي إلى أرض المعجزات والملاحم، ولها امتداد في التاريخ وجذور عميقة، وطموحات كبيرة تسعى إلى الوصول إليها وتحقيقها، ولن ترضى بالبديل والفتات، وهي قلعة حصينة وقدوة للأمم المغلوبة على أمرها، وفي نفس السياق قال مفدي زكريا:

¹ - مفدي زكريا، اللهب المقدس/131.

وفي أرض الجزائر، معجزات * غدت للمؤمنين بها منارا⁽¹⁾

وورد قَبَسًا مِنْ لَهَيْبِ الْحَيَاةِ، والقبس بمعنى شُعلة من النَّار صيغة اسمية حروفها قوَّية، وصيغة اسمية مضافة، وفي التَّنْزِيل العزيز: "علي آتيكم منها بقبس أو أجد على النَّار هدى"⁽²⁾، قال الشاعر يرثي أخاه محمد جعفر الجواهري الذي جُرح يوم الوثبة الكبرى سنة 1948 وتوفى، موظفًا التشبيه البليغ، للدلالة على الشعلة، والتوقُّد، والحيوية الكبيرة التي تنبعث من أخيه، وتجعله يُلهب الحياة، ويبعث فيها الحماس، والثورة، والقوَّة، وهو مثل النبراس الذي ينير أرجاء الوطن، وهذه دلالة جديدة أدخلها الشاعر لمعجمه اللغوي:

يا قَبَسًا مِنْ لَهَيْبِ الْحَيَاةِ * خَبَا حِينَ شَبَّ لَهُ مَضْرَمُ (183)

وللدلالة على الشَّجَاعَةِ، والاقدام التي يمتاز بها أخوه، فهو شُعلة، وقبس، يحدوه الأمل، والعنفوان، والنشاط، وهو في ربيع عمره ومقتبل شبابه، ولهيب فيه حرارة وشرارة تحرَّك وتدفع إلى المغامرة، وربط الشاعر هنا بين لفظتي لهيب والحياة، والحياة هي الاستمرار والتطلُّع إلى المستقبل، وحياة أخيه جعفر ليست هادئة، ساكنة، بسيطة، بل تزخر بالحيوية، والحماس، والاقدام، والقدرة، وفيها ضياء، ونور، فهو الأمل، والمستقبل، تعمَّد العدو إلى إخماد شرارتها المنبعثة، وإطفائها، والقضاء عليها في المهد.

وأستنتج من خلال هذا البيت المرارة الكبيرة التي لحقت بالشاعر إثر فقدان أخيه، وما لحقَّ به من ضرر، ومن سوء حال، ومن غضب، وحزن، وبؤس، وألم عميق.

¹- المصدر نفسه/155.

²- سورة طه/9-10.

وجاء تَبَنَّتْكَ رَزَايَاهُ شعارا، وتَبَنَّى بمعنى اتَّخَذَ ولدا صيغة فعلية متعدية حروفها قوِّية في معظمها، ورزاياه من رزِيَّة وهي المصيبة ومفردُها رزء ورزِيَّة⁽¹⁾، وشعارا نقول لبني فلان شعار بمعنى نداء يعرفون به⁽²⁾، قال الشاعر في قصيدة بعنوان "غريب الدار" سنة 1962 من براغ يناجي نفسه ويخفف من معاناته، واستعمل عبارة تَبَنَّتْكَ رَزَايَاهُ ووردت في غير موضعها وهي مجاز، للدلالة على الصلة القوية التي توطدت بين المصائب والشاعر ولازمته، ولم تنقطع، وأصبحت جزءا منه ملتصقة به، وعلامة له، وهي بمثابة العلاقة القوية التي تربط بين المُتَبَنَّى والمُتَبَنَّى، وجسد الرزايا وجعلها تقوم مقام الشخص الذي يقبل على حضانة طفل وسيصبح في المستقبل مثل ابنه:

كنتَ عن جيلٍ تَبَنَّتْكَ * رَزَايَاهُ شعارا(241)

وللدلالة على الرابط الكبير الذي تكوّن بين الجواهري والرزايا، والهموم، وأصبح شعارا، ونمطا يُحْتَذَى به، لأنّ المصائب لن تفارقه، ولن تنقطع عنه، وأصبحت جزءا من حياته، واتَّخذت لنفسها مكانا في وجوده، وسلّطت عليه قبضتها، ولهذا السبب استعمل تَبَنَّتْكَ، والتبني هو احتضان الشخص لطفل، ولابد من معاملته معاملة حسنة، ورعايته، والاعتناء به، والسهر على راحته، والإحسان إليه، إلّا أنّ هذه المصائب التي توالى على الجواهري، وقهرته، وأضعفت قواه، وأنهكته، اعتبرها بمثابة امتحان صعب وآية لا بد له أن يستخلص

1- أساس البلاغة(رزأ)/229.

2- المرجع ذاته(شعر)/331.

منها العبر، فعليه الصّمود، والتّماسك، والمقاومة، ومن هنا حوّل الجواهري الرّزايا إلى مصلحته، وجعل منها شعارا للنّصر، والتّفوق، والنّجاح، مثلما قال الشّاعر أحمد شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني * ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً⁽¹⁾

وورد طَلْعَةُ الْبِشْرِ، وطلعة ما طلع من كل شيء، والبشر طلاقة الوجه⁽²⁾، وَضَحْكَةُ الْفَجْرِ، صيغتان اسميتان مضافتان، الأصوات هنا بين الشديدة والضعيفة، وباقي الألفاظ معروفة، أبّن من خلالها الشّاعر أخاه جعفر، فقال مستعملاً الاستعارة، وجعل الموت الذي حجب أخاه وانتقل به إلى الدار الأخرى، وأخفاه عن عينه وغيّبه، بمثابة الغمامة والضباب الذي غطّى إشراقة الشمس، ونورها، وأخفاها، وجعل الكون حزينا، بائسا، مظلما، وجعل كذلك ضحكة، وابتسامة جعفر كبزوغ نور الفجر، وإشراقه، ومعظم الألفاظ التي استعملها وردت في غير سياقها، ولّد من خلالها معاني جديدة أضافها الجواهري إلى معجمه اللّغوي:

وَيَا طَلْعَةُ الْبِشْرِ إِذْ يَنْجَلِي * وَيَا ضَحْكَةُ الْفَجْرِ إِذْ يَبْتَسِمُ (183)

والى جانب الطّلاقة، والحسن، والبشاشة، التي تظهر على محيّ أخيه جعفر يرتسم كذلك في الأفق الأمل الكبير، والمستقبل الزاهر، المشرق، فبالرّغم من قصر حياته إلّا أنّه كرّس معظم وقته للعمل من أجل وطنه ومصلحته، وكان يحدوه التّفاؤل، فإذا طلع على قومه يعمّ النّور، والشّروق، والضيّاء، وينتشر الوعي، وتفتّح العقول، وينزوي الظلام الدامس، وتدبّ الحياة من جديد لأنّه أمل الوطن.

¹- ديوان احمد شوقي/99.
²- المعجم الوسيط(بشر)/58.

أما ضحكة الفجر، فالفجر لا يضحك، وهنا يجسد الشاعر زوال الليل، والانفراج، ويزوغ الشمس، وإشراق نور الحرية التي طال انتظارها، وهو الأمل وإثبات الذات والوجود، والشاعر هنا لا يقصد البسمة البسيطة، وطلاقة الوجه، بالمعنى السطحي، ولكنه يرمز إلى كل ما ينتظره المجتمع من بزوغ نور الاستقلال، وتبدد الظلمات، ورحيل المستبد، وتغيير الواقع، والانطلاقة من جديد.

وجاء مَشَى الحق في الصَفَيْنِ، يَدْمَغُ باطلاً، وفي التَّنْزِيلِ العزيز: "ليحق الحق ويبطل الباطل"⁽¹⁾، صيغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، الحق معروف وهو لا يمشي، ويدمغ بمعنى يضربه على رأسه، أَمَّا وَيَغْمُرُ بِالرَّيْحَانِ أَوْفَاهُمَا كَسْبًا وَيَغْمُرُ من غمر بمعنى يغطي⁽²⁾، قال الشاعر مناصراً الحق، داعياً إلى القضاء على الظلم والباطل، مستعملاً المجاز في مَشَى، وَيَدْمَغُ، وَيَغْمُرُ حيث وردت هذه الألفاظ في غير موضعها، جسد من خلالها الحق وجعله يشق صفه، ويتمكن من عدوه، وهو الباطل، ويقضي عليه، ويقهره، وبعد ذلك تعم السعادة أرجاء الكون، ونشتم رائحة النصر، والحرية، وهي كناية على انتصار الحق على الباطل:

مَشَى الحق في الصَفَيْنِ يَدْمَغُ باطلاً * وَيَغْمُرُ بِالرَّيْحَانِ أَوْفَاهُمَا كَسْبًا (308)

فالحق يقف في صفوف المجاهدين، ويساعدهم على التخلص من العدو، ويرشدهم، ويهديهم، ويعمل على دحض الباطل، وكسر شوكته، لأنه خصم عنيد لا بد من إسكات

¹ - سورة الأنفال/08.

² - أساس البلاغة (غمر)/455.

صوته، وقهره، وتركيعه، والتغلب عليه، وبانتصار الحقّ تعمّ الفرحة أرجاء الكون وتتبعث رائحة عبقة، زكيّة، تنتشر في السّماء وتعلو وتغمر كل الأرض، واعتبرها الشّاعر مثل الريحان، والورود التي تعمّ الكون وتنعشه، وللدّلالة كذلك على تذوّق معنى الحياة من جديد بعد أن عمل العدو على إفسادها، وتحويلها إلى علقم، وحنظل، حيث ساد التشاؤم والقنوط.

وقد رسم الشّاعر صورة رائعة لمعركة بين الحقّ والباطل، فالحقّ يمشي بكل ثبات واقتناع، يعرف هدفه، ويعمل من أجل الوصول إليه، أمّا الباطل فسوف لن يصمد في ساحة المعركة لأنّه سيتلقى ضربة قاضية، وسيتهاوى أرضاً وبهذا سيأتي النّصر، وتزدهر الحياة، ويستمر الوجود، لأنّ الحقّ ركائزه صلبة على عكس الباطل الذي يحتوي بين طيّاته الزور، والغش، والنفاق.

وورد تحدّث عُبَابِ الْبَحْرِ، تُزْعِجُ حُوْتَهُ، وَمَنْ قَبْلَهُ فِي الْبَرِّ أَرْعَجَتِ الضُّبَا، صيغ فعلية أصواتها قويّة، والتّحدي معروف، وعباب البحر بمعنى أمواجه العاتية، وتزعج بمعنى تغضب، والضّبا حيوان من جنس الزّواحف يعيش في الصحراء، غليظ الجسم خشنه⁽¹⁾، وصف الشّاعر المعارك الطاحنة التي سجّلها التّاريخ، وكانت تدور بين الأمّة العربية عبر التّاريخ، والغرب، فقال موظّفا الكناية في تحدّث عُبَابِ الْبَحْرِ، للدّلالة على الشّجاعة، والبطولات الكبار التي سجّلها التّاريخ، واعترف بها العدو، ودلّت كذلك عبارة أَرْعَجَتِ الضُّبَا

¹ - المعجم الوسيط (ضب) 532.

على اتّساع رقعة الثورة، وامتدادها في أعماق الصحراء، أين تعيش مثل هذه الحيوانات، وهذه معاني جديدة استخلصتها من خلال هذه العبارات التي وظّفها الجواهري:

تَحَدَّتْ عُبابَ الْبَحْرِ، تُزْعِجُ حُوتَهُ * وَمَنْ قَبْلَهُ فِي الْبَرِّ أَرْعَجَتِ الضَّبَّ (298)

وللدلالة على الصّراع القويّ، والاستبسال، والمقاومة الشديدة، التي أبداها الأبطال سواء داخل البحر أين ترسو أساطيل الأعداء وما تحمله من ذخائر لمحاربة الأمّة، وما تستعمل من شتّى أنواع الأسلحة، إلّا أنّ الأبطال تصدّوا بكلّ قوّة للعدو، وقهروه، وقضوا عليه، وبالرغم من ارتفاع الأمواج العاتية زلزلوا البحر حتى انزعجت الحيتان، واضطربت، وخافت من هول ما يحدث واهتزّت، أما برّا فالمعركة مستمرة، والمقاومة على أشدها، والجبهة مشتعلة من التلّ إلى الصحراء أين يعيش الضب فانزعج وخاف، ويقصد الشاعر هنا امتداد المقاومة من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب، وللدلالة كذلك على اتّساع رقعة الثورة وتلقينها الأعداء دروسا في الصّمود، والتّصدي، والقوّة.

وجاء سَرَتْ كَشْعَاعِ النُّورِ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى، و مثل النسيم الرّخو في يَبَسِ هَبًّا، وسَرَتْ صِيغَةً فعلية بمعنى مضت وذهبت، وفي التّنزيل العزيز: "والليل إذا يسري"⁽¹⁾، وكشعاع النور، وفحمة الدّجى صيغ اسمية مضافة، وفحمة من السّواد الشديد، والرخو بمعنى الهشّ واللّين، وصوت عند مخرجه ينحبس الهوى⁽²⁾، وباقي الألفاظ معروفة، جمعت الأصوات بين الشدّة والضعف، وصف الجواهري الفتوحات الإسلامية التي عمّت أرجاء

¹ - سورة الفجر/04.

² - المعجم الوسيط(رخو)/337.

العالم، وانتشرت بسرعة البرق لأنها تحمل قضية عادلة، وشبهها بشعاع النور الذي أضاء
فحمة الدجى، لأن هذه الأمم كانت تقبع في ظلام، وجهل، قبل أن تعرف نور الإسلام،
وإشراقه ضوئه، وهبت هبوب النسيم العليل على الجهل، والكفر، وكنسته من طريقها، وهذه
معاني جديدة أضافها الشاعر لمعجمه فقال:

سَرَتْ كَشُعَاعِ النُّورِ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى * مِثْلَ النِّسِيمِ الرَّخْوِ فِي يَبَسٍ هَبًّا (298)

وللذّالة على القضاء على الكفر، والجهل، والسّواد، الذي كان منتشرًا قبل ظهور
الرسالة المحمّدية، حيث عملت الفتوحات الإسلامية على إزاحة هذه المظاهر بسرعة فائقة،
وتخلّصت منها، وعصفت بها إلى الأبد، لأنها ليست صلبة، متينة، وأزاحتها، وزلزلت
عرشها، ودمّرتة، وجرفته مثلما تفعل الرياح بالنباتات اليابسة الجافة، فكذلك عمل هؤلاء
المنقذون القادة الكبار على دحض المنكر، والكفر في عقر داره، وتغلّبوا عليه، ونشروا كلمة
الحقّ التي أنارت العقول بعد عهد الظلمات.

وجاء ودبّت مدبّ الرّوح في الكون رحمة، وشدّت لجسم خائرٍ مُتعبٍ صُلْبًا، ودبّت
صيغة فعلية بمعنى مشى مشيا رويدا⁽¹⁾، أصواتها ضعيفة في معظمها، ومدبّ الرّوح صيغة
اسمية مضافة، وشدّت بمعنى قوّت صيغة فعلية كذلك، وخائر بمعنى ضعيف، وصلبا
بمعنى القوي الشديد، وفي التّزليل العزيز: "يخرج بين الصلب والترائب"⁽²⁾، شبه الشاعر
انتشار الدعوة الإسلامية رويدا، رويدا في الكون، واتّساع رقعتها بالرّوح التي تدبّ في

¹ - المعجم الوسيط (دبّ) / 268.

² - سورة الطارق / 07.

الجسم، وتمنحه الحياة، فقال مستعملا الاستعارة، لأنّ لفظ دبّت وشدّت وردا في غير سياقهما، وحملا معنى طلوع فجر جديد على العالم، وحدث تغيير جذري زلزل الدنيا كلّها، وأعطى انطلاقة جديدة لحياة أركانها قويّة، متينة، صلبة، تحمل بين طيّاتها دفئ الإيمان والرحمة، وهذه معاني جديدة أضافها الشّاعر لمعجمه:

وَدَبَّتْ مَدَبُّ الرُّوحِ فِي الْكُونِ رَحْمَةً * وَشَدَّتْ لَجْسَمٍ خَائِرٍ مُتَعَبٍ صُلْبًا (299)

فحياة هذه الأمم قبل معرفتهم بالإسلام جافّة، لا روح فيها، تغطي عليها ملذّات الدّنيا، ولا تعرف الرّوحانيات طريقا إلى قلوبهم، تحكمهم المادة، ويؤسّسون حياتهم عليها، ويجعلونها أولوية من أولوياتهم، ولهذا السبب وصفهم الجواهري بالأجساد الخائرة، العليّة، المريضة التي ينقصها الإيمان، والتّقوى، وهي من الضروريات، فلكي يتقوى الإنسان عليه أن يتقرّب من الله سبحانه وتعالى، وليصبح شديدا، ولا يتأثر مادام الإيمان ساكن في قلبه سيزيده عزيمة، وقوّة، وإرادة.

وجاء ومدّت برّفق كفّها فتلمّست، و جراح بني الدّنيا فآست لهم نُدْبًا، ومدّت وتلمّست صيغ فعلية حروفها بين القوّة والشّدة، معانيها معروفة في معظمها، وآست بمعنى خفّفت⁽¹⁾ صيغة فعلية كذلك أصواتها ضعيفة والنّدب هو أثر الجرح⁽²⁾، استعمل الشّاعر الاستعارة ليشبّه اللّطف، والرّفق، الذي اتّسمت به الدّعوة الإسلاميّة، والتي حلّت بردا وسلاما على العالم، وبعثت فيه الاطمئنان، والاستقرار، وشعّت فيه نور الهداية والإيمان، وداوت

¹ - المعجم الوسيط (أسي) 19.

² - المعجم نفسه (ندب) 910.

النَّفوس المريضة، وخلصتها من الأنانية، والشَّح، والخبث، والظَّن، والضغينة، بالطبيب
المداوي المقتدر الذي وضع يده على العلة، واستطاع معاينتها، والتكفل بها، وتنظيف
الجراح، وتضميدها، والتخفيف من الآلام والمعاناة، وهذه دلالات جديدة نتجت من خلال
استعمال الشاعر لألفاظ مدّت، وتلمّست، وآست، حيث وردت في غير سياقها وعملت على
إثراء لغة الشاعر فقال:

ومدّت برفق كفّها فتلمّست * جراح بني الدُّنيا فآست لهم نُدْباً (299)

وللدلالة كذلك على روح التسامح التي عمّت أرجاء المعمورة بانتشار الإسلام، لأنّ
الفاحين استعملوا الأقلام لإنارة العقول قبل الإقدام على استعمال السيوف، ودعوا إلى السلم،
والمحبّة، والغفران، آخذين على عاتقهم التكفل بالمحرومين في العالم، ومناصرة البؤساء،
والمظلومين، ومحاولة إنصافهم، وإعطائهم حقوقهم المهضومة عبر العصور والأزمان،
وإسعافهم، ومدّ يد العون لهم، ومعاملتهم معاملة المسلم لأخيه المسلم، وغيض النظر عن
الماضي البائس.

وجاء تَرَكَّتْ الذّي رَامَ السّما يُلمِسُ الثّرى، ومن كان يشكو بطنه يشتكي السّغبا، ورام
بمعنى طلب⁽¹⁾، ويُلمس من لمس معروفة، صيغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب
المذكر متعدية، الأصوات ضعيفة في معظمها، وبطنة بمعنى الامتلاء الشديد من الطعام⁽²⁾،

¹ - المعجم الوسيط (رام) 382.

² - المعجم نفسه (بطن) 62.

والسَّغْب هو الجوع⁽¹⁾، واستعمل رَامَ السَّما يُلْمِسُ الثَّرَى، كناية على تفهقر الأعداء نتيجة للانتقام منهم بشدة واذلالهم، للدلالة على تجويعهم، ومنعهم من الابتزاز والسرقة، وهذه كناية، فقال:

تَرَكْتُ الَّذِي رَامَ السَّما يُلْمِسُ الثَّرَى * ومن كان يشكو بطنه يشتكي السَّغْب (297)

والدلالة على إعادة الأمور إلى طبيعتها والتغلب على العدو الذي كان يتعالى، ويتسامى على أشلاء الشعوب، وجماجم الشهداء، ويبني قصورا هشة، ويحلم بالصعود إلى القمة مستغلاً الضعف والذل الذي استشرى في المجتمع، إلا أن الوضع تغير، ودارت عجلة التاريخ، وعادت المياه إلى مجاريها بعد صحوه الشعوب، ودحر الأعداء، وأصبحوا في الحضيض، ولامسوا الثرى وهي أسوأ وأدنى مرتبة انحدروا إليها، وكان الذي يشتكي من التخمة، ومن البدانة نتيجة تماديه في الابتزاز، والسرقة، وحرمان الشعوب حقوقهم، أصبح يعاني من الجوع، ولا يكاد يجد رغيفا يسدّ به رمقه.

واستعمل قَصَصَتْ جَنَاحِيهِ فَقَرَّتْ شَذَاتُهُ، وعَادَتْ "توازي" شَرَّهُ أَفْرَحًا زُغْبًا، وقَصَصَتْ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المخاطب المذكر متعدية بمعنى قطعه بالمقصّ، وفقرت من قرّ بمعنى برد⁽²⁾، وشذاته هي بقيّة القوّة والشدة⁽³⁾، وزُغْبًا هي صغار الريش والشعر ولينه⁽⁴⁾، الأصوات قويّة في معظمها، وباقي الألفاظ معروفة، استعمل الكناية، ليعبر من خلالها على

1- أساس البلاغة(سغب)/303.

2- المعجم الوسيط (قرّ)/724.

3- المعجم نفسه (شذى)/476.

4- المعجم ذاته (زغب)/394.

تصدّيه للعدو، والحدّ من قوّته، وكسر شوكته، وإضعافه، وإنهاكه، هذا في الشطر الأول، أمّا في الشطر الثاني فاستعمل الاستعارة، للدّلالة على الشجاعة الكبيرة التي امتاز بها الأبطال الذين عملوا على إضعاف قدرات العدو، والحدّ منها، وشبّههم بصغار الفراخ، الذين لا يملكون القوّة للدّفاع عن أنفسهم، وعن وجودهم عندما تتربّص بهم الطّيور الجارحة، وتقتنصهم، وتلتهمهم، لأنّهم لقمة سهلة في أيدي الخصم يعبث بها كما يشاء، فقال:

قَصَصَتْ جَنَاحِيهِ فَقَرَّتْ شَدَائُهُ * وَعَادَتْ "تَوَازِي" شَرَّهُ أَفْرُخًا زُغْبًا (303)

وللدّلالة كذلك على النّصر الكبير الذي تحقّق على يد الأبطال، الشجعان، الذين قهروا العدو، ونالوا منه، وأضعفوا قوّته، وقضوا على سلاحه الجبّار، وأفقدوه النّقة بنفسه، حيث أصبح ذليلاً، منهكاً، ضعيفاً، مسكيناً، لا يقوى على صدّ هؤلاء الأبطال، والنيل منهم، مثلاً كان يفعل سابقاً، ولقد حلّ الحقّ، وفُهر الظلم، وعادت الأمور إلى نصابها، وانتصر العدل.

وجاء افترشُوا خَدَّ الدَّلِيل، وافترشوا من الفراش، والخد هو جانب الوجه، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المذكر، وخَدَّ الدَّلِيل صيغة اسمية مضافة، الحروف ضعيفة في معظمها، وأوطأت لأقدامهم، وأوطأ بمعنى داس، ووطأنا العدو غزونا⁽¹⁾، صيغة فعلية، حروفها رخوة قوية إلى حد ما، أما الخدود الضّوارع، الضّوارع من ضرع خضع وتذلّ وتخشع⁽²⁾، فهي صيغة اسمية وردت جمعا، الحروف بين القوّة والضعف، قال يصف الدّرجة

¹ - المعجم الوسيط (وطأ) / 1041.

² - لسان العرب (ضرع) 8 / 263.

السفلى التي وصل إليها البعض أمام العدو، واستعمل المجاز في لفظ إِفْتَرَشُوا الذي ورد في غير موضعه، وهي كناية على الإهانة الكبرى التي تعرّض لها الأعداء بعد أن كانوا أقوياء، وهذا معنى جديد أضافه الجواهري لمعجمه اللّغوي:

هم افترشوا خدّ الدليل وأوطئت * لأقدامهم تلك الخدود الضّوراع (190)

وللدلالة على التمكن من إحكام السيطرة على الأعداء، وإعادتهم إلى مكانتهم، واحتقارهم، وإذلالهم، وإجبارهم بقوة الإيمان والسلاح على الاستسلام والخضوع التام وهذا جزأؤهم، لأنهم انتزعوا الوطن من أصحابه، واستباحوا الحرمات، ودنّسوا الأرض والعرض، ولم يفكروا ولو لوهلة أنّ الحقّ سيرجع إلى أهله وستقلب عليهم الأمور.

وللدلالة كذلك على تلك الصّفة القوية التي ردّها الأبطال الشجعان لأعدائهم، وأجبروهم على إظهار التذلل، وهي صفة من صفاتهم الملتصقة بهم والتي نعتهم بها الشّاعر في العديد من قصائده، وعندما تغيّرت الأمور وانقلب الوضع عادوا إلى طبيعتهم وتودّدوا إلى أصحاب الوطن والأرض، وامتهنوا الانحناء والاستصغار، والتمسوا العفو والصفح على عكس الثّوار الذين عارضوا الاحتقار، ورفضوه، وحاربوه وماتوا من أجله.

أما الخدود الضّوراع، فدلّت مرة أخرى على إعلان العدو الاعتراف بالهزيمة، ورفع الرّاية البيضاء، والخضوع للسيد صاحب الدار، وتقبيّل أقدام الشرفاء، وتقديسهم، وتقديرهم، والشّاعر هنا يصبّ جمّ غضبه على أعداء الأمّة، ويصفهم بأشنع الأوصاف، ويختار الألفاظ التي تحطّ من أقدارهم وتحتقرهم.

وجاءت بِئْسَ مُفْتَرِشِينَ جَمْرًا، وَاِفْتَرَشُوا الْقَتَادَا، صيغة اسمية متعدية مسبوقة بالذم وفعلية مسندة إلى ضمير الغائب الجمع المذكر، الأصوات بين الرخوة والقوة، والفرش معروف مألوف، والقتاد شوك معروف والجمر قطع ملتهبة من النار، وقد نقم مهدي الجواهري على المتخاذلين، المتقاعسين، المستكينين، الذين جثموا على صدر الأمة لزمن طويل، وتمنى لهم مصيرا بائسا، فقال مستعملا المجاز في لفظي جَمْرًا، والقَتَاد، اللذان وردا في غير موضعهما، وجسد ما ينتظره أعداء الشعوب من عناء ومشقة نتيجة القسوة، والظلم، والاضطهاد، الذي مارسوه في المجتمعات التي سيطروا عليهم بيد من حديد، وهي كناية على الخطر الكبير الذي يربص بأعداء الأمة، وما ينتظرهم من مفاجآت ستقلب كيانهم:

وبئس مصيرُ مفترشين جمرا * تمنيتهم لو افترشوا القتادا! (265)

وللدلالة على فوهة البركان النائم الذي افترشها هؤلاء الأوغاد لحقبة زمنية طويلة، وشعروا بالأمن، والاطمئنان، وراحة البال، واعتبروا أنفسهم بعيدين عن الخطر والبلبله، والوضع القاسي الذي سيواجههم، وما ينتظرهم من ثورات الشعوب التي تشبه ثورة البركان، وهو في سبات مخيف، عندما يستفيق يزلزل المحيط، ويعيد هيكلة جغرافية المنطقة، ويأتي على الأخضر واليابس، وعندما تستفيق الشعوب من نومها، وينتشر الوعي والحماس سيُقهَر العدو وسينتهي إلى الأبد، ولهذا السبب استعمل الجواهري مُفْتَرِشِينَ جَمْرًا، فما هي إلا قضية وقت حتى تعود الأمور إلى نصابها، وتنتقم الشعوب، وتثور، وتهيج، وتشتعل نيران الحرب، ويحترق بها الأعداء، وتستعيد الأمة كرامتها المفقودة، والجواهري يتمنى لأعدائه أن ينالوا

جزاءهم، ويذوقوا الويلات، ويتألموا، فلن يرتاح لهم بال، فهو يعرف أنهم مفترشين أشواكا ستتحول إلى أسلحة فتاكة في وجه المستعمر وستأتي عليه.

وورد كذلك استكرهوا طعم الممات فأبطأوا، أتيح لهم ذكر الخلود فسارعوا، واستكرهوا صيغة فعلية مزيدة متعدية مسندة إلى ضمير الغائب الجمع المذكر من الكره ضد الحب، وطعم الممات صيغة اسمية مضافة، فأبطأوا صيغة فعلية كذلك على عكس أسرعوا، وباقي معاني الألفاظ معروفة مستساغة، قال يحث على الجهاد والمقاومة مستعملا المجاز في لفظ طعم الممات الذي ورد في غير موضعه، للدلالة على النفور من الموت، ومحاولة إبعاده من جهة، والتشبث بالإيمان وتفضيل الاستشهاد من جهة أخرى:

إذا استكرهوا طعم الممات فأبطأوا * أتيح لهم ذكر الخلود فسارعوا (190)

جمع مهدي الجواهري بين الأضداد مثل: طعم الممات، ذكر الخلود، فأبطأوا، فسارعوا، ليحث على الثورة، والجهاد، والاقبال، والتوافد على ميدان المعركة، والموت في سبيل الله، وإعلاء كلمة الحق، فهي وحدها تحفز الثوار، وتشعرهم بالقوة، وتحمسهم، فلا بد من الصبر، وتقبل المصير، لأن جنة الخلد التي سيجازون بها في انتظارهم، لأنهم فرطوا في أنفسهم، ودفعوا أرواحهم في ميدان الشرف، واستجابوا لربهم الذي قال: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا" (1).

¹ - سورة الأحزاب/23.

وجاء تِلْكَ قُلُوبٌ نُنْشِدُ الْيَوْمَ مِثْلَهَا، وننشُد صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المذكر متعدية، أصواتها قويّة ضعيفة في معظمها، وفي التّنزيل العزيز: "إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ"⁽¹⁾، أَمَّا أَبِي دِينَهَا أَنْ تَجْمَعَ اللَّهَ وَالرُّعْبَ، وتجمع صيغة فعلية، مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، ألفاظها معروفة مألوفة، أصواتها بين الرخوة والشّدة، استعملها الجواهري ليتغنّى بعظمة أمّته، وبتاريخها المجيد، مستعملا المجاز في تَجْمَعُ إذ ورد في غير موضعه، للدّلالة على قوّة الإيمان، والتّقوى، والهداية، المفعمة بها هذه القلوب التي لا يعرف الخوف طريق إليها، ولا تتّسع إلّا لذكر الله، وهذه دلالة جديدة عملت على تنوّع لغة الشّاعر فقال:

تِلْكَ قُلُوبٌ نُنْشِدُ الْيَوْمَ مِثْلَهَا * أَبِي دِينَهَا أَنْ تَجْمَعَ اللَّهَ وَالرُّعْبَ (298)

والشّاعر لا يقصد القلوب بالمعنى المتعارف عليه، ولكنّه يحنّ إلى أولئك الرّجال الأبرار الذين تخلّوا عن أرواحهم، وضخّوا بأنفسهم لإعلاء كلمة الحقّ، وجعلوا هذه المهمّة أولوية في حياتهم، وهدفا ساميا دافعوا عنه، وللدّلالة على تشبّع وتمسّك أمّته بالقيم الإسلامية وبالشرّعة السّمحاء، وبالإيمان القويّ الذي لا يهتزّ مهما كانت الظروف والمغريات، فهو منقوش في القلوب، هذه القلوب التي خلت من الرّعب، والخوف، ولا تخشى إلّا الله سبحانه وتعالى حيث قال: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"⁽²⁾، فمثل هذه القلوب أصبحت نادرة في يومنا هذا تكاد

1- سورة الأنفال/02.

2- سورة الأنفال/02.

تتقرض وتتدثر، ومهدي الجواهري يظهر حنينه إلى هذه الحقبة الزمنية الزاخرة بالبطولات، والأمجاد، التي سجلها التاريخ عبر الزمن، فأمتته ترفض التخاذل، ولا تساوم على دينها، ولا يتسع قلبها للخوف، والرعب، لأنه مفعم بحب الله، متشبع بالإيمان، والتقوى، مطمئن، صابر، مثابر، مجاهد، مناصر للحق، متقبل للمصير الذي ينتظره، فهو عند ربّه في جنّة الخلد التي سيُجازى بها هؤلاء الأبطال الذين فرطوا في أنفسهم، ودفعوا أرواحهم في ميدان الشرف، واستجابوا لربّهم، فشباب أمتّه راض بمشيئة الله، ينظر إلى الأمور بعقل راجح، ويتبصّر بنظرة ثاقبة، مرتاح البال هادئ، يبرمج حياته حسب الأولويات تساعد السماء في تسيير شؤونها، وهدفه هو إعلاء كلمة الحق.

واستعمل الشاعر **يَدَّ جَدَّ يَوْمَ الْقِيَرَوَانِ عُرُوقَهَا**، وفي التّنزيل العزيز: **"يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"**⁽¹⁾، واليد من أعضاء الجسد ومن كل شيء مقبضه ومنه يد السيف والسكين والفأس والرحى وتعني الإحسان، والنعمة، والقدرة، والقوّة، والانتصار⁽²⁾، **وَجَدَّ** بمعنى قطع وكسر⁽³⁾، صيغة فعلية متعدية أصواتها قويّة، **وظَهَرَّ عَلَى الْفُقُقَاسِ مُسْتَعْلِيَا جُبَّ**، والظهر خلاف البطن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز⁽⁴⁾، **ومستعليا** بمعنى ارتفع وصعد، وقال الله سبحانه وتعالى: **"تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا"**⁽⁵⁾، **وَجُبَّ** من **جَبَّ** بمعنى قطع⁽⁶⁾، صيغة فعلية مبنية للمجهول، حروفها قويّة، وجاء في التّنزيل الحكيم:

1- سورة الفتح/10.

2- المعجم الوسيط(يد)/1063.

3- المعجم نفسه(جذذ)/112.

4- المعجم نفسه(ظهر)/578.

5- المعجم نفسه(جب)/104.

6- سورة القصص/83.

"وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك غطاء غير مجذوذ"⁽¹⁾، وصف الشاعر معركة القيروان، أو ما يعرف بالفتح الإسلامي في إفريقيا، أين انتصر الحق على الباطل، فقال موظفاً المجاز في لفظ جَذَّ، الذي ورد في غير موضعه، ليولّد معنى التغلب على العدو، وقهره، واجتثائه، وقطع جذوره، وهذا معنى جديد أضافه الجواهري لمعجمه اللّغوي:

يَذُّ جَذَّ يَوْمَ الْقَيْرَوَانِ عُرُوقَهَا * وَظَهَرَ عَلَى الْقُقُقَاسِ⁽²⁾ مُسْتَعْلِيَا جُبَّ (296)

وللدلالة على قهر العدو، والتخلص منه، وكسر شوكته، والقضاء عليه نهائياً، وطرحه في الحضيض الأسفل في بلاد القيروان بإفريقيا الشمالية وبأرض تونس، حيث امتدّت المعركة حتّى أوروبا الشرقية ومنها إلى جبال القوقاز الشامخة بروسيا البيضاء، وما يعرف سابقاً بالاتحاد السوفياتي، حيث انتصر المسلمون على الشرك ونشروا الرسالة السّماء، وأعلوا كلمة الحق، بالرغم من الظروف الصعبة القاسية، يحذوهم الإيمان والشّجاعة، والاقدام.

ويذكر الشاعر هنا بتاريخ العرب والمسلمين الزاخر بالبطولات والأمجاد، وهو على دراية كبيرة بما حدث في الوطن العربي من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه، واتّسع

¹- سورة هود/108.

²- القُقُقَاس من القوقاز كلمة إيدىغية تعني البلد القديم للشراكسة، وحرفت والكلمة الأصلية هي خَعْكُوجُ وأصبحت كوكاز من قبل اليونان، وبعض الشعوب المجاورة لصعوبة لفظها ومنها قفقاس بمعنى خلف الجبل إشارة إلى القبائل القفقازية القديمة، و "ق": بمعنى قمة الجبل، وقاز بمعنى خلف الجبل والفاء للإضافة. إحسان عبد الحميد خن- الشيشان حرب إبادة وجريمة عصرية.

رقعة الفتوحات، وانتشار الإسلام في ربوع العالم على يد أولئك الأبطال، الأشاوس، النادرين الذين سجّلهم التاريخ، ووقفت الأجيال تحييتهم بكل إجلال وعرفان وتقدير.

وجاء سَلِّم على الجبلِ الأَشَمِّ وَعِنْدَهُ، والأشَمِّ بمعنى العالي صيغة اسمية مضافة أصواتها رخوة في معظمها، أمّا مِنْ "أَبْجَدِيّاتِ" الضّحَايا مُعْجَمٌ فهو شبه جملة، حروفها ضعيفة، ألفاظها معروفة، والشّاعر لا يقصد الحروف الأبجدية بالمعنى المتعارف عليه، ولكنّه يتكلّم عن عدد الضحايا وكثرتهم، حيث قال من مدينة ميونيخ سنة 1962 باعثا سلاما حارا إلى أرض العراق وشعبها، ومذكّرا ببطولاتها ومعتزّا، ومستعملا المجاز في أَبْجَدِيّاتِ الضّحَايا مُعْجَمٌ، للدّلالة على كثرة الشهداء، وعدم القدرة على إحصائهم، والتعرّف على أسمائهم، وقصد بالجبلِ الأَشَمِّ الجبال الشامخة، المتعالية، الحصينة، المتواجدة في شمال العراق حيث احتضنت الأبطال الأشاوس، ودارت العديد من المعارك الضارية، وانتصر فيها الأكراد على أقزام الحكومة العراقية، وهذه معاني جديدة أضافها الشّاعر لمعجمه اللّغوي زادت إثراء للغته:

سَلِّم على الجبلِ الأَشَمِّ وَعِنْدَهُ * مِنْ "أَبْجَدِيّاتِ" الضّحَايا مُعْجَمٌ (12)

وللدّلالة على استماتة العديد من الأبطال في الدفاع عن الأرض، والتّهاافت الكبير على ساحة المعركة، والتّضحية في سبيل إعلاء كلمة الحقّ فوحدها جبال العراق الشامخة شموخ الأبطال، شاهدة على هذه البطولات الملحمية التي تحمل بين طيّاتها أسماءهم، وتاريخهم، وإقدامهم، وانفرادهم، وتميّزهم، فقصصهم نادرة إذا جمعناها نستطيع أن نضع

معجماً قائماً بذاته، مستقلاً، يشهد على الملحمة التي سجّلوها، ووضعوا بصماتهم، وتركوها إلى الأبد.

ووردت دَحْرَجَتُهُ عَنْ "مِصْرَ"، ودحرج بمعنى حرّكه فاندفع وهذا مألوف، صيغة فعلية متعدية، مسندة إلى ضمير المخاطب المذكور، الأصوات قوّة، أمّا وَهُوَ مُعْرَسٌ بِأَحْلَامِهِ فهي صيغة اسمية من عرّس بمعنى أقام حفلاً، وعرساً، وضجّة، وفرحة كبيرة، أصواتها قوّة رنّانة وقعت خبراً، دعا الشّاعر إلى صدّ الأعداء عن أرض مصر مستعملاً المجاز في لفظ دَحْرَجَتُهُ الذي ورد في غير مكانه، حيث اعتبر الاستعمار مثل الشيء التافه، أو الحجر الموجود في الطريق لابد من دحرجته وإزاحته، وإمّاطة هذا الأذى لفسح المجال، أمّا مُعْرَسٌ بِأَحْلَامِهِ، فورد في غير موضعه فعادة لا نعرّس بالأحلام، ودلّت على تمادي الاستعمار في فرحه، وإقامة الضجيج، وإعلان الغبطة الكبيرة نتيجة لمبالغته في سرقة خيرات الشعوب، والتمتّع بها إلى أجل قريب، وإشباع رغباته، وشهواته، وابتزاز الشعوب، والتخليق بخياله بعيداً للتفكير في حيلة جديدة تمكّنه من مواصلة السرقة، وإقامة الولائم، والمهرجانات، في أرجاء الأوطان المستباحة، وعلى مرأى ومسمع من الجميع، وهذه معاني جديدة ولدتها مقدرة الشّاعر على حسن استعمال ألفاظه، ومعرفة كيفية صياغتها بطريقة خلاّبة أظهر من خلالها مرّة أخرى قدرته على التحكّم في أسرار اللّغة، فقال:

ودَحْرَجَتُهُ عَنْ "مِصْرَ" وَهُوَ مُعْرَسٌ * بِأَحْلَامِهِ يُحْصِي الْخَرَجَ الَّذِي يُجْبَى (302)

وللدلالة على العدو الغربي الذي عمّر في البلاد العربية وأصبح من الصعب التخلّص منه، والشاعر لا يقصد الدرجة بالمعنى المتعارف عليه، وغالبا ما ندحرج الأشياء ونبعدها عن طريقنا لكي لا نعثر، ولكنّه يتكلّم على إزاحة الأعداء والقضاء عليهم بكل ما نملك من قوّة، فالدرجة لا تعني في حد ذاتها التخلّص من الأجنبي في أرض مصر، ولكنّها تعني إنذار أوليا والتذكير بأنّ الوقت قد حان للتغلّب عليه، فكل الوسائل متاحة ومباحة، لأنّ العدو لا يبالي وأصبح يتصرّف بحريّة مطلقة يبتزّ الشعب، ويفرض عليه الغرامات، والجبايات، ويحصبها ويتمتّع بها، ويقم الحفلات، ويبدّر، ويبالغ، ويعرّد حتى التّخمة، ولا يبالي بحاجة الشعب ولا يعرف حدودا، ولا يحترم مشاعر النّاس، بل يتغذّى من دمائهم مثل الطفيليات التي تتغذّى على الأعشاب الأخرى، يعيش في بحبوة تحصّل عليها من خلال البطش والقوّة، ويحلم بفعل المزيد مثلما كان الاستعمار الفرنسي يتصرّف في أرض الجزائر، فحتّى المرور في الطرقات سطّرت له غرامة من لا يستطيع دفعها يعاقب، والعدوّ هنا مطمئن البال فلا بد من قطع الطريق أمامه وإيقافه عند حدّه، ودحرجته بعيدا، وإزاحته عن الطرق، وفتح الممرّ لكي تعبر الشعوب بكل حريّة وكرامة، وتسطرّ مستقبلها وتبني ما أفسده وتؤسّس أركان الوطن.

واستعمل الشاعر أعراس مملكة تزفّ لمجدها، وتزفّ من الزفاف وهو معروف، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المؤنث، أصواتها قويّة، وقال الله سبحانه وتعالى:

"فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا عليه يزفون"⁽¹⁾، أمّا غُرر الشبابِ إلى الثُّرابِ كواكبًا، صيغة اسمية مضافة وردت جمعا، وغُرر جمع غُرّة ومن كل شيء أوله⁽²⁾ وكواكبا من كوكب تدلّ على النّجوم ولها معنى معظم الشيء ومعظم الجيش، ومعناه كذلك حسن الوجه والطلعة، ويوم ذو كوكب بمعنى يوم شديد مظلم⁽³⁾، وفي التّنزيل العزيز: "لما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي"⁽⁴⁾، قال الجواهري بمناسبة تكريم عميد كلية الطب العراقية الدكتور هاشم الوتري متغنّيًا بأمجاد وطنه ومستعملا المجاز في لفظ تزفّ لمجدها الذي ورد في غير مكانه، ووُلد معنى السعادة، والسرور، والفرحة، والبهجة، التي نتجت من خلال التدفق على ساحة المعركة، والاستشهاد في سبيل الله والوطن، والسعي لنيل المجد والعلا، وهو بمثابة العرس والزفاف الذي ينتج عنه فرحة عارمة وضجة كبيرة:

أعراسُ مملكة تزفّ لمجدها * غُرر الشبابِ إلى الثُّرابِ كواكبًا (131)

والشاعر لا يقصد الحفلات، والأعراس، والأفراح، بالمعنى العام المتعارف عليه، ولكنه يجعل من التهافت على ميدان المعركة، والتسارع، والتسابق إلى الجهاد بكل بشاشة، وفرحة عارمة، بمثابة الاقبال على الأفراح، والأعراس، فهناك تزواج بين المجد، والعلا، والكرامة، ونخبة الشباب الواعية الشّجاعة، التي أقبلت على ميدان المعركة، واعتبرها مثل كواكب النّجوم التي أنارت السّماء المظلمة في ليلة حالكة سوداء، اضمحلت مع بزوغ الفجر

1- سورة المائدة/95.

2- المعجم الوسيط(غرّ)/649.

3- المرجع نفسه(كوكب)/793.

4- سورة الأنعام/76.

واختفت عن الأنظار، كذلك هذه النخبة الخيرة من الشباب المنطلقة إلى ساحة المعركة أهدت نفسها للوطن، وأنارت الطريق للأجيال، وعبدته، وسهّلت المسيرة، واستشهدت في النهاية، رافضة حياة الدّل، والقهر، والهوان، وقد صوّر الشّاعر الانطلاق إلى ساحة القتال، والتدفّق عليها والتهافت وجعله بمثابة الأعراس التي تتسارع إليها الجماعات والفرق لتسعد وتفرح وتغني وتمرح، ومزج بين المجد وتقديم شباب العراق أرواحهم فداء الوطن الغالي، وجعلها كذلك بمثابة الزّفة والفرحة العارمة، لأنّ مصير هؤلاء معروف عند الله سبحانه وتعالى حيث قال: "ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون" (1).

وجاءت وراح الجوّ يُمطرهم عَطْبًا، ويُمطرهم من المطر صيغة فعلية متعدية، أصواتها قويّة، وورد خطأ في لفظ عَطْبًا (2)، والمقصود به عَطْيًا من عظاه عطاوا بمعنى سقاه ما يقتله (3)، ويُمطرهم عطيا بمعنى ينزل فيهم النّار (4)، وهذا أقرب إلى معنى البيت، وقال الله سبحانه وتعالى: "جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان" (5)، وقال الجواهري لاعنا أعداء أمته، ومحرّضا على قتلهم، ومستعملا المجاز في يُمطرهم عطيا، للدلالة على اللّعنات التي تأتي من السّماء دون انقطاع، وتتوالى على رؤوس الأعداء مثل الصواعق تدمّرهم وتزلزلهم وتحرقهم:

1- سورة آل عمران/169.

2- ديوان الجواهري/308.

3- المعجم الوسيط(عظاه)/210.

4- ديوان الجواهري/308.

5- سورة يونس/22.

تَلْظَى بِهِم بِالنَّارِ بَرٌّ وَقَاءَهُمْ * خِضَمٌّ، وَرَاحَ الْجَوُّ يُمَطِّرُهُمْ عَطْبًا (308)

فأعداء الأمة العربية أينما كانوا، وحيثما وجدوا، شمالا أو شرقا، جنوبا أو غربا، لعنتهم السماء وشاركت في قتلهم، وقال الحقّ تبارك وتعالى: "فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود"⁽¹⁾، فمصير هؤلاء الأعداء معروف وهو النهاية المحتومة التي فرضها أبناء الأمة، إذ تصدّوا، واستبسّلوا في قتالهم، ولم يتراجعوا قيد أنملة، وساعدهم في ذلك عدل قضيتهم، وسيرهم في طريق الحقّ والخير، ومساندة القدرة الإلهية لهم، ولقد أمطرتهم السماء لعناتها، وساهمت في الانقضااض عليهم، ومحوهم من على الأرض، لأنّهم أصبحوا منبوذين لا يتحمّلهم أحدا، لأنّ الحقيقة اتّضحت وبزغ نورها.

ووظّف الجواهري كذلك عبارة حان الارتطام، صيغة فعلية حروفها قويّة فيها انفجار، والارتطام من ارتطم في الوحل بمعنى وقع فيه⁽²⁾، وهو كذلك الازدحام⁽³⁾، قال الجواهري حاثا على الجهاد، ومستعملا الكناية، ليحدّر عدوّه بأنّ وقت الجدّ قد حان ولا بد من استغلاله وعدم تضييع الفرص:

جَرَتِ الْفُلُكُ مُلْحَاتٍ * وَحَانَ الْارْتِطَامُ (233)

والجواهري لا يقصد ارتطام الأشياء، واحتكاكها بعضها ببعض، ولكنّه يتكلّم على الثورة التي حان وقتها، فلا بد من الهجوم على الأعداء بقوة، واسماع صوت الحقّ، والمضيّ

¹- سورة هود/82.

²- أساس البلاغة(رطم)/236.

³- المعجم الوسيط(رطم)/352.

قدما، والاستبسال في ميدان المعركة، والبطش والسحق، لأنَّ عجلة الزمن دارت إلى مصلحة المجاهدين وحان وقت تغيير الواقع، ولابد من السماع إلى صوت الضمير الذي يصرخ مناديا للالتحاق بسرعة وضرب العدو، وإحكام السيطرة عليه بقبضة حديدية لا يستطيع بعدها أن يستعيد قوّاه، واستعمال كل القوة والوسائل للتخلّص منه نهائيا، وتحتوي لفظة الإرتطام على عنف شديد تنتج عنه الاستماتة في ميدان المعركة، والصمود، والثبات، فإما الموت أو الانتصار.

واستعمل أَرْكَبُ الهَوْل، صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المتكلم المفرد المذكر، حروفها بين الرخوة والشدّة، والهول هو الأمر الشديد، قال الشاعر من مغتربه بتشيكوسلوفاكيا معتزا بنفسه معزا بها، مستعرضا قوته، ومفتخرا، وموظفا المجاز وأسند كلمة أَرْكَبُ للهَوْل، وجعله مثل المطيّة التي نعتلي على ظهرها، وهي كناية على تحدّيه للمخاطر، والثبات أمامها، والصمود، وهذه دلالة جديدة أضافها لمعجمه اللغوي:

وَأَرْكَبُ الهَوْلُ فِي رِيْعَانِ مَأْمَنَةٍ * حُبُّ الْحَيَاةِ بِحُبِّ الْمَوْتِ يُغْرِنِي (36)

فالهول عادة لا يركب، ولكننا نستطيع أن نتغلّب عليه بالإرادة والعزيمة، والشاعر جسّد وجعله كالمطيّة العنيدة التي تحتاج إلى ترويض، وتدريب، فالهول خصم عنيد عاتي كأموج البحر، والشاعر لا يخافه مثلما قال سابقا، لأنّه تعود على مصارعة الأمواج ومبارزتها والتّباري معها، ووقف النّد للنّد أمامها لأنّه يعشق الحياة، ويتحدّى الموت، ويهوى الشهادة، يريد أن يعيش عزيزا في أرضه وبين قومه، ويظهر هنا تمرّده، وعنفوانه، وشجاعته،

والجواهري لا يقنع بالجبن فهو فارس بطل أبي شهم، لا يهّمه مجارة المصاعب والتغلب عليها، يرمي بنفسه في كل مرة إلى المسالك الوعرة ليجرب قوته، ويعرف الحد الأقصى الذي تستطيع الوصول إليه، ومن هنا يبرمج خطواته القادمة ويركب أمواج البحر ويتغلب عليها لأنه سباح ماهر مقتدر مغامر.

وجاء تصدُّ عُبَابِهِ وَجْهًا لُوجِهِ، وَتَرَحُّمُهُ انْعِكَاسًا وَاطْرَادًا، صيغتان فعليتان متعدّيتان، حروفهما قويّة مدوّية، مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر، والعباب معروف وهو معظم السيل وارتفاعه وموج البحر كذلك، أما ترّحمه بمعنى تضايقه⁽¹⁾، ومعظم الألفاظ التي وظّفها الشّاعر هنا معروفة المعاني مألوفة مستساغة، وانعكاسا بمعنى انقلابا، واطرادا هو التتابع والتسلسل⁽²⁾، مدح من خلالها المصلح والمفكر جمال الدين الأفغاني، وأشاد بدوره في القضاء على الجهل والظلام فقال مستعملا المجاز في لفظي تصدُّ، وترّحمه، للدلالة على التغلب على المصاعب، ومصارعتها، والوقوف في وجهها، وعدم الاستكانة، والتراجع إلى الوراء:

تَصَدُّ عُبَابِهِ وَجْهًا لُوجِهِ * وَتَرَحُّمُهُ انْعِكَاسًا وَاطْرَادًا(261)

ومهدي الجواهري لا يقصد أمواج البحر العاتية، المخيفة، المرعبة، ولكنّه يتكلّم عن موجة الجهل، والظلال التي سادت في المجتمعات الإسلامية، ونفشت، واستشرت، وتجدّرت، وتعمّقت، وأصبح من الصعب محاربتها، واجتثاثها، والتخلّص منها، وتحولت إلى كابوس

¹ - أساس البلاغة(زحم)/268.

² - المعجم الوسيط(طرّد)/553.

مرعب، مخيف، وإلى خصم عنيد، قوّي، حصين، إلا أنّ جمال الدين الأفغاني وقف لها بالمرصاد وتهياً لها مع أصدقائه المثقفين، ووقف لها الند للند، وقطع الطريق عنها مستعملاً ما يملك من قوّة، وذخيرة وزاد، وما يتمتّع به من رشاد واتّزان وحكمة، محاولاً القضاء على كل هذه الظاهرة، وتطهير المجتمع وتقويمه، وبناء قواعد صحيّة، والعمل على انطلاقة جديدة، ولقد قام بتضييق الخناق على مثل هذه الانحرافات الموجودة في المجتمع، وعمل على رصدها وحصرها انعكاساً واطراداً، وتصدّى لها وكّرّس حياته لتطهير الوطن العربي من مثل هذه الأمراض الخبيثة التي سكنت في جسده ونخرته وأضعفته، ولهذا الرجل قوّة إلهية سحرية يستطيع من خلالها أن يضع البلمس على الجراح لكي تتعافى وتُشفى.

واستعمل الشّاعر كَفَاكَ وَالْخَطْبُ فَخْرًا أَنْ تُصَارِعَهُ، وكفاك بمعنى الاستغناء صيغة فعلية متعدية، وفي التّنزيل العزيز: "وَكَفَى بِاللّٰهِ حَسِيبًا وَكَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا"⁽¹⁾، وَالْخَطْبُ هو الأمر الشديد⁽²⁾، وتصارعه معروف من المصارعة وهي المبارزة، صيغة فعلية متعدية، مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر، الأصوات قوّة في معظمها، قال مهدي الجواهري مفتخراً بشباب أمّته، ووطنه، وممّجّداً، ومستعملاً المجاز في لفظ تُصَارِعَهُ الذي ورد في غير موضعه، وجسّد من خلاله الخطب وجعله مثل العدو القويّ لابد من مبارزته والتغلّب عليه، وهذه دلالة جديدة ولّدها الجواهري:

كَفَاكَ وَالْخَطْبُ فَخْرًا أَنْ تُصَارِعَهُ * إِنَّ الْمُصَارِعَ أَنَّى صَارَ مُحْتَرَمٌ (54)

¹- سورة النساء/06.

²- المعجم الوسيط(خطب)/243.

وللدّالة على الاقدام، والشّجاعة، والبطولة، والتفوّق، والتدفّق، واندفاع هؤلاء الأبطال، فهم لا يتصارعون مع الأعداء فحسب بل تراهم يتبارزون مع الأقدار المسلّطة عليهم، ومع الشدائد، ويحاولون لويها، وكسر شوكتها، والتغلّب عليها، ومبارزتها، وللدّالة كذلك على عدم القبول بما يُفرض عليهم من مصير بائس، وعدم الاقتناع بالفتات، فلا بد من المبارزة، وترك الآثار، وكتابة التاريخ من جديد، وفرض الدّات، والتغلّب على المصاعب مهما كانت عظمتها وصعوبتها.

ووظّف مهدي الجواهري سينجراً على شوك الجماهير غراماً، وسينجراً بمعنى سينتج، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وغرام بمعنى الشدّة⁽¹⁾، وشوك الجماهير صيغة اسمية مضافة، ومعظم الأصوات بين القوّة والضعف، وبمناسبة اشتداد المعارك بين القوّة السوفياتية المتمركزة في قاعة سواسبول ببغداد، والحلفاء سنة 1942، وصف الشّاعر هول هذه المعركة وعنوانها، واستعمل المجاز في لفظ شوك الجماهير الذي جاء في غير محلّه، وهي كناية على الألم، والمعاناة، والأذى الكبير الذي تعرّض له أبناء الأُمّة العربية على يد الطغاة فقال:

وسينجراً على شوك * الجماهير غراماً (287)

والشّاعر لا يقصد الشوك بالمعنى الحقيقي، بل المعاناة القاسية، والآلام، والجراح، التي أضرت بالأُمّة، وأنهكتها، وقهرتها، نتيجة الويلات التي أذاقها الأعداء للجماهير، فهذه

¹ - المعجم الوسيط (عرم)/596.

الحرب المندلعة بين السوفيات والحلفاء ألهمت العرب، وجعلتهم يملّون من وضعهم البائس الذي أصبح لا يُطاق، وahan وقت اقتلاع الأشواك، والتصديّ للأعداء بشراسة وقوة، والعمل على قهر المستعمر، وإذلاله، وكسر شوكته، واستثمار هذه الآلام التي أنتجتها الظروف القاسية لمصلحة الشعوب المضطهدة، والعمل على قهر الأعداء، والنيل منهم وتصويب سهام الشوك باتجاههم، وإيذائهم، والعمل كذلك على مداواة الجراح وتضميدها وتطهيرها، ونزع الشوك منها، حتى تسهل مهمة معافاتها، والتخلّص نهائياً، من هذا الداء الذي أضّر بالأمة وأرهقها وآلمها.

وجاء خُضِ الكوارِثِ لا نِكْسا ولا جَزعا، صيغة أمر مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكور، حروفها قوّة، والكوارث هي المصاعب معروفة مألوفة وباقي الألفاظ مستساغة، حتّ مهدي الجواهري على خوض المعركة، والتصديّ للعدو، وطرد الخوف، والعزم على التّصر، ورفض الانتكاسة، واستعمل المجاز في لفظ خُضِ الذي ورد في غير موضعه، وعادة نخوض الحرب ونقضي على الكوارث، وجسّدها وحتّنا على التغلّب عليها ومصارعتها، والنّبات أمامها فقال:

خُضِ الكوارِثِ لا نِكْسا ولا جَزعا * واترك إلى الغيب ما يجري به القلم (55)

وللدلالة على الصّمود أمام الكوارث، ومصارعتها، وهي بمثابة العدو ولا بد من التصديّ لها، والنّبات أمامها، وعدم التراجع، والتحليّ بالشّجاعة، والقوّة، بفضل الله سبحانه وتعالى، وستدور الكفة لصالح العدل، وسينتصر المظلومين بقوّة الإيمان، وقال الحقّ جلّ

شأنه: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم"⁽¹⁾، ودعا الشاعر في الشطر الثاني إلى عدم الاكتراث بما يقوله المنجمون، والابتعاد عنهم، وقد تقاطع هذا البيت مع قاله الشاعر أبو تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

بيض الصّفائح لا سود الصّحائف * في متونهنّ جلاء الشكّ والريب⁽²⁾

ويتقاطع هذا البيت كذلك مع قاله مفدي زكريا:

النّار أصدق حجّة فأكتب بها * ما شئت تُصعق عندها الأحلام

إنّ الصّحائف للصّفائح أمرها * والحبر حرب والكلام كلام⁽³⁾

وورد في البيت الموالي إنّ المصائب أعْدَنَ نَحْتِي، و كما أَبْدَعَنَ تَلْوِينِي، صيغتان فعليّتان متعدّية، أصواتها قويّة والنّحت فن خاص بالأشياء مثل الحطب، والرخام، والعاج، وما شابه ذلك، والتلّوين كذلك فن معروف، وباقي الألفاظ معروفة، والشاعر لا يقصد المعنى الحقيقي للأشياء ولكنّه يريد القول أن المصائب والمصاعب صقلته، وجعلته ناضجا، مقتدرا، وهذه كناية على اكتساب الخبرة، والتّجربة، من المحن والاستفادة منها وحسن استثمارها فقال:

إنّ المصائب طوعا أو كراهية * أعْدَنَ نَحْتِي، كما أَبْدَعَنَ تَلْوِينِي(43)

¹- سورة آل عمران/103.

²- ديوان أبو تمام/32.

³- مفدي زكريا- الألب المقدس/43.

وللدلالة كذلك على شحذ الهمم، والاستفادة من الكوارث، والعمل على السمو بالنفس، والظهور بمنظر إيجابي تحدوه الإرادة، والعزيمة، والشجاعة، والتّصدي، والمقاومة، وفرض الذات، والمضيّ قدما لبناء المستقبل، أما أبدعن تلويني ففيها فن وخلق وابداع، فالنكبات والكوارث أثّرت في مهدي الجواهري وبعثته من جديد فردا صالحا للمجتمع مفيدا للوسط الذي يعيش فيه، فالأحداث التي تدور حوله جعلته قويا، خلّقا، متفائلا، منتجا، سيعمل على قلب الأوضاع إلى صالحه، والصّمود بكل ثقة وعدم الانحناء أمام المشاكل مهما كانت قوّتها، وسيتحوّل إلى سيل جارف يقضي على هذه العثرات الموجودة في طريقه، وبهذا يكون قد انطلق انطلاقا مميزة، وهنا يظهر جانب التمرد في شخصية الشاعر إلى جانب الإباء والكرامة والشموخ، وهو نفسه قد تعرّض لنكبات الدّهر ولكّنه بقي صلبا.

وجاء شعبُ دعائمهُ الجَمَاجِمِ والدّم، صيغة اسمية ألفاظها مألوفة حروفها قوّة في معظمها، ودعائم من دعامة وهو عماد البيت الذي يقوم عليه، ودعائم الأمور بمعنى مما تتماسك به الأمور⁽¹⁾، و تتحطّم الدنيا ولا يتحطّم، صيغة فعلية الأولى مسندة إلى ضمير المفرد المؤنث الغائب، أصواتها قوّة مدويّة، والثانية صيغة فعلية مسبقة بحرف نفي مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، الأصوات قوّة عنيفة كذلك، قال الشاعر متباهيا ببطولات شعبه، مستعملا الكناية في الشّطر الأول، ليولّد دلالة جديدة وهي أنّ شعبه بنى مجده وعزّته على أشلاء الضحايا والشهداء وقدم تضحيات كبار، وفي الشّطر الثاني استعمل المجاز في تتحطّم حيث ورد في غير مكانه، فالدّنيا لا تتحطّم للدلالة على القوّة الخارقة،

¹ - المعجم الوسيط (دعم)/286.

والإرادة الصلبة، التي يتمتّع بها شعبه وتتهار أمامها كلّ قوى العالم، وحتىّ الدّنيا لا تستطيع أن تصمد أمام شجاعة قومه، وبطولاتها، وهذا معنى جديد عمل على تنويع معجم الجواهري اللّغوي:

شعبٌ دعائمُهُ الجَمَاجِمُ والدّم * تتحطّمُ الدّنيا ولا يَتَحَطّمُ (24)

وللدّلالة على شعب العراق الذي بنى مجده، وعزّته، وبطولاته، على جماجم الشهداء، ودمائهم الزكيّة، الرقراقة، الطّاهرة، على غرار ما حدث في باقي الدول العربية والإسلامية من بطولات ملحمية سجّلها التاريخ، وتغنّى بها العديد من الشعراء، وانبهرت بها كل الشعوب في باقي أرجاء المعمورة، فالتهافت إلى ميادين المعارك والتّضحية بالنّفس الغالية، والتّسابق وتقديم الرّوح لأجل البناء والنّصر، فمثل هذه العزيمة تجعل الدّنيا كلّها تخضع وتقف عرفانا وتقديرا وإجلالا، وتتحني وتزول أمام ضربات هؤلاء الأبطال الأشاوس الذين تحدوهم العزيمة، والإرادة، والإيمان، ولا تصدّهم العراquil والأشواك، ولا يخضعون لقوّة الحلف الأطلسي، وما استعملته من أسلحة فتّاكة أرادت من خلالها القضاء على الشعب، وتحطيم عزمته، وخنقه، والوقوف عثرة في طريقه، إلّا أنّ مثل هذه الشعوب لا تتحطّم، ولا تنتزع ولا تركع ولا تتفني، لأنّها دفعت الغالي والنّفيس لأجل الوطن والعزّة والكرامة، وهل هناك أغلى من الجماجم والدّم.

ويتقاطع هذا البيت مع ما قاله شاعر الثورة الجزائرية الفذّ العبقري مفدي زكريا في قصيدة بعنوان "ذروا الأحلام واطرحوا الأمانى"، على هامش المؤتمر القومي للثورة الجزائرية المنعقد في ليبيا سنة 1960 فقال:

له فوق الجماجم قد سعدنا * وفي تحقيقه خضنا الغمار⁽¹⁾

وورد أُبْتُلُوا بي صَاعِقًا مُتْلَهَبًا، و أُبْتُيْتُ بِهِمْ جِهَامًا كَاذِبًا، صيغتان فعليتان مبنيتان للمجهول، والابتلاء هي محنة تنزل بالمرء ليُختبر بها⁽²⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: "وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"⁽³⁾، أما صَاعِقًا مُتْلَهَبًا، والصاعقة كتلة من النار معروفة، حروفها قوِّية مدوِّية، و جِهَامًا كَاذِبًا من جهم بمعنى عابس الوجه⁽⁴⁾، والجهم هو السحاب الذي لا يعقبه مطر⁽⁵⁾، وبالرَّغْم من أَنَّ فعل ابْتُئِلَ ورد في العبارتين إلَّا أَنَّ المعنيين مختلفان، قال الشاعر موبّخاً أذيل الحكومة المتآمرين مع العدو، ومفتخراً بنفسه وبموقفه المعادي الحاقّد، ومشبّهاً نفسه بالصاعقة الملتهبة التي ستهوي على رؤوس أعدائه، وتحرقهم، وتتخلّص منهم، فلفظاً صَاعِقًا مُتْلَهَبًا وردا في غير سياقهما، للدلالة على تسليط أقصى أنواع الحقّد، والغضب، والانتقام على أعدائه، وهذه دلالة جديدة ولّدها الجواهري من خلال استعماله الاستعارة، وجعل أعداء الشعب الخونة كالسحاب الكاذب الذي لا يأتي بالمطر، بالرَّغْم من وجود كل المؤشرات، وهنا استعارة لأنَّ جِهَامًا ورد

1- ديوان مفدي زكريا- اللهب المقدس/155.

2- المعجم الوسيط(بلى)/871.

3- المعجم نفسه(جب)/104.

4- المعجم ذاته(جهم)/144.

5- أساس البلاغة(جهم)/109.

في غير سياقه، للدلالة على عدم الجدوى من الوعود التي يطلقها أعداءه فهي عبارة عن غش وكذب:

قَدْ أُبْتُلُوا بِي صَاعِقًا مُتْلَهَبًا * وَقَدْ أُبْتُلِيتُ بِهِمْ جِهَامًا كَاذِبًا (139)

واعتبر الشاعر نفسه كذلك بمثابة الابتلاء، والامتحان الصّعب، الذي سلّطه الله سبحانه وتعالى على أعدائه، فهو صاعقة متلهّبة ستسقط على رؤوس الأعداء بقوة خارقة في لمح البصر، تمحي آثارهم وتقضي عليهم، وبهذا تحسم المعركة لأنّ السّماء تؤيّده وتقف إلى جانبه وتمدّ له يد العون، وتبثّ فيه شجاعة نادرة نارية، وستقف الأقدار في وجه الأعداء، وتآزر الشّاعر، ويستمد منها القوّة والبطولة التي ستسمح له بفرض نفسه وإحداث التّغيير، أما أُبْتُلِيتُ بِهِمْ جِهَامًا كَاذِبًا، فالخطاب هنا موجّه للمناققين الموالين للحكومة العراقية الذين نعتهم في العديد من قصائده بالأقزام، وجعلهم هذه المرّة كالجهم الكاذب، وللدلالة كذلك على توعّد هؤلاء الجبناء بتغيير الوضع، ومحاربة الأعداء، والتّصدي للمظاهر السّلبية في المجتمع، والوقوف إلى جانب الشعب، فتراهم يكثرون الكلام، ويرفعون أصواتهم بلا فائدة تذكر، وقال الله سبحانه وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"⁽¹⁾، ولقد اعتبر مهدي الجواهري هذه الشّردمة المتسلّطة كالسّحاب الشّديد المدوّي العنيف الذي انتظرتّه الأرض زمنا طويلا، لتنتعش، وتتغذّى، حيث اشْرَأَبَتِ الأعناق لترى الفرج والمطر الذي يعيد الحياة، وللأسف الشّديد فهو سحاب عقيم لا

¹ - سورة الصف/2، 3.

يأتي بخير، كاذب غير منتج، واعتبر محمد مهدي الجواهري كذلك أعداءه ابتلاء، وامتحاناً، عسيراً، سلّطه الله سبحانه وتعالى عليه ليختبره، فلا بد من الصبر والثبات وتحين الفرص للتغلب على هذه الفئة من المجتمع التي تساعد العدو على نخر جسم الأمة، وإذلالها، وإضعافها، الحلّ الوحيد هو التخلص منهم وعدم الانصياع لأوامرهم، والتمرد عليهم، وعدم الاستماع إلى أقوالهم، لأنهم انتهجوا الزور، والكذب، قواعدا يسيرون عليها، ومثل هذه التصرفات تسعد الأعداء.

وجاء غَرَسْتُ رِجْلِي فِي سَعِيرِ عَذَابِهِمْ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب، وغرست بمعنى ثبت في الأرض، أصواتها قوّة، وسعير من سعر النار أوقدها والحرب أشعلها⁽¹⁾، وباقي ألفاظ هذه العبارة معروفة، وقال الله سبحانه وتعالى: "واعتدنا للكافرين سلاسل وأغلال وسعيراً"⁽²⁾، وقال الحقّ كذلك: "إنما الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيسعون سعيراً"⁽³⁾، وقال الشاعر متحدّياً عدوّه، ومستعملاً المجاز في لفظ غَرَسْتُ الذي ورد في غير موضعه، ووُلد معنى مجابهة العدو وعدم الرضوخ أمامه مهما كانت المخاطر، والصعوبات، ومهما بلغت الحرب من شدّة، وقسوة، وعنفوان:

وَعَرَسْتُ رِجْلِي فِي سَعِيرِ عَذَابِهِمْ * وَتَبْتُ حَيْثُ أَرَى الدَّعِي الْهَارِبَا (144)

1- المعجم الوسيط(سعر)/430.

2- سورة النساء/04.

3- سورة البقرة/10.

وللدلالة على الاقدام، والصمود، والمغامرة، واللامبالاة بالخطر، وما ينتج عنه، فعادة الرجل لا تُغرس في السَّعير، والشاعر يريد أن يقول أنه ذاق ويلات الحرب، وعذابها، وجرب أوجاعها، التي لا تطاق في بعض الأحيان، وغرست تستعمل مع الشوكة والإبرة لحدتها، ويكون الجواهري قد تحدّى هو بنفسه نار الحرب المشتعلة وأبرز ثباته في ميدان المعركة واختبر قوّته، وصبره، وقارنها مع هؤلاء الذين يدّعون البطولة والشجاعة ولا يصمدون كثيرا، بل يفضلون الهروب والنّجاة بأنفسهم، فالحرب مواجهة وثبات، وقوّة، وصبر، وردع، واقتلاع، ونفي للخوف، والرعب، والاقدام على الموت والعذاب.

وجاء **اَفْتَحِمُ الطَّغَاةَ مَصْرَحًا**، **وَاقْتَحَمَ** بمعنى رمى نفسه بشدّة، واقتحم المكان دخله عنوة، والأمر العظيم رمى بنفسه فيه بغير تروي⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المتكلم متعدية، وفي التنزيل العزيز: **"فلا اقتحم العقبة"**⁽²⁾، ومصرّحا من صرّح بمعنى ظهر وانكشف، الأصوات قويّة لأنّ الظرف يتطلّب ذلك، أمّا لم أعوّد أن أكون الرائب، والرائب وردت خبرا لكان من الرّيب بمعنى الشكّ وقال الله سبحانه وتعالى: **"ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"**⁽³⁾، حروفها رخوة، عبّر الجواهري عن إقدامه وشجاعته، ووظّف المجاز في لفظ **اِقْتَحَمَ** الذي ورد في غير مكانه نقول اقتحمت المكان، ولّد من خلاله معنى الرمي بالنفس إلى التهلكة في سبيل الوطن، والمغامرة وعدم التروّي في الهجوم على الأعداء

1- المعجم الوسيط(قحم)/717.

2- سورة البلد/11.

3- سورة البقرة/02.

ومصارحتهم والوقوف في وجههم، وهذه دلالة جديدة أضافها للغته عملت على إناء معجمه، فقال:

آلَيْتُ اقْتَحِمُ الطَّغَاةَ مَصْرَحًا * إِذَا لَمْ أَعُودَ أَنْ أَكُونَ الرَّائِبَا (144)

وللدلالة على الصدق، والصراحة، والاقدام، والمروءة، والشجاعة، التي يبديها الشاعر اتجاه أعدائه، فهو لا يخدع عندما يريد الهجوم ولكنه يُخبرهم ويعطيهم مهلة حتى يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم، وهنا تكمن قوّة الصّمود، والثّبات، والاقتناع، فهو شديد المبارزة مقدام، لا يدخل الشك والريب إلى قلبه، لأنّه مفعم بالإيمان مقتنع بقضيته، متمكّن من خبرته ومن قدراته، لا يطعن في الظهر حتى عدوّه، ولكنه يواجهه النّد للنّد ويلقّنه درسا لن ينساه في الشجاعة الحقيقيّة، وبصبّ عليه جمّ غضبه، لا يعرف طعم الخوف والشك لأنّه أصيل عريق شهم أبيّ.

وجاء دعا ظلام اللّيل أن يختطّ لي، و بين النّجوم اللامعات مضاربا، وظلام اللّيل صيغة اسمية مضافة، ويختطّ من خطّ صار فيه خطوط ورسم وعلامة ومكان⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، حروفها قويّة، وباقي الألفاظ معروفة مألوفة، ومضاربا جمع مضرب بمعنى المكان⁽²⁾، جسّد ظلام اللّيل وجعله مثل القائد المنقذ، وترجّاه أن يساعده في معرفة وجهته، فقال مستعملا المجاز في يَخْتَطُّ حيث ورد في غير موضعه،

¹- المعجم الوسيط(خطّ)/244.

²- أساس البلاغة(ضرب)/373.

وَلَدَ مِنْ خِلَالِهِ طَلَبَ الْمَعُونَةَ، وَالْعَمَلَ عَلَى إِيجَادِ مَخْرَجٍ، وَمَنْفَذٍ، لِأَنَّ الْأُمُورَ تَشَابَكَتْ،
وَتَعَقَّدَتْ، وَاسْتَعَصَتْ:

دَعَا ظِلَامَ اللَّيْلِ أَنْ يَخْتِطَّ لِي * بَيْنَ النُّجُومِ اللَّامِعَاتِ مُضَارِبًا (144)

يُرِيدُ أَنْ يَخَفِّفَ مِنْ رَوْعِهِ لِأَنَّهُ أَصْبَحَ تَائِهًا، لَا يَعْرِفُ قَبْلَتَهُ فَالْأَرْضَ لَمْ تَعُدْ تَحْتَوِيهِ
جَزَاءَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَوَالَتْ عَلَيْهِ، وَجَعَلَتْ الدُّنْيَا تَسْوَدَّ فِي عَيْنِهِ، وَأَغْلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَالْمَنَاظِرَ
أَمَامَهُ، وَلِهَذَا السَّبَبُ طَلَبَ النُّجُودَ خَفِيَّةً مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ الْحَالِكِ، وَمِنْ النُّجُومِ اللَّامِعَاتِ عَلَّهَا
تَسْعِفُهُ وَتَفَرِّجُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَتَزِيحُ الْعُقَبَاتِ مِنْ طَرِيقِهِ، وَتُبْعِثُ فِيهِ الْأَمَلَ وَتُبَيِّنُ فِيهِ الْإِرَادَةَ الَّتِي
كَانَ يَفْتَقِدُهَا، وَالشَّاعِرُ لَمْ يَسْتَسْلِمْ أَمَامَ الْمَخَاطِرِ الْمَحْدَقَةِ بِهِ، وَلَكِنَّهُ قَاوَمَهَا وَطَلَبَ النَّصِيحَةَ
لِكِي يَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا، وَهُوَ لَا يَرْضَى بِالْقَلِيلِ وَلَكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يَجِدَ مَكَانًا بَيْنَ نَجُومِ السَّمَاءِ، وَهَذِهِ
دَلَالَةٌ عَلَى سَعْيِهِ إِلَى السَّمَوِ، وَالشَّمُوحِ، وَالْعَلَا، وَالسِّيَادَةِ.

وَاسْتَعْمَلَ لَسْتُ الَّذِي يُعْطِي الزَّمَانَ قِيَادَهُ، وَيُرَوِّحُ عَنْ نَهْجٍ تَنَهَّجَ نَاكِبًا، وَيُعْطِي
صِيغَةً فَعْلِيَّةً مَسْنُودَةً إِلَى الْمَفْرَدِ الْغَائِبِ الْمَذْكُورِ مُتَعَدِّيَّةً، وَأَعْطَى الشَّيْءَ نَاوِلَهُ إِيَّاهُ، حُرُوفَهَا
ضَعِيفَةً، وَنَهْجٌ مِنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ بَيْنَهُ وَوَضَّحَهُ وَسَلَكَهُ⁽¹⁾، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: "كُلَّ جَعَلْنَا
مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا"⁽²⁾، وَنَاكِبًا نَقُولُ نَكَبَتْ الرِّيحُ بِمَعْنَى مَالَتْ عَنْ مَهَبِّهَا الْعَادِيَةِ وَنَكَبَ عَنْ
الصِّرَاطِ مَالٌ⁽³⁾، وَقَالَ اللَّهُ سَبَّحَاهُ وَتَعَالَى: "عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ"⁽⁴⁾، وَبَاقِي مَعَانِي الْأَلْفَاظِ

¹- المعجم الوسيط(نهج)/957.

²- سورة المائدة/84.

³- المعجم الوسيط(نكب)/950.

⁴- سورة المؤمنون/74.

معروفة، عبّر الجواهري عن انفراده باتّخاذ القرارات فيما يخصّ حياته ومصيره ومستقبله،
والسير في الطريق الصحيح، موظّفا الكناية التي عملت على توليد دلالة جديدة أضافها
لمعجمه اللّغوي فقال:

لَسْتُ الَّذِي يُعْطَى الزَّمان قِيادَهُ * ويروح عن نهج تَنَهَّج ناكبا (144)

وللدّلالة على قوّة الإرادة، والعزيمة، وعدم الرّضوخ لنكبات الدّهر والامساك بزمام
الأمر، وعدم ترك المجال لفلتاتها وإثبات الذات ومصارعة الأقدار، والثّبات والصّمود مهما
كانت العوائق وإتّباع الطريق السليم والسير فيه مهما طال الزّمن لأنّه هو وحده سيجعله يتّمم
المسيرة التي سطرّها، ويبتعد عن طريق الشرّ لأنّ نهجه خاوي منكوب يؤدّي به إلى الهاوية،
ولابد من تأسيس الحياة على قواعد سليمة لن تتحطّم ولن تهوى مهما كانت الظروف.

وورد عندهم عزائم من قبل السيّوف قواطع، صيغة اسمية حروفها قويّة في معظمها،
والعزيمة هي ما عزمت عليه من الصبر والجّد، وفي التّنزيل العزيز: "فاصبر كما صبر أولوا
العزم من الرّسل"⁽¹⁾، معاني الألفاظ معروفة، قال مهدي الجواهري في الثورة العراقيّة سنة
1921، مادحا شعب العراق وأبطاله الأشاوس، ومشبّها العزيمة الكبيرة التي يتحلّى بها هؤلاء
الأبطال بالسيّوف الحادّة، القاطعة التي لا تخطئ هدفها أبدا، وللدّلالة على الحدّة، والقوّة،
والشّجاعة الكبيرة، والفريّة، والشراسة التي يبديها هؤلاء الرّجال أمام أعدائهم، وهذا معنى
جديد عمل على إغناء لغة الشّاعر:

¹ - سورة الأحقاف/35.

لَقَدْ عَظَّمُوا قَدْرًا وَبَطَّشُوا وَإِنَّمَا * عَلَى قَدَرِ أَهْلِهَا تَكُونُ الْوَقَائِعُ

وما ضَرَّهُمْ نَبُو السَّيُوفِ⁽¹⁾ وَعِنْدَهُمْ * عَزَائِمٌ مِنْ قَبْلِ السَّيُوفِ قَوَاطِعُ(190)

وللدلالة على الصبر، والجِدِّ، والثَّبات الذي برهن عليه هؤلاء الرِّجال العظماء وما يملكونه من عزيمة خارقة للعادة، أسطورية، تضاهي السيوف القواطع في حدِّتها وبطشها، وستعمل على تغيير الأوضاع المتراكمة، وقطع رأس الحيَّة، والقضاء على العدو الذي جثم على صدر الأمَّة العربية لزمن طويل، والشَّاعر يتغنَّى برزانة قومه وبرجاجة عقولهم وبسليمتهم، وما يمتازون به من صبر على المحن، وعدم البدء بتصويب سيوفهم نحو الهدف، والتريث، والتعقُّل في حدود المعقول وعدم البدء بإشعال فتيل الثورة إلاَّ عندما يصبح الوضع لا يُحتمل ولا يُطاق، وستتغير الأشياء وستنتقل السيوف القواطع، ويتقاطع هذا البيت مع ما قاله أبو الطيب المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم⁽²⁾

وفي نفس السَّياق قال الشَّاعر مفدي زكريا واصفا شعبه بالصبر على المحن وعدم المبادرة بالعنف وانتهاج السلم كسلاح لمحاورة العدو:

فنحن بنو سلام فإن لجأنا * إلى حرب ففسرا واضطارا⁽³⁾

¹ - يقال نبا السيف بمعنى لم يصب غرضه- المعجم الوسيط(نبا)/899.

² - ديوان المتنبي/244.

³ - مفدي زكريا- اللهب المقدس/153.

وجاء كذلك لكم "الجنُّ" تَهْرَعُ، مِثْلَمَا "الإنسُ" تَخْضَعُ، وتهرع صيغة فعلية حروفها قوِّية في معظمها، وهرع بمعنى أسرع، قال الله سبحانه وتعالى: "وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات"⁽¹⁾، وتخضع صيغة فعلية بمعنى ذلّ وانحنى، قال الجواهري في قصيدة بعنوان "ما تشاؤون" سنة 1952، شاحذا الهمم، متحمّسا، ومستتفرا، موظّفا الكناية لعبّر عن إبداء الطّاعة، والخشوع، والاحلال، أمام أبطال العراق من طرف الجنّ، والإنس، بلا منازع ولا نقاش، نظرا لعدالة القضية التي أيّدتها السّماء وباركتها وزكّتها، وآزرها العقل والمنطق:

لَكُمْ "الجنُّ" تَهْرَعُ * مِثْلَمَا "الإنسُ" تَخْضَعُ(226)

وللّدلالة على مناصرة قضية الأكراد العراقيين من طرف الجميع، والاعتراف بها، والوقوف بجانب الثّوار، واحترامهم، وتشجيعهم، والشّدّ على أيديهم، ومناصرتهم، لأنّهم سجّلوا شجاعة، وبطولة، خارقة للعادة جعلت العدو والصديق يذكرهم في كل المناسبات، ويخلّدهم، ويستشهد بهم، ويجلّلهم، ويضعهم في مراتب أعلى، وجعلت الأحرار في العالم تسعى لإرضائهم والانحناء أمامهم تقديرا، واحتراما، لأنّهم ضربوا المثل الأعلى في الكفاح والنضال، وضحوّوا وصمدوا واستبسلوا وثبتوا.

وورد سَجِيَّة نَفْسٍ هَدَّبَتْهَا الشَّدَائِدُ، وهَدَّبَتْهَا من هَدَّبَ بمعنى رباه تربية صالحة، وخلّصه مما يشينه⁽²⁾، صيغة فعلية متعدّية، حروفها قوِّية لأنّ الظرف يتطلّب الحزم والشّدّة

¹- سورة هود/78.

²- المعجم الوسيط (هذب)/978.

والتبصر، قال في قصيدة بعنوان "النشيد الخالد" سنة 1924 متكلماً عن موقفه من الحب، والغرام، موظفاً المجاز في هَذَّبَتْهَا الذي ورد في غير موضعه، وجسّد الشدائد وجعلها مثل المرشد الذي يعمل على تربية النشء، وتقويمه، وإنارة طريقه، والأخذ بيده إلى برّ الأمان، وهذه دلالة جديدة أضافها الجواهري لمعجمه اللغوي:

وَلِي نَزَعَاتٍ أَبْعَدَتْهَا عَنِ الْخَنَاءِ⁽¹⁾ * سَجِيَّةٍ نَفْسٍ هَذَّبَتْهَا الشَّدَائِدُ (313)

والشاعر هنا غير راض على تصرفاته الطائشة غير المسؤولة التي تقوده في بعض المواقف إلى الخنا، والفحش، والفساد، ويصف ما يدور في أعماقه من متناقضات وصراعات أنتجتها الظروف التي يعيشها، ويتقاسمها مع أصدقائه وخلّانه، وفيها ميل في بعض الأحيان إلى الابتعاد عن الطريق السليم، ويتمنى ألا يحيد ولا يزيغ مرة أخرى نظراً لوعيه بخطورة الوضع، ولحسن حظه توالى عليه المصائب، والمتاعب الواحدة تلو الأخرى، وأثّرت فيه، ودفعته إلى إعادة النظر في سلوكاته، والعمل على انتهاج منهج جديد يقوم على قواعد سليمة قوية صالحة، وكل هذه التجارب عملت على صقله وإعادته إلى رشده بكلّ جدية وعقلانية، وأعطى للشدائد دوراً كبيراً في حياته وأصبحت تمثل القائد والواعظ الذي انتشله من جو الضياع، والشدائد عادة لا تهذب صاحبها ولكنها تتعبه وتتهكه وتقضي عليه، إلا أنّها عملت على لجم محمد مهدي الجواهري وكبح جماحه وجعلته متعقلاً، متّزناً، استفاد منها

¹ - والخرنا هو الفحش في الكلام، وآفات الدهر ونوائبه- المعجم الوسيط(خرنا)/260.

الكثير وتحولت هذه الشدائد إلى وازع استمع إليه عقل الضمير وعمل بنصيحته، وتغلب على نزواته وقهرها.

واستعمل الآكلين بلحمي و سُمَّ أغربة، صيغة اسمية وردت جمعا، حروفها ضعيفة، و سُمَّ أغربة صيغة اسمية مضافة، والسّم معروف قاتل ومؤذي، والغراب جنس طير من الجواثم يطلق على أنواع كثيرة منها: الأسود، والأبقع، والزّاغ، والغذاف، والأعصم، والعرب يتشاءمون به إذا نعق قبل الرحيل فيقولون غراب البين، ويضرب به المثل في السواد والحذر والبعد، يقال بكرّ بكور الغراب وفلان أحذر من الغراب⁽¹⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: "أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم"⁽²⁾، أمّا وُعَصَة في حَلاقين الشّواهين، صيغتان اسمية حروفها قوّة شديدة، وُعَصَة من غَصَّ بمعنى وقف في الحلق فلم يكد يسيغه فهو غاص⁽³⁾، واسمية مضافة وردت جمعا كذلك، والشّواهين مفردة شاهين وهو صقر من سباع الطير⁽⁴⁾، صبّ الشّاعر غضبه على قومه الذين يريدون النّيل منه وأكل لحمه مستعملا الكناية في الآكلين بلحمي، ليعبّر من خلالها على الألم العميق الذي شعر به عندما تأمر عليه قومه، وتخلو عنه، وحطّوا من قيمته، وأضرّوا به، وآذوه فقال:

الآكلين بلحمي سُمَّ أغربة * وُعَصَة في حَلاقين الشّواهين (38)

¹ - المعجم الوسيط (غرب) / 646.

² - سورة الحجرات / 12.

³ - المعجم الوسيط (غص) / 654.

⁴ - لسان العرب (شهن) / 243.

ويبدو تأثر مهدي الجواهري بالقرآن الكريم، وبتحريم النّميّة، فهو مغتاض من قومه الذين يعملون على نهش لحمه، وتشويه سمعته، والحقّ من درجته إلى الحضيض الأسفل، ونعته بما لا يحب ويرضى، إلا أنّه ليس من السّهل النّيل منه فمكانته مرموقة، ومحفوظة في الوسط الذي يعيش فيه، لن يستطيعوا أن يعبثوا بها، وأن يحطّوا من مرتبته، مهما بلغت المآمرة ذروتها، ولحمه مثل لحم الغراب لا يصلح للأكل لأنّه محرّم، وسيتحوّل إلى سمّ قاتل وإلى علقم سيقضي عليهم وينتقم منهم، أمّا غصّة في حلقين الشّواهين فهي كناية كذاك دلّت على صعوبة تركيبه، والحقّ من مكانته، والتّخلص منه، وإلتهامه ببساطة، لأنّه سيبقى لقمة مزعجة، ممّية، في حلق هؤلاء الجبابرة، ففعلتهم خيّل لهم أنّهم قضوا عليه ومحوه من الوجود، ولم يعد ينافسهم، ويقلقهم، إلا أنّهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه النتيجة، فهم الذين سيئالّون كثيرا ولن يهنأ لهم بال، وسيندمون على فعلتهم، ويتعدّبون، ويشعرون بضيق وغصّة مثلما يحصل للصقر عندما يلتهم فريسة كبيرة بسرعة فائقة في بعض الأحيان سيضطر إلى رميها والتخلّص منها بصعوبة، لأنّها تكاد أن تقضي عليه، وبهذا سيعرفون أنّهم أخطئوا في حقّه، وسيعيدون النظر فيما أقدموا عليه لأنّه لا يزال صامدا أبيّا في وجه الشرّ، وقاوم مقاومة عنيفة، وصدّ أعداءه، وأصبح كابوسا يطاردهم، وألما مزمنّا سكن في أجسادهم، يتوعّد بهم ويدمّرهم، ويكون بذلك قد حافظ على مكانته وسمعته، وخرج صلبا قويا من هذه المؤامرة التي لم يسقط فيها وأفلت من شباكها.

واستعمل الجواهري يا جَبْهَةً المَجْدِ يا قَلْبًا ويا رِئَةً، صيغة اسمية مسبوقة بحرف النّداء، والمجد هو الشّرف وجبهة القوم بمعنى وجههم⁽¹⁾، الأصوات تتراوح بين الضعف والشّدة، أطلق من خلالها الشّاعر صرخة استغاثة، وجعل من دمشق أرض العروبة والصّمود والتّصدي مهد للمقاومة، وجبهة للمجد، ورمزا للشّرف والإباء، وبوابة للعزّة والسّيادة لكافة العرب من المشرق إلى المغرب، فقال في قصيدة بعنوان "الخطوبة الخلافة" أو "معركة المصير" مستعملا المجاز في لفظ جَبْهَةً إذ ورد في غير مكانه، للدّلالة على العاصمة السورية دمشق التي تمثّل الواجهة، والمنارة التي تعلّق عليها راية نصر العروبة عبر القرون والأزمان، والقبلة التي يُحتذى بها، ويقصد بقلْب وريّة مدينة دمشق، متنفس الأحرار في كل أرجاء الوطن العربي، وهذا مجاز كذلك ولّد من خلاله الشّاعر هذه دلالة جديدة عملت على تنوّع معجمه اللّغوي وإثرائه:

يا جَبْهَةً المَجْدِ يا قَلْبًا ويا رِئَةً * فِي صَدْرِ كُلِّ عَرِيبٍ ما بِهِ سَقَمٌ (65)

فأرض دمشق مهد البطولة، والشّجاعة، والعروبة، وعلى أسوارها الحصينة سينتحر الأعداء، وهي قبلة يحجّ إليها كل المظلومين في الوطن العربي، وهي فخرهم، ونصرهم، وانبعاثهم من جديد، وهي أرض المقاومة والمبادئ، ودمشق هي صمّام أمان العروبة ومحركها ومشغلّها، وهو لا يقصد الرّئة بالمعنى الحقيقي ففي أرض دمشق يحلّ الفرج، وتزول المصاعب، وتتفتح الأبواب والمعابر، وهي المخرج والحياة والقلب النابض بالخير،

¹ - أساس البلاغ (جبهه) 82.

وهي الأمل بالنسبة لكل العرب لأنها احتضنت المقاومة بدون منازع، وصدّت الأعداء ويطشت بهم، ورفضتهم، وقهرتهم، بمواقفها الفريدة من نوعها، ولهذا السبب تغنى بها مهدي الجواهري ردًا للجميل وعرفانا بمواقفها الفذة، وقد تغنى أحمد شوقي كذلك بدمشق في قوله:

أَلَسْتُ -دمشق- للإسلام ظنًّا⁽¹⁾ * ومُرْضِعَةَ الأَبْوَةِ لَا تَعْقُ
صَلاحِ الدِّينِ، تَأْجُكْ لَمْ يُجَمَّلْ * ولم يُوسم بأزين منه فَرَقَ
سَمَاوُكٍ مِنْ حُلَى المَاضِي كِتَاب * وأَرْضُكَ مِنْ حُلَى التَّارِيخِ رَق⁽²⁾
بَنِيَتْ الدَّوْلَةَ الكُبْرَى وَمُلْكًا * غُبَارَ حَضَارَتِيهِ لَا يُشَقُّ⁽³⁾

وجاء كذلك في "يثرب" حَرَمُ اللَّهِ كَعْبَتُهُ، وفي "دمشق" لَشَرَقِ زَاحِفٍ حَرَمُ، وحرَم الله صيغة اسمية مضافة حروفها ضعيفة، وباقي ألفاظ العبارة معروفة مألوفة ومستساغة، أما زاحِفٍ بمعنى مشية فيها ثقل⁽⁴⁾، وفي التَّنْزِيلِ العزيز: "لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا"⁽⁵⁾، وَحَرَمُ مَا لَا يَحِلُّ انتهاكه من ذمّة أو حقّ أو صحبة⁽⁶⁾، استعمل الجواهري المجاز في زَاحِفِ الذي ورد في غير موضعه، وجسّد من خلاله الشرق الأوسط، وجعله يجمع قوّته ويزحف نحو الحرّية بعد سبات دام طويلاً متحدّياً العدو الغاصب فقال:

في "يثرب" حَرَمُ اللَّهِ كَعْبَتُهُ * وفي "دمشق" لَشَرَقِ زَاحِفٍ حَرَمُ(68)

1- ظنّرا من ظأر بمعنى اتخاذ المرأة مولودا ترضعه - المعجم الوسيط(ظأر)/575.

2- رق جلد رفيق يكتب فيه- المعجم الوسيط(رق)/367.

3- ديوان أحمد شوقي/73.

4- أساس البلاغة (زحف)/262.

5- سورة الأنفال/08.

6- المعجم الوسيط (انتَهَك)/169.

وعبر عن تحرّك شعوب الشرق الأوسط، وقيامهم بطرد الأعداء، ولقد استلهم المشاركة كفاحهم، ونضالهم من دمشق عاصمة العروبة، ومهد الحضارات، وهي قدوة بالنسبة للشاعر، ولكلّ ثوار الوطن العربي، ولهذا السبب ساروا على خطاها، وهي التي أملت عليهم كيفية الدّفاع عن العرض، والحمى، والشرف، حيث تحرّك جيرانها ورفضوا الأعداء، وقاموا بالثورات على غرار ما فعلته دمشق التي لا ترض بالخضوع، والخنوع، وتأبى الذلّ وتفضّل العزّ.

واستعمل لك "النور" فأطلقها على شرف، وخلّ تتحدّر العقبان والرّخم⁽³⁾، فأطلقها صيغة فعلية وردت أمراً متعدية، وأطلق بمعنى حرّر، وأطلق العنان ترك له حرّية التصرف⁽¹⁾، وتتحدّر صيغة فعلية بمعنى انحطّ من علو إلى أسفل، وباقي الألفاظ معروفة، والأصوات امتازت بالضعف والقوّة، حتّى الجواهري على مواجهة العدو والوقوف في وجهه، واستعمل المجاز في أطلقها على شرف إذ ورد في غير مكانه، ولّد من خلاله معنى إعطاء للنفس مطلق الحرّية، وفسح المجال أمامها، وتشجيعها لكي تلتحق بساحة المعركة وعدم شكها ولجمها لأنّها وحدها ستعمل على إزاحة الظلام، فقال:

لك "النور" فأطلقها على شرف * وخلّ تتحدّر العقبان والرّخم⁽²⁾ (68)

وللدلالة على التّعبئة الكبرى، وضّم الصفوف، والرمي بالنّفس الغالية إلى ميدان المعركة والشرف، وإشهار السّلاح في وجه الغاصبين، ومواجهتهم، والاقبال المنقطع النضير على ساحة المعركة، وإسقاط الكثير من الضحايا والقتلى، والرمي بأشلائهم التي ستصبح بعد

¹ - المعجم الوسيط (أطلق) 563.

² - العقبان طائر من الكواسر قويّ المخالب منقاره قصير - المعجم الوسيط (عقب) 616.

³ - الرّخم طائر غزير الريش أبيض مبقّع بسواد قليل التّفوس له منقار طويل - المعجم نفسه (رخم) 337.

حين لقمة للعقبان والطيور الجارحة الأخرى، وعبر الجواهري عن حقه وامتناعه، وضجره، من أعدائه، ولخص نهايتهم القريبة في لقمة سهلة بالنسبة للطيور الكاسرة.

ووظف خيولُ الله زاحفةً، صيغة اسمية مضافة، والخيل جماعة من الفرسان لا واحد لها⁽¹⁾، وزاحفة من زحف العسكر إلى العدو بمعنى مشو إليهم في ثقل لكثرتهم⁽²⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا لاقيتُم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار"⁽³⁾، حرص محمد مهدي الجواهري على قتال الأعداء فقال مخاطبا دمشق عاصمة سوريا التي اعتبرها رمزا العزة، ومهد العروبة، مستعملا الكناية، لأنَّ محرَّك هؤلاء الأبطال هو إيمانهم العميق، وقلوبهم المفعمة بالتقوى، وهدفهم الوحيد هو إعلاء الحق لأنَّهم جند الله في الأرض:

لا تَبْرَحَنَّ خيولُ الله زاحفةً * على عدوك تَخْشَاهُ وَيَنْهَزُمُ(65)

ولا يقصد الشاعر هنا الفرسان العاديين بالمعنى العام، ولكنَّه يتكلَّم عن جماعة المجاهدين، المتشبعين بالإيمان، المقتنعين بالدِّفاع عن قضيتهم العادلة، وقال الحق سبحانه وتعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"⁽⁴⁾، فمثل هؤلاء قاموا من أجل الحق، والعدل، يحقِّزهم حب الله الذي سكن في قلوبهم إلى الأبد، ويدفعهم إلى تطهير أرضهم من النجاسة والدرن، وقتال العدو وضربه بيد من حديد، والبطش به، تساعد في ذلك إرادة السماء وتآزرهم وتشدُّ على أيديهم في ميدان المعركة، وتفترج

1- المعجم الوسيط(خيل)/267.

2- المعجم نفسه(زحف)/390.

3- سورة الأنفال/15.

4- سورة الأنفال/60.

عليهم كربتهم وتشدّ همهم لأنّهم مجاهدون مخلصون أوفياء، همّهم الوحيد هو الالتحاق بالرفيق الأعلى وقول كلمة الحقّ والتغلّب على الأعداء.

وجاء لا زَلْتُ بِكَ الْقَدَمُ، صيغة فعلية منفية، حروفها رخوة مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المؤنث، وزَلْتُ بمعنى زلقت، قال الله سبحانه وتعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا"⁽¹⁾، وفي مجال حديث الشّاعر عن النضال والكفاح، قال محرّضا، ومستعملا الكناية في زَلْتُ بِكَ الْقَدَمُ، للدلالة على الإصابة بالفشل، والتّفاعس، وخيبة الأمل، والتقهقر، وهو لا يتمنى ذلك، وهذا معنى جديد أضافه إلى معجمه اللّغوي:

سِرَ فِي نِضَالِكَ لَا زَلْتُ بِكَ الْقَدَمُ * وَلَنْ تَزِلَّ وَبِالْإِيمَانِ تَعْتَصِمُ (67)

ومهدي الجواهري لا يقصد السقوط بالمعنى الحقيقي للفظ، ولكنّه يريد أن ينصح بالنّبات في ميدان المعركة، والصّمود، والثقة بالنّفس، وعدم فسح المجال للتشائم والارتباك، ولا بد من والتمسك بإرادة الله سبحانه وتعالى في قوله: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم"⁽²⁾، فمواجهة العدو والوقوف في وجهه وإبداء الشّجاعة، والاقدام، أمرا ضروريا للانتصار، ولا بد من الاقتناع بالشهادة والنّضحية لأنّ القضية عادلة، والنّصر آت بإرادة الله، وينصح الشّاعر كذلك بالمضي قُدما، والاندفاع إلى ساحة القتال، وفرض

¹- آل عمران/155.

²- سورة آل عمران/103.

النَّفس والإرادة القويّة، والاعتصام بحبل الله، والتشبع بروح إيمانية قويّة، فالظنون لن تخيب، والنّصر قريب، والصبر مطلوب، والشّهادة نعمة، والهروب من ساحة المعركة نقمة.

وورد قَلْبٌ حُرٌّ عَصِيّ الزِّمَامِ، صيغتان اسمية ألفاظها معروفة مألوفة، واسمية مضافة، تغلب على حروفها الرخاوة وفيها نوع من الشدّة كذلك، وعصي بمعنى شديد، والزمام نقول هو زمام قومه بمعنى قائدهم ومقدّمهم وصاحب أمرهم⁽¹⁾، وَحُبُكُم يَسْلِسُ وسلس من المرونة صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، أصواتها ضعيفة في معظمها، وفي رسالة بعث بها الجواهري إلى صديق سوري هاجر إلى الولايات المتّحدة الأمريكية، عبّر له فيها عن روحه الثائرة فقال موظفا الكناية في عَصِيّ الزِّمَامِ ليؤكد على التمرد، وعدم الانصياع، وعدم الخضوع، وعدم إبداء الطّاعة، وتركيزه على الاستقلال والحرية، واستعمل المجاز في يَسْلِسُ الذي ورد في غير موضعه، وللدلالة على مرونة قلبه، وخفقانه بشدّة كبيرة، نتيجة للشوق الكبير والحنين الذي هزّه، وهذا معنى جديد عبّر به الجواهري على مقدرته مرّة أخرى على الخلق والابداع:

ولي قَلْبٌ حُرٌّ عَصِيّ الزِّمَامِ * فَإِنْ رَاضَهُ حُبُكُم يَسْلِسُ (92)

فالجواهري رجل حرّ متمرد بطبعه، له قلب عصيّ، صلب، عنيد، لا يستطيع أي كان أن يسكن بداخله، ويستولي عليه، ويمتلكه، ويقود زمامه، فهو يرفض رفضا قاطعا أن يسلم قلبه بكل بساطة وسهولة، ولقد عمل على تحصين فؤاده حتّى لا يقع فريسة سهلة، مستعينا

¹ - المعجم الوسيط (زمم)/400.

بمزاجه الصعب، الشرس، المنيع، إلّا أنّ قلبه في المقابل يتّسع لصديقه الشاعر السوري الذي يكنّ له قدرا كبيرا من الحبّ، والاحترام، حيث اشتاق إليه كثيرا وتمنّى رؤيته في وقت عاجل، وسلس قلبه، ولأنّ، وخفق، وهزّته مرونة قويّة، وشعر بالحنين إلى حد بعيد، ويعكس هذا البيت رفض الشاعر الخضوع، والركوع، والانقياد، والتبعية أمام أي ظرف كان، ولهذا السبب حافظ على حرّيته، وحصّن نفسه، وابتعد عن شباك الحب الذي من خلاله يستطيع الإنسان أن يقدّم تنازلات وفي بعض الأحيان لا تحمد عقباها.

ووظّف يَتَمَخَّضُ التَّارِيخُ في أعقابهم حمدا، وتَعَصِفُ لَيْلَةٌ ونهارٌ، صيغتان فعليتان حروفهما خليط بين الشدّة والرخاوة، الأولى مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والثانية مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المؤنث، ويتمخّض من المخاض معروف بمعنى حان وقت الولادة، وتَعَصِفُ من عَصَفَ بهم الدّهر بمعنى أهلكهم⁽¹⁾، وعصفت الرّيح بمعنى اشتدّت وقال الله سبحانه وتعالى: "جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان"⁽²⁾، ولقد وجّه الشاعر خطابه إلى الخالدين الأبطال الشجعان في بيروت في حفل تأبين عبد الحميد كرامي، واستعمل المجاز في لفظتي يَتَمَخَّضُ، وتَعَصِفُ لأنّهما وردا في غير موضعهما، ليولّدا معاني جديدة، للدلالة على البطولات الكبيرة، والملاحم التي سجّلها الأبطال، وأنتجت حقيقة جديدا بعدما تخمّرت الأفكار ونضجت، وعملت على تغيير الواقع بحذافره، وتأسيس مستقبل جديد أركانه صلبة ليس من السهل زلزلتها والعصف بها:

¹- المعجم الوسيط(عصف)/605.

²- سورة يونس/22.

يَتَمَخَّضُ التَّارِيخُ فِي أَغْصَابِهِمْ * حَمْدًا وَتَعْصِفُ لَيْلُهُ وَنَهَارُ (97)

والشّاعر لا يقصد إنجاب المرأة ولا هبوب العواصف ولكنّه أراد بكلامه ما عاشه مجتمعه من صراعات قويّة، ومن مآس، وظلم، وبغي، وطغيان من طرف الأعداء، حيث عمل الأبطال على إنتاج واقع جديد، بعدما تعرّس المخاض، وتغيّرت الأحوال، واتّضحت الحقائق ولم يبق شيء على حاله، وفرض الأبطال وجودهم، وسجّلوا شجاعتهم الملحمة في دفاتر الزّمن، وأسهب التاريخ في الكلام عنهم وعن إقدامهم، وثبوتهم، وصمودهم، وأفرد لهم حيّزا كبيرا بين صفحاته، وأشاد بهم حيث عملوا على العصف بالأعداء وإبعادهم فولوا هاربين وسقط نظامهم، لأنّ أركانه الهشّة بنيت على دماء الشهداء وجماعهم، وحملت بين طيّاتها الشّكّ والنّفاق، ولهذا السبب انهارت بسرعة فائقة، وذهبت مهبّ الرّيح، وظهر الحقّ، وساد العدل، وانتشر الوعي، ودارت عجلة الزّمن، واستقرّت عند هؤلاء الأخيار المحاربين الأبرار الذين انبهر بهم التاريخ، ووقف لهم إجلالا، واحتراما، وتقديرا، وأيدّتهم السّماء ومدّت لهم يد العون عرفانا لهم بالدور الكبير الذي قاموا به، لأنّهم وضعوا بصماتهم وتركوا آثارهم عبر السنين والعصور.

وورد أرى أفقا بنجيع الدّماء تنوّر، و اختفت الأنجُم، والأفق هو خط دائري يرى فيه المشاهد السّماء كأنّها ملقّية بالأرض⁽¹⁾، وفي التّنزيل العزيز: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم"⁽²⁾، وبنجيع الدّماء صيغة اسمية مضافة، وبنجيع هو دماء الجوف، وتنوّر من

¹- المعجم الوسيط(أفق)/21.

²- سورة فصلت/53.

النور صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر أصواتها ضعيفة، أما اخْتَفَتْ
الآنْ جُم بمعنى توارت عن الأنظار، صيغة فعلية أصواتها ضعيفة إلى حد ما، وباقي
الألفاظ معروفة، قال الجواهري في تأبين أخيه جعفر، موظفاً المجاز في لفظ تَنَوَّر الذي جاء
في غير موضعه، وجعل الدَّماء المتدفقة نبراساً يضيء الأفق، ويطرد الظلام الدامس، وينير
الطريق، ومن شدة نوره تختفي النجوم وتزول، وهذه دلالة جديدة أضافها الشاعر لمعجمه
اللغوي:

أرى أفقا بنجيع الدماء * تنَوَّر واختفت الأنجم (186)

وللدلالة على بزوغ النور، وطلوع الفجر، واتّضح الرؤية في الأفق البعيد، نظراً
للتضحيات الكبار، والاستماتة في سبيل الوطن، والاندفاع إلى ساحة المعركة حيث طغت
الألوان الحمراء، ألوان الدماء الزكية الطاهرة، العفيفة العبة في كل مكان، وتلونت الآفاق
وكل أرجاء المحيط، واكتست حلة مميزة ترمز إلى الانتصار، وإحراق الحق، ولم يعد يظهر
في الوجود حتى النجوم المضيئة التي حجبها ألوان الدماء، بالرغم من الأنوار المنبعثة منها،
نظراً لعدد الشهداء الهائل والاستبسال، والاقبال على الموت بدون تحفظ، فالدماء هي سيّدة
الموقف وهي المسيطرة في الأرض، ومن خلالها رسم الشاعر لوحة فنية رائعة، تنبعث منها
الأنوار في الأفق، وبهذا تعبّد الطرق وتسهل المهمة وتتطلق المسيرة ويسمو الحق ويتحقّق
العدل ويطلع الفجر ويستريح الشهيد.

وورد **فِيَا لَكَ مِنْ مَرْهَمٍ** و **يَا لَكَ مِنْ بَلْسَمٍ يُشْتَقَى**، صيغ اسمية مسبوقة بحرف نداء لأنّ الوضع يتطلّب ذلك، الألفاظ معظمها معروفة حروفها رخوة، ولمداواة الجراح لابد من الصبر والتريث، والمرهم مركب دهني يُذَهَن به الجرح، والبلسم يستعمل كذلك في الطب، أطلق من خلالها صرخة قويّة مناديا أخاه جعفر وهو على فراش الموت معدّدا خصائله، وموظّفا الاستعارة، مشبّها إياه بالمرهم الذي طال البحث عنه لمداواة الجراح، وبالبلسم الشديد حين يتعسّر الشفاء، فلفظا مَرْهَم، وبَلْسَم استعمالا في غير سياقهما وولّدا هذه الدلالة الجديدة فقال:

فِيَا لَكَ مِنْ مَرْهَمٍ مَا اهْتَدَى * إِلَيْهِ الْأَسَاةُ وَمَا رَهْمُوا⁽¹⁾
و يَا لَكَ مِنْ بَلْسَمٍ يُشْتَقَى * بِهِ حِينَ لَا يُرْتَجَى بَلْسَمُ (180)

واعتبر محمد مهدي الجواهري أخاه جعفر المتوفى، كالمرهم الشافي الذي لم يهتد إليه الطبيب بسرعة، فهو مثل الدواء النادر بالنسبة للوسط العليل الذي يعيش فيه، حيث استشرى الفساد، والظلم، وكثرت الانحرافات، والمظاهر الاجتماعية السيئة، فمحيطه مجروح متألّم يعاني الأمرين من قبل الأعداء وما ألحقوه بالشعوب من مآسات ولهذا السبب لابد من علاج فعّال يعمل على التّأم الجراح العميقة وشفائها بسرعة، فوجود جعفر ضروري لا يستطيع مجتمعه الاستغناء عنه، لأنّه بلسم فعّال فيه سحر، وقدرة كبيرة، ومعجزة خارقة، على مداواة الألم العميق، وهو الوحيد الذي يعوّل عليه لمساعدة الآخرين والتخفيف من مآساتهم، والوقوف إلى جانبهم ومآزرتهم واحتضانهم والشّدّ على أيديهم، وطمأننتهم والتكفّل بهم عند

¹- من الرهام بمعنى المطرة الضعيفة الدائمة- أساس البلاغة(رهم)/262.

الحاجة، وفقدانه خسارة كبيرة ومصيبة ألّمت بالشّاعر وبالمجتمع، فهو الذي عمل على تقويم المجتمع وتنظيفه من الشوائب التي علقت به، وتطهيره، والسّموا به إلى درجة رفيعة عندما انتشر اليأس، والقنوط، والتّشاؤم لزمن بعيد قام جعفر بإنارة الطريق، وترميم ما أفسده العدو، ومداواة الانحرافات والقضاء عليها، ومعافاة المجتمع.

أما مَبْسَمِ عَابِسٍ و تُغَوِّرُ الْأَمَانِي بِهِ تَبَسُّمٌ، الأولى صيغة اسمية مسبوقة بصفة، وعبس بمعنى تجهم وجهه وهو معروف، حروفها ضعيفة في معظمها، والصيغة الثانية اسمية مضافة، وتغور جمع ثغر وهو الفم والأسنان، حروفها رخوة في معظمها، والثالثة تَبْتَسِمُ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث، قال الشّاعر مابّنا شقيقه، ومزج بين الكناية في مَبْسَمِ عَابِسٍ، والمجاز في تُغَوِّرُ الْأَمَانِي بِهِ تَبَسُّمٌ، للدلالة على الشدّة، والعنفوان، والقوّة، والنظرة إلى المستقبل بتفاؤل وإيجابية، والأمل، والقسوة مع الأعداء، وهذه دلالت جديدة ولّدها الشّاعر:

ويا لك من مَبْسَمِ عَابِسٍ * تُغَوِّرُ الْأَمَانِي بِهِ تَبَسُّمٌ (180)

فبالرغم من تجهم وجه جعفر، وعبوسه، نظرا لما يدور حوله من أحداث مؤلمة، إلّا أنّ ابتسامة محتشمة تظهر على أسنانه، تتبّئ بطلوع الفجر، وزوال الظلمة القاتمة، وهو الانفراج والأمل الكبير المنتظر نتيجة لكل هذه التّضحيات الجسام، واستعمل الشّاعر في هذا البيت صيغتين متضادتين وهما عَابِسٍ، وتَبَسُّمٌ، ليصل إلى هدف واحد وهو بعد العسر سيأتي البشر، وسيطلع الفجر، وسيتفاعل الناس، وسينتصر الحقّ، وبالرغم من حزنه الكبير

على أخيه العزيز الذي توفي فجأة واختطفه الموت وهو في ريعان شبابه مازال مهدي الجواهري ينظر إلى المستقبل بنظرة تفاؤلية لعلها تخفّف من محنته.

وجاء إني وَجَدْتُ اللَّيالي في تصرفها، تأوي إلى حكم عدل... وتحتكم، وتصرفها صيغة اسمية مسبوقة بحرف جر معناها معروف، وتأوي بمعنى تلجأ⁽¹⁾، وَتَحْتَكِم من احتكم الأمر صار محكما⁽²⁾، وباقي الألفاظ معروفة، حروفها ضعيفة في معظمها، نصح محمد مهدي الجواهري بالتبصّر والتروّي والتخمين قبل الاقبال على أمور الدّنيا، فقال موظفاً المجاز في تأوي، وَتَحْتَكِم ومجسّداً اللَّيل الذي أصبح يتصرّف بعقلانية ومسؤولية كبيرة:

إني وَجَدْتُ اللَّيالي في تصرفها * تأوي إلى حكم عدل... وتحتكم(55)

وللدّلالة على التحلّي برجاحة العقل، وعدم السرعة في اتخاذ القرارات، والتّدقيق في الأمور قبل الخوض فيها، والتفكير جيّداً، والعمل على الإحاطة بكلّ المواضيع، واختيار أنجع الطرق للوصول إلى الحلول المناسبة، ولابد من التّمعن والتّمحيص في كل التفاصيل قبل إلقاء الأحكام، مثلما يفعل القاضي العادل الذي لا يقدم على البث في قضاياها حتى يكون ملماً بجميع الأطراف، فكذاك وصف الجواهري اللَّيالي وجعلها حكماً عادلاً لا يأبى الظلم.

¹ - المعجم الوسيط(أوى)/33.

² - أساس البلاغة(احتكم)/137.

وورد **تُدُسُّ فِي الشَّرِّ خَيْرًا وَتَنْزَعُ الْخَيْرَ مِنْ شَرٍّ**، صيغتان فعليتان متضادتان، كلاهما متعدّي إلى مفعول، وتُدُسُّ من دَسَّ الشيء أدخله بقوة وبقهر⁽¹⁾، وتَنْزَعُ من نَزَعَ بمعنى جذب وقلع، وفي التَّنْزِيل: "ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين"⁽²⁾، الأصوات متراوحة بين القوّة والضعف، معانيها معروفة في معظمها، قال الجواهري داعيا إلى تغيير الأوضاع وتحسينها، مستعملا المجاز مرّة أخرى في تَدُسُّ، وتَنْزَعُ، حيث وردا في غير مكانهما، للدلالة على تخليص النفس البشرية من الشرّ، وتطهيرها وإعادتها إلى طبيعتها الخيرة التي ولدت بها، وستساعد الليالي في التبصّر والتدقيق لأنّها هي التي ستقوم بعملية الدّس والنزع:

تُدُسُّ فِي الشَّرِّ خَيْرًا يُسْتَضَاءُ بِهِ * وَتَنْزَعُ الْخَيْرَ مِنْ شَرٍّ وَيَلْتَمُّ (56)

وللدلالة على الصراع القوي الذي يدور بين عنصري الخير والشرّ، فهما يتنازعا ويتصارعا، إلّا أنّ الشّاعر يغلب عليه في هذا البيت طابع التفاؤل، وبهذا يسود عنده الخير، ويدحر الشرّ، وينهزم، ويبتعد عن طريقه إلى الأبد، وجسد الجواهري الخير والشرّ وحثّ على محاربة الشرّ، ويقصد به المصاعب، والنكبات، والمخاطر، والاحباطات، فلا بد من القضاء عليها، والسير قدما إلى الأمام، والعمل على تغيير المجتمع، وتعبيد الطريق، ولأنّ الفجر آت والشمس ستسطع، وسينتشر الخير عبر ربوع الوطن، ويسود الحقّ وتبتسم الدنيا.

¹- المعجم الوسيط(دسّ)/282.

²- سورة الأعراف/108.

واستعمل الجواهري هنا عدة ألفاظ متضادة مثل: تدّس وتنزع، الخير والشرّ، فهذه سنة الحياة وهناك العديد من المتناقضات والصراعات فعلى الإنسان أن يستغلها لصالحه ولخدمة أهدافه.

وما يلاحظ على هذه المجموعة:

1-الألفاظ في معظمها مجازية، وتمتاز أصواتها بالقوة والشدة مثل: تحدّ أظفار الطّغاة(12)، مشحودا لها الجلم(63)، يتحدّى الإغترار(238)، وأنضجت نُضجَ الشّواء جلودا(235)، ضرّمه طبع(64)، حان الارتطام(283).

2-ورود صيغ مبالغة مثل: الدّم الرقراق نهّاض(50)، عَجول(50)، ركاض(50)، شموخ(32).

3-هناك تقاطع بين ما قاله الجواهري:

لقد عَظَمُوا قَدْرًا وبَطْشًا وَإِنَّمَا * عَلَى قَدْرِ أَهْلِهَا تَكُونُ الْوَقَائِعُ(190)

وما قاله أبو الطيب المتنبي:

على قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّمِ تَأْتِي الْعِزَائِمُ * وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ(144)

4-ظهور تقديم وتأخير في بعض الصيغ:

ما زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ(67)، تَتَفَضُّ عَنْهَا الْخُمُولَ الرِّقُودَ(135)، أَبْقَيْتَ مِنْ مَيْسَمِي فِي الْحَيَاةِ وَشَمًّا(235).

الخلاصة:

تضمّن الفصل الثالث من هذا البحث معظم الألفاظ الخاصة بالمجتمع العراقي، وتشاطره فيها كافة المجتمعات العربية التي وقعت تحت نير الاستعمار الأجنبي، ودلّت على الثورة، والتّغيير، والكفاح المرير والطويل، والاستماتة في ميدان الكفاح، والاستبسال، والشّجاعة الأسطورية التي تحلّت بها هذه المجتمعات، والاقبال على ميدان المعركة، والاستشهاد، ومن هذه العبارات: هذا الدّم الرقراق ركَاض (51)، الدّم الغالي يسيل ضوءاً يُنار به السبيل (49).

إلى جانب هذا ظهرت روح العزّة، والإباء، والشموخ، والتحدّي، والقوّة، والثبات، مثل: ثبتّ على وَقدِ الوغى وجحيمة (11)، تعارك الموت الزّوأم فتُظلم (15)، وجدتك كالفلاذ ضرّمه طبع (64)، تتفّض عنها الخمول الرقود (135).

ولقد حتّ الشّاعر في معظم الأحيان على تغيير الواقع، وقهر عدوّ الدّار، والعدو الأجنبي، ودحرجته، والسيطرة عليه، وإعادة الحرّية المفقودة، مستعملاً عبارات مثل: صلّ الكفاح غدوّه وبرواحه (11)، وكُنْ داءَ حقّدهم الدّفين وطبّهم (12)، واستثمر اللعنات العاصفات به (62)، ويا قبساً من لهيب الحياة (183)، يد جدّ يوم القيروان عروقه (296)، وظهرها مستعليا جبّا (296).

ووردت كذلك العديد من العبارات التي تدلّ على التطلّع إلى المستقبل والتنمي، ومحاولة البناء، والترميم، والنهوض بالمجتمع، وإعادة هيكلته، وتوحيد الصف، وإعلاء كلمة

الحقّ، وبناء قواعد الأُمّة، والإيمان بالله، والافتداء بالسلف الصالح مثل: أبى دينها أن تجمع الله والرعبا(298)، مشى الحقّ في الصفين يدمغ باطلا(308)، وطهر البيت من رجب(59)، خيول الله زاحفة(65)، بنوا الحياة ورمّوا(07)، مشى الوعي في أمم المشرقين(135)، المجد إشعاع الضمير لضوئه(98)، ينضج كل برعم زهرة(13)، واصمد يطاوعك القضاء المبرم(11).

ولقد استعمل الشّاعر كذلك في هذا الفصل العديد من الألفاظ المتضادة، التي تدلّ على الصراعات العنيفة الموجودة إما بداخل المجتمع الذي يعيش فيه، أو ما يجيش في خواطره من هواجس تؤلمه في بعض الأحيان، وتحفرّه أحيانا أخرى، وترهقه، وتقهره، وتتعبه، إلّا أنّ التّفاؤل يصبح سيّد الموقف في كثير من الأحيان مثل: خوف الشّجاع(234)، طيش الحليم(234)، وموت الردى(234)، تدسّ في الشرّ خيرا(56)، وتنزع الخير من الشرّ(65)، مشى الحقّ(308)، يدمغ باطلا(308)، قلب حر عصي الزّمام(92)، راضدهم حبكم يسلس(92).

واستعمل الجواهري كذلك بعض الألفاظ التي تدلّ على خبرة كبيرة في الحياة، وتجارب صعبة مرّ بها، صقلته، وجعلته يتكلّم بحكمة، وموعظة، وتبصّر، لا يستطيع الوصول إلى هذا الحدّ من الرّزانة، والعقلانية إلا فطاحل مثله، نسجها في قصائده، عبّر من خلاله عن ماض زاهر بالأمجاد، والبطولات، يشوبه تمرد، وعدم الانصياع أحيانا أخرى مثل: صابر على البلوى فعقبى ضرّها نُعمى(11)، إنّ الشّدائد تستصفي النفوس بها(56)، واستثمر

اللغات العاصفات به(62)، إنّ المصائب أعدنا نحتي(43)، وأبدعنا تلويني(43)، نفس
هذبته الشّدائد(313).

والملاحظ على هذا الفصل، غلبة الألفاظ الدّالة على الأمل، والأمان، والتّطلّع إلى
المستقبل، والقضاء على العقبات، ونسف أركان العدو، وتطهير البيت، وإعادة هيكلة
المجتمع، وتغليب العزيمة، والجّد، والتّغلب على روح الهزل، والخمول، والتّخاذل، والتّقاعس،
والنتهاوي، فمثل هذه الصفات يرفضها مهدي الجواهري، ويحاربها، ويحثّ مجتمعه، وباقي
المجتمعات العربية على مواصلة النضال، واسترداد الأمجاد الضائعة.

الفصل الرابع

مجموعة الألفاظ الدالة على الابداع والفنّ

- أ- مجموعة الألفاظ الدالة على التفاني في خدمة الشعر والرقي به.
- ب- مجموعة الألفاظ الدالة على أهمية الشعر ودوره في المجتمع.
- ج- مجموعة الألفاظ الدالة على موقف المجتمعات من المبدعين.
- د- مجموعة الألفاظ الدالة على تعريض المبدعين حياتهم للمخاطر.
- هـ- مجموعة الألفاظ الدالة على تجاوز الحواجز والعراقيل في سبيل الفن.
- و- مجموعة الألفاظ الدالة على تسجيل الشعراء أسماءهم في التاريخ.

- مجموعة الألفاظ الدالة على الابتكار والخلق والابداع

دَعِ الحُرُوفَ تُبَيِّنُ قَرَارَةَ نَفْسِهَا
إِنَّ الْأَشْفَّ مِنَ الحُرُوفِ الْأَفْخَمُ
وَتَفَرَّجَ الْمُتَفَيِّقُهُونَ فَلَا دَمَّ يَغْلِي
لَا قَلَمٌ يَدُودٌ وَلَا فَمٌ
أَلْوِي بِمَنْ عِنْدِي
وعندي صَفْوَةٌ هي من بني أبيه وذويه أكرم
الشَّعرِ هَذِهِ لِلْسَّمْعِ
يُرَدِّدُ فِي رَفِّهِ وَفِي عِلِّ لَحْنِ الْحَيَاةِ
رَخِيًّا غَيْرَ مَلْحُونٍ
مَزَجْتُ لَهُ دَمِي بِلَحْمِي
فِي أَحْلَى المَوَاعِينِ
خَوَالِجُ هُنَّ مِنْ صُنْعِي وَتَكْوِينِي
عَادَى المَعَاجِمَ وَغَدَّ يَسْتَهِينُ بِهَا
يُحْصِي بِهَا "أَبْجَدِيَّاتٍ" وَيَعْدُونِي
شَلَّتْ يَدَاكَ وَخَاسَتْ رِيشَةُ
غَفَلْتُ عَنِ الْبَلَابِلِ فِي رَسْمِ السَّعَادِينِ
أَجَرَهُ الشَّوْكَ أَلْفَاظُ مُرْصَفَةٍ
أَجَرَهَا الشَّوْكَ سَجَعٌ شِبْهَ مَوْزُونٍ
أَحْضَنُهُ حَضْنَ الرِّوَاضِ بَيْنَ الْعِتِّ وَاللَّيْنِ
أَعِيدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتًا وَخَضَخَضَةً
وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ
أَضَى رِيَّانَ الصَّبَا غَضِرًا
مَهْوَى قُلُوبِ الْحِسَانِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ

صُعْتُ شَوَاطِ النَّارِ قَافِيَةٌ
تَأْتِي عَلَى كُلِّ مَا تَلْقَى وَتَلْتَهُمْ
تَطْغِي عِنْدِي الْكَلِمَ
فَيُنْشِي سَيْلُهَا الْعَرَمَ
نَهْنَهُ تَهَا عَنْ دَمٍ تَسْقَاهُ فَاكْتَضَمَتْ
طَوَى الْمَوْتَ رَبُّ الْقَوَافِي الْغُرُ
فَاتَ بِالسَّبْقِ كُلِّ الْجِيَادِ فِي الشَّعْرِ
هَذَا الْجَوَادُ الْأَعْرَ
كَأَنَّ عُيُونَ الْقَوَافِي الْحِسَانَ
مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لَهُ تُدَخَّرُ
"فَشَوْقِي" لَهُ عُيُونَ مِنَ الشَّعْرِ فِيهَا حُورُ
تَعَرَّضَهُ مِنْ طَلَاءِ الْبَيَانَ
وَمِنْ زُبُرِجِ اللَّفْظِ دَرَبٌ خَطِرُ
خَافَ مِثْلَ سِوَاهِ الْعُبُورِ
لَخَابَ وَزَلَ وَلَكِنْ عَبَرَ
جَنَاحُ الْبَيَانَ مَهِيضٌ
لَفْظٌ هَجِينٌ
ثَوَتْ تَحْتَهُ مَعَانٍ لِقَلَّتِهَا تُحْتَكِرُ
فَكُنْتَ وَعَلَّتْهَا كَالطَّبِيبِ
يُنْعِشُ جِسْمًا عَرَاهُ الْخُورُ
إِنَّ الْقَوَافِي عَبْدَى لَهُ
يُفَرِّقُ أَشْتَاتَهَا أَوْ يَذَرُ
يَلْعَبُ بِاللَّفْظِ لَعِبَ الْأَكْرَ
"عُكَازٌ" مِنَ الشَّعْرِ تَحْتَلُّهُ
وَأَنْتَ كَصَمَامَةٍ مُنْتَصَى

و"حافظٌ" كالأبلق المشتهر
تمشّى لمصطلحات البديع
مندسة في البيان النخر
أفرعها من قوافيه
قوالب مرصوصة كالزبر
ويذلل من شاردات القريض
ما لو سواه ابتغاه لفر
ولاعم بين أفانينها
وبين أفانين ما يبتكر
يسننزل الشعر عذب الزواء
كصوت الغمامة إذ ينحدر
روض نضر
من الازتيح والطف في رقة يعتصر
من الاندفاع يقبح من جانبيه الشرر
تكشف عن حسنها المستتر
تناغي به مجدها المندثر
فقد جار "شوقي" على نفسه
وقد يقتل المرء جور الفكر
وديوان شوقي يجد الشباب، لتاريخ أمته المختصر
نحن عباد فن، أبا ناظم ونحن أرق الناس طبعاً
تراود بالصمت المريب المناكرا
تستل من أظفارهم، وتحط من أقدارهم
وتتل مجداً كاذباً
إنني حامل في الصدر نايًا
آهات حيارى شرّد

وكان جُرْحُكَ إلهامي مشاركة
وكان يأخذ من جرحي ويعطيني
أنا صورة الألم الذبيح أصوغه كلما
عن القلب الجريح يُترجم
صناعة الأدب الغالي
المواهب سيمت سؤم مغبون
صناعة الشعر تُهدي المُتَرْفِ الطربا
نُسيل في كل نفس كمدبّ النعاس من كل جفن
والقصيدُ عُروقٌ يتفجّرُن بالأحاسيس
القوافي تشقّ الدربَ وعزّا
وتُهدي المضلين نجدا
فملء فم الزمان قصائد
يتبجحون بأنّ موجاً طاغيا
سدّوا عليه منافذاً ومساربا
تجوب مشارقا ومغاربا
أنا حتفهم ألج البيوت عليهم
أغري الوليد بشتّمهم والحاجب
لقد نور الدرب هذا القصيد
تنبأ صاحبه أن نسود
ونحن -رغم أنوف- نسود
يا غريب الدار ناغ الشعر
يمحضك الحوار
أحرف عشت وإياهنّ عسرا ويسارا
ويهفؤ لجرسك سمع الدنى
ترعاك عين الزمان

أَنْتَ مَعَ الصُّبْحِ شَدُو الرُّعَاةِ
وَحُلْمُ الْعَذَارَى إِذَا اللَّيْلُ جَاءَ
يَرُونَ "وَرِيقَاتِهِمْ" بُلْغَةً مِنَ الْعَيْشِ
يَرَعُونَ فِي هَذَرٍ يَابِسٍ مِنَ الْقَوْلِ، رَعَى الْجَمَالَ الْكِلَا
عَارٍ تَقَمَّصَ ثَوْبَ الْأَدِيبِ
وَمِمَّا يُزَكِّي أَدِيبٌ عَرَا
ضَرَبْنَاهُ بِالْفِكْرِ حَتَّى اتَّوَى وَبِالْقَلْبِ حَتَّى هَفَا بِالرَّدَى
ضَرَبْنَاهُ أَنْ لَمْ يَصِبْ مَقْتَلًا، وَ بِسَهْمٍ أَرَأَشَ وَنَصَلَ بِرَى
وَكَانَ الْقَرِيضَ الَّذِي تَقْرَأُونَ، أَقْتُلُ مِنْ ذَا وَهَذَا شَبَا
يَسْتَنْزِلُ الْفِكْرَ مِنْ عَلِيَا مَنَازِلِهِ
رَأْسٌ لِيَشْمَخَ مَنْ ذِي نِعْمَةٍ ذَنْبَا
تَصِيدُ الْجَاهَ وَالْأُلُقَابَ نَاسِيَةً
بَأَنَّ فِي فِكْرَةٍ قُدُسِيَّةٍ لَقَبَا
أَقَامَ بِالضَّجَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا
تَتَاوَلَتْ بِالرَّثِّ مِنْ طَبْعٍ وَمُصْطَلَحٍ بِالنَّقْدِ
يَجْرِي عَلَى طَرْفِ اللِّسَانِ فُؤَادُهُ
نَبْعٌ يُفَجِّرُهُ الْجَمَالُ وَتَرْتَوِي، مِنْهُ الدُّهُورُ مَتَى يَكُونُ نَفَادُهُ
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مَا تَفْتَقُّ نُورُهُ
عَنِ الدَّهْنِ مَشْبُوبًا، عَنِ الْفِكْرِ حَائِرًا
عَنِ النَّفْسِ جَاشَتْ فَاسْتَجَاشَتْ بِفَيْضِهَا
عَنِ الْقَلْبِ مُرْتَجِّ الْعَوَاطِفِ زَاخِرًا
أَهْزُ بِكَ الْجِيلَ الْعُقُوقَ الْمُعَاصِرَ
الَّذِي لَا تَهْزُ نَوَابِغُهُ حَتَّى تَزُورَ الْمَقَابِرَ

جمعت في هذا الفصل معظم الألفاظ والتراكيب الدالة على الخلق، والابداع، والفن، والابتكار، وقدرة الشعر على شقّ طريقا له في المجتمع، ومساهمته الكبيرة في خدمة الأمة، والتأثير فيها، فليس من السهل الاستغناء عنه، والعيش من دونه، ولقد أبرز الشاعر الحاجة الملحة لوجود الشعراء وخاصة وقت الأزمات، والكوارث، والثورات، لأنّ الشعر يلعب دورا كبيرا في الحثّ على التغيير، والنّهضة، وشحذ الهمم، والتّحميس، والتذكير بماضي الأمة العريق وتاريخها وحضاراتها، والتّركيز على مقومات المجتمع العربي، وعلى الأسس التي بني عليها والضوابط التي تحكمه، والتّركيز كذلك على عدم الرّضوخ للأعداء، ورفضهم، والتّمرد عليهم، إلى جانب تعريض المبدعين لحياتهم للمخاطر في سبيل خدمة المثل، والنّضال من أجل العدل، والمساواة، ونصرة الحقّ، وقد يستفيد الشعراء كذلك من الظروف المحيطة بهم ويستغلونها للابداع، والرّقي بفنّهم إلى أعلى الدرجات والتّنافس ومحاولة فرض الذات.

ومن هنا نستطيع أن نميّز بين الفطاحل منهم المتمكّنين المقتدرين الذين يتمتّعون بموهبة عالية، وبذوق رفيع، وبإحساس مرهف يمكنهم من الإلمام باللّغة وتفاصيلها، ومعرفة كيفية الاستفادة من المحيط، واستغلاله للنّهوض بالشّعر دون عناء أو مشقّة تذكر، أما العاديين منهم فلن يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه الدرجة من السّمو، والتمكّن والخلق.

وفيما يلي عرض لهذه الألفاظ، والتراكيب التي وردت في الديوان، وشرح لمعظمها منطلقا من السيّاقات في عملية التأويل، ولقد تعدّر عليّ الأمر ولم أستطع تجزئة هذه

المجموعة إلى مجموعات فرعية، لأنّ ألفاظها، ومعانيها، متلاصقة، متناسقة، ليس من السّهل تقسيمها لأنّها تصبّ في بوتقة واحدة، وتهدف إلى التعريف بالفنّ والابداع، والعمل على إلقاء الأضواء على دوره في المجتمع، ولقد عمد الجواهري إلى توظيف المجاز، والاستعارة، وفي بعض الأحيان الكناية، ليولّد لنا معاني جديدة نتجت من خلال معرفته كيفية التعامل مع اللّغة، وتوظيف ألفاظها في المكان المناسب، والعمل على إضفاء ثقافته الواسعة عليها، وما يمتاز به من خبرة كبيرة في ميدان الشّعر، ممّا يجعله ينتج لنا دلالات لم نتعوّد عليها، ولكنّا نستسيغها، ونقبلها، نتيجة براعة هندستها وحسن التعبير عنها، وعدم إخلالها بقواعد اللّغة المعروفة، وهذا ما أدى إلى إثراء معجمه اللّغوي وتنوّعه.

ولقد استعمل الجواهري دَعَ الحُرُوفَ، تُبْنِ قرارة نَفْسِها، إِنَّ الْأَشْفَ مِنْ الحُرُوفِ الْأَفْخَمُ، صيغتان فعليتان تضمّ الشرط وجوابه متعدية إلى مفعول حروفها قويّة، وتُبن من أبان بمعنى أفصح عما يريد⁽¹⁾، أصواتها بين الرخوة والقوّة، والأشْف من شَف الثوب رقّ وهو كذلك ما لا يحجب وراءه⁽²⁾، والأفْخَمُ بمعنى عظم قدره⁽³⁾، أما باقي الألفاظ فمعناها معروف، عبّر عن حنانه، ولهفته، وشوقه، إلى أرضه وهو في بلاد الغربة، ووظّف الاستعارة في لفظ تُبْن، حيث ورد في غير سياقه، وجعل الحروف مثل الإنسان الذي يريد أن يفصح عن نواياه، ويفرّج عن نفسه، وولّد من خلاله التّعبير بحرّية عمّا يجيش في الخاطر، وفرض الرّأي، واتّخاذ موقفا واضحا:

1- المعجم الوسيط (أبان)/80.

2- المعجم نفسه (شَف)/487.

3- المعجم ذاته (فخم)/676.

دَعِ الحُرُوفَ تُبَيِّنُ قَرَارَةَ نَفْسِهَا * إِنَّ الْأَشْفَّ مِنَ الحُرُوفِ الْأَفْخَمُ (12)

ولقد جسّد الحروف، وقصد من خلالها الشّعْر، وطالب بفتح المجال أمامه، وجعله ناطقا حرا، ومسؤولا، يستطيع أن يبدي رأيه بصراحة، ويعمل بذلك على التخلص من الهواجس، والصراعات، والعواطف، والهموم، دون قيد أو شرط، وللدلالة كذلك على فتح المجال أمام الشّعراء، وعدم تقييدهم، والسّماح لهم بحريّة التعبير فلمهم الحقّ أن يصلوا، ويجولوا مثلما شاءوا، وأرادوا، فهم بحاجة إلى التعبير عمّا يحسّون به، وعمّا يجيش في خواطرهم، والشّاعر هنا يبعث بسلامه الحار معبّرا عن لوعة الفراق، والحنين إلى الأهل والأصدقاء، واستعمل الأمر، ولكنّه لا يقصد الأمر بالمعنى الحقيقي، ولكنّه يرجو أن يتّسع المجال أمامه ليقول ما بنفسه، ويريح صدره وضميره، أمّا إِنَّ الْأَشْفَّ مِنَ الحُرُوفِ الْأَفْخَمُ، فالحروف الرقيقة، الرخوة، الهادئة، الضعيفة تحمل في بعض الأحيان بين طيّاتها معاني كثيرة، هدّافة، قويّة، نافعة، صلبة، موحية، وعادة يكمن الجمال في الأشياء البسيطة، والجواهري يستطيع أن يستنطق أصوات اللّغة الخافتة، الضعيفة، اللّينة، ويستخدمها للتعبير بقوة عمّا يريد ومهما كانت المواضيع والمناسبات، والشّاعر لا يقبل الكلام الفضفاض الذي لا يصلح ولا يهدف، ولكنّه يسمو إلى العلا من خلال الألفاظ التي يختارها لتصبح أوعية للمعاني التي يريد الوصول إليها، وهذه المعاني وألفاظها تأتيه طوعا دون جهد يُذكر، فحتّى الحروف التي يراها البعض لا تصلح أن تحمل دلالات كبيرة، يعرف كيف يصقلها، ويوظّفها، ويتعامل معها، ليصل إلى معاني جديدة عميقة، لها من القوّة ما يؤثّر في النّفس،

ويقع موقعا حسنا في الأذن، وتتوق له كل الحواس، وتبهر به الروح، والعقل على حد سواء، وهنا تظهر مقدرة الشاعر على التعامل مع اللغة وأسرارها، ويتقاطع هذا البيت مع ما قاله أبو الطيب المتنبي في قدرته على الابداع وتفوقه في هذا المجال:

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا * بِأَنْتَنِي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي * وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مِنْ بِهِ صَمَمُ
أَنَامُ مَلءُ جَفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا * وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جِرَاهَا وَيَخْتَصِمُ⁽¹⁾

وقال الشاعر أبو تمام كذلك ينصح بالتروي والتفكير قبل المدح مستعملا لفظ دَعْ:

دَعْ عَنْكَ دَعْ ذَا إِذَا انْتَقَلْتَ * إِلَى الْمَدْحِ وَشُبَّ سَهْلُهُ بِمُقْتَضِبِهِ

إِنِّي لَذُو مَيْسَمٍ يُلَوِّحُ عَلَى * صُعُودِ هَذَا الْكَلَامِ أَوْصَبِيهِ⁽²⁾

وورد وتَفَرَّجَ الْمُتَفَيِّهُونَ فَلَا دَمَّ يَغْلِي، وَلَا قَلَمٌ يَذُودُ وَلَا فَمٌ، والمُتَفَيِّهُونَ صيغة اسمية وردت جمعا من تَفَيَّهَ بمعنى توسَّع في الكلام وتطلَّع⁽³⁾، وَيَغْلِي صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، بمعنى فار وطفح بقوة الحرارة، والرَّجُلُ اشْتَدَّ غَضَبُهُ⁽⁴⁾، وَيَذُودُ بمعنى يدافع، صيغة فعلية كذلك مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، أصواتها بين الرخوة والشدَّة، وقال الله سبحانه وتعالى: "ووجد من دونهم امرأتين تذودان"⁽⁵⁾، وقصد الشاعر بالمتفقيهن أولئك المتشدِّقين الذين يثرثرون دون توقُّف ومنهم أشباه الأدباء والشعراء

¹ - ديوان المتنبي/213.

² - ديوان أبي تمام/147.

³ - المعجم الوسيط (فقه)/704.

⁴ - المعجم نفسه(غلى)/661.

⁵ - سورة القصص/23.

الذين لا يمتنون إلى الشعر بصلة لا من قريب ولا من بعيد، ولا تهزهم الأحداث، ولا تؤثر فيهم، ولهذا السبب استعمل يَغلي، الذي ورد في غير موضعه على سبيل المجاز، ليولد من خلاله معنى عدم الاكتراث بما يدور في المجتمع من أحداث، وهذه دلالة جديدة أدخلها الشاعر لمعجمه اللغوي، واستعمل يذود كذلك مجازاً، حيث جسد القلم وجعله يقوم كالإنسان بدوره في الدفاع عن الأرض، والعرض، والوطن، واعتبره كالسلاح وأسند له معنى المقاومة، والنصدي للأعداء، فقال مستهزئاً بأشباه الأدباء، والشعراء المتطفلين:

وَتَفَرِّجَ الْمُتَفَيِّهُونَ فَلَا دَمَ * يَغلي، وَلَا قَلَمٌ يَذُودُ وَلَا فَمٌ (21)

والشاعر لا يقصد أصحاب العلم، والمعرفة، ذوي العقول الراجحة، والثقافة الواسعة، والخبرة، والتمكّن، ولكنّه يتكلّم على هؤلاء الذين يمتنون مدح أصحاب السلطة بكلام منمّق يشوبه النفاق، والخداع، لا يصل إلى درجة الشعر، ولا يحمل بين طياته لا صدق نيّة، ولا أحاسيس مشتعلة، مقارنة بشعر مهدي الجواهري الذي تؤثر فيه الأحداث، وتهزّه، وتجعله يتّصف بالاندفاع، والتوقّد، والشرارة، والشجاعة، والبطولات، على عكس أعدائه الذين يتفرّجون بكل برودة أعصاب عمّا يجري أمامهم من أحداث دون إبداء رأي، واتخاذ موقف، همّهم الوحيد هو ملأ الجيوب، وكسب الثروات على حساب قضايا الشعوب.

وجاء أَلوي بمن عِندي، وعندي صَفوة هي من بني أبيه وذويه أكرم، وألوي من لوى بمعنى عطفَ وعن الأمر تناقل، والشيء فتلّه، والثوب عَصَره، ولوت الليالي كَفّه على العصا

هرّمته⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المتكلم، أصواتها ضعيفة، وصفوة من الصفو والصفاء ومن الشيء خياره وخالصة⁽²⁾، وباقي معاني الألفاظ معروفة، استعمل المجاز في ألوي إذ ورد في غير موضعه، ولد من خلاله معنى التصدي لأعدائه، ومجابهتهم، والثبوت أمامهم، فقال متحدّيا، متوعّدا، مهدّدا:

ألوي بمن عندي وعندِي صَفْوَةٌ * هي من بني أبيه وذويه أكرم(20)

وللذّالة على المواجهة التي دارت بينه وهو الشّاعر الفدّ، المبدع، المتمكّن، المقتدر، وبين خصومه الذين لا يعرفون معنى الخلق، والفن، وبالرّغم من ذلك وقفوا في وجهه، وسبّوا له العديد من المشاكل، وحاربوه في منبره وفي ساحته، ووقفوا في طريقه، وعملوا على إزاحته من مكانته المرموقة التي كان يتمتّع بها في قصر الحاكم ، إلّا أنّه توعدّهم بضربهم، وهلاكهم، موجّها نحوهم سهام شعره الذي له من الجودة الخالصة، والقوّة النافذة، والصفاء، والنقاء، والقدرة ما يستطيع سحقهم، وتدميرهم، والقضاء عليهم، وخنقهم، والجواهري يثق بقدراته الهائلة في هذا المجال فلا أحد من خصومه يستطيع مجاراته والوقوف أمامه.

واستعمل الشّعْر هَذْهَدَةً لِلسَّمْعِ، صيغة اسمية، والهددة هي الحركة بلطف⁽³⁾، وهددت الأم صبيّها بمعنى حرّكته حركة رقيقة لينام، جسّدها الشّاعر وجعلها مثل صوت المغني الذي ينعش النّفس والسمع، حيث قال من يوغسلافيا مترنّما بنعمة الشّعْر ووقعه على النّفس، وتأثيره في الرّوح، مخاطبا نهر دجلة بالعراق بروح رومانسية عذبة، مستعملا المجاز

1- المعجم الوسيط (لوي)/848.

2- المعجم نفسه (صفو)/518.

3- أساس البلاغة (هدد)/697.

في لفظ هَذَهْدَهْ، للدلالة على قوّة الشعر في إنعاش الرّوح، والسّمو بها، وإطراب الأذن وإراحتها:

يا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: إِنَّ الشَّعْرَ هَذَهْدَهْ * لِلسَّمْعِ بَيْنَ تَرْخِيمٍ وَتَنْوِينٍ (31)

واللدّالة على المستوى الرفيع لشعره وما يحمل بين أسطره من عواطف متأجّجة صادقة، وموسيقى متناسقة، رائعة تؤثّر في النّفس، وتتّعشها وتحرك المشاعر، وتجعل القلب يخفق بسرعة، ويتأثّر كذلك السمع، ويعيش مع هذا الحدث الذي يمتّع الأذن من خلال الموسيقى الجذّابة، المنطلقة من بين طيّاته نظرا لجودة العبارات التي تتمّ عن براعة الشّاعر وخلقها، وابداعه، ورقّيّ فنّه، ولهذا السبب نستسيغه، ومثل هذه الحركات تقوم بها الأم لتستدرج رضيعها للنّوم فهي تلاطفه، وتحركه برأفة، وحنان تجعله يغرق في النّوم، ويشعر بالاطمئنان فيعمل الشّعر كذلك على تحريك السّمع بلطف كبير لأنّ فيه عذوبة وإيقاعات منظمة، ومتناسقة، تريح البال وتجعل السرور ينتشر في الأعماق، ومن هنا أستطيع القول أنّه ليس كل شعر يهدد الأذن فمنه ما يُزعج، ويُقلق ولا تستسيغه الأذن ولا تتقبّله، إلّا أنّ شعر الجواهري يقع في النّفس موقعا حسنا يطرب الرّوح، ويريحها، ولا يخدش السّمع بل يتغلغل إلى الأعماق، ويترك صدا كبيرا، وأثرا عميقا.

وورد يُرَدِّدُ فِي رَفِهِ وَفِي عِلَلٍ لَحْنِ الْحَيَاةِ، وَيُرَدِّدُ صِيغَةً فَعْلِيَّةً مَسْنَدَةً إِلَى ضَمِيرٍ مَفْرَدٍ الغائب المذكور، أصواتها قويّة ومعناها معروف، وألاحظ على هذه العبارة وجود تضاد بين لفظي رفه بمعنى النّعمة، و علل بمعنى العلة والمرض، أمّا لحن الحياة فهي صيغة اسمية

مضافة ومعاني باقي الألفاظ معروفة، الأصوات فيها قوّة لأنّ المقام يتطلّب ذلك، أمّا رَخِيًّا
غَيْرَ مَلْحُونٍ، ورخيا من الرخي بمعنى واسع وناعم ومعناه كذلك في نعمة وخصب⁽¹⁾،
وملحون نقول لحن في كلامه أخطأ الإعراب، وخالف وجه الصواب، صيغة اسمية حروفها
ضعيفة إلى حد ما، قال الجواهري مبيّنا الدور الكبير الذي يلعبه الشّعْر في حياة الناس،
مستعملا المجاز في يُرَدِّدُ، وفي لَحْن الحياة حيث وردا في غير موضعهما، وخرجا من
خلالهما بمعنى جديد، للدلالة على الدور الكبير الذي يلعبه الشّعْر في الحياة، وهو الناطق
الرّسمي وبامتياز لما يدور في المجتمع من أحداث سواء كانت سارة أو حزينة تؤثر فيه،
وتضع بصماتها عليه بقوّة:

عَفُوا يُرَدِّدُ فِي رَفِهِ وَفِي عَلَلٍ * لَحْنُ الْحَيَاةِ رَخِيًّا غَيْرَ مَلْحُونٍ (31)

جسّد الشّعْر، وجعله لحنًا للحياة، وعازفا على وترها فهو روحها، لأنّ الحياة تتغذّى
منه كلّما أصيبت بنكسة أو فرحة، والشّعْر الذي يتكلّم عليه الجواهري يأتي بطريقة عفوية
دون جهد وفي جميع المناسبات السعيدة، والكئيبة، لا يخفت صوته، ولا يضعف مهما تغيّرت
الأحداث، وتوالى، وتعدّدت وفي جميع المواسم، فهو نبض الحياة، ومنتقّسها، ورثتها.

أمّا رَخِيًّا غَيْرَ مَلْحُونٍ فوظّفها الشّاعر مجازا والرخاء يكون في المال والرزق، وشعر
الجواهري منبع للرخاء، وللعطاء، واليمن يستفيد منه غيره من المبدعين، ويستشهدون به،
ويجعلونه مرجعا ينهلون منه إذا دعت الحاجة، أمّا شعر أعدائه فهو كلام ملحون خاطئ

¹ - المعجم الوسيط (رخي) 337.

مبتذل، منمق، ركيك لا يرقى إلى مرتبة الابداع، وليس من الضرورة كتابته، وبالرغم من ذلك عمل هؤلاء أشباه الشعراء الذين عاصروه على الوقوف له بالمرصاد، وأزاحوه من مكانته في القصر، وتقرّبوا من الحاكم، فالجواهري يردّ عليهم، ويكشف عن تمكّنه من اللّغة، وأسرارها التي يتحكّم فيها، ويعرف كيف يفكّ رموزها، ويستعملها بطلاقة، وسلاسة إلى جانب موهبته الفدّة، فهو الملك بلا منازع، وهو القوي في ميدانه، فريد من نوعه لا يضاهيه أحد ولا ينافسه، وهو المترنّع على عرش اللّغة، والابداع.

ويبدو من خلال هذا البيت نقمة الشّاعر على هذه الفئة التي تدّعي القدرة على الابداع وتريد أن تنافسه في تخصّصه فهو العبقرى بلا منازع.

وجاء مَرَجْتُ لَهُ دَمِي بَلْخَمِي، وفي أَخْلَى المَوَاعِينُ، وَمَرَجْتُ صِيغَةً فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب المذكر، والمزج هو الخلط وهو معروف فيه جهد وحركة، أصواتها قويّة معبرة لأنّ المقام يتطلّب ذلك، أمّا في أَخْلَى المَوَاعِينُ، فهي صيغة اسمية مضافة مفردها ماعون من منافع المطبخ، وفي التّنزيل: "الذين هم يراءون ويمنعون الماعون"⁽¹⁾، قال الشّاعر من غربته في تحيكوسلوفاكيا معبراً عن حنينه مرّة أخرى إلى وطنه وإلى دجلة، مستعملاً روحه الرومانسية، وإحساسه المرهف، موظّفاً الكناية، ليؤكد على ميزة شعره، وخصائصها، وانفرادها، وبراعتها، حيث صدق النّيّة، والاخلاص في القول النابع من قلب عانى الأمرين في وطنه، وللدّلالة كذلك على شعره الذي وضع فيه كلّ أحاسيسه، وهواجسه،

¹ - سورة الماعون/6-7.

وأفراحه، ومآسيه، وضمّنه كذلك صراعاته الداخلية، وتوتراته، وانفعالاته، ونبضات قلبه، وتدفق دمه في عروقه، فهو بالنسبة له نبض حياته، وهذه دلالة جديدة أضافها الجواهري إلى معجمه اللغوي زادت تنوعاً وقوة وإثراء:

يا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: كَمْ مَعْنَى مَزَجْتُ لَهُ * دَمِي بِلَحْمِي فِي أَحْلَى الْمَوَاعِينِ (36)

والشاعر لا يقصد المزج بالمعنى المعروف ولكنه يذهب بعيداً معبراً عن مساهمة جسده وأعضائه ودمه وروحه ووجوده وأحاسيسه وأفكاره في إنتاج شعره، وللدلالة على التفاني، والزّقي بخلقه، وابداعه، والعمل على صقله، والتعبير عمّا يحسّ به، ويجيش في خاطره وبين أضلعه، وما يخفق في قلبه، وما يسري في دمه من أوجاع، وآلام اختلطت مع الأحداث، وانصهرت كلّها في شعر هدّاف، وضعه في أحلى المواعين، وهو لا يقصد بها أدوات الطبخ المعروفة، ولكنه يريد أن يقول كناية أنّه وضع هذه الأفكار الخلاقة في أحسن القصائد بناءً، وأبرعها قافية، وأمهرها لفظاً، ومعناً، قلباً وقالبا سواء من ناحية الشّكل، واللّغة، أو الأفكار والدلالات العميقة، والدلالة هنا كذلك على اعتزاز الجواهري بفنّه وشعره مقارنة بالمحيطين به من أمثاله الذين لا يرتقون إلى هذا المستوى من العبقرية، والبراعة، والجودة الفدّة التي يمتاز بها، والدّوق الرفيع وهو شأنه ويعرف به وهو قصر عليه.

وجاء خَوَالِجٌ هُنَّ مِنْ صُنْعِي وَتَكْوِينِي، صيغة اسمية وردت جمعا، وخلج بمعنى تحرّك واضطرب، وتخالجه الهموم بمعنى تنازعه وتجاذبه ومفردها خليج وهو امتداد من الماء

متوغل في اليابس⁽¹⁾، والخواالج بمعنى الهموم⁽²⁾، الأصوات بين القوة والضعف، قال الشاعر معبرا عن همومه وانفعالاته مستعملا المجاز في صُنعي وتكويني للدلالة على قدرته في التحكم في زمام الشعر، والاستفادة من الموهبة الفذة في الخلق، والابداع، والابتكار، للتعبير عن همومه، وأحزانه، وانشغالاته، وهذه معاني جديدة دلت مرة أخرى على عبقرية الجواهري الفذة:

يا دَجَلَةَ الْخَيْرِ رَدَّتْنِي صَنِيعُهَا * خَوَالِجٌ هُنَّ مِنْ صُنْعِي وَتَكْوِينِي(43)

والشاعر هو الذي صنع هذه الخوالج وعبر من خلالها عن تشوقه لوطنه الذي هجر منه، وأجبر على اختيار الغربة، ضف إلى ذلك همومه المتراكمة والتي زادت قوته، وبراعة، صبها في قوالب مرتبة، ومجهزة، أضفى عليها من القدرة، والطاقة، والتمكن، ما يسمح لها باحتواء هواجسه، ومعاناته، وآلامه، والصراعات العنيفة التي تعتريه من حين إلى آخر، وتعصف به، وتجعله يضطرب، ولا يشعر بالاستقرار والهدوء، وكل هذا يظهر في شكل قصائد أفرغ فيها كل عواطفه المتأججة، وتخلص منها لأنها كانت تثقل صدره، وتتهكه وتوتره، وتفرض نفسها عليه، وتتحكم فيه، وتقهره، لأنها عصارة فكره، وانشغالاته، ومعاناته التي لا تنتهي وهو بعيد عن وطنه.

وجاء عادى المعاجم وغد يستهين بها، و يحصي بها "أبجديات" ويعدونى، وعادى من العداوة صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، وقال الله سبحانه

¹ - المعجم الوسيط (خلج)/249.

² - أساس البلاغة (خلج)/171.

وتعالى: "إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله"⁽¹⁾، ويستهيّن بمعنى يحتقر⁽²⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر كذلك، الأصوات بين القوّة والضعف، ووَعَدٌ بمعنى دنيء صغير العقل رذل⁽³⁾، وَيَعْدُونِي صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر معناها معروف، أصواتها بين القوّة والضعف، قال مهدي الجواهري، مستعملا المجاز في عادي حيث ورد في غير موضعه، لأننا لا نستطيع في الحقيقة أن نتخذ موقفا معاديا من العلم، والمعرفة، حيث جسد المعاجم، وجعل الأوغاد الجهلة الظالمين، يحقدون عليها وكأنّها عدوهم اللدود، ووضعوا حاجزا بينها وبينهم وأضمرّوا لها الشرّ مثلما يفعل الخصم بخصمه، وهذه كناية على موقف الأعداء المعادي للعلم والمعرفة، وتفضيلهم الرداءة، وسوء الكلام، وفتح المنابر أمام المتطّقلين على ميدان الابداع وتفضيلهم، وهذه دلالة جديدة دخلت إلى معجمه اللّغوي، فقال يصف موقف أعداء العلم والمعرفة:

عَادَى الْمَعَاجِمَ وَغَدَّ يَسْتَهِينُ بِهَا * يُحْصِي بِهَا "أَبْجَدِيَّاتٍ" وَيَعْدُونِي (43)

وللدلالة على ردّة فعل الجهلة الظالمين الذين وقفوا موقفا، منيعا أمام الابداع، وصادروه، وقمعوه مثلما يقمع العدو الشعب، والمتّقين، وسدّوا طريقه، وأضمرّوا له حقّدا كبيرا، وكشفوا عن نواياهم المبيّنة، وأسقطوا الأقنعة التي يرتدونها، وكشّروا عن أنيابهم، واستهانوا بالأدب وجعلوه في الحضيض الأسفل، وداسوه بالأقدام لأنّ الرذالة وصغر العقل

1- سورة المائدة/91.

2- أساس البلاغة (هون)/708.

3- أساس ذاته (وغد)/673.

من طبعهم، فهم لا يفقهون شيئاً، ولا يفسحون المجال أمام المبدعين لإبداء الرأي وتقديم الأُجود والأحسن بالرغم من إدعائهم العلم والمعرفة، والشاعر شَخَّص المعاجم وجعلها مثل الضحية التي أضمر لها الجاهلون الشر، واحتقروها، وصادروا الذكاء، والفكر، واحتجزوه، وضيّقوا عليه الخناق.

أما فيما يخصّ يُحصي بها "أبجديات" وَيَعْدُونِي فهي كذلك كناية على الرداءة والمستوى المنحط الذي آل إليه العلم، والثقافة، فهذه المعاجم، والكتب تحتوي بين طيّاتها كلاماً منسقاً منمّقا، مزخرفاً، اعتبرها مهدي الجواهري مجموعة من الحروف لا علاقة لها بالفن، والابداع، أنتجتها عقول فارغة لا تمتّ بصلة من قريب أو من بعيد للمعرفة، فهي كلمات فضفاضة معناها فارغ لا ترقى إلى مستوى فنّه وشعره.

ووردت شُلَّتْ يَدَاكَ وَخَاسَتْ رِيشَةُ غَفَلَتْ عَنْ الْبَلَابِلِ فِي رَسْمِ السَّعَادِينَ، وَشُلَّتْ بمعنى أصيبت بالشلل، صيغة فعلية حروفها بين القوّة والضعف، وَخَاسَتْ بمعنى ذَلَّتْ صيغة فعلية كذلك مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث، أصواتها ضعيفة، وقال الله سبحانه وتعالى: "فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"⁽¹⁾، وقال كذلك: "ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيراً"⁽²⁾، وريشَةُ هو قلم مركب من نصاب من الخشب وسن من المعدن⁽³⁾، وغفلت عن الشيء سهت ولم تتيقظ⁽⁴⁾، وَ رَسْمِ السَّعَادِينَ صيغة اسمية

¹- سورة الملك/05.

²- سورة البقرة/65.

³- المعجم الوسيط (ريش) 385.

⁴- المعجم نفسه (غفل) 657.

مضافة، دعا الشاعر على أعداء العلم، والمعرفة، وتمنى لهم الإصابة بالشلل حتى لا يعيثوا فسادا أكثر، فقال مستعملا المجاز في لفظتي غَفَلْتُ، و رَسَمَ، حيث وردا في غير موضعهما، وأعطى معنى عدم مقدرة أشباه الشعراء على الإيفاء بواجبهم في مجال الفن، والابداع، لأنهم يفتقدون إلى الخبرة، والموهبة، والمقدرة على خوض غمار الشعر، وإسعاد الناس مثلما يستطيع الجواهري أن يقوم به:

شَلَّتْ يَدَاكَ وَخَاسَتْ رِيشَةُ غَفَلْتُ * عَنِ الْبَلَابِلِ فِي رَسْمِ السَّعَادِينَ (43)

وجسد الريشة التي يستعملها الكتّاب، والفنانون، وتمنى لها الشلل، والتوقف، عن الحركة، وهو لا يقصد الريشة بالمعنى المعروف ولكنه يتكلم على هؤلاء المتطفلين الذين استحوذوا على ميدان الشعر، وغزوه، واحتكروه، وفرضوا سلطتهم عليه وصادروا الأقلام المقتدرة، البارعة، والنابعة، وأغلقوا المجال أمامها، وأغفلوها، وأنكروا وجودها، وتناسوها، وقللوا من قيمتها، ولم يتركوا لها المجال لكي تشدو وتعبر عن حالها وتسمع صوتها، واعتبره كصوت البلابل لأنه يعذب الروح، وينعشها، ويطرب الأذن بأصواته المتميزة، وعباراته العميقة، ويجلب السعادة، ويغمر العقول، والقلوب، فتعمّ النشوى، والفرحة، والاطمئنان.

ومازال محمد مهدي الجواهري يتحدث عن جودة شعره وتفوقه وعن الظروف التي أنتجته وانبثقت عنه حيث استعمل أَلْفَيْتُهُ فَرَطَ مَا أَلَوَى اللَّوَاةُ بِهِ، وَيَشْكُو الْأَمْرَيْنِ مِنْ عُسْفٍ وَمِنْ هُونٍ، وَيَشْكُو صِيغَةً فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر ومعناه معروف، والهون بمعنى الذل وباقي معاني الألفاظ مألوفة، أما أَلَوَى بمعنى عَطَفَ عن الأمر وتناقل

وهذا ما ذكرته سابقا، صيغة فعلية أصواتها ضعيفة في معظمها، أما أَجَرَهُ الشَّوْكَ أَلْفَاظُ مُرَصَّفَةٌ، وَأَجَرَّهَا الشَّوْكَ سَجْعٌ شَبْهَ مَوْزُونٍ، وَأَجَرَ فلان الرَّمَحَ بمعنى تركه⁽¹⁾ والهاء الأولى تعود على معنى الذي ورد في البيت السابق، والهاء الثانية في أَجَرَّهَا تعود على الألفاظ التي وردت سابقا كذلك، وَأَجَرَهُ، وَأَجَرَّهَا صيغتان فعليتان أصواتها قوية متعدية، وباقي الألفاظ معروفة، أما مُرَصَّفَةٌ من رَصَفَ بمعنى ضمَّ بعضه إلى بعض مثل البناء ففيها زينة⁽²⁾، عبَّرَ الجواهري عن الوضع المزري الذي وصل إليه الفن، والأدب، على يد المتطفلين الذين عملوا على العبث به، مبتعدين كل البعد عن الفن، والابداع، حيث انحطَّ المستوى، وتدهور، ولهذا السبب استعمل الشاعر لفظ يَشْكُو، الذي ورد في غير موضعه، حيث جسَّد الأدب وجعله يتذمَّر من الوضع المزري الذي آل إليه، وجعله ينحطَّ، ويتقهقر، ويتراجع إلى الوراء بسرعة فائقة على يد الحكَّام، والسادة، الذين عملوا على غلق الأبواب أمام المبدعين، وسدَّوا عليهم كلَّ المنافذ، وخنقوا أصواتهم، وضيقوا عليهم، وأهانوهم، واحتقروهم، وفسحوا المجال أمام الرداءة، وهذه دلالة جديدة أضافها الجواهري إلى معجمه اللغوي، ووظَّفَ المجاز مرَّةً أخرى في أَجَرَهُ، وَأَجَرَّهَا الشَّوْكَ، وللدلالة كذلك على شعره الذي ضمَّنه معاناته، وآلامه، وأحزانه، التي تحرَّز في قلبه، وتؤذيه، وتأثَّر فيه، وتذبحه، وتؤلَّمه، مثلما يؤلم الشوك، حيث قال من بعيد معبِّرا عن مقدرة شعره على الخلق، والابداع، والتعبير عمَّا يجيش في صدره، وأعماقه من هواجس، ووساوس، وأتات:

¹ - المعجم الوسيط (أجر)/116.

² - المعجم نفسه (رصف)/349.

أَلْفَيْتُهُ فَرَطَ مَا أَلَوَى اللّوَاةُ بِهِ * يَشْكُو الْأَمْرَيْنِ مِنْ عُسْفٍ وَمِنْ هُونٍ

أَجَرَهُ الشَّوْكُ أَلْفَاظُ مُرَصَّفَةٌ * أَجَرَهَا الشَّوْكُ سَجْعٌ شِبْهَ مَوْزُونٍ (37)

والشاعر لا يقصد الشوك المألوف، ولكنه يذهب بعيدا ليتكلم على ما يحمله شعره من معاني، وألفاظ، تعبّر عما يحزّ في قلبه، ويؤذيه، ويقصد بالشوك الألم، والمعاناة التي تؤذيه، ويترتب عنها خلقا، وذوقا، وابتكارا، فرّج من خلاله على نفسه، وأزاح كابوسا على صدره، وقلبه، وأخرجه في شكل قصائد هندس بناءها، وألف موسيقاها، وحافظ على الوزن، والقافية، دون تصنع وتلکؤ، وتعثر، وبكل سلاسة، وسهولة، وبواسطة ألفاظ قويّة، اختارها طواعية طرّزتها الكثير من ألوان البديع، والبيان، وزادتها رونقا، وجمالا، ووقعا في النفوس، وعمقا في المعاني، وتأثيرا في الرّوح، نتيجة لمقدرته على اختيار الكلمات المناسبة، والنغمات المعبّرة، التي تجعله يخفّف بها عن روحه المتألّمة، المجروحة، النّائرة، المتمرّدة، والشاعر يستثمر هذه الأشواك وهذه السهام التي صوّبها أعداؤه نحوه وينتج من خلالها فنّا رائعا.

أمّا سَجْعٌ شِبْهَ مَوْزُونٍ والسجع معروف وهي موسيقى داخلية موجودة في الكلام المنثور، للدلالة على قدرة الشاعر في التحكّم في ميدان الأدب سواء كان شعرا أو نثرا، فحتى السجع عنده يجعله موزونا، مقفّ، مقنّنا، ممتعا، لأنّه لا يستطيع أن يقول إلّا الشعر لأنّه تعود عليه وأصبح جزءا منه خلّق من أجله، وكرس حياته له، وهو اختصاصه، وصديقه الوفي، الذي لا يفارقه مهما كانت الظروف، وله الحقّ في التّعامل معه بالطريقة التي

تناسبه، حيث يختار الأوزان السليمة التي تزيده حسنا، وجمالا، تطرب السامع، وتشعره بنشوة كبيرة تبعد عنه الهموم وتسبح به في الخيال.

وورد أَحْضُنْهُ حَضْنَ الرَّوَّاضِعِ بَيْنَ الْعِتِّ وَاللَّيْنِ، صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد المتكلم، وحضن بمعنى أخذه بين أحضانه، وحضنت المرأة ولدها، وحَضْنَ الرَّوَّاضِعِ صيغة اسمية مضافة الأصوات قوِّية، والرَّوَّاضِع جمع الراضعة، والعِتِّ بمعنى الشدة عكس اللين، وصف الشاعر الظروف التي يتم من خلالها كتابة شعره وابداعه، فقال مستعملا الاستعارة لأنَّ أَحْضُنْهُ ورد في غير سياقه، للدلالة على رعاية شعره، والعناية به، والتكفل به، والتعب من أجله، والمحافظة عليه، مثلما ترعى الأم صغيرها، وتحميه، وتطوّقه، بين أحضانها، وتغمره بالعطف، والحبّ، والحنان، وهذه دلالة جديدة أضافها لمعجمه اللغوي:

سَهَرْتُ لَيْلَ "أخي ذبيان" أَحْضُنْهُ * حَضْنَ الرَّوَّاضِعِ بَيْنَ الْعِتِّ وَاللَّيْنِ (37)

واعتبر شعره الذي أبدع فيه، وخلقه، وأنتجه، وسهر على صقل عباراته، واختيار ألفاظه، والتعمق في معانيه، مثل المرضعة التي ترعى ولدها، وتحافظ عليه، وتعتني به، والصلة الموجودة بين الشاعر وفنّه هي بدورها صلة مبنية على الحبّ، والعناية، لأنّه هو الذي ابتكره وأبدع فيه، وبذل مجهودا كبيرا ليرقى به إلى مستوى رفيع، ويحيطه بكثير من الاهتمام، ويفرغ فيه أحاسيسه، وهواجسه، وصدق عاطفته، ويكرّس وقته لخدمته في كل المناسبات، والظروف المحيطة به في اللين كما في الشدة، واليسر كما في العسر، حتى يشتدّ عوده ويصبح حقيقة ملموسة، ويرى النور، ويصبح بعد ذلك قائما بذاته متمكنا.

واستعمل أعيدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتًا وَخَضْخَضَةً، والنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ، صيغتان فعليتان حروفها شديدة والنَّحْتُ معروف، أما خَضْخَضَةٌ من خَضَخَضَ الشيء بمعنى حرَّكه وخَضَخَضَ الأرض بمعنى قلبها وحرَّكها حتى يصل إليها الماء وتثبت⁽¹⁾، وخَضَخَضَ الخنجر في بطنه حرَّكه⁽²⁾، والخلق من صفات الله سبحانه وتعالى حيث قال: "هل من شركائكم من يبدووا الخلق ثم يعيده"⁽³⁾، تكلم الجواهري على ابتكاراته، وابداعاته، وخلقته لشعره، فقال مستعملا المجال في ألفاظ خَلَقَهُ، وَنَحْتًا، وَخَضْخَضَةً، وأستعملت في غير مواضعها، ودللت على كيفية تعامله مع شهره، والعمل على الاعتناء بلغته، وألفاظه، ومعانيه، وموسيقاه، وقافيته، والبراعة في إتقان هندسة بنائه، واعتماد أسلوب التمحيص والتروي ليكتمل عمله، وهي كناية على تكريس جهده، ووقته، وقوته لشعره:

أَعِيدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتًا وَخَضْخَضَةً * وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ (37)

فالشعر بالنسبة للجواهري عبارة عن لعبة ثمينة، معقدة، يتسلَّى بها، ويحرَّكها، وينثرها، ويجمعها، ويقلِّبها رأسا على عقب، ويعيد صياغتها من جديد بكل مسؤولية، وحرية، وقدرة على الفن، والتفوق، وإثبات جدارته التي أذهلت بها نجوم السماء، ووقفت أمامها مبدية اعترافا، وإجلالا، وإعجابا بهذه الموهبة الهائلة التي يتمتع بها الشاعر وكأنَّ يد السماء قد امتدَّت إليه، وزكَّته، وباركته، وزادته إرادة وساعدته في عملية التبصّر في تقويم ابداعاته، إذ يعمل على تحريك الكلمات، واللَّعب بها، واختيار المواضع التي تليق بها ولا يقحمها إلا في

1- أساس البلاغة (خضخض)/167.

2- أساس نفسه (خضخض)/166.

3- سورة يونس/34.

المجالات التي تخدمها وتتاسبها، ويضفي عليها شيئاً من روحه الفذة، ويغمرها بعواطفه المتأججة الملهبة التي يحرك بها الدنيا ويزلزلها، ويزيدها نقشا، ونحتا، وإبداعا، حسب حاجته لها، ويضع لها الأسس المتينة التي تليق بها، وتزيد من مقامها، وقيمتها، وكل هذه الخطوات المتبعة لن تضيع سدى فحتى نجوم السماء أعجبت بها، وأبهرتها، وفضلت هذه الحركات المتناسقة، المدروسة بكل حكمة وتروي، وتبصر، ودقة، واحتارت أمامها وأمام ما توحى به من سحر، ورونق، وجمال لا ينافسه أي جمال آخر لأن فيه بصمة سماوية، مباركة، جعلته يرقى إلى القمة بلا منازع.

وورد آضَى رِيَّانَ الصَّبَا غَضِرًا، و مَهْوَى قُلُوبِ الحِسانِ الخُرْدِ العَيْنِ، وآضَى بمعنى صار⁽¹⁾، ويدلّ كذلك على التكرار والمراجعة والعودة⁽²⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر أصواتها قويّة، وريّان الصبا صيغة اسمية مضافة ونقول فرس ريّان الظهر ممثلّ، وهو ريّان من العلم ممثلّ⁽³⁾، وغضرا بمعنى خصبا طيّب العيش، وقلوب الحسان صيغة اسمية مضافة كذلك، معناها معروف مألوف، والخرد بمعنى البكر التي لم تمس⁽⁴⁾، العين جمع عين من عظم سواد عينها في سعتة⁽⁵⁾، وصف الشاعر المراحل التي يمرّ بها شعره ليرى النور، مستعملا الاستعارة في لفظ آضى الذي جاء في غير سياقه شبه من خلاله المراحل الضرورية التي يمرّ بها شعره حتى يرى النور بنفس الخطوات التي يمرّ

1- أساس البلاغة (آضى)/26.

2- المرجع نفسه (آضى)/34.

3- المعجم الوسيط (ريان)/385.

4- أساس البلاغة (خرد)/157.

5- المرجع نفسه (عين)/443.

بها الصبي ليصبح شابا، قويا، بعدما تلقى الرعاية، والعناية، الفائقة بلا منازع، ولقد وضع كل طاقته، وأفكاره، ومعرفته في شعره وهذه دلالة جديدة دخلت إلى معجمه اللغوي فقال:

حَتَّى إِذَا آضَى رِيَّانَ الصَّبَا غَضِرًا * مَهْوَى قُلُوبِ الْحِسَانِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ (37)

فمثلما ترعى الأم طفلها وتحيطه بعناية كبيرة، ولطف، وبمحبة حتى ينمو، ويكبر، ويشتدّ عوده، ويصبح صبيا غضا، صلب القوى، شديد البنية، فكذا يرقى الجواهري بشعره ويسمو به، ويضع فيه كل طاقته، وثقافته، ومعرفته، ويحكم التفنن فيه إلى درجة جعلت العذارى الحسان يتغنين به، ويتذوقنه، ويفضّلنه على غيره، ويولين له اهتماما كبيرا، ويضعنه في مرتبة مرموقة، ويفرّجن به على أنفسهنّ، ويتمتّعن به.

وجاء صُغْتُ شَوَاطِ النَّارِ قَافِيَةً، تَأْتِي عَلَى كُلِّ مَا تَلْقَى وَتَلْتَهُمْ، وَصُغْتُ بمعنى صاغ الكلام هيأه ورتبه⁽¹⁾، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المتكلم متعدية أصواتها قوية، أما شَوَاطِ النَّارِ بمعنى اللهب لا دخان له⁽²⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: "يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران"⁽³⁾، بين الشاعر قدرة فنه على المساهمة في القضاء على عدوه فقال موظفا المجاز في صُغْتُ إذ ورد في غير مكانه للدلالة على شعره الذي نتج عن طريق المعاناة، والشعلة المتوقّدة في قلبه، وفؤاده نظرا للآلام التي يشعر بها، والتوتر الكبير الذي يعاني منه نتيجة لتردّي الأوضاع في وطنه، وفي الوطن العربي، وهذا معنى جديد دخل في معجمه اللغوي:

¹ - المعجم الوسيط (صاغ)/529.

² - المعجم نفسه (شاذ)/500.

³ - سورة الرحمن/35.

لَوْ شِئْتُ صُغْتُ شَوَاطِ النَّارِ قَافِيَةً * تَأْتِي عَلَى كُلِّ مَا تَلْقَى وَتَلْتَهُمْ (63)

والجواهري متأكد ومقتنع من الدور الإيجابي الذي يلعبه شعره، وفنّه، في تأثيره على الشعوب، واعتبره سلاحاً فتاكاً يستعمله المثقفون للدّفاع عن الوطن، وإشعال فتيل الثّورات، والنّضال بالأقلام لا ترقى إليه إلّا تلك النّخبة الموهوبة، المقتدرة، الملتزمة بقضايا الوطن والأمة، لأنّ الكلمات في بعض الأحيان مثل الخناجر وأشدّ ومثل النّار تأتي على كل شيء أمامها ولا ترحم.

والشّاعر لا يقصد هنا النّار المشتعلة، الملموسة، والمعروفة، ولكنّه يتكلّم على ما يعاني من أوجاع، وصراعات، وانفعالات، تحرق قلبه، ودمه، وتجعله يعيش في دوامة كبيرة تلهمه ويترجمها في شكل قصائد رائعة، ملتزمة، تعكس ما يجول في خاطره من نقمة على الأعداء، وغضب كبير أنتجت الظروف، وجعلته ساخطاً، متذمّراً، يريد أن يعبر عمّا يجري، ويقتلع الشرّ من أمامه، ويزلزل الدّنيا، فيأتي على الأخضر واليابس مثل النّار التي تلتهم كلّ ما تجده في طريقها دون استثناء، حيث قال الله سبحانه وتعالى: "يَوْمَ يَقُولُ لَجَنَّتُمْ هَلْ اَمْتَلَأْتُمْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ"⁽¹⁾، فسواء كان هذا اللّهب حقيقة في الواقع الملموس، أو معاناة وأحاسيس فبالنسبة للشّاعر الأمر واحد والنتيجة هي الرّقي بفنّه، والخلق، والابداع جرّاء هذه المعاناة.

¹ - سورة ق/30.

وقال الشاعر أبو تمام في نفس المجال يهجو عُتْبَةَ بن أبي عاصم شاعر أهل حمص

ويتوعدّ به:

وَقَـصَائِدًا تَسْرِي إِلَيْكَ كَأَنَّهَا * أَحْلَامَ رُغْبٍ أَوْ خُطُوبَ طَرُقٍ

مِنْ مُنْهَضَاتِكَ مُقْعِدَاتِكَ خَائِفًا * مُسْتَوْهَلًا حَتَّى كَأَنَّكَ تُطْلِقُ⁽¹⁾

واستعمل تَطْغِي عِنْدِي الْكَلِمُ، وفَأَدْرِيهَا فَيُثْنِي سَيْلُهَا الْعَرَمُ، صيغتان فعليتان، وتطغى

من طغى بمعنى جاوز الحدّ، وقال الله سبحانه وتعالى: "فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا"⁽²⁾، أصواتها شديدة، وأدْرِيهَا صيغة مضارع متعدية من درّ بمعنى كثر ودرّت الدنيا

على أهلها كثر خيرها، والسَّمَاءَ بالمطر صَبَّته، والضرع امتلأ لبنا وسال⁽³⁾، الحروف بين

القوّة والضعف، وفي التَّنْزِيل العزيز: "يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا"⁽⁴⁾، وَيُثْنِي فعل مضارع

مسند إلى ضمير الغائب المذكر، من ثنى صار له ثانياً وتبعه⁽⁵⁾، وقال الله جلّ شأنه: "وَمَنْ

النَّاسِ مَنْ يَجَادِلْ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِي عَظْفَهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ

اللَّهِ"⁽⁶⁾، وقال الحقّ كذلك: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ"⁽⁷⁾، وجّه مهدي الجواهري خطابه إلى

الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مادحا إياه ومبرزاً شجاعته وثباته وصموده أمام الأعداء

معتزاً بالسير على خطواته، وإتباع آثاره ومنهجه في الحياة، ومعتبره منبعاً لإبداعاته،

¹ - ديوان أبو تمام/357.

² - سورة النازعات/37-38.

³ - المعجم الوسيط (درّ، وأدرّ)/279.

⁴ - سورة نوح/11.

⁵ - المعجم الوسيط (ثنى)/101.

⁶ - سورة الحج/3-4.

⁷ - سورة سبأ/16.

والهامه، وموظفا الاستعارة في لفظي تَطْغَى، وفيثني، حيث شبه الإلهام الذي يأتيه فجأة ويفرض نفسه عليه دون استشارته، ولا يترك له المجال للاختيار، والتصرف بحرية، ويجعله لا يُستَيطر على نفسه بالسيل العرم الذي يمرّ في لحظة قصيرة يدمّر، ويجرف ما في طريقه ويسوي الأرض، ويزيح الأشجار والأحجار، فكَذلك يفعل شعره حيث يهزّ عواطفه، وأحاسيسه بقوة شديدة، ويحرك كيانه، ويزلّزله، ويقبله رأسا على عقب ويصبح هو الأمر الناهي لا يستطيع الجواهري صدّه وإبعاده، وهنا كناية للدلالة على شدة الإلهام الذي يأتيه فجأة، ويفرض نفسه عليه، ولا يستطيع مجاراته، والتحكّم فيه، وهو مثل السيل الجارف، وهذه دلالة جديدة عملت على إثراء لغة المعجم وتنوعها فقال:

فَسِرْتُ نَهْجَكَ تَطْغِي عِنْدِي الْكَلِمُ * فَأَدْرِيهَا فَيُثْنِي سَيْلُهَا الْعَرَمُ (64)

والدلالة كذلك على تلك الأفكار التي تتصارع في مخيلته أملتها الظروف الزاهنة التي يعايشها، نتج عنها تدفق عواطفه التي يضيق بها صدره، ويكاد ينفجر فتتحول إلى براكين هائجة تهزّ كيانه، يترجمها في شكل قصائد شعرية قوية، تدمّر بعنفوان كلّ من يقف في طريقها ولا يستطيع أحد صدّها لأنّ قوتها خارقة للعادة تنبعث من أعماق شاعر أثرت فيه الأحداث، وأهمته، وحولته إلى قنبلة موقوتة وإلى إعصار خطير، فكّلما عزف على أوتار قلبه اشتدّت نبضاته، وتسارعت خفقاته، وازدادت قوّته، وتوقّدت عزمته، وجعلته ينتج صواعق من حديد لا يقوى عليها أحد، تعمل على هزّ المجتمع وتغيّره جذريا، وهنا تكمن قيمة الشّعر وخطورتها في المجتمع.

وقال أبو فراس في السياق ذاته معبراً عن تدفق أشعاره بغزارة مثل مياه ينبوع العذبة فقال:

وَوَارِدٍ مُورِدٍ أُنْسًا، يُؤَكِّدُهُ * صُدُورُهُ عَنْ سَلِيمِ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ

شُدَّتْ سَحَائِبُهُ مِنْهُ عَلَى نَزَرِهِ * تَقَسَّمَ الْحُسْنُ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

عُدُوبَةٌ نَتَجَتْ عَنْ مَنْطِقٍ جَدَدٍ * كَالْمَاءِ يَخْرُجُ يَنْبُوعًا مِنَ الْحَجَرِ⁽¹⁾

وجاء نَهْنَهْتُهَا عَنْ دَمٍ، وَ تَسْقَاهُ فَاكْتَظَمْتُ، وَنَهْنَهَ بمعنى كَفَّ وفيها نهي⁽²⁾، صيغة

فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب متعدية، أصواتها قوِّية، أَمَّا فَاكْتَظَمْتُ فهي صيغة

فعلية كذلك مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث، وكظم الغيظ بمعنى حبسه وهو

معروف، أصواتها قوِّية، وقال الله سبحانه وتعالى: "الَّذِينَ يَنْفَقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالكَافِئِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ"⁽³⁾، وباقي الألفاظ معروفة، وصف الشاعر الظروف

الصعبة التي يأتيه فيها الإلهام بغزارة، متأثراً بما يدور حوله من أحداث تغذّيه وتقوّيه،

واستعمل المجاز في تَسْقَاهُ وَفَاكْتَظَمْتُ إذ وردا في غير مكانهما، للدلالة على كلمات الشاعر

التي تنهل من دماء الشهداء الرقراقة، الطاهرة، الزكية، فهي التي تبتّ فيها الرّوح وتتغشها

وتتقوّت منها، وتتغذّى عليها، وهي التي تُلهبها وتجعلها قوِّية، فتأكّة، لا تعرف حدودا ولا

حواجزا، والشاعر يريد أن تتوقّف هذه الدماء الزكية المتدفقة، وتستمر الحياة وينهض الوطن

¹- ديوان أبو فراس الحمداني/100.

²- أساس البلاغة (نهج) /661.

³- سورة آل عمران/134.

وتتغير الأوضاع، ولكن الظروف قاهرة، والمعاناة كبيرة، والظلم حقيقة، ولهذا السبب رُدَّ طلبه ولم يستجب له وهذا معنى جديد ولده الجواهري، فقال موظفاً المجاز:

نَهْنَهْتُهَا عَنْ دَمٍ تَسْقَاهُ فَانْتَضَمَتْ * كَالطِفْلِ عَنْ صَدْرِ أُمِّ حِينَ يَفْتَنِمُ (64)

وللدلالة على الوحي والإلهام الذي ينهمر على الشاعر، ويغذيه نتيجة الجبروت والقهر الذي جثم على الصدور، وجعل الشهداء يتهافنون على ساحة الشرف للدفاع عن الوطن، ولهذا السبب سيستمر تدفق الشعر، والابداع، لأن هذه الدماء هي غذاء للروح، واستمرار للفن، فمن الصعب أن ينقطع الجواهري عن الإفصاح عما يدور في خواطره لأن الأحداث تؤثر فيه ومن المستحيل أن يتوقف عن العطاء، لأنه بحاجة إلى قول الحقيقة والتخفيف من آلامه، ومعاناته التي شبهها بمعاناة الطفل الرضيع حين يحين وقت فطمه عن ثدي أمه لينتقل إلى مرحلة أخرى، فهذه المرحلة قاسية جداً ومن الصعب الانقطاع، والتخلص من هذه العادة، فمثلما يرضع الطفل حليب أمه يرضع الشاعر الآلام، والمعاناة، والدماء، ويتغذى منها ويستقوي بها، وتساعده في الابداع أكثر وفي الخلق، ولا يستطيع أن يتحكم في نفسه التي تطالب بالمزيد من إراقة الدماء ليتحقق الحلم، ومطالبته إيّاها بأن تكف وأن تكتظم مستحيل، نظراً للظروف المحيطة به.

وقال أحمد شوقي في نفس السياق في قصيدة بعنوان "الحرية الحمراء" حاثاً على

الموت في سبيلها:

لَوْلا عَوَادِي النَّفْيِ أَوْ عَقْبَاتُهُ * وَالنَّفْيُ حَالٌ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ

لجمعت ألوان الحوادثِ صورة * مثَّلَتْ فيها صورة المستسلم

وحكى فيها النّيلَ كَاطِمَ غَيْظِهِ * وحكىته مُتَغَيِّظًا لَمْ يَكْظِم⁽¹⁾

وورد طَوَى المَوْتُ، و رَبَّ القَوَافِي الغُرُّ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، أصواتها قويّة، ألفاظها معروفة، أمّا رَبَّ القَوَافِي الغُرُّ، و رَبَّ حرف خفض لا يُجَر إلا النكرة وهي في حكم الزائد وتكون للتقليل أو التّكثير⁽²⁾، والقوافي الغُرر صيغة اسمية مضافة، جمع غُرّ وهو من كلّ شيء أوّله وأكرمه وأحسنه⁽³⁾، أبرز محمد مهدي الجواهري قيمة أمير الشعراء الراحل أحمد شوقي، مستعملا الكناية في العبارتين للدلالة على قدرة الشاعر الكبيرة على ابداع أمّهات القوافي، والقصائد، شكلا، ومضمونا، وبوفاته انقطع هذا اللون من الابداع والخلق، فقال:

طَوَى المَوْتُ رَبَّ القَوَافِي الغُرُّ * وَأَصْبَحَ "شَوْقِي" رَهِينَ الحُفْرِ (90)

والشاعر هنا بصدد رثاء أمير الشعراء الذي سكن التراب، وغيبه الموت وبوفاته انتهى عهد أجود الشعر قافية، ومعنا، ووقعا في النفس، وأسند إليه القوافي الغرر وهي حكر عليه وليس لنا الحق أن نسمي بها غيره لأنّه هو الذي يمتلك مفاتيحها، وبوفاته انقطع الابداع الحقيقي فهو الأقوى في التحكّم في الوزن، والقافية، والمعنى، والموسيقى، لأنّه على دراية

1- ديوان احمد شوقي/188.

2- المعجم الوسيط (رب) 321.

3- المرجع نفسه (غرر) 649.

كبيرة بأسرار الشعر وخباياه، والجواهري قد افتقد صديقه ومات الفنّ معه، واندثر ووُريّ التراب، وانتهى عهد الشعر الحقيقي، وزال إلى الأبد زوال أمير الشعراء أحمد شوقي.

وجاء فاتّ بالسبقِ كُلّ الجياد في الشعر، وهذا الجوادُ الأغر، صيغتان فعلية واسمية الأولى مسندة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر متعدية فيها تقديم وتأخير، ومعاني الألفاظ معروفة، والجياد جمع جواد وهو النّجيب من الخيل، وقال الله سبحانه وتعالى: "إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد"⁽¹⁾، وظّف الجواهري الاستعارة وشبّه أحمد شوقي الذي يتقن الشعر ويبدع فيه ويستطيع مجازاة غيره من الشعراء المقتدرين، والتفوّق عليهم بالفارس السريع، المتسابق المتفوّق على غيره، وهذا معنى جديد ولّده الجواهري عبّر من خلاله على قدرته على الخلق، والابداع، والابتكار، فقال:

لَقَدْ فَاتَ بِالسَّبْقِ كُلِّ الْجِيَادِ * فِي الشَّعْرِ هَذَا الْجَوَادُ الْأَغْرَ (94)

وكأنّ هناك مباراة وسباق جمع بين الشّاعر أحمد شوقي ومجموعة أخرى من الفرسان، إلّا أنّ أمير الشعراء كان هو الفائز، وهو الأحسن، والأسرع، ولا يستطيع أحد ولا يجرؤ على مجازاته، فلقد تربّع على عرش الشعر، ووقف له الجميع إجلالا، وعرفانا، وانتّق الكُلّ على تسميته بأمرير الشعراء لأنّه هو الأقدر بلا منازع، ولأنّه كفؤ، عبّري، فدّ، مغامر، متمكّن، مثل الجواد النّجيب الفريد من نوعه في ساحة السباق، المتأكّد من إمكاناته وثقته بنفسه قبل الاقبال على التحدّي والمغامرة، فلشوقي الكلمة الأخيرة، والنّقطة الفاصلة، لأنّه

¹ - سورة ص 31/

المنتصر فهو السيّد والملك، ولقد كسب الرّهان وفاز عن استحقاق، وبما أنّ الجواهري من فطاحلة الشعراء يستطيع أن يميّز، ويصنّف معاصريه من المبدعين والفنانين، ولقد اعتبر شوقي فارساً مقداماً لا يرقى إليه أحد.

ووردت كَأَنَّ عُيُونَ الْقَوَافِي الْحَسَنُ، وَ مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لَهُ تُدَخَّرُ، وعُيُونَ القوافي صيغة اسمية مضافة، أصواتها قوّة، استعمالها في غير محلّه، وهي كناية على القصائد المشهورة، وعُيُونَ من عَيْنٍ وردت جمعا وهي عضو الإبصار عند الإنسان وغيره، وتدلّ مجازاً على كبير القوم وشريفهم وطلّيعه الجيش ورئيسه⁽¹⁾، وقال الله عزّ وجلّ: "وفيها عِينان تجريان"⁽²⁾، وتُدَخَّرُ صيغة مجهول من ادّخر بمعنى احتفظ بجزء من المال للمستقبل، أصواته قوّة وعادة ما يستعمل هذا اللفظ في مجال الاقتصاد، أما عُيُونَ مِنَ الشّعْرِ فيها حُورٌ، وحور شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها⁽³⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: "ولهم لحم طير مما يشتهون وحور عِين"⁽⁴⁾، واستعمل الاستعارة في عُيُونَ الْقَوَافِي، وعُيُونَ مِنَ الشّعْرِ فيها حورٌ، إذ وردت هذه الألفاظ في غير موضعها، عبّر من خلالها على جمال قافية شعر شوقي، وحسنها، ورونقها، وانفرادها، وبراعتها، وكأنّ يد الطبيعة تفتّنت في خلقها، وأبدعت في جمالها، فهو إلهي، ربّاني، سماوي، مذهل، فاق كلّ التوقعات، لا ترقى إليه ريشة المبدعين وبضاهي جمال عيون المرأة الحسنة، التي تبهر الأنظار، وتذهل، وهذه دلالة جديدة دخلت إلى معجمه اللّغوي فقال مادحا شوقي:

¹ - المعجم الوسيط (عين)/641.

² - سورة الرحمن/50.

³ - المعجم الوسيط (حور)/205.

⁴ - سورة الواقعة/22.

كَأَنَّ عُيُونَ الْقَوَافِي الْحِسَانِ * مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لَهُ تُدَخَّرُ

وَإِنْ أَصْدُقَنَّ "فَشَوْقِي" لَهُ * عُيُونَ مِنْ الشَّعْرِ فِيهَا حُور (95)

للدلالة على إتقان شوقي للشعر، وتحكمه في أدق التفاصيل، وتطويعه للقافية وكأنها خلقت من أجله ولأجل فنه، فقافيته كأن فيها حور، ومهدي الجواهري لا يقصد العيون التي تبصر بالمعنى المتعارف عليه، ولكنه قصد بها تمكّن شوقي في التحكم في أجود القوافي وأروعها، وأجملها، وجسد القوافي وجعل لها عيون مثل عيون المرأة الجميلة الحسنة التي تجعل القلوب القاسية، والمستعصية، تلين، وتسلس، وتضعف، كما تلين القوافي أمام شوقي وتفسح له المجال ليوظفها حسب إرادته، فتأتيه طواعية، خاضعة، مستسلمة، لا تبدي رفضاً، لأنه وحده يعرف أسرارها، ومفاتيحها، وخباياها، وأرقامها المشفرة، ولا أحد ينافسها في هذا الأمر، ولهذا كانت قصائده في الطليعة وفي المقدمة وهي الرائدة.

واستعمل المجاز في مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لَهُ تُدَخَّرُ لأنّ لفظ تدخر ورد في غير موضعه للدلالة على بعض القوافي، والأوزان الصعبة، والبكر، التي اعتبرها الشاعر حكراً على شوقي ومن خصوصيته، ولم يستطع أحد من قبله استغلالها، والوصول إلى الكشف عن مكان تواجدها، والاطلاع على أسرارها، ماعدا أمير الشعراء أحمد شوقي، فلقد ادّخرت نفسها إليه واحتفظت بها، لأنه هو وحده يستحقها، ويعرف قيمتها، وكيف يتعامل معها ولن ترسخ لسواه، لأنها عصية لا تتعامل إلاّ معه، والجواهري استعمل تدخر للدلالة على مقدرة أحمد شوقي من اكتساح ميدان الشعر دون عوائق تذكر، والتطرق إلى جميع المجالات التي كانت

مستعصية على غيره، فلقد أثبت ذاته وساعدته في هذه المغامرة إرادته القوية، وموهبته الفذة ونظرته الثاقبة، وتبصره في الأمور، وقدرته على الوصول إلى المستحيل، والمخفي عن العيون العادية.

وورد تَعَرَّضُهُ، وَمِنْ طَلَاءِ الْبَيَانِ، وَ مِنْ زُبُرِ اللَّفْظِ، وَدَرْبِ خَطِرٍ، وَتَعَرَّضُهُ صِيغَةً فعلية متعدية، أصواتها قوية، وتعرض بمعنى تصدى، وكذلك تعرض في سيره أخذ يميناً وشمالاً لصعوبة الطريق⁽¹⁾، ومن طلاء البيان صيغة اسمية مضافة مسبقة بحرف جر، والطلاء من فعل طلى بمعنى دهنه بما يستره⁽²⁾، وردت في غير محلها، أما مِنْ زُبُرِ اللَّفْظِ فهي صيغة مضافة كذلك، أصواتها قوية، والزُّبُرُ هي حلية للزينة من جواهر أو نحو ذلك⁽³⁾، وَ دَرْبِ خَطِرٍ صيغة اسمية حروفها ضعيفة، عبّر الجواهري عن إعجابه بشعر أحمد شوقي مرة أخرى، فقال مستعملاً المجاز في تَعَرَّضُهُ، وفي باقي الألفاظ للدلالة على مقدرة شوقي على التعامل مع ألوان البديع، والبيان، حسب الحاجة ودون مبالغة وعند الضرورة القصوى، وهذا معنى جديد أضافه إلى معجمه اللغوي إذ فصح المجال أمام لغته لتنشط وتتطور وتنتعش:

تَعَرَّضُهُ مِنْ طَلَاءِ الْبَيَانِ * وَمِنْ زُبُرِ اللَّفْظِ دَرْبِ خَطِرٍ (95)

للدلالة على شعر شوقي الذي اعتبره لوحة فنية، جميلة، رسمتها أنامل فنان متمكن، خبير، متمرس، يتمتع بذوق رفيع، يعرف كيف يتعامل مع الألوان، ويمزجها، ويتقنها، ويتحكم

1- المعجم الوسيط (عرض) 594/.

2- المعجم نفسه (طلى) 564/.

3- المعجم ذاته (زبرج) 564/.

فيها، ويحسن التصرّف، ويختار الأماكن التي يلونها لتصبح تحفة فنيّة، راقية، ألوانها متناسقة، تزيدها رونقا، وجمالا، ويعمل على الابتعاد عن حشو قصائده بالعديد من الاستعارات، والكنائيات، وألوان البديع، التي تؤدّي عادة إلى عمق المعنى، وتضفي على الشّعْر قوّة، وجزالة، والإكثار منها يفسد قيمتها ويخرجها عن دورها الحقيقي، إلّا أنّ أحمد شوقي يتعامل مع هذه الظاهرة بكلّ ذكاء، وتبصّر، وقدرة، وفطنة، ولا يخضع لألوان البيان ولكنه هو الذي يخضعها لأغراضه، ويحسن السيطرة عليها، والتصرّف فيها ليصل من خلالها إلى معاني قويّة، تُولّد دلالات أخرى جديدة، وهنا تكمن قدرته على عكس الشعراء الآخرين الذين يزخرفون قصائدهم بألوان البديع، ويتهافتون عليها، ويضعونها في مواضع لا تليق بها، ويقحمونها أينما شاءوا، محاولين إضفاء الحسن، والجمال على قصائدهم إلّا أنّ الأغلبية منهم لا يستطيعون ممارسة هذا الفنّ، فتتحوّل هذه الظاهرة إلى نقمة تجعل الشّعْر يصبح خاويا من عمق المعنى، ومن الإيقاع الهدّاف، ومن الموسيقى الحقيقيّة، والجواهري جسد البيان وجعله مثل مادة الطلاء للزينة لأنّ البيان هدفه الجودة، والجمال لمن يستطيع استخدامه حسب المقام والحاجة بكلّ عفويّة، وتلقائيّة، والمحافظة من خلاله على اللفظ والمعنى، واعتبر مهدي الجواهري هذه القدرة من التحكّم في هذا الفنّ دون عناء أو مشقّة بالدرب الخطير، وبالطريق الصعب الملتوي، فمن سار فيه لا يستطيع النجاة نظرا لخطورته وصعوبة مسالكه، فكَذلك من لا يحسن التصرّف في ألوان البديع، والبيان، سيفشل وينزلق

ويسقط، وقد مضى شوقي قدما في هذا الميدان وسلك طريقه بسهولة، وبتروى وبحكمة كبيرة، على عكس شعراء آخرون زلّوا وعثروا.

ولقد وظّف المتنبي لفظ تَعَرَّضَ فقال في مدح سيف الدولة:

تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ * يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيَصْمُمُ⁽¹⁾

واستعمل مهدي الجواهري لَوْ خَافَ مِثْلَ سِوَاهِ الْعُبُورِ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والعبور من عَبَرَ بمعنى قطع الطريق، وقال الله سبحانه وتعالى: "إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّوْيَا تَعْبُرُونَ"⁽²⁾، أَمَّا لَخَابَ وَزَلَّ وَلَكِنْ عَبَرَ، وَزَلَّ بمعنى زلق صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر حروفها قوّة معبذرة، وقال الحقّ تبارك وتعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ"⁽³⁾، وباقي معاني الألفاظ معروفة، ومدح مهدي الجواهري مرّة أخرى أحمد شوقي على قدرته في اكتساح ميدان الفنّ والأدب، واستعمل المجاز في ألفاظ العبور، وزَلَّ، وَعَبَرَ، للدلالة على نجاحه في تخطّي صعوبات الشّعْر والغوص بكل ثقة في تفاصيله، والترنّع على عرشه بكل جدارة واستحقاق، وهذه معاني جديدة ولّدها الجواهري فقال:

لَوْ خَافَ مِثْلَ سِوَاهِ الْعُبُورِ * لَخَابَ وَزَلَّ وَلَكِنْ عَبَرَ (95)

¹- ديوان المتنبي/194.

²- سورة يوسف/43.

³- سورة البقرة/36.

اعتبر النَّجَاح في ميدان الشَّعر وتَفَوُّق شوقي فيه، وتَبَوُّؤُه مكانة مرموقة، وتحكُّمه في زمام الأمور، وكفائته، وبراعته، ومقدرته على التجوُّل بخياله الواسع في مجالات الشَّعر على حسب فنونها، وأغراضها، والسَّير فيها دون عثرة بمثابة العبور في طريق ملتوية خطيرة فيها متاهات، وحواجز، ومفاجآت من الصعب أن نعرف نهايتها، السير فيها مغامرة وتحديّ يتطلب شجاعة كبيرة وصبرا، فلا بد من المهارة، والثَّروي، والتَّدقيق، والذكاء، والخبرة، والموهبة، والتمرُّس، والاقدام، والعزم، والشَّجاعة.

ولقد فشل العديد من الشَّعراء في الوصول إلى هذه القمّة، والحصول على مثل هذه المكانة المحترمة، وأصيبوا بخيبة أمل كبيرة، وتعثَّروا ووقعوا، وزلّت أقدامهم وسقطوا وتألَّموا، وأصيبوا بإحباط كبير، ولكن أحمد شوقي شقَّ طريقه بسلامة، وسار بخطوات ثابتة تتّم عن قدرة، وخبرة فريدة من نوعها، فهو المغامر الناجح، وهو الفارس الفذّ، والمتسابق القويّ، والعبقري المتمكّن، لا يضاهيه أحد ولا يجاريه أديب.

وجاء جَنَاحُ الْبَيَانِ مَهِيضٌ، صيغة اسمية مضافة، والبيان هو الاستعارة، والتشبيه، والكناية، والفصاحة، والمنطق، والحبّة⁽¹⁾، ومَهِيضٌ صيغة اسمية وردت صفة من هاض بمعنى كسر وأضعف، ومعاودة المرض⁽²⁾، والأصوات بين الشدّة والضعف وصف من خلالها الجواهري المرحلة التي ظهر فيها أحمد شوقي فقال موظفا المجاز في لفظي جَنَاح

¹ - المعجم الوسيط (بين)/80.

² - المعجم ذاته (هاض)/1003.

ومَهِيض حيث وردا في غير موضعهما، وهي كناية على التَّكْسَةِ الكبرى، والتَّهْقُر الذي أصاب الشَّعر نتيجة للظُّروف الصَّعبة التي مرَّت بها الأُمَّة العربية، وتأثَّر بها الشعراء:

فيا نجلُ "مصرَ" وفَتَ بَرَّةً * بذكراك "مصرَ" وأنت الأبر

ظهرت بها وجَنَاحُ البَيَّانِ * مَهِيضٌ، و أسلوبُهُ محتقر (99)

والشَّاعر جسَّد البَيان وجعل له جناحا مثل جناح الطيور، ووصف المرحلة التي ظهر فيها أمير الشَّعراء أحمد شوقي بالرداءة، والضعف، والخمول، والبتَر، واعتبرها مثل العصفور مكسور الجناح الذي لا يستطيع أن يحلِّق عاليا لما في جسده من عِلَّة، وللدَّلالة كذلك على المستوى المتدهور الذي أصبح معروفا في الوطن العربي نتيجة لما استشرى فيه من جهل، وتفشِّي الفوضى، وانتشار الرِّداءة، لأنَّ الحكَّام عملوا على محاربة الفنِّ، والابداع، ووقفوا في طريقه، وضيَّقوا عليه الخناق، ولم يفتحوا المجال للابداع، والابتكار أمامه، ولأنَّ الشَّعر الهدَّاف في أغلب الأحيان يقلق السَّاسة، ويخدم مصلحة الشُّعوب، ويوعِّيهم، ويثَقِّفهم، ولهذا السبب عمل هؤلاء السَّادة على كسر شوكة الشَّعراء، وبتَر أجنحتهم، ليصبحوا مشلولين، لا يستطيعون التَّحليق عاليا عبر خيالهم للتَّعبير عمَّا يجيش في أعماقهم، وهذا ما تعرَّض له أحمد شوقي وأمثاله لأنَّهم لا يمتدحون الحاشية والملوك، ولا يتقرَّبون منهم إلَّا عندما يطلبونهم، على عكس الآخرين الذين يستعملون كلاما فضفاضا يرفعون من خلاله مقام الحكَّام، ولهذا السبب هيمنوا على مجال الشَّعر مثلما سبق وأن ذكرت.

أَمَّا وَجَنَاحُ الْبَيَانِ مَهِيضٌ دَلِيلٌ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى الْإِحْتِقَارِ وَالْإِزْدِرَاءِ الَّذِي عَرَفَهُ الْعَبَاقِرَةُ
مِنَ الشُّعْرَاءِ عَلَى أَيْدِي الْحُكَّامِ الْجَهْلَةِ، وَالْجَوَاهِرِيِّ يَتَكَلَّمُ عَنْ حَالِهِ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ تَعَرَّضَ إِلَى
مِثْلِ هَذَا الْمُسْتَوَى مِنَ الْحَقْدِ وَالشَّرِّ، وَنَالَ جَزَاءَهُ عَلَى يَدِ حُكَّامِ الْعِرَاقِ وَأَبْعَدُوهُ بَعْدَمَا كَانَ
مَقْرَبًا، وَاضْطَرُّوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى نَفْيِهِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُ نَهَائِيًا حَتَّى لَا يَعَاوِدَ الْكَرَّةَ وَيَهْجُوهُمْ وَيَعْرِيبَهُمْ
أَمَامَ الْمَجْتَمَعِ.

وَجَاءَ لَفْظُ هَجِينٌ، وَ ثَوْتُ تَحْتَهُ مَعَانٍ، وَ لِقَلَّتِهَا تُحْتَكِرُ، صِيغَ اسْمِيَّةٌ وَفَعْلِيَّةٌ مَبْنِيَّةٌ
لِلْمَعْلُومِ وَلِلْمَجْهُولِ، وَهَجِينٌ مِنْ هَجَنَ الْكَلَامَ صَارَ مَعْيِيًا مَرْدُولًا خَلِيطًا أَصْلُهُ غَيْرُ
مَعْرُوفٍ⁽¹⁾، وَثَوْتُ مِنْ ثَوَى بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ⁽²⁾، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: "وَمَا كُنْتُ
ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدِينٍ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنْ كُنَّا مُرْسِلِينَ"⁽³⁾، أَمَّا تُحْتَكِرُ بِمَعْنَى الْإِنْفِرَادِ فِي
جَمْعِ السَّلْعِ⁽⁴⁾، وَقَالَ الْجَوَاهِرِيُّ مَعْبَرًا عَنِ الْمُسْتَوَى الرَّدِيِّ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ الشُّعْرُ فِي هَذِهِ
الْفَتْرَةِ، مُسْتَعْمِلًا الْمَجَازَ فِي هَجِينٌ، وَثَوْتُ، وَتُحْتَكِرُ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُسْتَوَى الضَّعِيفِ الَّذِي
انْحَدَرَ إِلَيْهِ الشُّعْرُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ، وَالْإِنْزِلَاقَ الْخَطِيرَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ الْفَنُّ، وَالْأَدَبُ، نَتِيجَةً
لِلظُرُوفِ الْقَاسِيَةِ، وَالْحَوَاجِزِ الْمُسْتَعَصِيَةِ، الَّتِي وَضَعَهَا أَعْدَاءُ الْفَنِّ، وَالْإِبْدَاعِ، أَمَامَ الشُّعْرَاءِ
الْمُقْتَدِرِينَ:

وَلَفْظُ هَجِينٌ ثَوْتُ تَحْتَهُ * مَعَانٍ لِقَلَّتِهَا تُحْتَكِرُ (99)

¹ - المعجم الوسيط (هجن) 575.

² - المعجم نفسه (ثوى) 103.

³ - سورة القصص/45.

⁴ - المعجم الوسيط (حكر) 189.

فالكثير من الشعراء يتقربون من الحكام، يسمعونهم أشعارا ركيكة، ضعيفة، متدنية، يحشونها مدحا، وغشا مزخرفا، كلامها مردولا، قبيحا، لا تستسيغه الأذن، ولهذا السبب استعمل الجواهري لفظ هَجِين، بمعنى ولد إلا أن هذا التوليد له من القبح ما يجعل السامع ينفّر ويضع أصابعه في أذنيه، لأن كلماته ساقطة تخدش السمع، وتعكر المزاج، معانيها فارغة، لا يستطيع هؤلاء الشعراء أن ينهضوا بالمستوى، وأن يحسنوا أشعارهم، ويرقوا بدلالاتهم إلى المستوى المطلوب، ولن يبذلوا مجهودا كبيرا للتقدم في هذا الميدان، فشعرهم لا يمتّ للواقع بشيء، فهو بعيد كل البعد عن الحقيقة، وعن الفن، والابداع، ولا يرقى إلى مرتبة الشعر بالمعنى المتعارف عليه، وهنا وصف الجواهري الحالة المزرية التي وصل إليها الفن، والظروف الصعبة التي عايشها شوقي، فأسلوب البيان الذي يمتاز به يقابله اللفظ الهجين، والكلام الساقط، الرديء، الضعيف، الذي يتناقله الناس فهو كلام فارغ من المعنى فاقد لروح الشعر منفرا.

أما تُحْتَكِر فهذا اللفظ يستعمل عادة في ميدان الاقتصاد وفي السوق حيث تقوم فئة من التجار مثلا بالهيمنة على السلع، وبعد ذلك تتلاعب بالأثمان كما يحلو لها، فمثلها هذه الفئة من أشباه الشعراء تستحوذ على ساحة الشعر، ولا تترك المجال أمام المبدعين، الحقيقيين، وتصدّ الأبواب في وجوههم، ويساعدتهم الحكام الذين لا يمتّون للمعرفة، وللشعر، والابداع، بعلاقة لا من قريب ولا من بعيد، يعملون على قهر الأدب، وصدّ المبدعين، وإفشالهم، وفي المقابل يشجعون الكلام الهجين، والمعنى الساقط، ويقيمون لمثل هؤلاء

الشّعراء المؤتمرات، والاجتماعات، والدورات، ويكونون قد احتكروا ميدان الشعر، والابداع، وضيقوا الخناق على غيرهم في ميدان الشعر الذي أصبح كالسوق تباع فيه السلع البالية، القديمة، الرديئة، بأثمان بخسة، والجواهري متذمراً مما يحدث رافضاً لهذا الوضع لأنه قد عانى الأمرين، وذاق العلقم، واكتوى بنيران حكام العراق وأمثالهم من حكام العرب الذين فعلوا نفس الشيء مع العديد من الشعراء النابغين المقتدرين.

وورد **فَكُنْتَ وَعَلَّتْهَا كَالطَّبِيبِ، وَ يُنْعِشُ جِسْمًا عَرَاهُ الْخُورُ، وَعَلَّتْهَا صِيغَةً** اسمية مضافة بمعنى المرض، **وَيُنْعِشُ** صيغة مضارع مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، أصواتها قوية بمعنى يُنْهَضُ وَيَقْوَى من كبوة⁽¹⁾، والْخُور من الضعف والانكسار⁽²⁾، صيغة اسمية حروفها رخوة، **وَعَرَاهُ** صيغة فعلية متعدية حروفها قوية بمعنى تجرد من ثيابه، وعرى من العيب سَلِمَ⁽³⁾، شبه مهدي الجواهري الشاعر أحمد شوقي بالطبيب المداوي الذي يعرف كيف يضع يده على العلة ويشخصها، وجعل شعره كالدواء الشافي، والمنقذ الذي سيعمل على إعادة الأمر إلى نصابها، فقال موظفاً التشبيه:

فَكُنْتَ وَعَلَّتْهَا كَالطَّبِيبِ * يُنْعِشُ جِسْمًا عَرَاهُ الْخُورُ (100)

وللدلالة على الدور الكبير الذي قام به الشاعر شوقي، وما بذله من جهد للتّهوض بالشعر، والأدب، والابداع، وإعادة الأمور إلى نصابها، ومحاولة القضاء على الكلام المرذول، ومحاربة المظاهر السيئة التي علقت بالشعر، فمثلاً يعمل الطبيب المداوي على

¹ - المعجم الوسيط (نعش) 934.

² - المعجم نفسه (خور) 261.

³ - المعجم ذاته (عرى) 597.

إنقاذ المريض ورعايته، ومحاولة إسعافه، وإعادة الصّحة والعافية إليه في الوقت المناسب وعدم تقويت الفرصة، ومعرفة أسباب المرض الذي أنهكه وكاد أن يأتي عليه، فكذلك عمل أمير الشعراء بجدّ، وحاول الرّقي بالشّعر، وترميم ما أفسده الآخرون وأعاد له الاعتبار، وصحّ الأخطاء، ونشر ثقافة الجودة، ورفض الرّداءة، والانحطاط، وفتح المجال أمام المبدعين، لأنّ للشّعر دور كبير في القضاء على هذه العاهات التي انتشرت في المجتمع، ونخرت جسمه، وأنهكته، وأضعفته، فحاربها شوقي وتصدّى لها، لأنّه هو المقتدر الذي يتقن مهنته، ويعرف كيف يشفي المرض، ويجسّ النبض، ويشخص الحالة، ومن هنا يكون قد أعاد الموازين، والنّصاب، وجعل الشّعر يزدهر، وينتفش، ويتقدّم نتيجة لعبقريته، وقدرته، وموهبته، وإقدامه، وإرادته.

وورد إنّ القوافي عبديّ له، وعبّده بمعنى ذلّله وطوّعه⁽¹⁾، صيغة اسمية وقعت خبراً، وفي التّنزيل العزيز: "وتلك نعمة تمنّاها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل"⁽²⁾، الأصوات قويّة شديدة، أما يُفَرِّقُ أَشْتَاتَهَا أو يَذَرُ، ويُفَرِّقُ من التفريق صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية حروفها كذلك شديدة، استعمل محمد مهدي الجواهري الكناية في عبديّ للدلالة على رضوخ القوافي لأوامر أحمد شوقي، والانقياد والاستسلام له بكلّ مرونة، وسلاسة وعن طواعية، لأنّه متمرّس في ميدان الشّعر ومتمكّن، فقال:

إنّ القوافي عبديّ له * يُفَرِّقُ أَشْتَاتَهَا أو يَذَرُ (100)

¹ - المعجم الوسيط (عبد)/579.

² - سورة الشعراء/22.

جسد القوافي وجعلها تخضع للشاعر، وهو السيد الأمر الناهي مثلما يخضع العبد لسيدّه، و ينحني أمام رغباته، ويلبيها، فشوقي هو الذي يتحكّم فيها مثلما يتحكّم السيد في مملوكه، فمصير القوافي بيده يتصرّف فيها بكل حريّة مطلقة فهي خاضعة له، لا تبدي تمرّداً، ولا تخرج عن إرادته، وهي رهن إشارته، وتظهر الطاعة التّامة أمامه، لأنّه قادر على توظيفها، ومسك زمام الأمور، وهو عارف بخفاياها، فمهما تفرّقت، وتشتّت، وتشعبت، واستعصت، استطاع أن يجعلها ليّنة، ويجمعها مرّة، ويفرقها أخرى، حسب المواضيع التي يتناولها، فلا أحد يستطيع أن يقف في طريقه فهو المسؤول عنها وبكلّ عبقرية، وقدرة، يسير بها إلى بر الأمان، ويحسن التّصرف فيها وفي مصيرها، ويحافظ عليها، ولا يقحمها في أماكن لا تستسيغها، ولا ترضى عنها، ولا يجاريه أحد ولا يستطيع أن يقف أيّ كان عثرة في طريقه، وبهذا يرقى بالشّعر إلى مستوى رفيع محلّقا في السّماء، متخلّصا من الانحرافات التي انتشرت في المجتمع، وعملت على إضعاف وتدني المستوى الفنّي، والثقافي، بكل وعي وتبصّر، ومسؤولية، ومقدرة، يحدوه في ذلك رصانة عقله، وثقافته الواسعة، وخبرته في هذا المجال، ومعرفته العميقة بلعبة الشّعر، وصبره، ورباطة جأشه، وإرادته القويّة.

واستعمل الجواهري يَلْعَبُ بِاللَّفْظِ، لَعِبَ الْأَكْرَ، صيغتان فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر والمعنى معروف، الحروف قويّة في معظمها، أمّا لَعِبَ الْأَكْرَ فهي صيغة اسمية مضافة، والأَكْرَ من أكر بمعنى حرث الأرض وزرعها⁽¹⁾، قال الجواهري مبينا القوة والعفوية والمسؤولية التي يتمتع بها أحمد شوقي موظّفا المجاز في يَلْعَبُ، للدلالة على المهارة

¹ - المعجم الوسيط (أكر) 28/.

الكبيرة التي يتمتع بها شوقي، فهو يتصرف في الألفاظ بكلّ روح مسؤولة، يضعها في المواضع التي تليق بها دون مشقة أو عناء، وقصد بلعب الأكر مدى قدرته وتمكّنه من التعامل مع الكلمات، واختيارها، واستعمالها بكلّ دقة في المواضع اللائقة بها، وهذه دلالات أضافها الجواهري لمعجمه اللغوي عملت على إثراء لغته وإغنائها وتنوّعها:

يَصْنُوعُ الْمَعَانِي كَمَا يَشْتَهِي * وَيَلْعَبُ بِاللَّفْظِ لَعِبَ الْأَكْر (100)

ومهدي الجواهري لا يقصد اللعب بالمعنى الحقيقي والمعروف ولكنه يتكلّم على القدرة الكبيرة التي يتمتع بها شوقي في صياغة قصائده، والتركيز على حسن اختيار الكلمات، وجعلها مثل اللعبة بيد لاعب متمرس، مجرب، مقتدر، لا يزلّ، ولا يقع، يبهر الناظرين، ويجعلهم يتشوّقون، ويطالبون بالمزيد، فشوقي لا يملّ، ولا يكلّ، يحدوه النشاط، والحيوية، والتفاؤل، والحلم بمستقبل زاهر، ينتظره بعد صبر كبير لأنّه مقتدر، موهوب، يحسن ملاعبة الألفاظ، والتسلّي بها، وتوظيفها، حسب الرغبة، كيف لا وهو قد تربّع على عرش الشعر، ونال الإمارة بلا منازع.

وقال أبو فراس مفتخرا بشعره مبرزاً مقدرته هو كذلك على إتقان الشعر:

و مثلك معدوم النظير من الورى * وشِعْرُكَ مَعْدُومُ الشَّبِيهِ مِنَ الشَّعْرِ

كَأَنَّ عَلَى أَلْفَاظِهِ، وَنَظَامِهِ، * بدائع من حاك الربيع من الزّهر

تَنَفَّسَ فِيهِ الرُّوضُ فَاخْضَلَّ بِالنَّدَى * وهبّ نسيم الرّوض يُخْبِرُ بِالْفَجْرِ⁽¹⁾

¹ - ديوان أبو فراس الحمداني/124..

وفي نفس السياق قال أبو الطيّب المتنبي مخاطباً سيف الدولة معبراً عن قوّة شعره:

إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ فِي الشَّعْرِ مَلِكٌ * سَارَ فَهُوَ الشَّمْسُ وَالْدُّنْيَا فَلَكَ
عَدَلَ الرَّحْمَانُ فِيهِ بَيْنَنَا * فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْدُ لَكَ
فَإِذَا مَرَّ بِأُذُنِي حَاسِدٍ * صَارَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فَهَلْكَ⁽¹⁾

وجاء "عُكَازٌ" مِنَ الشَّعْرِ تَحْتَلَّهُ، وعكاز هو سوق عكاظ المعروف في العصر
الجاهلي الموجودة بالحجاز، حيث كان أكبر الشعراء يعلقون معلقاتهم على جدرانها،
ويتفاخرون بها، ويتسابقون، وهي صيغة اسمية، حروفها قوّة، واستعمل أحمد شوقي لفظ
عكاظ كذلك في شعره حيث قال:

يَا عُكَازًا تَأَلَّفُ الشَّرْقُ فِيهِ * مِنْ فِلَسْطِينِهِ إِلَى بَغْدَادِهِ⁽²⁾
اِفْتَقَدْنَا الْحِجَازَ فِيهِ، فَلَمْ نَعِ * ثُرَ عَلَى قُسِّهِ وَلَا سَحَابَانِهِ⁽³⁾

أمّا تَحْتَلَّهُ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، وهذه اللفظة
تستعمل عادة في المجال السياسي، والمقصود بها الهيمنة، والاستحواذ، وهذه مجاز استعمله
الجواهري ليعبر من خلاله على اكتساح أحمد شوقي ميدان الشعر، بكلّ جدارة، وقوّة، وبدون
منازع، فقال:

"عُكَازٌ" مِنَ الشَّعْرِ تَحْتَلَّهُ * وَيَرَعَاهُ "حَافِظٌ" حَتَّى إِزْدَهَرَ (101)

¹- ديوان أبو الطيب المتنبي/213.

²- ديوان أحمد شوقي/193.

³- سحبانه خطيبان مشهوران، المرجع ذاته/193.

وسوق "عكاظ" لا تعلّق على جدرانها إلا أروع القصائد وأجودها، ولا تتّسع إلا لأرقاها وأشهرها، ومع هذا فتحت ذراعيها لشوقي وباركته، وزكّته، واعترفت بقدرته، ليلتحق بركب الشعراء المقتدرين، إلا أنّه تجاوزهم وسبقهم، ولم يفسح لهم المجال لمجاراته، واحتلّ الزّمان، والمكان، وفرض نفسه، ولفظ تحتلّه يوحي لنا بالسلبيات التي نتجت عن العدو المستعمر وما فعله في المجتمعات التي حلّ بها، وما تركه من مآسي لا تعدّ، ولا تحصى، تصدّت له العقول، وقاومته الشّعوب، وأغلقت الأبواب في وجهه، ورفضته، وقاثلته، على عكس سوق "عكاظ"، ورمز بها الشاعر للتفوّق الكبير الذي أظهره أحمد شوقي في ميدان الشعر، وتحكّمه بلا منازع ودون نقاش في زمام الشعر، وتصدّره الرّكب، ولهذا السبب لم ترفضه عكاظ، وتبنّته، وباركته، وآزره كذلك الشاعر الكبير حافظ إبراهيم، وزكّاه، واعترف بتوليّه الإمارة، وردّ عليه شوقي يرثيه بقوله:

وَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي فِدَاكَ مِنَ الرَّدَى * وَ الْكَاذِبُونَ الْمُرْجِفُونَ فِدَائِي
 النَّاطِقُونَ عَنِ الضَّغِينَةِ وَالْهَوَى * الْمَوْعِزُ وَالْمَوْتَى وَالْأَحْيَاءِ
 مِنْ كُلِّ هَدَامٍ وَيَبْنِي مَجْدَهُ * بِكَرَائِمِ الْأَنْقَاضِ وَالْأَشْلَاءِ
 مَا حَطَّمُوكَ، وَإِنَّمَا بِذِكَ حَطَّمُوا * مَنْ ذَا يُحْطَمُ رَفْرَفَ الْجَوَازِ
 انْظُرْهُ، فَأَنْتَ كَأَمْسٍ شَأْنُكَ بَادِخٌ * فِي الشَّرْقِ، وَاسْمُكَ أَرْفَعُ الْأَسْمَاءِ⁽¹⁾

ووظف وأنت كصمصامة مننصّي، و "حافظ" كالأبلق المشتّهر، والصمصامة بمعنى السيف⁽¹⁾، وسمي بها سيف عمر بن معد يكرّب أحد شجعان العرب والمثل في وفائه⁽²⁾،

¹ - ديوان أحمد شوقي/19.

وَمُنْتَصَى مِنْ اِنْتَصَ بِمَعْنَى ارْتَفَعَ وَاسْتَوَى وَاسْتَقَامَ⁽³⁾، وَالْأَبْلَقُ مِنْ بَلَقِ السَّيْلِ الْأَحْجَارِ جَرَفَهَا، وَبَلَقَ الْفَرَسَ فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ⁽⁴⁾، وَاسْمِيَّ بِهِ حِصَانُ السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَةَ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْوَفَاءِ⁽⁵⁾، وَالْأَصْوَاتُ بَيْنَ الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ مُسْتَعْمِلًا التَّشْبِيهَ، وَجَعَلَ مِنْ شَعْرٍ أَحْمَدَ شَوْقِي وَحَافِظَ إِبْرَاهِيمَ، سَيْفًا حَادًّا، قَاطِعًا، مَوْجَّهًا صَوْبَ الْأَعْدَاءِ، وَفَارِسًا مُتَسَابِقًا قُوًّا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مَجَارَاتِهِ، وَهَذِهِ دَلَالَاتٌ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا مَهْدِي الْجَوَاهِرِيِّ أَثَرِي مِنْ خِلَالِهَا مَعْجَمَهُ اللَّغَوِي:

وَأَنْتَ كَصَمَامَةٍ مُنْتَصَى * وَ"حَافِظٌ" كَالْأَبْلَقِ الْمُشْتَهَرِ (102)

فَمِنْ خِلَالِ شَعْرِهِ اسْتَطَاعَ أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ أَحْمَدُ شَوْقِي أَنْ يَكْسِرَ شَوْكَةَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ، وَيُبْعِدَهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ، وَيَفْسَحَ الْمَجَالَ أَمَامَ الْبِنَاءِ، وَالتَّرْمِيمِ، وَإِعَادَةِ الْإِنْطِلَاقِ مِنْ جَدِيدٍ فِي جَمِيعِ الْمِيَادِينِ، وَيَسْتَعْمِلَ السَّيْفَ الْقَاطِعَ كَذَلِكَ لِإِعَادَةِ الْحَقِّ الْمَهْضُومِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَقَهْرِ الْأَعْدَاءِ، وَإِذْلَالِهِمْ، وَتَرْكِيعِهِمْ، وَالْإِنْتِقَامَ لِلشُّعُوبِ الْمَقْهُورَةِ، وَالضَّرْبَ بِيَدٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَلِلشَّعْرِ كَذَلِكَ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي تَسْوِيَةِ الْمَجْتَمَعِ، وَقَلْبِ الْمَوَازِينِ، وَتَصْحِيحِ مَا أَفْسَدَ، وَالْعَمَلِ عَلَى الرِّقْيِ بِالْمُسْتَوَى، وَفَسْحِ الْمَجَالَ أَمَامَ الْأَجْيَالِ، وَتَوْعِيَّتِهِمْ، وَتَنْقِيْفِهِمْ، وَإِعَادَةِ هَيْكَلَةِ أَرْكَانِ الْحُكْمِ بِالْقَلَمِ أَوْ السَّلَاحِ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الشَّاعِرُ أَحْمَدُ شَوْقِي الَّذِي حَثَّ عَلَى الضَّرْبِ بِسَيْفِ الشَّعْرِ قُوًّا فَقَالَ:

1- المعجم الوسيط (صمصم)/522.

2- ديوان الجواهري/102.

3- المعجم الوسيط (نص)/926.

4- المعجم نفسه (بلق)/70.

5- ديوان الجواهري/102.

بَسِيفُكَ يَغْلُو الْحَقَّ، وَالْحَقُّ أَغْلَبُ * وَيُنْصِرُ دِينَ اللَّهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ

وَمَا السِّيفُ إِلَّا آيَةُ الْمَلِكِ فِي الْوَرَى * وَلَا الْأَمْرُ إِلَّا لِلَّذِي يَتَغَلَّبُ

فَأَدَّبَ بِهِ الْقَوْمَ الطَّغَاةَ فَإِنَّهُ * لِنِعَمِ الْحَسَامِ الطَّبِّ وَالْمُتَطَبِّبِ⁽¹⁾

أَمَّا حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ فَهُوَ كَالْحِصَانِ الْأَبْلَقِ، الْمَتَسَابِقِ، السَّرِيعِ، الَّذِي لَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي السَّاحَةِ مَهْمَا كَانَتْ قُدْرَتُهُ، وَشَجَاعَتُهُ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمَاهِرُ، وَالْمَتَمَكِّنُ، وَالْغَلْبَةُ سَتَكُونُ دَائِمًا مِنْ نَصِيبِهِ، وَهُوَ الَّذِي سَيُتَوَجَّحُ دَائِمًا فِي النِّهَايَةِ نَظَرًا لِلْمُجْهُودَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي قَدَّمَهَا، وَخَدَمَ مِنْ خِلَالِهَا الشَّعْرَ، وَفَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى السَّاحَةِ إِلَى جَانِبِ الْمُبْدِعِينَ، وَالْمُبْتَكَرِينَ.

وَقَالَ فِيهِ أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ أَحْمَدُ شَوْقِي يَرِثِيهِ:

بِالْأَمْسِ قَدْ حَلَيْتَنِي بِقَصِيدَةٍ * غَرَاءَ تَحْفَظُ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ

غَيْظَ الْحَسُودِ لَهَا وَقُمْتُ بِشُكْرِهَا * كَمَا عَلِمْتَ مَوَدَّتِي وَوَفَائِي⁽²⁾

وَجَاءَ تَمْشَى لِمُصْطَلَحَاتِ الْبَدِيعِ، وَ مُنْدَسَّةً فِي الْبَيَانِ النَّخْرِ، وَ أَفْرَغَهَا مِنْ قَوَافِيهِ، وَ قَوَالِبِ مَرْصُوصَةِ كَالزُّبْرِ، وَقَالَ الْحَقُّ: "إِيْتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ"⁽³⁾، صِيغَ فَعْلِيَّةً وَاسْمِيَّةً أَصْوَاتَهَا قَوِيَّةً شَدِيدَةً اسْتَعْمَلَهَا الشَّاعِرُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا، وَتَمْشَى بِمَعْنَى الْمَبَالِغَةِ فِي الْمَشْيِ⁽⁴⁾، وَ مُنْدَسَّةً بِمَعْنَى مَخْفِيَّةٍ⁽⁵⁾، أَمَا النَّخْرُ فَمَعْنَاهُ التَّقَنُّتُ⁽⁶⁾، وَقَوَالِبُ مِنْ قَالِبٍ مَا تُفَرِّغُ الْمَعَادِنَ وَغَيْرَهَا

1- ديوان أحمد شوقي/39.

2- الصدر ذاته/19.

3- سورة الكهف/96.

4- المعجم الوسيط (مشى)/872.

5- أساس البلاغة (دس)/187.

6- المعجم الوسيط (نخر)/909.

ليكون مثالا لما يُصاغ⁽¹⁾، مدح الجواهري أحمد شوقي، وبين طريقته في بناء قصيدة صلبة قوية، فقال مستعملا الكناية للدلالة على تجسيد أحمد شوقي لنقاط الضعف في العديد من القصائد، ووضع إصبعه على مكان العلة، وهي إكثار بعض الشعراء المتطفلين من مصطلحات البديع، وإقحامها مع ألوان البيان دون قواعد وبدون مناسبات، وفي جميع المواضع، وإعادة هيكلتها، وتقويتها، وانعاشها، والرقى بها إلى درجة ثلث به:

تمشّى لمُصطلحاتِ البديع * مُندسةً في البيانِ النخر

فأفرغها من قوافيه في * قوالبِ مرصوفة كالزبر (96)

ولكي يتسنى لهم الوصول إلى مستوى رفيع، عملوا على حشو قصائدهم بما لا يليق من ألوان بديع غير مستساغة، وألوان بيان لا تصلح للمقام الذي وظفت فيه، وأقحموا فيها قوافية لا تليق بها، ولا تخدمها، تنفر القارئ وتبعد السامع، وهذه المظاهر مضرة، واعتبرها الجواهري كالداء الذي سكن الجسد، ولا بد من التخلص منه فوراً، واقتلعه حتى لا يستشري، ويتعقد، ويصبح من الصعب القضاء عليه، وقام شوقي بالتصدي لهذه الظاهرة، ومداواتها، وتقويمها، وتقنينها، وجعل لها قواعد، وثوابت صلبة، قوية، مثل الزبر، وعمل على صهر ألوان البديع، والبيان، وصقلها، وأعاد النظر فيها، وصبها في قوالب تليق بها، ولا تحيد عنها مثماً يقوم العامل بصهر المعادن وتشكيلها من جديد حسب الحاجة والضرورة ليستخرج أشكالاً يوظفها متى دعت الظروف، وهنا تكمن المهارة الفريدة التي يتمتع بها شوقي والتي

¹ - المعجم نفسه (قوالب) / 752.

من خلالها تميّزه عن غيره من الشعراء، ومن خلال تفضّنه إلى موضع المرض أصبح من السهل أن يجد الدواء النافع، ويكون بهذا قد عمل على النهوض بالشعر، وفرض رأيه، ولأنّ القوافي عند شوقي مختلفة لا يتصنّع في البحث عنها، ولا يبذل مجهودا لإيجادها، بل تفرض نفسها عليه، وتأتيه طوعية، مستجابة، ولأنّه يتقن أسرارها، ويعرفها، ويتلاعب بها، يوظّفها بسلاسة حسب الحاجة.

ووردت ويُدلّل من شاردات القريض، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب بالذكر، وذلك بمعنى سهل، وشاردات القريض غرائب الشعر ونوادره⁽¹⁾، وقصيدة شاردة بمعنى سائرة معروفة⁽²⁾، وشرّد بمعنى نفر واستعصى، الأصوات قوّة فيها حركة وشدة، استعمل الشاعر المجاز في يُدلّل إذ ورد في غير موضعه، عبّر من خلاله على مقدرة أمير الشعراء أحمد شوقي، وتميّزه، وتمكّنه من الخوض في ميدان الشعر، وهذا معنى جديد أضافه الجواهري لمعجمه فقال:

يُدلّل من شاردات القريض * ما لو سواه ابتغاه لفر (96)

وللذّالة مرّة أخرى على القدرة الهائلة التي يتمتّع بها شوقي، فتراه يصيغ أمّهات القصائد بكل سهولة، ومرونة، وعذوبة، وجودة، تتناقلها الأجيال، ولا تضمحلّ، ولا تموت، وتبقى عبر الأزمان تحافظ على قيمتها، ومكانتها، فهي بالنسبة لمهدي الجواهري من السهل الممتنع لا يستطيع الإقدام على مثل هذا العمل، والغوص فيه إلّا أمثال شوقي، ولا يستطيع

¹ - المعجم الوسيط (شرّد) 472.

² - أساس البلاغة (شرّد) 326.

شاعر آخر مجاراته، وإذا فعل فسوف يضطرّ إلى الانسحاب، ويفشل، ويفرّ، ونظرا لصعوبة صياغة الشّعر، والتحكّم في قواعده من لفظ، ومعنى، وقافية، وموسيقى، وألوان البديع والبيان، تقع عملية انفلات عند بعض الشعراء غير المقتدرين، وتستعصي عليهم الأمور، ويصبحون غير قادرين على التحكّم فيها، والعمل على مسايرة الأوضاع، وتليينها، وتذليل صعوباتها، إلّا أنّ شوقي يفعل العكس يأخذ متّسعا من الوقت ليقوم بطرح الإشكالية، وهي النقطة الفاصلة، والعمل على إيجاد الأجوبة على الكثير من الأسئلة المطروحة، ومن هنا يجمع الأفكار المشتتة، وينظّمها، ويضع قواعد صلبة لها ينطلق منها ليصيغ قصائده بكلّ ذكاء، ويصبّ فيها كلّ ما يملكه من قدرة، وطاقّة، وثقافة، واسعة، وخبرة، تقضي على الأمور المستعصية، ومن هنا يتسنى له التحكّم في الشّعر، ويستطيع أن يخوض فيما يشاء من مواضيع، ويبني قصائد تضاهي أمّهات القصائد التي أنتجها شعراء مبدعون من أمثال أحمد شوقي.

وللدّالة كذلك على انبهار الجواهري، وإعجابه الكبير بالطريقة المثلى، والفريدة التي يعتمد عليها شوقي في صياغة قصائده.

واستعمل **وَلَا عَمَّ بَيْنَ أَفَانِيْنَهَا، وَ بَيْنَ أَفَانِيْنٍ مَا يَبْتَكِرُ،** ولأعم صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر معناها معروف، الأصوات ضعيفة، وأفانينها جمع أفنان وهي خصلة من الشّعر، ومعنى أفانين كذلك أغصان الأشجار وفروعها⁽¹⁾، والهاء تعود على

¹ - لسان العرب (فنون)/327.

مصطلحات علم البيان، والبديع، التي تكلم عليها الشاعر في الأبيات السابقة، ويبتكر صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، بمعنى يُبدع وباقي الألفاظ معروفة، كشف الجواهري عن كيفية تعامل شوقي مع قصائده، فقال مستعملا المجاز في لاءَم الذي ورد في غير مكانه، ولّد من خلاله معنى تمكّن أمير الشعراء أحمد شوقي من هندسة قصائده، وحسن بنائها، والتفنّن في إخراجها إلى الواقع بحلّة رائعة، فريدة، لا يقوى عليها إلا أمثاله:

ولاءَمَ بَيْنَ أَفَانِيهَا * وَبَيْنَ أَفَانِينَ مَا يَبْتَكَرُ (96)

جسد الجواهري العمل العظيم الذي يقوم به شوقي في إخراج قصائده، ووصف المراحل التي يمرّ بها لتصل إلى القارئ إبداعا مميّزا، لائقا، لا يشوبه نقصان، فهو كالمخرج المسرحي الذي يحسن التصرف في النص الموجود أمامه، ويستعمله استعمالا مناسباً يصبّ فيه كلّ مهاراته وجهوده، فذلك يعتمد شوقي إلى صقل قصائده، والتأكّد من شكلها، ومعرفة الأوزان، والقافية التي تليق بها، والانتقال إلى اختيار الألفاظ المناسبة، وتنقيتها، وغربلتها ويحمّلها المعاني التي يريدها، ويضفي عليها ما يناسبها، ويقوّيها، ويخدمها، ويجعلها متناسقة متلائمة شكلا، ومضمونا، يستطيع القارئ أن يتعايش معها ويتبنّاها، ويستخرج منها مزيدا من الدلالات، والمعاني، نتيجة لجودتها الفريدة، وقدرة شوقي على هيكلتها بطريقة تجعل القارئ ينجذب، ويقبل عليها لأنّه استساغها شكلا، ومضمونا، قلبا، وقالبا فهو مثل المهندس المعماري الذي يعرف كيف يتعامل مع البناية يختار لها الأرضية الصلبة، ويدقّق في المواد التي يحتاجها، ويضع أسسا صحيحة سليمة، تجعل ما أقدم عليه صالحا، مناسباً، لتأسيس

أركان البناء، وتجهيزه بما يلزمه من متطلّبات بطريقة علمية مدروسة، سليمة، منسجمة، يضع فيها كلّ براعته، ومهارته، فهكذا يفعل الشّاعر أحمد شوقي في هيكلة شعره، وبناءه بطريقة محكمة، لا تحمل بين طيّاتها نقاط ضعف، عبّر من خلالها على قدرته في إبداعها.

واستعمل **يَسْتَنْزِلُ الشَّعْرَ عَذْبَ الرُّوَاءِ**، و **كَصَوْتِ الْغَمَامَةِ إِذْ يَنْحَدِرُ**، ويستنزل صيغة فعلية مزيدة مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكور، واستنزل بمعنى طلب النزول⁽¹⁾، وعذب الرّوّاء، صيغة اسمية مضافة بمعنى فيه عذوبة نتمتّع بروايته لأنّه عذب الكلام، حروفها قويّة، ألفاظها معروفة، أما **صَوْتِ الْغَمَامَةِ** فهي صيغة اسمية مضافة كذلك بمعنى صوت السّحاب الشديد، استعمل الجواهري الاستعارة في **يَسْتَنْزِلُ** إذ ورد في غير سياقه، للدّلالة على تدقّق الشّعر عند أحمد شوقي، ووظّف التشبيه في **كَصَوْتِ الْغَمَامَةِ**، حيث جعل قوّة الإلهام التي تأتيه فجأة، وتفرض نفسها عليه، ولا يستطيع أن يصدّها، ويقف في طريقها، ويستسلم لها، كصوت السّحاب العنيف الذي ينتج عنه مطرا غزيرا دون موعد، مخلّفا وراءه دمارا كبيرا، يجرف كل ما يجده في طريقه فقال:

يَسْتَنْزِلُ الشَّعْرَ عَذْبَ الرُّوَاءِ * كَصَوْتِ الْغَمَامَةِ إِذْ يَنْحَدِرُ (96)

وللدّلالة على الإلهام القويّ الذي يصبّب على أحمد شوقي، تساعد قوّة خارقة للعادة، تجعل الشّعر يتهاطل عليه دون انقطاع، وبغزارة، محدثا إيقاعا كبيرا فيه عذوبة، وموسيقى،

¹ - المعجم الوسيط (نزل)/915.

وترنّم، نتيجة لجزالة لغته، وعمق معانيه، وحسن صياغته، وإتقانه، يهتّر الكون عند سماعه،
ويزلزل أركان الدنيا، وترتجف، محدثا صوتا مدوّيا كصوت الغمامة عندما تشتدّ، وتجلب
أمطارا قويّة، فتأكة، تأتي على كل ما يعترضها، فكذلك شعر شوقي فهو قويّ، هذّاف، صالح
للمجتمع، يحارب المظاهر السيّئة، والانحرافات، ويقوم ما أفسده الدّهر، ويزيل العواقب،
والحواجز، ويفتح المجال لحرية التعبير، ويساعد على الإطاحة بأركان الحكم الهشّة،
المتدهورة في المجتمعات العربية.

وقال أبو فراس الحمداني كذلك متغنّيا بتدقيق الشّعر عنده ومبرزا فضل سيف الدولة

في إثرائه:

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ اغْتَرِفْ، * وَبِفَضْلِ عِلْمِكَ اعْتَرِفْ

أَنْشُدْنِي، فَكأنّما * شَقَقْتَ عَنْ دُرٍّ صَدَفْ

شِعْرًا، إِذَا مَا قِسْتُهُ * بِجَمِيعِ أَشْعَارِ السَّلَفْ

قَصَّرَنَ، دُونَ مَدَاهُ تَقْدُ * صِيرَ الْحُرُوفِ عَنِ الْأَلْفِ⁽¹⁾

وجاء رَوْضٌ نَضِرٌ، صيغة اسمية متبوعة بصفة، والروض هو المكان الأخضر،
أصواتها بين الشدّة والضعف، والشّاعر هنا لا يقصد خضرة المكان فقال مشبّها شعر شوقي
بالروض الأخضر، الذي يشدّ الأبصار، ويريح النّفس نظرا لجماله السّاحر، وجودة معانيه،

¹ - ديوان أحمد شوقي/142.

وحسن اختيار ألفاظه، والتنسيق بينها، وإلباسها حلة بيان وبديع تليق بها، وهذه دلالة جديدة
أضافها الجواهري لمعجمه اللغوي:

وديوان "شوقي" بما فيه من * صنوف الكلام رَوْضٌ نَضِرٌ (97)

وللدلالة على السحر الكبير الذي يمتاز به شعر شوقي، وما يحتويه من مواضيع
وأفكار تُبهر القارئ، وتجعله يُقبل عليه إقبالا كبيرا لما يتضمنه من بيان، وفصاحة، ورزانة،
وقدرة على التأثير، وما يمتاز به من جمال خلاق، أبدعته موهبته، وعبقريته، فهو العارف
بأسرار اللغة، المتمكن من رموزها المستعصية، المتمسك بزمام المعاني، والألفاظ على حدّ
سواء، وهو الرائد بلا منازع.

ومواضيعه الهدّافة، وقصائده البارة، القويّة، المتميّزة، الجميلة التي يحتويها ديوانه
بمثابة الحديقة الخضراء التي تضمّ أنواعا كثيرة من النباتات، فيها انسجام للألوان وكأنّ يدا
إلهية رسمتها، لأنّها فريدة من نوعها، أسطورية، يسود فيها اللون الأخضر وهو لون الأمل
والحياة، والتطلّع إلى المستقبل، تلبسه الطبيعة بعد حلول فصل الربيع حيث تنتعش الأرض
والحرث، وتعود الحياة من جديد بفضل الله سبحانه وتعالى، وديوان شوقي فيه حياة وروح
ونشاط يجد فيه القارئ ضالّته، ويفرّج به المظلوم عن كربته، فهو غذاء للروح، وأمل
للمستقبل.

وقال أبو فراس الحمداني في شعره الذي شبّهه هو كذلك بالروض عندما يحلّ فصل

الربيع:

وَرَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْفِكْرِ، ذُبْحَهَا * صَوَّبُ الْقَرَائِحِ لَا صَوَّبَ مِنَ الْمَطَرِ

كَأَنَّمَا نَشَرَتْ أَيْدِي الرَّبِيعِ بِهَا * بُرْدًا مِنَ الْوَشْيِ أَوْ ثَوْبًا مِنَ الْحَبْرِ⁽¹⁾

وجاء فَبَيِّتٌ يَكَادُ مِنَ الْإِرْتِيَاكِ وَاللُّطْفِ فِي رِقَّةٍ يُعْتَصِرُ، وَ وَبَيِّتٌ يَكَادُ مِنَ الْإِنْدِفَاعِ يَقْدَحُ مِنْ جَانِبَيْهِ الشَّرَرَ، وَيُعْتَصِرُ صِيغَةً فَعْلِيَّةً مَبْنِيَّةً لِلْمَجْهُولِ، حُرُوفُهَا قَوِيَّةٌ، وَعَصَرَ بِمَعْنَى اسْتَخْرَجَ مَاءً أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ، وَيَقْدَحُ صِيغَةً فَعْلِيَّةً كَذَلِكَ مُسْنَدَةً إِلَى ضَمِيرِ الْمَفْرَدِ الْغَائِبِ الْمَذْكُورِ، حُرُوفُهَا قَوِيَّةٌ شَدِيدَةٌ، وَقَدْ حُذِيَ النَّارُ بِمَعْنَى أَشْعَلَهَا مَعْرُوفٌ مَأْلُوفٌ، اسْتَعْمَلَ الْجَوَاهِرِيُّ الْمَجَازَ فِي لَفْظِ يُعْتَصِرُ حَيْثُ وَرَدَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، لِيُعَبَّرَ مِنْ خِلَالِهِ عَنِ التَّنَاقُضَاتِ، وَالصَّرَاعَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ جَلِيًّا فِي شَعْرِ أَحْمَدَ شَوْقِي، فَتَارَةً يَجْعَلُهُ هَادِنًا، مُطْمَئِنًّا، رَقِيقًا، مُشَفِّقًا، مُسْتَرْخِيًا، وَتَارَةً أُخْرَى يَعْتَرِيهِ عَنَفٌ وَقَسْوَةٌ وَشِدَّةٌ وَبَأْسٌ، نَظَرًا لِمَا يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ أَزْمَاتٍ قَاهِرَةٍ، وَهَذِهِ دَلَالَاتٌ جَدِيدَةٌ اسْتَنْبَطَهَا مِنَ السِّيَاقَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا فَقَالَ:

فَبَيِّتٌ يَكَادُ مِنَ الْإِرْتِيَاكِ * حِ وَاللُّطْفِ فِي رِقَّةٍ يُعْتَصِرُ

وَبَيِّتٌ يَكَادُ مِنَ الْإِنْدِفَاعِ * ع يَقْدَحُ مِنْ جَانِبَيْهِ الشَّرَرَ (97)

وَالدَّلَالَةُ عَلَى الْمَرَاكِحِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا شَوْقِي فَهِيَ تَظْهَرُ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقَرٍّ نَفْسِيًّا، تَحْكُمُهُ الظُّرُوفُ الَّتِي يَعْيشُهَا وَهُوَ رَهِينَتُهَا، وَلَئِنْ الشَّعْرَاءُ يَخْتَلَفُونَ عَنِ الْبَشَرِ عَادَةً بِإِحْسَاسَاتِهِمْ الْمَرْهُفَةِ، وَانْفِعَالَاتِهِمْ الْحَادَّةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَغَوْصِهِمْ أحيانًا أُخْرَى فِي مَجَالَاتِ مُسْتَعْصِيَّةٍ، فَيَحْسُ شَوْقِي تَارَةً بِالرِّقَّةِ وَاللُّطْفِ نَتِيجَةً الْإِسْتَرْخَاءِ وَالْهُدُوءِ الَّتِي يَعْتَرِيهِ، وَيَجْعَلُهُ

¹ - ديوان أبو فراس الحمداني/100.

لا يستعجل في ردّة الفعل، يتروّى ويُبدي رزانة كبيرة، ويأخذ الوقت الكافي، وتتأثّر هذه العواطف بالأوضاع التي يمرّ بها، ويتفاعل معها ويُخرجها في شكل قصائد تعكس هدوءه، ولطفه، وتودّده، ونظرته إلى المستقبل، مبدياً روحاً مسالمة، يشعر بنشوة كبيرة تعترّيه يكاد يلمسها ليتأكّد منها وتصبح جزءاً منه ملتصقة به مسيطرة عليه يتمنّى أن تستمر لفترة طويلة علّها تخفّف من مأساته وتزيده سعادة ترافقه ولو لحظة.

وتارة أخرى يتغلّب عليه الشّعور بالاندفاع، والاضطراب، والتوتر، والقلق المترتّب على العديد من التراكمات، والمتناقضات، والاحباطات، فينتج عنه تطاير الشرّ من عينيه ومن جوانبه ليعبّر عن الضجر الذي استولى عليه وقهره، وسيطر عليه، ويشعر بعدم الرضا من المصير المجهول الذي يُخفي عنه نور الشمس، ويجعله يعيش في ظلام دامس، ينظر إلى الأمور بسوداوية ويقنوط، يترتّب على كل هذا العنف والاندفاع وهو خاصّة من خصائص الإنسان عندما يفقد عقله، وتتحكّم فيه عواطفه، وتتوالى عليه المصائب ويتحوّل قدره إلى عدوّ يطارده ويتغلّب عليه، ويصبح يعيش في صراعات مزمنة يترجمها مستعملاً الحدة في الكلام وفي الأفعال، وهذا ما حدث لأحمد شوقي وصوّره الجواهري بكل دقّة لأنّه هو نفسه قد مرّ بهذه المراحل، وأحسّ بنفس التوتّرات ترجمها في شكل أبيات تقاسمها مع القارئ، وأصبحت جزءاً من حياته.

فنفسية شوقي جمعت بين المتناقضات اللّطف، والرّقة، والهدوء، والراحة، والسلام والاندفاع، والعنف، وقدح الشرّ، نتيجة للضغوطات الكبيرة التي ينضوي عليها صدره ويحملها

بين طَيَّاتِهِ، يحاول إظهار الهدوء والسَّكون ولكنَّه يصطدم مع الواقع القاسي ومع الحقيقة المَرَّة
نتيجة الصراعات القويَّة التي لا مفرَّ منها.

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي في موضوع آخر معبراً عن شجاعته وبطولته وثباته
أمام المحن وتغلُّبه على الشدائد:

فما زلت بالأهوال حتى اقتحمتها * وقد تُركِبُ الحاجاتُ ما ليس يُركَبُ

أخوضُ اللَّيالي من عُبَابٍ، ومن دُجَى * إلى أفقٍ فيه الخليفة كَوَكَبُ⁽¹⁾

وورد تَكشَّفُ عَنْ حُسْنِهَا المُسْتَتَرُ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب
المؤنث، وتكشَّف بمعنى رفع عنه ما يواريه، قال الله سبحانه وتعالى: "رَبَّنَا اكشِفْ عَنْهَا
العذاب إِنَّا مَوْمِنُونَ"⁽²⁾، أصواتها قويَّة فيها مبالغة، ومعظم الألفاظ معروفة استعمالها الشَّاعر
ليعبّر من خلالها عن جودة شعر شوقي فقال مستعملاً الاستعارة في لفظ تَكشَّفُ إذ ورد في
غير سياقه، جسّد من خلاله كفاءة شوقي ونجاحه في إظهار مفاتن الطبيعة، واستنطاقها من
خلال قصائده، وجعلها مثل المرأة التي تكشف عن جمالها بكلّ استحياء، وهذه دلالة جديدة:

تَحُسُّ الطبيعةُ في طَيِّهِ * تَكشَّفُ عَنْ حُسْنِهَا المُسْتَتَرُ (98)

وللدلالة على الطبيعة التي ارتدت حلّة جميلة في فصل الربيع، وتناسقت ألوانها،
وأبرزت مفاتها مثل المرأة الحسناء التي كشفت عن مواضع حسناتها، ورونقها أمام حبيبها،

¹- ديوان أحمد شوقي/44.

²- سورة الدخان/12.

وشوقي يُظهر روحاً رومانسية تجعل الطبيعة تُلهمه وتُملّي عليه أحاسيساً صادقة، سجّلها في قصائد رائعة، يُوحى من خلالها بألفة كبيرة نشأت بينه وبين ما يجري في الطبيعة، فهو يعرف كيف يختار الألفاظ والمعاني بدقة ليعبّر عن الحسن، والجمال، والألوان، وهو مثل الفنان يرسم بريشته لوحة فريدة من نوعها تشعر القارئ بمدى تأثير الطبيعة في شوقي وبالصدى الكبير الذي تتركه بين طبيّاته، وتجعل قلبه يخفق لهذا الحسن الرّباني الذي يظهره في شعره نتيجة لبراعته، وتفوّقه، وقدرته على جعل الطبيعة تنطق، وتتفاعل معه، وتفتح ذراعيها، وتستأنس به، وتقترّب منه، وتكشف عن المستتر.

ومن خلال هذه العبارة تنتج فكرة أخرى وهي مدى تحكّم شوقي في أسرار اللغة ورموزها، وشواردها المستعصية، على غيره وتطويعها لخدمة شعره وفنّه بكلّ ذكاء، وتبصّر، ومرونة، وفطنة، تجعل اللّغة تكشف عن أسرارها ولا تبخل عن شوقي الذي استطاع الوصول إلى استنطاق الطبيعة، ومشاركتها بهجتها، وفرحتها، واستثمارها في الابداع أكثر.

وقال أبو الطيّب المتنبّي كذلك موضعاً فضل غيره على المزيد من الابداع والعطاء في مدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي:

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفَوَادِ وَهَمَّتِي * أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْمِهَا مِنْكَ وَالشَّطْرُ

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرِ كُلُّهُ * وَلَكِنْ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ

وَمَا ذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحَسَنِ رَوْنًا * وَلَكِنْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ نَحْوُكَ الْبَشْرُ⁽¹⁾

¹ - ديوان المتنبّي/128.

واستعمل محمد مهدي الجواهري تَنَاجِي به مَجْدَهَا المُنْدَثِر، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث متعدية، أصواتها قوِّية نقول تناعي المرأة ولدها بمعنى تلاقفه وتحادثه⁽¹⁾، وصف الشاعر الوضع الصَّعب الذي وصلت إليه "مصر" والنكبة الكبيرة التي تعاني منها، واستعمل تَنَاجِي مجازاً إذ ورد في غير مكانه، وهي كناية على الحزن الكبير، والمرارة، وخيبة الأمل، والوضع الكارثي، والظروف الصعبة التي آلت إليها الأوضاع في بلاد النيل، وهذه دلالة جديدة فقال:

وَبَيَّتْ تَرَى "مِصر" أَسْيَانَةً⁽²⁾ * تَنَاجِي به مَجْدَهَا المُنْدَثِر⁽³⁾ (92)

جسّد الشاعر "مصر" وجعلها مثل الأم الحنون التي تناعي طفلها، وتلاطفه، وتتودّد إليه، ليسترخي، ويهدأ، ويشعر بالاطمئنان، وراحة البال، فمصر كذلك تتغنّى بمجدها الزائل المندثر، وتاريخها، وماضيها العريق، الزّاهر بالبطولات، والأمجاد.

ولقد صوّر شوقي حالة الاحباط الكبير التي أصيبت بها بلاده، وسجّل هذه المراحل من تاريخها، وعبر عنه في أبيات تكاد تتقاطع مع ما قاله مهدي الجواهري فقال:

أَيْنَ الْفِرَاعْنَةُ الْأَلَى اسْتَدْرَى بِهِمْ

(عيسى)، و(يوسف) و (الكليم) الْمُصْنَعُ

الْمُورِدُونَ النَّاسَ مِنْهُمْ حِكْمَةً * أَقْضَى إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ لِيَسْتَقُوا

الرَّافِعُونَ إِلَى الضُّحَى أَبَاءَهُمْ * فَالشَّمْسُ أَصْلَهُمُ الْوُضْيُءُ الْمُغْرَقُ

..... *

¹ - أساس البلاغة (نغي)/645.

² - أسيانة بمعنى حزينّة - المعجم الوسيط (أسي)/18.

³ - المندثر بمعنى بلي وتهذّم- المعجم نفسه (دثر)/270.

أَصْلُ الْحَضَارَةِ فِي صَعِيدِكَ ثَابِتٌ * وَ نَبَاتُهَا حَسُنَ عَلَيْكَ مُخَلَّقٌ
وُلِدْتُ، فَكُنْتُ الْمَهْدُ، ثُمَّ تَرَعَرْتُ * فَأَظْلَمَ مِنْكَ الْحَفِيُّ الْمُشْفِقُ⁽¹⁾

وقال أحمد شوقي أيضا متغنياً بمصر:

إِنَّ مِصْرَ رَوَايَةِ الدَّهْرِ، فَاقِرَا * عَبْرَةُ الدَّهْرِ فِي الْكِتَابِ الْعَتِيقِ⁽²⁾
مَلْعَبٌ مِثْلُ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ * فِي صَبَا الدَّهْرِ آيَةُ "الصَّدِيقِ"⁽³⁾

ووظف وقد يقتل المرء جور الفكر، صيغة فعلية فيها تقديم وتأخير أصواتها قوية،
مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، ومعانيها معروفة، وجور الفكر صيغة اسمية
مضافة، والجور هو الظلم والمبالغة فيه، استعمل الشاعر المجاز في يقتل، وجور الفكر،
ليعبّر عن المواقف الصعبة التي واجهت أحمد شوقي وكادت أن تؤدي به إلى الهلاك، نظرا
لمواقفه الباسلة، وتصديده لأعداء الأمة، واصطدامه بالقهر والجبروت، فقال:

فَقَدْ جَارَ "شَوْقِي" عَلَى نَفْسِهِ * وَقَدْ يَقْتُلُ الْمَرْءُ جُورَ الْفِكْرِ (94)

فعندما يتعارض الفكر الحرّ مع الضوابط التي يرسمها أعداء المجتمع والأسياذ
المتآمرين معه الذين تحوّلوا إلى مطية في يد الغير، يتعرّض صاحبها إلى الخطر
والمصاعب والمتاعب لأنّ هذا الفكر ناضل من أجل فضح التصرفات المشبوهة أمام الملأ،
وجعل الشعوب تتمرد، وتسعى إلى التغيير بعدما انتشر الوعي بين الناس، وأصبح العدو
هدفاً، ويكون الشاعر قد جسّد الجور الذي يمارسه أعداء الشعوب، والمتآمرين معه الذين

1- ديوان أحمد شوقي/65-70.

2- المصدر نفسه/77.

3- الصديق هو يوسف عليه السلام- المرجع ذاته/77.

قضوا على العلم والثقافة، وغلقوا المنافذ، والأبواب أمام المبدعين، وضيقوا عليهم وخنقوهم، وصادروا حرية الرأي، وهذا الجور، وهذا الطغيان بمثابة العدو الحاقد، القاسي، الذي يترصّ بخصمه، ويتحين الفرص للانقضاض عليه، والفتك به، وشوقي شاعر وأديب مثقّف وواعي، وشجاع، تصدّى للأعداء، واستعمل قلمه ليحاربهم به، ويقضي عليهم، وتكلّم بصراحة وانتقدهم بشدة قويّة، ولم يحطّط، ولم يتفطن إلى المخاطر المحدقة به وما كان الأعداء يخططون له للتخلص منه، لأنّه عزّاهم أمام العالم، وجلب لهم المتاعب، والمصائب، وتمرد عليهم، وحاربهم بسلاح أشدّ من أسلحتهم الفتّاكة، وهو نشر العلم وإنارة العقول، فوقفوا له حجر عثرة في طريقه، وحاصروه، وأضعفوه، وحاولوا قتل العزيمة فيه، والتشكيك به وقهره.

وكأنّ مهدي الجواهري يتكلّم على نفسه على لسان شوقي، ويتطرّق للظروف الصعبة التي عاشها في بلاده العراق، وما تعرّض له من طغيان، وظلم على يد الحكومة العراقية ومن يقف معها إذ حاولوا القضاء عليه، وأبعدوه عن المكانة التي تحسّل عليها باستحقاق، وأغلقوا كلّ المنافذ في وجهه مثلما سبق وأن قلت، وحاربوا أفكاره النيرة، وأزاحوها من المجتمع، وعوّضوها بأفكارهم الدنيئة، المتردّية التي تحمل بين طيّاتها الحقد، والمكر، والبطش والقهر، وحاربوه بواسطتها وأجبروه على الرحيل واختيار الغربة موطنًا له.

وفي نفس المجال عبّر المنتبّي عن امتعاضه من الحكّام، فقال:

وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا * وَمَا يَقْتَضِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرَ

وإِنِّي رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنَظَرًا * وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرٌ⁽¹⁾

وجاء وديوان "شوقي" يَجِدُ الشبابَ، وَيَجِدُ من جَدٍّ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، والجَدُّ ضدُّ الهزل وهو الاجتهاد، قال الله سبحانه وتعالى: "إنَّه تعالى جَدٌّ رَبَّنَا ما اتَّخَذَ صاحِبَةً ولا وَلَدًا"⁽²⁾، تكلم الجواهري على الهدف الكبير الذي يصبو إليه أمير الشعراء أحمد شوقي في توعية الشباب فقال موظفًا المجاز في لفظ يَجِدُ الذي استعمله في غير موضعه، وهي كناية على الدور الكبير الذي قام به الشاعر في تثقيف شباب الأمة، والنَّهوض بأفكاره، وقيادته، وإنارة طريقه، والتصدي للجهل، ومحاربة الرديء، والبحث عن الأفضل:

وَدِيوانُ "شَوْقي" يَجِدُ * الشَّبَابَ لتاريخ أُمَّتِهِ الْمُخْتَصَرِ (99)

وبالنسبة للجواهري شوقي كالواعظ الذي يحاول أن ينير عقول الشباب، ويحارب الجهل، ويعمل على ترسيخ قيم المجتمع، وصقل العقول، وتوعيتها بخطورة ما يحدث في المجتمع، فلا بدَّ من التأمل في هذه المشاكل وأخذها بعين الاعتبار، واستعمال النظرة الثاقبة للتحري، والتدقيق، ومعرفة العلة ومن هنا العمل على مداواتها، واقتلاع الشر ويكون شوقي بهذا قد زرع روح النضال والثورة، والحماس والاقدام، وعمل على الاستثمار في فئة الشباب والاهتمام بها، وتسليط الأضواء عليها لأنها رمز المستقبل، فمنها الشهداء والأبطال، وبهم ترفرف راية الوطن، وهم صنعة المجد، وشوقي يعول عليهم، ويثق بقدرتهم ويحفزهم، ويعزف

¹- ديوان أبو طيب المتنبي/128.

²- سورة الجن/03.

على الوتر الحساس، والشباب لن يخذلوه، وسيتتبعوا إرشاداته ويعملوا بنصائحه، ومن هنا يتّضح مرّة أخرى دور الشعر في وسط الشباب وأهم التأثيرات الإيجابية التي يتركها فيهم.

ولقد شاطر الشاعر الجزائري الكبير مفدي زكريا شوقي في دور الشباب في التّهوض بالوطن فقال في مجال التعبئة العامة:

نحن طلابُ الجزائر * نحن للمجد بناءة

نحن آمالُ الجزائر * في الليالي الحالكات⁽¹⁾

واستعمل وَنَحْنُ أَرْقُ النَّاسِ طَبَعًا، نَحْنُ عِبَادُ فَنٍّ، وأرقّ الناس صيغة اسمية مضافة فيها تفضيل، والرّقة بمعنى اللّين، ورقّ قلبه بمعنى لان وسهل⁽²⁾، وعِبَاد صيغة مبالغة من عبد معناها معروف، أصواتها قويّة استعمالها في غير محلّه، وقال الله جلّ شأنه: "قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فاعبدوا ما شئتم من دونه قل الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة"⁽³⁾، عبّر الجواهري عن حزنه، وامتناعه، لما لحق بصديقه الشاعر العراقي محمد صالح بحر العلوم الذي كان يقاسي في سجون حزب البعث سنة 1963، مستعملا الكناية، للدلالة على اللّطف، والعطف، واللّين، والحنان، ومن جهة أخرى عشقه للفنّ والأدب وتكريس حياته لخدمته والتّقاني فيه والعيش من أجله، واعتباره أولوية في حياته، وهذه معاني جديدة أضافها شاعرنا لمعجمه اللّغوي:

يا أبا ناظِمٍ وَنَحْنُ أَرْقُ النَّاسِ * طَبَعًا نَحْنُ عِبَادُ فَنٍّ (169)

¹ - مفدي زكريا- الألب المقدس/75.

² - المعجم الوسيط (رق)/365.

³ - سورة الزمر / 13-14.

كشف الجواهري لصديقه عن إحساسه المرهف، وعن رفته المتميزة، وعن عاطفته الصادقة المتدفقة وعن طبعه السلس الذي صقله الشعر، وقومه، وأثر فيه، وعمل على ترويض نفسه، والسّمو بالعاطفة إلى درجة الخيال بعيدا عن الواقع، وعن الحقيقة المحبطة والصّعبة، والعبادة لا تكون إلاّ لله سبحانه وتعالى إلاّ أنّ الشّاعر لا يقصد الخضوع، والركوع، والسّجود ولكنّه يقصد العشق المتميّز للفن، والشّعر، وتقديسه، والانحناء أمام العباقرة من الشّعراء وتبجيلهم في بعض الأحيان، وجعلهم في مرتبة مرموقة، لا يستطيع أيّ كان أن يلتحق بركبهم ويجاريهم، ويقترب حتّى منهم لأنّهم يختلفون عن باقي النّاس، والجواهري يخاطب صديقه بكلّ مرارة معبّرا عن حزنه العميق الذي آل إليه وضع المثقف الفنان في المجتمع العربي، همّه الوحيد هو التّعبير عن الموهبة التي ولدت معه وتجسيد أفكاره في الوسط الذي يعيش فيه، والرّقي بفنّه على حساب نفسه وانشغالاته، واهتماماته، وملذّات الدّنيا، وتحمل الشّدائد مقابل شعره لأنّه يعتبره شيئا مقدّسا لا يستطيع كتمه داخل صدره، فلا بد له من الإفصاح عنه وإعطائه الحرّية المطلقة ليعبر، ويفرّج عن معاناته، ويكون بهذا قد ارتاح من العبء الثّقيل الذي يعاني منه ومن هنا سيزول التوتر وتهلّ النفوس.

وبالنسبة للجواهري ليس من المستحيل الوصول إلى درجة إعلان الولاء، والوفاء للشّعر والفن، وتفضيله عن ملذّات الدّنيا، وعدم مخالفته حينما يأتيه كالسّيل الجارف فلا بد من طاعته، والرّضوخ لأملاءاته وهذا تقديس وعبادة من نوع آخر.

وجاء ثراود بالصمت المريب المناكر، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث متعدية، وراود بمعنى دافع عن نفسه وراوغ، وطلب أن يفجر بها⁽¹⁾، وجاء في التنزيل: "وراودته التي هو في بيتها عن نفسه"⁽²⁾، وظف الشاعر المجاز في ثراود حيث ورد في غير موضعه ليمدح من خلاله صديقه الشاعر الكبير معروف الرصافي، وينزّهه ويرفع من مكانته، للدلالة على روح النقاء، والصفاء، والطهارة التي يتمتع بها الرصافي مقارنة بغيره، وابتعاده عن الخبائث، والمناكر، والذنوب، والتصدي لها، ومقاومتها، فقال:

إِنَّكَ أَنْقَى مِنْ نُفُوسٍ خَبِيثَةٍ * ثَرَاوُدُ بِالصَّمْتِ الْمَرِيبِ الْمُنَاكِرِ (110)

للدلالة على نقاوة نفس معروف الرصافي، وعزتها، وسموها، وطهارتها، وخلوها من الخبث والرذيلة، على عكس الآخرين الذين يتعايشون مع المناكر ويرونها بأم العين ويصمتون صمتا مريباً، رهيباً، ينتج عن هذا الصمت الظلم، والقهر، والحرام، ولا يقفون موقفاً رجولياً مثل الرصافي الذي عُرف بكرامة النفس، وبالمواقف المناهضة للعدو، ولقد نغم مهدي الجواهري على هؤلاء الذين تخول لهم أنفسهم الصمت المريب، الغريب، الملفت للنظر الذي يحمل بين طياته الخضوع، والخنوع، والاستصغار، والاحتقار، فهذه المظاهر تؤلم محمد مهدي الجواهري، مثلما تؤلم حادثة امرأة العزيز التي راودت سيدنا يوسف عليه السلام على نفسه وامتنع بإذن الله، فيقوم المتخاذلون أذيال العدو بقبول المناكر ويتذللون ويسمحون لأنفسهم بالاستباحة، لأنهم فقدوا كل المبادئ، والقيّم، والمعايير، واستسلموا، وانبطحوا، ورضوا

¹ - المعجم الوسيط (ورد)/381.

² - سورة يوسف/24.

بمصيرهم البائس، وللدلالة كذلك على مشاركة البعض في تنامي الجرائم نظرا لمواقفهم المتخاذلة، وكأن الأمر لا يعنيههم لأنهم بعيدون كل البعد عن حقيقة ما يحدث، ولذلك اغتتم الأعداء فراغ المجتمع من الوعظ، والارشاد، والقيم السمحاء، ومارسوا فيه شتى أنواع الرذيلة مما جعل مهدي الجواهري يحقّد ويرفع من مكانة معروف الرصافي وينزّره ويرفض هذه التصرفات المريبة التي تحدث في المجتمع ويحاربها ويقف ضدها.

وورد تَسْتَلُّ من أظفارهم، و تَحْطُّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، و تَتَلُّ مجداً كاذباً، صيغ فعلية أصواتها قوية مدوية معبرة فعالة شديدة عرف الشاعر كيف يوظفها في الموضع الذي يناسبها، وعبر من خلالها عن صدق نيته في التخلص من أعدائه استعمالها في غير محلّه، وتَسْتَلُّ من اسْتَلَّ وانتزع وأخرج برفق⁽¹⁾، وتَتَلُّ بمعنى تهلك⁽²⁾، قال الجواهري يسخر من المكانة المرموقة التي وصل إليها السادة العراقيين التي بُنيت على الكذب والغشّ والزور، ومستعملا المجاز في تَسْتَلُّ، وتَحْطُّ، وتَتَلُّ حيث وردت في غير مواضعها، وهي كناية على الإطاحة بالأعداء، واحتقارهم، والحقّ من مراكزهم، والعمل على زلزلة أركان مجدهم من خلال شعره، وهذه دلالات جديدة عملت على إثراء لغة الشاعر، فقال:

تَسْتَلُّ من أظفارهم وتَحْطُّ مِنْ * أَقْدَارِهِمْ وتَتَلُّ مجداً كاذباً (142)

فالأظافر التي ذكرها الشاعر سابقا في العديد من قصائده، واستعملها الأعداء للانقضاض على الشعوب، والفتك، ونهش اللحم، وكسر العظم، أراد الجواهري تقليمها

¹- المعجم الوسيط (سلى)/545.

²- المرجع ذاته (تَلَّ)/99.

وانتزاعها والحدّ من شوكتها، والعمل على قطعها لأنّها وسخة، فيها نجاسة لابدّ من تطهيرها، لأنّ الجراثيم، والقذورات تراكمت فيها، واتّخذتها ملاذاً آمناً، ومأوى تختفي فيه لتحارب الشعب مستعملة المكر والحيلة، فلا بد من القيام بعملية تنظيف عميقة نقضي من خلالها على النّجاسة والدّرن، ونخلّص المجتمع من تبايعياتها، ومن الأضرار التي نتجت عنها، ومن هنا نُعرّي الأعداء أمام المأى ونزيح عنهم القناع، ونفصح عن مكنوناتهم ونواياهم اتّجاه الشعوب المظلومة، وبهذا سيهوى مجدهم الكاذب الذي بنيت قواعده على الغشّ، والنّفاق، والابتزاز، والسرقة، والظلم، والاحتقار، ومصادرة الآراء، وكَمّ الأفواه، وقمع المبدعين وإبعادهم ونفيهم، وستعمل قصائد مهدي الجواهري على الإطاحة بهم، وتدميرهم إلى غير رجعة، والانتقام منهم، والتّمثيل بهم.

واستعمل إنّي حاملٌ في الصّدْر نايًا، والناي آلة موسيقية معروفة حروفها قوّة معبّرة، استعملها الشّاعر مجازاً، وهي كناية عن معاناته، وآلامه، وشجونه، وصرخاته، فقال:

لا أريدُ "النايَ" إنّي * حاملٌ في الصّدْر نايًا (104)

فالشّاعر لا يحتاج إلى آلة موسيقية ليعبّر عمّا يجيش في صدره من آهات وأنات، ولكنّها تخرج بصورة عفوية، تلقائية ومن بين أضلعه تحدث صوتاً قوياً، واهتزازاً، وإيقاعاً أنتجتَه الظّروف القاسية، فالموسيقى عنده مصدرها ليس الناي بل يُملئها قلبه، وجوارحه، وعواطفه، وأحاسيسه، تخرج على شكل أشعار، وترنّمات لها وقع كبير في نفس المتلقّي، تخفّف المعاناة وتعبّر عن الذات الجريحة، وتريد دفع الحزن عنها، وطمأننتها والخروج بها

إلى برّ الأمان، وينتج عن النَّاي كذلك أصواتا فيها شجون، وأحزان وهي متنفس كبير، ودواء نافع لما قاساه الجواهري في وطنه يُبعد من خلاله الأشباح التي تطارده، وتتهجم عليه، ولا يستطيع الافلات منها بسهولة، لأنها تضغط عليه، فيردّ أأاته وزفيره ضمن قصائد رائعة يفرّج بها عن نفسه ويخفّف عن روحه.

وورد لُزْبَى آهَاتٍ حَيَارَى شُرْدٍ، وآهات بمعنى أُنَات صيغة اسمية وردت جمعا، حروفها قوّة، وحيارى من حائر بمعنى متردّد، وشُرْد صيغة اسمية وردت جمعا من شرد بمعنى نفر واستعصى⁽¹⁾، وفي التّنزيل العزيز: "فَشُرْدَ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ"⁽²⁾، استعمل الجواهري المجاز في شُرْد إذ ورد في غير موضعه ليولّد من خلاله معنى الضياع الكبير، والحيرة الشديدة، والتردّد الذي يعتري الجواهري ويجعله يعمل على التّخفيف من معاناته التي لا تنتهي من جراء نشوب الحرب غير المتكافئة بين الأكراد الأبطال، والحكومة المركزية في بغداد، فقال:

لُزْبَى آهَاتٍ حَيَارَى شُرْدٍ * راحَتْ على فَمِ شاعرٍ تَنْتَظِمُ (17)

فالآهات التي يتكلّم عنها الشّاعر هي شريدة لا تعرف وجهتها ولا قبلتها نتجت عن نفس تائهة، مربكة، متردّدة، أرهقتها الأوجاع والمآسي والآلام، ووجدت ضالّتها عند مهدي الجواهري فالتفتها، وفتح ذراعيه واحتضنها، وطأأها، وأخرجها في شكل قصائد ضمنّها تلك الصرخات المنبعثة من النفوس المنكسرة، المستغيثة، المكتئبة التي لم تلق صدًى، ولا مجيباً،

¹- المعجم الوسيط(شرد)/478.

²- سورة الأنفال/57.

ولا مجيرا إلا مهدي الجواهري يعرف كيف يتعامل معها، واستثمرها في شكل ابداع، وخلق، وإلهام، فرّج به عن معاناته إبان هذه الحرب المشتعلة بين حكام العراق والأكراد، حيث أظهر تعاطفه مع هذه القضية العادلة في نظره معاتبا سادة العراق، فتدفقت أحاسيسه وهوت الحواجز، ووقف وقوف الأبطال مساهما في مناصرة الأكراد مآزرا لهم، وداعما موقفهم من خلال أشعاره التي احتضنت أناتهم، وآلامهم، وتبنت قضيتهم.

وجاء **وكان جُرْحُكَ إلهامي مشاركة، وكان يأخذ من جرحي ويعطيني، وجرحك** إلهامي صيغة اسمية مضافة، والجرح شقّ البدن وهو معروف، والالهام هو إلقاء الشيء في القلب يطمئن له الصدر، ويخصّ الله به بعض أصفياه⁽¹⁾، والأصوات بين الضعف والقوة، وباقي معاني الألفاظ مألوفة، والكاف في لفظ **جُرْحُكَ** يعود على نهر دجلة، عبّر الشاعر عن مساهمة آلام العراقيين، وآلامه في تدفق الشعر عنده، واعتبرها عملية تبادل وأخذ وعطاء من معاناته التي لا تنتهي وهي بالنسبة له جراحا نازفة، واستعمل المجاز في لفظي **يَأْخُذُ**، **وَيُعْطِينِي** حيث أوردهما في غير موضعهما، للدلالة كما قلت على الالهام الذي يأتيه نظرا لما يعيشه أهله وذووه من مآسات، ومحن، وهي كناية على ما يقلق مجتمعه من هموم، وأحزان، وظّفها الجواهري وزادته فنا، وابداعا، وخلقاً، إلى جانب ما يشعر به هو كذلك من ضغوطات، وصراعات، جعلته يتألق ويبتكر، وهذه دلالات جديدة أضافها لشعره فقال:

وكان جُرْحُكَ إلهامي مشاركة * وكان يأخذ من جرحي ويعطيني(33)

¹ - المعجم الوسيط (لهم)/842.

فكلما ابتعد عن أرضه الغالية ما يزال قلبه يعتصر ألما، وما يزال ملتصقا بأهله وبماضيه، ولم يتهاون في التعبير عما يشعر به مما يزيد من عطائه وابتكاره يفرض نفسه عليه بقوة جبارة لا تقهر، ولا يستطيع أن يتصدى إليها، يضيف عليها أوجاعه المزمنة التي لا تفارقه.

واستعمل الشاعر أنا صورة الألم الذبيح و أصوغه كَلِمًا، و عَنِ الْقَلْبِ الجريحِ يُتَرْجَمُ، وأصوغه كَلِمًا صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المتكلم متعدية، ألفاظها قوية معناها معروف، وصورة الألم الذبيح صيغة اسمية مضافة، والذبيح فيها مبالغة، أما يُتَرْجَم فهي صيغة مضارع مبنية للمجهول، أصواتها قوية كذلك من ترجم وهو معروف، وظف الجواهري الكناية ليعبر عن عدم تحمله للأوجاع والمعاناة التي أنهكته وأضرت به وذبحته حتى الموت وقهرته، ووجد في شعره متفصلا يخفف من خلاله عن أحزانه، وأوجاعه، حيث قال:

أنا صورة الألم الذبيح أصوغه * كَلِمًا عَنِ الْقَلْبِ الجريحِ يُتَرْجَمُ(6)

وللدلالة كذلك على نفاذ الصبر، والشعور بالضعف، والإشراف في بعض الأحيان على الاستسلام لهذا المصير المحتوم الذي أصبح لا يُطاق، نظرا لتوالي النكبات وليس هناك تغيير في الأفق، وأصبح كل شيء يراوح مكانه، وزاد الوضع تأزما وخطورة، وتمنى الشاعر أن تعود له البسمة من جديد، ويتذوق حلاوة الحياة، لأن ما يعيشه من مآسات فوق طاقته ولا حدود لها، تَرَجَمَها في شعره، وفرج بها عن أناته، وأعادت له طريق الحياة الذي

افتقده وجعله ينظر بكلّ سوداوية وتشاؤم إلى المستقبل، إلا أنّ شعره أنقذ الموقف، وأعاد له الأمل من جديد، وعبر من خلاله عن قلبه الجريح النَّازف.

وما ألاحظه أنّ الآلام، والمعاناة، والظروف الصّعبة التي عايشها محمد مهدي الجواهري أثّرت فيه، وجعلته يبدع أكثر في شعره، ويرقى به، ويسمو ويبتكر، ويخلق قصائد معانيها عميقة، مستعصية في بعض الأحيان، ساحرة تزيد فنّه رونقا وجمالا، أنتج من خلالها دلالات جديدة عملت على إنماء لغة معجمه وتنوّعها وتقويتها.

ووظّف صنّاجُ الأدبِ الغالي، والمَواهبُ سيمتُ سَومَ مَغْبُون، وصنّاجُ الأدبِ صيغة اسمية مضافة، وهي آلة موسيقية⁽¹⁾، الأصوات قويّة، مدويّة، مزلزلة، هدّافة، شديدة، لأنّ المقام يتطلّب ذلك، وسيمتُ صيغة فعلية مبنية للمجهول، حروفها شديدة ماثّرة، بمعنى عرض السلعة للبيع لتقويمها، ومَغْبُون اسم مفعول، من غبن بمعنى نقص وضعف⁽²⁾، وفي التّنزيل العزيز: "يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن"⁽³⁾، واستعمل الشّاعر الكناية ليعبر عن الوضع المتدنّي والحقير والمنحط الذي آل إليه الأدباء ورجال العلم، وهذه دلالة جديدة ولّدها الجواهري فقال:

صنّاجُ الأدبِ الغالي كَمَ حَقَبٍ*بِهَا المَواهبُ سيمتُ سَومَ مَغْبُون(39)

¹ - المعجم الوسيط (صنج)/1003.

² - المعجم نفسه (غبن)/644.

³ - سورة التغابن /09.

وصنّاجة الأدب هي الآهات، والانفعالات، والأثّات، والموسيقى، والترنّم، والشجن، الذي ينبعث من بين أسطر قصائد الشعراء المقتدرين العباقرة الذين يعزفون على أوتار القلوب بكلّ رقة ولطف، كما يُعزف على آلة الطرب فتخرج أصواتا متناسقة، منسجمة، أنتجتها أنامل فنانين لهم من الدّوق، والخبرة، والموهبة ما يجعل العواطف تهيج وتشتعل، والروح تسترخي وتهدأ، فشعر مهدي الجواهري، وأمثاله كآلة موسيقية ثمنها غالي لا يعرفه إلاّ الذين يُحسنون التّعامل معها ويقدّرون قيمتها، إلاّ أنّ هؤلاء الجهلة ازدروها واحتقروها، ووضعوا لها أثمانا رخيصة لا ترقى إلى مكانتها مثلما حدث للمبدعين العرب عبر التّاريخ في أوطانهم، فلقد باعهم الساسة بأرخس الأثمان وأبخسها، وعانوا من الدّل، وعدم الاهتمام لأنّهم مثلما سبق وأن قلت استعملوا أشعارهم لإرباك هؤلاء الأندال وفضحهم، وتعريّتهم ولهذا السبب تصدّى هؤلاء المنافقين للجواهري ولأمثاله، وقمعوا هذه النخبة المبدعة، وهمشوها، وحدّوا من حرّيتها، واحتقروها، وأغفلوها، وحاربوها بشدّة، وباعوها بثمن رخيص.

واستعمل الجواهري كذلك صنّاجة الشعر تُهدي المُتَرَف الطّربا، وصنّاجة الشعر صيغة اسمية مضافة وهي آلة الطرب، مثلما ورد سابقا، وتُهدي من أهدى هدية صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، والطرب هو الغناء، الأصوات قويّة في معظمها وباقي الألفاظ معروفة، قال الشّاعر في ذكرى المهرجان الألفي الذي أقيم في دمشق سنة 1943 لأبي العلاء المعري وحضرته الوفود العربية، موظّفا الكناية للدّلالة على أنّ الوضع الذي اشتكى منه المعريّ مازال ساريا، ولا يزال العديد من الشعراء يتاجرون بفنّهم،

ويقدمونه هبة لذوي النّفوذ، للإعلاء من شأنهم ومدحهم عادة بما ليس فيهم غرض الارتزاق،
ونيل الجاه الذي لا يدوم، وهذا معنى جديد دخل إلى معجم الجواهري:

أبا العلاء، وحتّى اليوم ما برحت * صنّاجة الشّعر تُهدي المُثرفا الطّربا (198)

ولقد اشتكى أبو العلاء المعري نفسه من هذه الظاهرة في حياته ورفضها رفضاً قاطعاً، وهجا من أقدم عليها، والجواهري يذكره بأنّ الحال مازال ساري المفعول والظروف تراوح مكانها، ومازال العديد من المفكرين والشّعراء يجعلون أنفسهم رهن القادة وتحت تصرفهم فهم مطيّة لهم يكرّسون معظم وقتهم للمدح والفخر، والشّاعر يرفض هذا الوضع ويمقتّه ويحاربه، ولقد كان نفسه مقرّبا من القصور وحكّام العراق إلا أنّهم أزاحوه من مكانه لما كان يبيده من تمرّد، ورفض لبعض السلوكات السلطوية والاملاءات.

وورد نُسِيلُ فِي كُلِّ نَفْسٍ، كَمُدْبِ النَّعَاسِ مِنْ كُلِّ جَفْنٍ، وَنُسِيلُ صِيغَةٍ فَعْلِيَّةٍ مُسْنَدَةٌ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ سَالٍ بِمَعْنَى جَرَى، وَسَالَتِ الْأَرْضُ بِمَا فِيهَا، وَسَالَتِ عَلَيْهِ الْخِيلُ وَغَيْرَهَا جَرَتْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَتَدَقَّقَتْ⁽¹⁾، وَقَالَ الْحَقُّ: "وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ مِنَ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ"⁽²⁾، الْأَصْوَاتُ وَرَدَتْ ضَعِيفَةً، أَمَّا كَمُدْبِ النَّعَاسِ فَهِيَ صِيغَةٌ اسْمِيَّةٌ مُضَافَةٌ، وَدَبَّ بِمَعْنَى مَشَى مَشْيًا رَوِيدًا، وَسَرَى وَدَبَّ الشَّرَابُ فِي الْجَسَدِ⁽³⁾، وَقَالَ الْجَوَاهِرِيُّ مُخَاطِبًا أَبَا نَازِمٍ صَدِيقَهُ الْمَسْجُونِ مُسْتَعْمِلًا التَّشْبِيهِ، وَاعْتَبَرَ جَرِيَانَ شَعْرِهِ فِي النَّفُوسِ الَّتِي تَسْتَسِيغُهُ، وَتَتَذَوَّقُهُ، وَتَقْدَرُهُ، وَتَطَالِبُ بِهِ، وَتُقْبَلُ عَلَيْهِ، بِمَثَابَةِ النَّعَاسِ عِنْدَمَا

¹- المعجم الوسيط (سال) 469.

²- سورة سبأ/12.

³- المعجم الوسيط (دب) 268.

يسري في الجفون بعد عناء طويل يُشعرنا بالرّاحة، والاطمئنان، والهدوء، وهذه دلالة جديدة ولّدها الشاعر، وعملت على إثراء لغته وتنوّعها:

نَحْنُ مِمَّا نُسِيلُ فِي كُلِّ نَفْسٍ * كَمَدَبِ النَّعَاسِ مِنْ كُلِّ جَفْنٍ (169)

ولأنّ الشّعْر عنده يريح الشعور، ويبعد التوتر، ويسمو بالعاطفة، ويبثّ فينا الاستقرار، ويبعدنا عن الواقع القاسي، ويحلّق بنا عاليا في الأفق سابحا في السّماء، ويخفّف عنّا ثقل الحياة وكابوسها، ويجعلنا نرتاح ونشعر بالأمن، لهذا السبب أعطى الجواهري لشعره مكانة مرموقة في حياته، وجعله ضرورة لا يستطيع أن يعيش بدونه وينقطع عنه، ولو حدث ذلك فسيشعر بالمرارة، والاحباط، والحزن العميق، ومن هنا تكمن قدرة الشاعر على التّخفيف من التوتر، والقلق، فشعره كالّدواء العجيب الشافي، المفيد يجعلنا نستعيد صحّتنا ونتعافى ونصبح أقوىاء.

وجاء والقصيدُ عُروْقٌ، و يَتَفَجَّرْنَ بالأحاسيس، والقصيد عروق صيغة اسمية وعروق من عرق وهو مجرى الدّم في الجسد، ويتفجّر صيغة فعلية، أصواتها قويّة مدويّة، وقال الله سبحانه وتعالى: "وفجّرنا خلالهما نهرا"⁽¹⁾، وقال كذلك: "وإنّما من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار"⁽²⁾، واستعمل الشاعر المجاز في يتفجّر حيث ورد في غير موضعه، وهي كناية على أنّ الشعر عنده هو نبض الحياة، واستمرارها، والدّقات الشعرية تأتيه بقوة جبارة، تخترق كلّ الحواجز، وتندفع اندفاع الدّماء في الجسم، وتعمل على التخفيف من الهموم، والعبء

¹- سورة الكهف/33.

²- سورة البقرة/74.

الثقل الذي يحمله في صدره، ويحاول أن يخفف عن نفسه، وبذلك صعوبات الحياة، ويترجم أحاسيه الصادقة، وهذا معنى جديد ولده الجواهري، فقال مناجيا بيروت التي تلهمه كلما حل بها:

إيه بيروت والقصيدُ عُروق * يَتَفَجَّرْنَ بالأحاسيس فصدا (292)

ومهدي الجواهري لا يقصد الأصوات المرعبة المدوية المزعجة التي تتبعث إبان تفجير بعض الأجسام والألغام، ولكنه يقصد أحاسيسه، وعواطفه، وهواجسه التي ضاق بها صدره ولم يعد يحتويها، ويتحكم فيها، ويكتمها، ويكظمها، وهي نسيج من عروقه ومن دمائه، ومن هواجسه، ومن روحه، وقلبه، وأفكاره ترجمها في شكل قصائد رائعة، مدوية، تهرّ أركان الدنيا، وتزلزلها بقوة، وتعمل على تغيير مجرى الكون، وتؤثر في الأحداث، والشاعر لا يستطيع السكوت لوقت طويل فعليه أن يعبر، ويفرّج عن روحه، ويريح ضميره، ولهذا السبب فسح المجال لأحاسيسه وأذن لها بأن تتفجّر بقوة وبغف لتجرف ما تجده عائقا أمامها، وتفرّج عن معاناته وتخفف من أوجاعه.

ووظف القوافي تشقّ الدربَ وعزّا، و تهدي المضلين نجدا، وتشقّ صيغة فعلية متعدية أصواتها قوّة، وشقّ طريقه بمعنى سار فيه، قال الحق: " يوم تشقّ الأرض عنهم سراعاً"⁽¹⁾، وجاء في التنزيل كذلك: "وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإنّ منها لما يهبط من خشية الله"⁽²⁾، والدرب هو الطريق، أمّا تهدي المضلين صيغة فعلية كذلك حروفها

¹ - سورة ق/44.

² - سورة البقرة/74.

ضعيفة استعمالها مجازي من الهداية معروفة مألوفة، ونجدا هو الطريق، قال الله جلّ شأنه:
"وهديناه النجدين"⁽¹⁾، استعمل الشاعر المجاز في تشقّ، وتَهْدِي، للدلالة على مواكبة شعره
لأحداث عصره، ومساهمته في النهوض بالوطن وإرشاد العقول الضالة فقال:

مُنْذُ خَمْسِينَ وَالْقَوَافِي تَشْقُ * الدَّرْبَ وَغَرًّا وَتَهْدِي الْمُظْلِينَ نَجْدًا (289)

وللدلالة على الحقبة الزمنية الطويلة التي قضاها الجواهري في الابداع، والخلق
والتطرّق لجميع المواضيع التي تمسّ مجتمعه من قريب وبعيد، وإلى الأمور المستعصية،
موظّفًا أوزانه، وقوافيه، وموهبته، وقدرته الفذة لخدمة أمّته، وأبناء عشيرته، فاسحا المجال
أمام إلهامه ليعبّر عمّا يريد، متكلمًا بصراحة ممّا أدى به في الكثير من الأحيان إلى تعريض
نفسه للمخاطر، عندما قام بإعلانه الحرب على حكّام العراق، فقاطعوه وعزلوه وتبرّأ أهله
وعشيرته منه، ولكن هذه الأحداث لم تضعفه، ولم تغيّر شيئًا فيه ولا من عطائه فزادته
إلهاما، وخلقًا، وابتكارًا، وصقلت موهبته وقوّتها، ووظّف قوافيه بكلّ مسؤولية، ووعي كبير
يحدوه في ذلك اقتناعه الكبير بقضايا وطنه، وقدرته الفريدة من نوعها في تطوير أشعاره
والسمو بها، واختياره للألفاظ والمعاني على حدّ سواء، وبهذا تفوّق على غيره.

وفي نفس المعنى قال المتنبي يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي ويفتخر بشعره
وبقوّته وجزالته فقال:

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَ الْحِلْمُ وَالْحِجَى * وَهَذَا الْكَلَامُ النُّظْمُ وَالنَّائِلُ النُّثْرُ

¹ - سورة البلد/10.

و مَا قُلْتُ مِنْ شَعْرٍ تَكَادُ بِيُوتُهُ * إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ

كَأَنِّي الْمَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا * نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ خَلَائِقُكَ كَالزُّهْرِ⁽¹⁾

وورد يَتَبَجَّحُونَ بِأَنْ مَوْجاً طَاغِيَا، وَ سَدُّوا عَلَيْهِ مَنَافِذًا وَمَسَارِيَا، وَ فَمِلْءُ فَمِ الزَّمَانِ قَصَائِدُ، وَ تَجُوبُ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا، وَيَتَبَجَّحُونَ بِمَعْنَى يَعْظُمُونَ وَيَفْتَخِرُونَ⁽²⁾، صِيغَةُ فَعْلِيَّةٍ مُسْنَدَةٌ إِلَى ضَمِيرِ الْغَائِبِ الْجَمْعِ الْمَذْكَرِ، أَمَّا مَوْجَا طَاغِيَا وَطَغَى بِمَعْنَى تَجَاوَزَ حَدَّهُ، اسْتِعْمَالُهُ مُجَازِي، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: "فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى"⁽³⁾، وَسَدُّوا عَلَيْهِ مَنَافِذًا بِمَعْنَى وَقَفُوا فِي طَرِيقِهِ، وَتَجُوبُ صِيغَةُ فَعْلِيَّةٍ حُرُوفُهَا بَيْنَ الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ مُتَعَدِّيَّةٌ، وَجَابَ بِمَعْنَى قَطَعَ سِيرًا، وَجَابَ الْخَبْرَ انْتَشَرَ⁽⁴⁾، وَقَالَ الْحَقُّ: "وَتُمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ"⁽⁵⁾، وَفَمِ الزَّمَانِ صِيغَةُ اسْمِيَّةٍ مُضَافَةٌ حُرُوفُهَا قُوَّةٌ وَمُعْظَمُ الْأَلْفَاظِ مَعْرُوفَةٌ مُسْتَسَاغَةٌ، تَغْنَى الشَّاعِرُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْإِبْدَاعِ وَرَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ الَّذِينَ حَاولُوا عِرْقَلَتَهُ وَالْوُقُوفُ فِي طَرِيقِهِ، فَقَالَ مُسْتَعْمِلًا الْكِنَايَةَ فِي مَوْجاً طَاغِيَا، وَفَمِلْءُ فَمِ الزَّمَانِ قَصَائِدِي، وَالْمَجَازُ فِي تَجُوبَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا، لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَوْقِفِ أَعْدَائِهِ مِنْ شَعْرِهِ حَيْثُ اعْتَبَرُوهُ خَطَرًا عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا فِي طَرِيقِهِ، وَحَارِبُوهُ، وَوَضَعُوا لَهُ الْعِرَاقِيلَ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ انْتَشَرَ وَاكْتَسَحَ كَافَّةَ أَرْجَاءِ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ، مِنْ شَرْقِهِ إِلَى غَرْبِهِ، وَمِنْ شِمَالِهِ إِلَى جَنُوبِهِ، حَيْثُ رَدَّدَهُ الْجَمِيعَ

1- ديوان المتنبي/128.

2- المعجم الوسيط (بجج)/380.

3- سورة النازعات/34-46.

4- المعجم الوسيط (جوب)/144.

5- سورة الفجر/09.

بكلّ افتخار وتقدير، وهذه معاني جديدة ولّدها الشاعر من خلال حسن استعماله لألفاظه، وتراكيبه، والنّجاح في اختيارها، ووضعها في السياقات المناسبة لها:

يَتَبَجَّحُونَ بَأَنَّ مَوْجاً طَاغِياً * سَدُّوا عَلَيْهِ مَنَافِداً وَمَسَارِياً

كَذَبُوا فَمِلْءُ فَمِ الزَّمانِ قَصَائِدِ * أَبَدَا تَجُوبُ مَشَارِقاً وَمَغَارِباً (142)

اعتبر أعداء الجواهري شعره كالموج الطاغي، المتعالي، المخيف الفتاك، ولهذا السبب عملوا على الوقوف بطريقه لأنّه تصدّى لهم، وحاربهم، وأظهرهم على حقيقتهم، وعزّاهم أمام المجتمع، ووقف في وجههم وعمل على جرفهم مثل السيل العارم الذي يأتي على الأحجار، وكلّ ما يجد في طريقه، ولهذا السبب جمع أعداؤه كلّ ما لديهم من قوّة وتوحّدوا، وسدّوا عليه الطريق ولم يتركوا له متنفساً، وحاربوه بقوّة، وبالرغم من عرقلته فلقد غزى شعره كلّ أبقاع العالم، وانتشر في أرجائه دون استثناء وعبر الأزمان، ووقف صامدا ثابتا متحدّيا كل المؤامرات التي حيكت من طرف الحكّام، والأعداء، وأشباه الشعراء، الذين يقبّلون أقدام الأسياد، ويسمعونهم كلاما رقيقا لا يرقى إلى مستوى الجواهري، فقصائده سافرت عبر الكون واحتلّته، واحتضنها التاريخ وسجلّها، ولا يستطيع أيّ كان محو بصماتها لأنّها شديدة معبّرة، مدوّية مزلزلة، قويّة ثابتة.

وقال أحمد شوقي مستعملا عبارة فَمِ الدُّنيا كذلك:

فَمِ فِي الدُّنيا وَحْيِ الْأَزْهَرَا * وَاثَرٌ عَلَى سَمْعِ الزَّمانِ الْجَوْهَرَا⁽¹⁾

¹ - ديوان أحمد شوقي/117.

وورد أنا حَتْفُهُمْ، و أَلَجُ الْبُيُوتَ عَلَيْهِمْ، و أُغْرِي الْوَلِيدَ بِشَتْمِهِمْ وَالْحَاجِبَ، والحتف هو الهلاك وهُم تعود على حكام العراق وأَلَجُ البيوت ولج بمعنى دخل⁽¹⁾، وأغري بمعنى أحرّض⁽²⁾، قال الله سبحانه وتعالى: "فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة"⁽³⁾، والوليد المولود حين يولد والعبد والخدم⁽⁴⁾، وباقي الألفاظ معروفة مألوفة، قال الجواهري مهتدا أعداءه، ومتوعدا، وموظفا الكناية، للدلالة على ثقته في شعره، الذي يستطيع أن يطيح بأعدائه ويزلزل عرشهم وحكمهم الهش، وهذه معاني جديدة أضافها لمعجمه اللغوي:

أنا حَتْفُهُمْ أَلَجُ الْبُيُوتَ عَلَيْهِمْ * أُغْرِي الْوَلِيدَ بِشَتْمِهِمْ وَالْحَاجِبَ (142)

فالجواهري أصبح نقمة على أعدائه، ونهايتهم ستكون على يديه، وسيزيل حكمهم بشعره، وينهي ملكهم، ويزلزل أركانهم بابتداعاته، وعندما يتداول الناس أشعاره كبارا وصغارا، سيؤثر فيهم، ويسري في نفوسهم، ويصقلهم، ويبعث فيهم الحماس، ويوقض ضمائرهم، وتدب فيهم الحياة من جديد، وتقوى عزيمتهم، ويشعرون بروح المسؤولية اتجاه وطنهم المغتصب، وسيهتّبون لتغيير الوضع والإطاحة بالمعتدين، وإزاحتهم من مناصبهم التي بنوها بقوة الفتك، والسلاح، والجواهري يعرف كل أسرارهم لأنّه كان مقربا منهم، ومتطلعا على خباياهم ولهذا السبب سيعرف كيف يقضي عليهم مستعملا سهام شعره، وفي نفس المقام اشتكى المتنبي من سيف الدولة فقال:

¹ - أساس البلاغة (ولج) 688.
² - المعجم الوسيط (أغرى) 651.
³ - سورة المائدة/14.
⁴ - المعجم الوسيط (ولد) 156.

لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ * يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدَّيْمُ

أَرَى النَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ * لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَحَادَةُ⁽¹⁾ الرُّسْمُ⁽²⁾

ووظف لقد نور الدرب هذا القصيد، ونور صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، أصواتها قوية، ونور بمعنى أضاء فيها تقديم وتأخير ومعظم الألفاظ معروفة، قال الجواهري بمناسبة ذكرى عيد العمال سنة 1961 متحدياً الدكتاتور الحاكم عبد الكريم قاسم مستعملاً المجاز في نور حيث استعمله في غير موضعه، للدلالة على دور شعره في إيقاظ الضمائر، وإنارة العقول، وإزالة الضبابية، وتعبيد الطرق:

هُنَاكَ سَوْفَ يَقُولُ الصَّغَارُ * لَقَدْ نَوَّرَ الدَّرْبَ هَذَا الْقَصِيدُ

تَنَبَّأَ صَاحِبُهُ أَنْ نَسُودَ * وَهَذَا نَحْنُ -رَغْمَ أَنْوْفٍ- نَسُودُ⁽¹³⁷⁾

اعتبر محمد مهدي الجواهري شعره بمثابة المصباح الذي عمل على إنارة الطريق، وفسحه ليسهل المرور، وكشف عن مدى تأثيره في مجتمعه، وخاصة في فئة الشباب التي استفادت منه لأنه استمات في توعيتها، وعمل على هدايتها، وتعبئة أجيال المستقبل، وناضل من أجل تنوير العقول، والتّحذير من المخاطر المحدقة بالأمّة، وقاد الشعب بكلّ تفاني ومسؤولية، واستثمر في قدرات الشباب وهبهم لكي يدافعوا عن الوطن المغتصب، وتقرب منهم في كثير من القصائد، وتغنّى بشجاعتهم، وصمودهم، وحماسهم، لأنه مقتنع بأنهم سيعملون على الإطاحة بأركان الحكم، فقد عمل على نزع الأشواك من أمامهم، وتذليل

¹- الوخادة، الناقة السريعة السير-ديوان المتنبي/213.

²- ديوان المتنبي/213.

الصعوبات، ومازرتهم من خلال أشعاره الهدّافة التي صقلت العقول، وهزّت المشاعر، وحمّست الشباب، وقوّت إرادتهم وزلزلت الأعداء وقهرتهم وقضت عليهم في النهاية.

وجاء يا غريب الدارِ ناغ الشعر، و يَمْحُضُكَ الحِوَارُ، وناغ فعل شرط مسند إلى ضمير المفرد المخاطب ونقول ناغت الأم الصبيّ بمعنى لطفته ولاعبته، الأصوات ضعيفة إلى حدّ ما، أمّا يُمْحِضُكَ فهو جواب الشرط مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدي، ومَحَضَ بمعنى أعطاه ودّا، ونصحا، وإخلاصا، والمحض كل شيء خالص لا يشوب شيء يخالطه⁽¹⁾، استعمل الشاعر المجاز في ناغ، ويُمْحِضُكَ للدلالة على تخفيف الشاعر من معاناته، من خلال مناغاته لأشعاره بنات أفكاره، وترتيلها، وقراءتها، والتّحاور معها وقت الشدّة والضيق، واعتبرها صديقه العزيز، الوفيّ، المخلص في بلاد الغربة، عندما تخلّى عنه الجميع، وقاطعوه، وتخلّصوا منه، ووصف همومه وعزلته فقال في قصيدة بعنوان "غريب الدار" ويقصد بها نفسه وما آل إليه وضعه خريف عام 1962:

يا غريب الدارِ ناغ الشعر * يَمْحُضُكَ الحِوَارُ (234)

جعل الشاعر الصلة الموجودة بينه، وبين أشعاره كصلة القرابة القويّة التي تربط الأم بطفلها الوليد حين تنأغيه، وتخفّف عنه، وتهدّئ من روعه قبل أن ينام ويسترخي، ومهدي الجواهري يخاطب نفسه محاولا أن يرفع الغبن عن حاله وهو في بلاد الغربة، وحيدا، حزينا، بعيدا عن خلّائه وأصدقائه، ووطنه، عرضة للاحباطات والانفعالات، لم يجد ضالّته إلّا

¹ - المعجم الوسيط (محض) 856.

في التّحاور مع شعره لأنّه أعزّ أصدقائه، وأوفاهم، وأخلصهم، فالكلّ قد أدار له الظّهر، إلا شعره بقي رفيق دربه، وتوأم روحه، لم يفارقه يوما، ومازال مرتعيا بين أحضانه مثل الطفل الرضيع، الملتصق بأمّه التي تناغيه، وتلاعبه لتخفّف عنه وتشعره بالاطمئنان، كذلك الشّاعر يداعب أشعاره بنات أفكاره ويلاعبها، ويتحاور معها ويشاركها همّه، ويصارحها، ويبوح لها بما لم يبح به لأحد، لأنّ شعره يحضه الحوار، ويشاركه معاناته وقسوة الحياة، ولأنّه جزء لا يتجزأ منه، ينتعش منه ويتغذى به، ولا يعيش بدونه، فهناك علاقة حميمة توطّدت، وامتدّت جذورها بعمق بين مهدي الجواهري وابداعاته، وأصبحت صلة قرابة قويّة تجمعهما بلا منازع، ولهذا السبب سمح لنفسه بمناغة أشعاره ومخاطبتها وهو في الغربة لم يبق له شيء يتقوى به إلاّ ابداعاته التي تعيد له ذكرياته في وطنه، وتربطه بماضيه الذي ما يزال متشبّثا به بالرغم من الجراح العميقة التي عانى منها.

وورد أَحْرَفُ عِشْتُ وَإِيَّاهُنَّ عُسْرًا وَيَسَارًا، وَعِشْتُ صِيغَةً فعلية مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب، حروفها قويّة ويلاحظ على هذه العبارة استعمال الشّاعر كلمتين متضادتين عسرا و يسارا، أمّا أَحْرَفُ فيقصد بها الشّاعر قصائده المدويّة، وأغلب الألفاظ معروفة، استعمل الكناية للدلالة على الصلة القويّة، والمتوطّدة التي تربطه بشعره، فهو جزء منه بلا منازع في السّراء كما في الضراء، والضيقة كما في العسر، فقال:

أَحْرَفُ عِشْتُ وَإِيَّاهُنَّ * عُسْرًا وَيَسَارًا(234)

وللدلالة على التآزر الموجود بين مهدي الجواهري وابداعاته، واعتبرها كالصديق الحنون، المخلص، الحميم الذي وقف معه طيلة حياته، فجسد شعره وفنّه وجعله رفيق دربه، واكبه في مختلف فترات حياته ولم ينقطع عنه، ولم يتخلّ عنه بل أيّده وشدّ على يده في العسر كما في اليسر، وملاً عنه فراغ الغربة وكان يُنسيه وحدته، ويخفّف من معاناته فهو مثل الغذاء للروح يتقوى منه، وينتعش، ويزيده آمالاً وتطلّعا للمستقبل مهما كانت الظروف التي يعيشها، والمتناقضات التي يحسّ بها، والشدائد التي يتعرّض لها، والأفراح العابرة التي تعتريه من حين إلى آخر، والمرارة القاسية التي ذاقها على يد قبيلته وأصدقائه، إلّا أنّ شعره مازال ملتصقا به وهو نفس حياته، وعصارة فكره، وأمله في المستقبل.

واستعمل ترّعاك عَيْنُ الزَّمانِ، وَيَهْفُو لَجَرَسِكِ سَمْعُ الدُّنْيَا، وترعاك، ويهفو صيغتان فعليتان الأولى مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنث متعدية حروفها قوّة معناه معروف، والثانية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر بمعنى طرب وحنّ⁽¹⁾، وقال الله سبحانه وتعالى: "فما راعوها حقّ رعايتها"⁽²⁾، وعين الزمان صيغة اسمية مضافة، وباقي الألفاظ معروفة، قال محمد مهدي الجواهري في مقصورته سنة 1948 والتي نشرها في جريدة "الرأي العام" موضّحا مكانة شعره، ووقعه على النفوس مستعملا المجاز في ترّعاك، ويهفو، للدلالة على مكانة شعره التي لا تهزّها الأزمان، وتبقى محافظة على هيبتها، وسمعتها من جيل إلى جيل، لا تضمحلّ، ولا تنقص، ولها من الخلق، والابداع، ما يمتّع الدنيا كلّها ويطربها:

¹ - المعجم الوسيط (هـ) 989.

² - سورة الحديد/27.

إِذْ أَنْتَ تَرَعَاكَ عَيْنُ الزَّمَانِ * وَيَهْفُو لَجَرَسِكَ سَمْعُ الدُّنْيَا (224)

وللدلالة كذلك على الجودة الكبيرة التي يمتاز بها شعره نظرا لرعايته الفائقة به، وتفانيه في خدمته، وجعله أولوية من أولوياته، وهدفا كبيرا من أهدافه، كرّس له وقته، وجهده، ولم يستغن عنه طيلة حياته، وجعل اعتناء الشاعر الملفت للأنظار بشعره، واحتضانه له، كاحتضان الأم لأطفالها الصغار حيث تقوم بالسهر على راحتهم حتى يصبحوا أقوياء، أشداء، أحرارا، مسؤولين، ونظرا لجودة شعره استطاع أن يتغلغل في النفوس، ويدغدغ السمع من خلال موسيقاه الرائعة التي أطربت أرجاء الكون، وعملت على إراحة الأرواح الحزينة، وانتشر شعره في أبقاع العالم بسرعة البرق، وردّته الألسن، واستساغته الأذن، وخفقت له القلوب، لأنّه عزف على أوتارها بلطف كبير، وبرفق، وقاسمها أحزانها وأفراحها، وأصغ لرنين جرسها وتجاوب معه، والشاعر هنا يفتخر بفنّه وشعره الذي انتشر في أقطار المعمورة بفضل الله عزّ وجلّ وبفضل عبقرية الأسطورية التي تحدّث عنها دون انقطاع في العديد من قصائده.

وجاءَ أَنْتَ مَعَ الصُّبْحِ شَدُو الرُّعَاةِ، وَ حُلْمُ العَذَارَى إِذَا اللَّيْلُ جَاءَ، وشَدُو الرُّعَاةِ صيغة اسمية مضافة أصواتها قوّة ضعيفة، وشَدُو من شَدَى بمعنى ترنّم وتغنّى، وحِلْمُ العَذَارَى صيغة اسمية مضافة كذلك، ألفاظها معروفة مألوفة، استعمل الشاعر الكناية ليعبر على مكانة شعره في قلوب الناس، على اختلاف المستويات والثقافات، وتذوّقهم له، والتمنّع به، والتغنّي به، والتفريح من خلاله على النفس، وتفضيله على باقي الأشعار فقال:

فَأَنْتَ مَعَ الصُّبْحِ شَدَوِ الرَّعَاةِ * وَحُلْمِ الْعَذَارَى إِذَا اللَّيْلُ جَا (225)

ومهدي الجواهري لا يقصد تغني الرعاة في الصباح الباكر بأشعار الجواهري فقط، ولكنه يريد أن يعبر عن إعجاب الناس على مختلف مستوياتهم بشعره الذي ألفه الجميع، وأحبّوه، وعشقوه، فهو من السهل الممتنع، استساغه الجميع بما فيهم الرعاة الذين يخرجون في الصباح الباكر لمرافقة مواشيهم، فتراهم يتغنّون بقصائده، ويفضلونها عن غيرها، ويشعرون بنشوة غير عادية وهم يردّدونها، ووجدوا ضالتهم فيها، وللذّالة كذلك على قصائده التي قال عنها سابقا أنّها احتلّت أرجاء الدّنيا، وانتشرت في أبقاع المعمورة نتيجة لذوقه السليم، وقدرته على اختراق القلوب، والعقول، ومعرفته الكبيرة بالشّعر، وتحكّمه في خباياه وفي أسرار اللّغة كما سبق وأن قلت، إلى جانب تمكّنه من الخلق، والتفنّن فحتّى العذارى اللّواتي تتّسمن بالحياء، والتستّر عندما يأتي اللّيل وتنام الطبيعة، وتنقطع الحركة، يستأنسن بشعره في وحدتهنّ، ويخفّفن عن أنفسهنّ بالتمتّع به، وترتيله، ويذهبنّ بعيدا حالمات بغد أفضل، ومستقبل زاهر، مليئا بالأمل والاستقرار.

وجاء يَرُونَ "وَرِيقَاتِهِمْ" بُلْغَةً مِنَ الْعَيْشِ، والبُلْغَةُ ما يكفي لسدّ الرّمق⁽¹⁾، وردت مفعولا به ثان، ومعظم الألفاظ معروفة مألوفة، الأصوات بين القوّة والضعف، استعمل الشّاعر المجاز في "وَرِيقَاتِهِمْ" بُلْغَةً، وهي كناية على إقدام العديد من الشعراء الذين عاصروهم على

¹ - المعجم الوسيط (بلغم)/70.

مدح الحاكم، والتودّد له، وإظهار الذلّ، والوفاء، لغرض الحصول على لقمة العيش والسعي
للتقوّت، وطلب الرزق، فقال:

يَرَوْنَ "وَرِيقَاتِهِمْ" بُلْغَةً * مِنَ الْعَيْشِ لَا غَايَةَ تُبْتَغَى (250)

وللدلالة كذلك على أشباه الشعراء الذين امتهنوا مدح الملوك، والحكام بكلام
فضفاض، لا معنى له يحمل بين طيّاته الغشّ، والنفاق، ولا يمتّ للشعر بصلة لا من قريب
ولا من بعيد، فهؤلاء المتطفّلون يكلفون أنفسهم فوق طاقتهم، وينافقون السّادة، ويتودّدون إليهم
لغرض ملء الرمق، وجعلهم مثل بعض النباتات الطفيلية التي تعيش على غيرها من
الأعشاب فلا بد من اقتلاعها، والتخلّص منها لأنّها مضرّة، فهؤلاء يختلفون تماما عن مهدي
الجواهري المقتدر، المبدع الذي يُعرف بعزّة النّفس، وبالإيباء، وعدم الخضوع، والخنوع، ولهذا
السبب تخلّص منه حكّام العراق لأنّه سبّب لهم المتاعب والعديد من المشاكل، ولقد حتّ
الشاعر الرعيّة على التّمرد، وهو المتمرّد بطبعه ولهذا السبب استغنوا عنه، ووظّفوا شعراء
آخرين ليس لهم من الشعر إلا الكلام المنمّق، والمزخرف، لا يقلق الأسياد، ولا يهدف إلى
التغيير.

واستعمل يَرَعُونَ فِي هَذَرٍ يَابِسٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَيَرَعُونَ صيغة فعلية مسندة إلى ضمير
المذكر الغائب الجمع، نقول رعت الماشية سرحت بنفسها، الأصوات قويّة إلى حد ما، أمّا
هَذَرُ نقول هذر الرجل هذرا بمعنى تكلم بما لا ينبغي وأكثر الخطأ والباطل، والهذر سقط

الكلام⁽¹⁾، ومعظم الألفاظ معروفة لدى القارئ، هاجم الشاعر المتطفلين الذين لا يعرفون معنى الشعر مستعملا الاستعارة في عبارة يَزْعُونَ في هَذَرٍ يَابِسٍ، إذ وردت في غير سياقها للدلالة على إقحام العديد من أشباه الشعراء ميدان الشعر، ومحاولة الخوض فيه، والتفوّه بكلام جاف، لا روح فيه، ولا معنى، ولا يرقى إلى الشعر الحقيقي، نظرا لرداءة المستوى، وانعدام الموهبة، وهي كناية على الوضاعة، وهذه دلالة جديدة أضافها الجواهري لمعجمه اللغوي وزادته إثراء وتنوعا، فقال:

يَزْعُونَ فِي هَذَرٍ يَابِسٍ * مِنْ الْقَوْلِ، رَعَى الْجَمَالَ الْكِلَا (250)

وجعل هؤلاء الذين يدعون الابداع والفنّ، ويقبلون عليه، ويستعملون سوق الكلام، ورداءة الألفاظ، وشحّ المعاني، بمثابة الجمال التي ترعى الكأ في الصحراء القاحلة لتتقوّت منه لأن لا بديل لها عن ذلك، همّها الوحيد أن تتغذى لكي لا تموت جوعا، فهؤلاء الشعراء يؤلّفون قصائد فارغة لا روح فيها، جافّة لا معنى لها، يزخرفونها، ويزيّنونها، ويفرغونها في قوافي غريبة لا تصلح لها، فهي مجرد كتلة أو مجموعة من الكلمات جوفاء لا وزنا لها، ولقد قال المتنبي في نفس المعنى يهجو غيره من أشباه الشعراء:

لا أدب عندهم ولا حسب * ولا عهدٌ لهم ولا ذِمَمٌ⁽²⁾

واستعمل الشاعر عَارٍ تَقْمَصُ ثَوْبَ الأديبِ، و وَمِمَّا يُزَكِّي أديبَ عَرَا، وعَارٍ اسم فاعل بمعنى تجرّد من ثيابه، وتَقْمَصُ اقتطع منه قميصا، وحاكاة وقلّده في سلوكه وهيئته⁽¹⁾،

¹ - المعجم الوسيط (هذر) /979.

² - ديوان المتنبي/63.

صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، أصواتها قوّة متعدّية، أمّا ثوب الأديب فهي صيغة اسمية مضافة، وباقي معاني الألفاظ معروفة، واستعمل المجاز في تَقَمَّص إذ ورد في غير موضعه، للدلالة على عملية تقليد أشباه الشعراء الذين لا يمتّون للفنّ، والابداع بصلة لا من قريب ولا من بعيد، ويعمدون إلى التقليد الأعمى، ويحاولون مجارة الشعراء المبدعين، والخوض في ميدانهم، ولكنهم لم يستطيعوا تبوّأ مركزاً، ومكانة في ميدان الشعر، لأنهم لم ولن يخلقوا له، وهذه دلالات جديدة أضافها الشاعر للغته فقال:

عارٍ تَقَمَّصَ ثُوبَ الأديب * ومِمّا يُزَكِّي أديبٍ عَرّا (251)

وللدلالة على إقحام أشباه الشعراء مرّة أخرى أنفسهم في مجال الشعر، ومحاولة اكتساحه، وإبداء رأيهم، فهم مثل الإنسان العاري الذي حاول عبثاً ارتداء ثياب لا تصلح لمقاسه، ولا تليق له، ولم تخط من أجله، وبارتدائها سيصبح مسخرة أمام الملاء، وسيتهكّم الجميع به، لأنّ ما أقدم عليه لا يليق به، ولم يعمل حتّى على تغطية عورته وسترها، فكَذلك فعل هؤلاء الذين يدّعون الشعر والأدب ويحاولون تقليد الأدباء الكبار، والسير على خطاهم ومجاراتهم، إلا أنّهم لن يفلحوا وسيعرّضون أنفسهم للشتم والازدراء، وبهذا سيكشفون عن مواطن الضعف عندهم أمام متذوّقي الشعر، وسيظهرون على حقيقتهم، وسيسقط القناع ويعودون من حيث أتوا، ويرأحون مكانهم ولا يتجرّؤون بعد ذلك على التشبّه بأسيادهم،

¹ - أساس البلاغة (قمص)/ 523.

والتفكير ولو للحظة بتقليدهم، لأنهم عُراة من الابداع، بعيدين كل البعد عن روح الخلق، والانتقان، والفنّ، فلا بد لهم من الابتعاد فورا عن هذه المهزلة، والقبح.

وجاء ضَرْبُناهُ بِالْفِكْرِ حَتَّى انْتَوَى، و بِالْقَلْبِ حَتَّى هَفَا بِالرَّدَى، وضربناه صيغة فعلية متعدية مسندة إلى ضمير المفرد المتكلم الجمع، والضرب معروف، قال الله جلّ شأنه: "وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله"⁽¹⁾، والتوى بمعنى انقلبت وانثنى وانعطف وغلب⁽²⁾، وهفا بمعنى سقط وزل⁽³⁾، قال الشاعر معتزا بدور شعره في القضاء على أعداء شعبه وتدميره، مستعملا المجاز في ضَرْبُناهُ بِالْفِكْرِ، وبالقَلْبِ، للدلالة على مقدرته في الإطاحة بأعداء الأمة، وزلزلة عرشهم بالعلم، والمعرفة، والإرادة، والنية الصادقة، والعزم، والحسم:

ضَرْبُناهُ بِالْفِكْرِ حَتَّى انْتَوَى * وبالْقَلْبِ حَتَّى هَفَا بِالرَّدَى (261)

اعتبر الجواهري شعره بمثابة السلاح الفتاك الذي سيقهر به الأعداء، ويصوّبه نحوهم، ويحاول إلحاق الضرر بهم، وشعره وسيلة نابعة عن فكره، وعقله، يوظّفها لقهر الطغاة، وهو عصاة من آرائه، ومعتقداته، ومواقفه، هدفها شريف، مقدّس وهو دحض الغاصبين، وزحزحتهم، ولقد استعمل قلبه، وجوارحه للانتقام، والتخفيف من آلامه، ومعاناته، وجراحه التي نتجت من جزاء ما يجري أمامه من أحداث فجّرت وجدانه، وأحاسيسه، صاغها في أشعار هدّافة، صوّبها نحو خصمه لتكون النهاية على يده، فهو يجتهد كثيرا يستعمل

¹ - سورة المزمل/20.

² - المعجم الوسيط(لوى)/848.

³ - المعجم نفسه(هفا)/989.

التبصّر، والتروّي، والحكمة إلى جانب العواطف المتوهّجة، والمشتعلة لينهال على عدوّه من خلال ابداعاته، وابتكاراته التي عجز أعداؤه إلى الوصول إلى مثل هذا المستوى من الرقي والمعرفة.

ووظفَ ضَرْبُناهُ أَنْ لَمْ يَصِبْ مَقْتَلًا، و بِسَهْمٍ أَرَّشَ وَنَصَلَ بَرَى، وضربناه من الضرب صيغة فعلية مسندة إلى ضمير الجمع المتكلم متعدية، معناها معروف، ومَقْتَلًا هو الموضع الذي يصاب فيه المقتول، فلا يكاد يسلم يقال "مقتل الرجل بين كفيه"، لسانه وما ينطق به من قول⁽¹⁾، أَمَّا أَرَّشَ فحملت معنى أغرى بعضهم ببعض، وأَرَّشَ النَّارَ أشعلها⁽²⁾، وَنَصَلَ هو الرمح والسكين والسيف، الأصوات قوّة في معظمها، استعمل الشاعر المجاز في ضَرْبُناهُ حيث ورد في غير موضعه للدلالة كما قلت سابقا على محاربة أعدائه، وخصومه بسلاح شعره وقلمه، وهذه دلالة جديدة دخلت إلى معجمه اللغوي، ووظفَ التّشبيه في سَهْمٍ، وَنَصَلَ، وجعل شعره مثل الرّمح الحاد والسيّف المسلول الذي سيدمرّ به من وقف في طريقه، وهذه معاني جديدة زادت لغته تنوعاً وقوّة:

ضَرْبُناهُ أَنْ لَمْ يَصِبْ مَقْتَلًا * بِسَهْمٍ أَرَّشَ وَنَصَلَ بَرَى (261)

اعتبر مهدي الجواهري شعره وما ينتج عنه من أقوال بمثابة السّهام، والسّكاكين الحادة التي يرفعها في وجه عدوّه ليتخلّص منه، ولم تكن له النية في قتله للوهلة الأولى، ولكنه يمهله وقتاً حتى يتفهّم ويتمعّن في شعره، ويتيقّن مما يقوله من كلام قاسي، هدّاف أنتجته

¹ - المعجم الوسيط (قتل) / 715.

² - المعجم نفسه (أرّش) / 13.

الظروف الصّعبة التي استثمرها، وحولها إلى أسلحة قاتلة، مسمومة، هدّافة، لا تخطئ، صقلها بجودة اختيار ألفاظه، وما يناسبها من معاني قويّة، مرعبة، مرهبة، مخيفة لا يتحمّلها أعداؤه عند سماعها، يفرّون من طريقها، ويتحاشونها، ويرفعون الرّاية البيضاء إيذاناً بالاستسلام لأنّها ناتجة عن شاعر متمرّس، فدّ، نافذ، مجرّب يعرف كيف يتعامل مع اللّغة والمعاني على حد سواء، ويتفانى في الرّقي بها إلى دلالات عميقة يهدف من خلالها إلى دحض الأعداء واقتلاع جذورهم نهائياً.

وجاء أَقْتَلَ مِنْ ذَا وَهَذَا شَبَاً، وَأَقْتَلَ مِنْ قَتَلَ فِيهَا مبالغة وهو معروف، قال الحق: "قاتلهم الله أَنَا يُوَفِّكون"⁽¹⁾، وشَبَاً بمعنى علا⁽²⁾، الأصوات بين القويّة والضعيفة، عبّر الشّاعر عن قوّة شعره في تدمير خصومه واستعمل الكناية للدّلالة على مقدرة الشّعر في لعب دور كبير في الإطاحة بالظلم، والجبروت، وتغيير الموازين، واعتبر شعره أرقى من كلّ الأشعار التي كتبها غيره، وجعله في المقدّمة لفظاً، ومعناً، شكلاً، ومضموناً، لا يستطيع أحد مجاراته والوصول إلى مستواه، وهذه معاني جديدة خلقها الجواهري من خلال جودة تراكيبه التي ألبسها معاني جديدة نتجت من خلال السياقات التي وظّفها فيها:

وكانَ الْقَرِيضَ الَّذِي تَقْرَؤُونَ * أَقْتَلَ مِنْ ذَا وَهَذَا شَبَاً (261)

وللدّلالة كذلك ومرة أخرى على شعره الذي شبّهه بالسّم القاتل، فدوّقه علقم لا يستطيع أحد من أعداء شعبه مقاومته، وتحديّه لأنّه قويّ، حادّ مثل السيّف لا يزيغ عن هدفه، متمكّن

¹ - سورة المنافقون/04.

² - المعجم الوسيط(شبا)/471.

لا تخطئ طعناته ومن وقف أمامها وبارزها سوف ينال حتفه، ولقد تعمّد الشاعر إيذاء أعدائه وإبداء قسوة كبيرة في التعامل معهم، لأنّهم هم المتسبّبون في ردّة فعلته العنيفة، وهم من أشعلوا فتيل النّار في قلبه، وبذلك تفجّرت أحاسيسه وأنتجت قنابل محرقة استعملها في الوقت المناسب، ليقضي على المستعمرين، ومن يقف معهم من سادة العراق المنافقين الذين خانوا الشعب، وتصدّوا للمبدعين ومنهم الشّاعر، وحاربوه بشتّى الأساليب، إلّا أنّه لن ينثني ولن يركع، وتحوّل إلى سلاح فتّاك في وجه الطّغاة، يقف في وجههم من خلال ابداعاته التي عملت على زلزلتهم وتدميرهم والتّخلص منهم.

وجاء يَسْتَنْزِلُ الْفِكْرَ مِنْ عَلِيَا مَنَازِلِهِ رَأْسًا، وَ لِيَشْمَخَ مَنْ ذِي نِعْمَةٍ ذُنْبًا، وَيَسْتَنْزِلُ صِيغَةً فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، متعدّية، بمعنى يحطّ من مرتبته⁽¹⁾، وليشْمَخَ من العلو، صيغة فعلية مسبوقة بلام التعليل، مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، والأصوات قويّة، لأنّ المقام يتطلّب ذلك، ومعظم الألفاظ التي استعملها معروفة مألوّفة، ووظّف التّضاد، والمجاز في يَسْتَنْزِلُ، وَلِيَشْمَخَ، للدّلالة على ما يقوم به بعض الشعراء من العمل على الإطاحة بخصومهم من المبدعين، ووضعهم في الحضيض، والتّقليل من شأنهم، واستصغارهم، والحطّ من مكانتهم، والعمل على تهميشهم، والوقوف عثرة في طريقهم، والعمل من جهة أخرى على فسح المجال أمام الرداءة، وإغراق أصحابها بالمال، لغرض المدح، وتبرئة الذّمة أمام المجتمع، وهذه دلالة جديدة أضافها الجواهري إلى معجمه اللّغوي، فقال:

¹ - المعجم الوسيط(نزل)/915.

يَسْتَنْزِلُ الْفِكْرَ مِنْ عَلِيَا مَنَازِلِهِ * رَأْسٌ لِيَشْمَخَ مَنْ ذِي نِعْمَةٍ ذَنْبًا (199)

وللدلالة على تردي الأوضاع، وانتشار الفوضى العارمة، وفقدان التوازن، وتعدّد الأمور، وانعدام القيم، واختلال المفاهيم، ووضع الحواجز والعراقيل أمام المبدعين بامتياز، وتجاهل ابتكاراتهم، والدّوس عليهم، وإذلالهم، وغلق المنافذ أمامهم، ومحاربة ما يُنتج هؤلاء، وتشجيع الرداءة، والمتطقلين على ميدان الشّعْر وما يتفوّهون به من مدائح لأسيادهم، وبيروؤنهم من الذّنوب التي اقترفوها في حقّ المجتمع وأمام الملأ، ويعملون على جعلهم صفحة بيضاء، ويرقون بهم إلى مرتبة عالية وهم في الحقيقة دون ذلك، والجواهري يرفض هذا التصرف ويتصدّى له، ويحارب هؤلاء الشعراء الذين وقفوا في طريقه، وتصدّوا لفكره، ولفنّه، وضيّقوا عليه الخناق، ولم يفسحوا له المجال ليتكلّم بحريّة وطلاقة، ولهذا السبب اشتكى همّه لصديقه أبي العلاء محاولاً التخفيف من معاناته.

واستعمل تصيّد الجاه والألقاب ناسية، و في فكرة قُدُسيّة لَقَبًا، وتصيّد صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، حروفها قوّة بمعنى احتال في الصيّد⁽¹⁾، والجاه هي المنزلة والقدْر، أما الألقاب صيغة اسمية وردت جمعا من اللقب للتعريف والتّشريف، قال الله سبحانه وتعالى: "ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب"⁽²⁾، وفي فكرة قُدُسيّة صيغة اسمية مسبوقة بحرف جر متبوعة بصفة حروفها قوّة إلى حد ما، وباقي الألفاظ معروفة، يسخر محمد مهدي الجواهري من الشعراء الذين يتقربون من الحكّام لينالوا

¹ - المعجم الوسيط (صيد) / 530.

² - سورة الحجرات / 11-12.

درجة مرموقة في المجتمع فقال مستعملا المجاز في تَصَيِّدُ إذ ورد في غير موضعه للدلالة على تحيّن الفرص، واستعمال الطرق الملتوية من طرف أشباه الشعراء للوصول إلى مراتب، ودرجات عالية، عندما يتقربون من السادة، ويتودّدون إليهم، ويظهرون الودّ، والاخلاص، وينتهجون الغش، والخداع، وهذه معاني جديدة استخلصتها من السياقات التي وردت فيها:

تَصَيِّدُ الجاه والألقاب ناسية * بأنّ في فكرة قُدُسيّة لُقبا (199)

وللدلالة على هؤلاء الانتهازيين من الشعراء الذين يغتنمون المناسبات، وينتهجون الحيلة، ويخطّطون لكي يصلوا إلى درجة عالية، عندما يقومون بمدح السيّد والتودّد له، والوقوف خاضعين أمامه، وإبداء الطاعة له، ولا يرفضون طلبه، ويعملون وفقا لأوامره، وإشارته، ويتربّصون به حتى يصلوا إلى مبتغاهم مثل الصياد الذي يتربّص بفريسته، وينتظر الفرصة الملائمة لينقضّ عليها، ويتمكّن منها، فهذه الزمرة من الأدباء لا مبدأ يحكمهم، ولا عزّة نفس تمنعهم من ترقّب الفرص، والعمل على الحصول على مكان في قصور الحكّام، وهم يجهلون أنّ فكرة قدسيّة، عبقرية، فدّة أنتجها أديب مقتدر، نافذ تُعتبر هي في حدّ ذاتها لقبا يفتخر به، والجواهري على يقين من الأشياء، يُتقنها، ويعرف أسرارها لأنّه تربّع على كرسيّ الشعر، وكرس أدبه، وفنّه للرقّي بالفكر، ومخاطبة العقل، أما في فكرة قُدُسيّة لُقبا فدلت كذلك على شعر الجواهري الذي أيّده السّماء، وباركته وانحازت إليه، وعظّمته، وقدّسته لأنّه نتج عن شاعر فدّ لا يتصيّد الألقاب كغيره لأنّه هو في حدّ ذاته يحمل قداسة، وهيبة كبيرة تحصّل عليها من خلال ابداعاته، وابتكاراته، ولم يهديه أحد من الحكّام لقبا في

يوم من الأيام عندما كان مقرّبا من القصور، فلقد فرض نفسه بواسطة قلمه وموهبته، وترتّع على كرسيّ الألقاب ونالها بجدارة، وافتكها بكفاءته، وهنا كناية على قدرته وتمكّنه.

وجاء أقام بالضّجّة الدُّنيا وأقعدّها، شَيْخٌ أَطْلَ عليها مُشْفِقًا حَدَبًا، وأقام وأقعدّها صيغ فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، الثانية متعدية، معانيها متضادة، أصواتها قويّة لأنّ المقام يتطلّب ذلك، والضّجّة هي الصياح والشغب، وأطلّ صيغة فعلية بمعنى دنى وقرب⁽¹⁾، ومُشفقا من الشفقة وفيها عطف وحنان، وفي التّنزيل العزيز: "وهم من السّاعة مشفقون"⁽²⁾، وحَدَبًا بمعنى ارتفاع ظهر الرّجل فتار ذا حدة⁽³⁾، واستعمل الشّاعر الكناية ليوضّح موقف أبي العلاء المعري ممّا يحدث في وطنه، ويبرز نقمته الكبيرة، ورفضه القاطع لهذه المظاهر، وعدم رضاه على هذا الانحطاط والتّدهور، وهذه دلالات جديدة دخلت إلى معجمه اللّغوي، فقال:

أقام بالضّجّة الدُّنيا وأقعدّها * شَيْخٌ أَطْلَ عليها مُشْفِقًا حَدَبًا (200)

وللدّلالة على معاداة ما يدور في المجتمع من متناقضات، وصراعات جعلت الشّاعر الكبير أبا العلاء المعري يرفع صوته عاليًا، متذمّرًا لما يراه من هذه المظاهر، ساخطًا، قلقًا، متوتّرًا، عاملاً على تغيير الأوضاع، وإرساء قواعد سليمة للمجتمع أساسها الصدق، والحقّ، وهنا صرخة قويّة أطلقها المعري، وشاركه فيها الجواهري، تلاها نشاط كبير، ومثابرة وضع فيها المعري كل قوّته، وثقله، وزلزل الدّنيا، وارتجّت جناباتها عندما دوّت فيها كلمة الحقّ

1- أساس البلاغة (طلّ)/394.

2- سورة الأنبياء/49.

3- المعجم الوسيط (حدب)/159.

التي عمّت الكون، وانطلقت الأجراس لتعلن عن غد جديد قواعده متينة أسّسها عبقرى كبير، وناضل من أجلها نضال الأبطال الأشاوس، وليس من السهل تغيير الواقع المرّ، وطرد الجهل، والتصدي للجور، ومحاربة الفساد، وإعادة تأسيس أركان العدل، ومهدي الجواهري مبهور بمثل هذه المواقف، ومقتنع بها وهو من دعائها، ولقد تنبّأها ووقف هو بدوره النّد للنّد أمام الأعداء وحاربهم بقلمه وبأبداعاته ومواقفه.

أمّا شيخ أطلّ عليها مشفق حدبا فهي كناية كذلك على الرّعاية، والحنان الذي أولاه الشاعر المعري لوطنه بالرّغم من كبر سنّه، وجعله أولويّة من أولوياته، وقضيّة من قضاياها، كرّس كلّ جهده، ووقته للدّفاع عنه، ولم يتهاون، ولم يشعر بالملل والضّجر، وطرد كل هذه الأفكار السوداء، يحدوه في ذلك اقتناعه بالوفاء لوطنه، ونفض الغبار عليه، والانطلاق قدما في النهوض به، والتصدي للحكّام المستبدّين الذين شجّعوا الرّداة بشتّى أنواعها، وحاربوا الأقلام الحرّة، وصادروا الأفكار، واحتجزوها، فانتشر الانحطاط، والتخلّف، ونخر جسد الأمّة، وكاد أن يقضي عليها لولا وعي، وتفتّن أمثال المعري في الوقت المناسب.

وورد يَجْرِي عَلَى طَرْفِ اللِّسَانِ فُؤَادُهُ، صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر، وجرى بمعنى اندفع، وفي التنزيل المبارك: "والشمس تجري في مستقر لها"⁽¹⁾، وطرف اللّسان صيغة اسمية مضافة، وطرف من كلّ شيء منتهاه⁽²⁾، وفي التّنزيل العزيز:

¹- سورة يس/38.
²- المعجم الوسيط(طرف)/555.

"وأقم الصلاة طرفي النهار"⁽¹⁾، وباقي الألفاظ معروفة، الأصوات بين الشدة والضعف، وقال الشاعر في قصيدة نشرها في مجلة "العرفان" اللبنانية عام 1923 في أوائل صباه، موظفا الكناية ليعبر عن رهافة إحساسه، وطيبته، وعدم استعمال الحيلة، والمكر، والاقدام على الأمور بكل عفوية، وتلقائية، وسذاجة، واندفاع، وعاطفة صادقة، ويجري على طرف اللسان فؤاده تعبير مجازي، وهو كناية على القدرة الفائقة للشاعر على اتصال فؤاده بقلبه لصياغة الشعر:

فإذا جرى ذكري فقولوا شاعر * يجري على طرف اللسان فؤاده (115)

والشاعر يعرف بنفسه ويكشف اللثام عما يجيش في قلبه من أحاسيس وعواطف تختلج، وتسيطر عليه، فلا يستطيع كتمانها، ويضطر للتعبير عنها بكل تلقائية، وبراعة، وفن، واندفاع، ونظرا لصغر سنّه فإنّ العواطف المتأججة والمشتعلة هي التي تسيّره وتقوده لأنّه لم يبلغ بعد الرشد، ومازال بعيدا عن الاتزان، والتبصر، والحكمة، ولا يعرف تغليب العقل، وكبح جماح إحساساته، فهو يعبر بكل سذاجة عما يشعر به دون مسؤولية، لأنّه عديم الخبرة، لا يفكر فيما يقول مادامت عواطفه هي سيّدة الموقف، وهذا نوع آخر من شخصية الجواهري التي كشف عنها بكل روح مسؤولية، وجعلنا نطلع على المتناقضات الموجودة بداخله، والتي ساعدته على صقل موهبته، والرقى بابداعاته.

¹ - سورة هود/14.

ووظف نَبْعٌ يُفَجِّرُهُ الْجَمَالُ وَتَرْتَوِي، مِنْهُ الدُّهُورُ مَتَى يَكُونُ نَفَادُهُ، صيغتان فعليتان الأولى مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر متعدية، وفَجَّرَ مبالغة من فجر، وفَجَّرَ القذيفة أشعلها للتفجير⁽¹⁾، وفي التَّنْزِيل العزيز: "فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عَيْونًا"⁽²⁾، وترتوي من ارتوى بمعنى تزود بالماء⁽³⁾، الأصوات في معظمها قوية مدوية، واستعمل الشاعر الكناية ليوضح، ويكشف الدور الكبير الذي لعبه الجمال المحيط به في تفجير موهبته، واستنطاقها، وتحريكها، ونظرا لرهافة حسّه أنتج دُررا، وأبدع شعرا خالدا، غذاءا للروح، والجسد عبر العصور والأزمان، فقال:

نَبْعٌ يُفَجِّرُهُ الْجَمَالُ وَتَرْتَوِي * مِنْهُ الدُّهُورُ مَتَى يَكُونُ نَفَادُهُ (115)

واعتبر الجواهري الجمال مصدر إلهامه ووحيه، ومادة خاما وظفها في استنطاق إبداعاته، ودغدغة خياله، والعزف على أوتار قلبه، وملاطفته، والتودّد له، ومفجّرا لأحاسيسه، وعواطفه الكامنة، وجعلها تطفو على السطح، وتحمل بين طيّاتها ابدعا متميّزا، خارقا للعادة، له من الوزن، والثقل ما يجعل المتذوّقين للشعر مبهورين به عبر المعمورة، وعبر العصور، والأزمان التي ترتوي منه متى أصابها ضمأ كبير نتيجة لشحّ العطاء، وعدم تلبية الحاجة، واعتبر الجواهري شعره كالغيث المفيد الذي تغذى منه الأرض، والحرث، وتنتعش، وبعد طول انتظار، ويأس، وقنوط بدأت الحياة تدب من جديد، ويعود إليها الشباب بعد ترقّب كبير، وكاد الصبر أن ينفذ، واعتبر شعره كذلك بمثابة نقطة تحوّل في التاريخ، لأنّه فريد من

¹ - المعجم الوسيط (فجر) / 674.

² - سورة القمر / 12.

³ - المعجم الوسيط (روى) / 384.

نوعه، فيه ما يلبي الحاجة، ويفرّج عن النفس، وهو بالنسبة له بمثابة الاحتياط، والادّخار إذا نفذت كل مصادر الحياة، وأغلقت الأبواب، ووضعت الحواجز، يقوم شعره بمدّ يد العون للبشرية وإسعافها من جديد.

وجاء وما الشعر إلا ما تفتّقَ نوره، و عَنِ الذَّهْنِ مَشْبُوبًا، عَنِ الْفِكْرِ حَائِرًا، وتفتّق صيغة فعلية مسندة إلى ضمير المفرد الغائب المذكر بمعنى شقّ⁽¹⁾، أصواته قويّة، وجاء في التّنزيل العزيز: "أولم ير الذين كفروا أن السّموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حيّ"⁽²⁾، والذهن هو العقل ومشبوب نقول رجل مشبوب ذكي الفؤاد شهم حسن الطبعة، والشبوب ما توقّد به النّار، وما يحسّن الشيء⁽³⁾، استعمل الشّاعر المجاز في تفتّق إذ ورد في غير موضعه للدّلالة على أنّ الشعر عنده مزيج من العقل النّافذ المقتدر، والعاطفة العنيفة المتأجّجة، والشّعور بالضّياح والحيرة من حين إلى آخر، وهذه دلالات جديدة فقال يمدح صديقه الشّاعر الكبير معروف الرّصافي:

وما الشعر إلا ما تفتّقَ نوره * عَنِ الذَّهْنِ مَشْبُوبًا، عَنِ الْفِكْرِ حَائِرًا (108)

وللدّلالة على قدرة معروف الرّصافي في عملية الابداع، والخلق التي تفوّق بها عن غيره من الشّعراء، فالشعر الحقيقي بالنسبة للجواهري هو الالهام والوحي الذي يأتي عندما يزداد التوتر، وتتراكم الضغوطات، ويهيج بركان العواطف، وتشتعل نيرانه، ويضطرب اضطرابا كبيرا، وتهتزّ جوارحه، ويخفق قلبه خفقانا كبيرا، ويتبسّر عقله، ويوظّف ذكاءه،

1- المعجم الوسيط(فتق)/972.

2- سورة الأنبياء/30.

3- أساس البلاغة(شيب)/319.

ويقف حائراً مضطرباً متردداً لما يحدث له، ويصبح غير قادراً على السيطرة على كلّ هذه الانفعالات القويّة التي تهزّه بشدّة، وتجعله يسبح بالخيال عالياً، محلّقاً لينتج لوحة فنيّة جميلة، تختلط فيها الألوان وتنسجم في النّهاية لتضفي على العقول والأحاسيس نورا يعمل على إضاءة الطرق، ومحاربة الجهل والظلام، ونشر الوعي، وتوعية الأجيال الصاعدة التي فقدت الأمل في الدّنيا، وشعرت بقسوة الحياة، وبالأحباطات، وبخيبة الأمل، واعتراها شعور كبير بالضّياع، وفقدت صوابها، وتعثرت، ولم تجد قائداً ومنقذاً يمدّ لها يد العون، لكنّ معروف الرصافي أطلّ كالهلال، والشّعاع في الظلام الدّامس، يزيل الغشاوة عن العقول والأذهان، ويجعلها تبصر وترى نور الدّنيا وطريق الهدى، والشّعور خليط أملته الصراعات القويّة، والمتناقضات، ومصدرها المحيط وما يدور فيه من أحداث تحتاج إلى راحة العقل، والمهارة الكبيرة، والتمرّس للوقوف إلى جانب الفكر الحائر الضائع.

ولقد استعمل الشّاعر الكبير أحمد شوقي لفظ مُفْتِقُ بمعنى مكان الشّقّ فقال:

(فِرْعَوْنُ) فِيهِ مِنْ الْكَتَائِبِ مُقْبِلٌ * كَالسُّحْبِ، قَرْنُ الشَّمْسِ مِنْهَا مُفْتِقٌ⁽¹⁾

وجاء عَنِ النَّفْسِ جَاشَتْ فَاسْتَجَاشَتْ بِفَيْضِهَا، وَ عَنِ الْقَلْبِ مُرْتَجِّ الْعَوَاطِفِ زَاخِرًا،

واستجاشت صيغة فعلية مسندة إلى المفرد الغائب المؤنث مزيدة، واستجاشت القدر بمعنى

ارتفعت واضطربت⁽²⁾، وفَيْضُهَا، بمعنى بغزارتها وكثرتها وفيضانها، أمّا مرتجّ العواطف،

صيغة اسمية مضافة من ارتجّ واهتزّ وحرك واضطرب، وزاخرا من زخر بمعنى فاض

¹ - ديوان أحمد شوقي/67.

² - المعجم الوسيط(جاش)/150.

وطما⁽¹⁾، الأصوات قوّة شديدة، وباقي الألفاظ معروفة، واستعمل الشاعر الكناية ليعبر عن شعر الرّصافي الذي أنتجته أوجاع، وصراعات قوّة، وتراكمات سبّبت له هيجانا، واضطرابا، وتوتّرا، واهتزازا، وارتجاجا، زاد من قوّة الابداع، والتألق، فقال واصفا تدفق الشعر بغزارة عند صديقه المقتدر، هذا الشعر الذي يهزّ كيان الجواهري، وهذه معاني جديدة زادت من قيمة ابداعات محمد مهدي الجواهري وتميّزها عن غيرها:

عَنِ النَّفْسِ جَاشَتْ فَاسْتَجَاشَتْ بِفَيْضِهَا * عَنِ الْقَلْبِ مُرْتَجَّ الْعَوَاطِفِ زَاخِرًا(108)

وللدلالة على شعر معروف الرّصافي الذي أنتجته نفس رافضة للأوضاع، تحكمها تناقضات قوّة، وأثات، وهيجان، وعنفوان يشبه إلى حدّ كبير ثورة البركان الذي خلف دمارا، وخرابا، وزلزالا، وغيّر جغرافية المنطقة، لأنّه عنيف نتج عن الصّدام الموجود بين طبقات الأرض، واحتكاكها، وهذا ما يجعلها تتحرّك بعنف كبير ينتج عنه هلاكها في معظم الأحيان، فكذاك عواطف الرّصافي المشتعلة، المتدفّقة، المتوهّجة، القويّة تهبّ هبّة واحدة، لا تعرف الهدوء، والاستقرار، تحرّكها الأحداث التي تطفو على السطح، وتفرض نفسها على الشاعر، وهي كذلك تشبه السيل المتدفّق، العرم، الغزير في عنفوانه، وشدّته.

وجاء أَهْزُ بِكَ الْجِيلِ الْعُقُوقَ الْمُعَاوِرَ، وَأَهْزَ صِيغَةَ فَعْلِيَّةٍ مَسْنَدَةٍ إِلَى ضَمِيرِ الْمَفْرَدِ المتكلم، أصواتها قوّة، وهزّ نشط، وهزّه حركه بشيء من القوّة⁽²⁾، وجاء في التّنزيل العزيز:

¹- المعجم نفسه(زخر)/391.

²- المعجم الوسيط(هز)/985.

"وهزّ إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا"⁽¹⁾، والعقوق من البهائم الحامل⁽²⁾ والتي ينبت الشعر على ولدها، ويقال أهش من نوى العقوق وهو نوى لين هش المضغة تعلفه العقوق إطافا بها⁽³⁾، قال الجواهري مبيّنا مكانة شعر معروف الرّصافي، ودوره في تغيير العقلّيات، مستعملا المجاز في أهزُّ بك إذ ورد في غير موضعه وأعطى معنا جديدا، وهي كناية على دور الرّصافي في إنارة العقول، والنّهوض بشباب الأمة الذي أصابه الضياع، وعانى من الجهل، والظلام لمدة طويلة، وهذه دلالة جديدة ولّدها محمد مهدي الجواهري:

وإني إذ أُهدي إليك تحيتي * أهزُّ بك الجيلَ العُقوقَ المُعاصِرَ (112)

واستجد الجواهري بصديقه العزيز الرّصافي، وطلب المعونة منه لمحاولة مساعدة الجيل الصاعد الذي وصفه الجواهري بالهشّ، الضعيف، اللين الذي لا يستطيع تحمّل أدنى مسؤولية، فلا بدّ من الوقوف إلى جانبه، والعمل على توعيته بخطورة ما يحدث، وتنوير عقله، ونصيحته، والعمل على الاقتداء بأمثال معروف الرّصافي، لأنّ المستوى الذي وصل إليه الشباب في هذه الفترة اعتراه الجمود، والركود، والتخلّف، وموت الإرادة، والحيرة، والجواهري مستاء مما يدور أمامه من أحداث، مغتاض، متذمّر، ناقم على الأوضاع، وخاصة أنّ الأمر يتعلّق بأجيال المستقبل، فعول على صديقه معروف الرّصافي في العمل على بثّ العزيمة بين أوساطهم، والتأثير فيهم قبل فوات الأوان، ولقد حان الوقت لنفض الغبار، وتغيير

¹ - سورة مريم/25.

² - المعجم الوسيط(عقق)/616.

³ - أساس البلاغة(عقق)/430.

الأوضاع، والحزم، والعزم، والوقوف في طريق الخير، وطلب النجدة من قائد كبير، متمرّس، مجرّب مثل الرّصافي.

وجاء لا تَهْزُهُ نَوَابِغُهُ حَتَّى تَرْوَرَ الْمَقَابِرَ، صيغة فعلية متعدية حروفها قويّة معناها معروف، ونوابغه من نبغ في العلم والفنّ بمعنى برع وأجاد، وباقي المعاني مألوفة، واستعمل الكناية للدلالة على عدم اكتراث هذه الأجيال، بالنوابغ من أبناء الأمة، وعدم السير على خطاهم، والافتداء بهم، ومحاكاتهم، وعدم اتّخاذهم مثالا يحتذى به، ونموذجا يهدي إلى الطريق المستقيم، وهذه دلالات جديدة دخلت إلى معجم الشّاعر اللّغوي، عبّر من خلالها على استيائه من موقف الشباب من العباقرة، والأدباء، فقال مبديا امتعاضا كبيرا:

أَهْزُ بِكَ الْجِيلَ الَّذِي لَا تَهْزُهُ * نَوَابِغُهُ حَتَّى تَرْوَرَ الْمَقَابِرَ (112)

واعتبر الجواهري شباب اليوم كالوزن الثقيل الذي أضنى كاهل الأمة، وأجهدّها، وأفناها، لأنّهم يفتقرون للوعي، وللثقافة، وللتّحفيز، وللإرادة، أنهكهم النوم العميق الذي يغطّون فيه، ولا يبذلون أدنى مجهود للالتحاق بالركب، واغتنام الفرص، واستغلال النّصائح التي يوجّهها لهم رجال العلم والثقافة، ولا يأخذون الأمر بجديّة، والجواهري يقلقه هذا الوضع البائس، وخاصة أنّه آت من طرف الشباب أجيال المستقبل، وبناء الوطن، ويدعوهم إلى الاقتداء بالعباقرة، والمتّقين الذين سجّلوا أسماءهم في التّاريخ، وكرّسوا كلّ وقتهم للاستثمار في فئة الشباب، والتي بدونها لا ينهض الوطن.

مما يستخلص من هذا الفصل:

1- استعمال الألفاظ، والتراكيب الدالة على القدرة الفائقة في الابداع مثل:

صَغَت شَواظَ النَّارِ قَافِيَةً (63)، أَضَى رِيَّانَ الصَّبَا غَضِرًا (37)، دَعَّ الحُرُوفَ تَبْنُ قَرَارَةً
نَفْسَهَا (12)، نَهَنَهَتْهَا عَنْ دَمٍ تَسْقَاهُ فَاكْتَضَمَتْ (64)، مَرَجْتُ لَهُ دَمِي بِلَحْمِي (36)، فِي
أَحْلَى المَوَاعِينِ (36)، أُعِيدُ خَلْقَهُ نَحْنًا وَخُضْخُضَةً (37)، تَطْغِي عِنْدِي الكَلَمُ (64)،
تَعَرَّضَهُ مِنْ طَلَاءِ البَيَانِ (95)، وَمَنْ زُبْرَجَ اللَّفْظَ دَرَبَ خَطَرٍ (95).

2- استعمال العديد من الألفاظ الدالة على عبقرية من عاصره من الشعراء مثل: حافظ
إبراهيم، أحمد شوقي، معروف الرصافي وغيرهم من الشعراء وإظهار مقدرتهم في ميدان
الشعر مثل:

فَاتِ بِالسَّبْقِ كُلِّ الجَيَادِ (94)، عَيُونَ القَوَافِي كَانَتْ لَهُ تَدَخَّرُ (95)، يَلْعَبُ بِاللَّفْظِ لَعِبَ
الْأَكْرَ (100)، قَوَالِبُ مَرْصُوصَةٍ كَالزُّبُرِ (96)، يَسْتَنْزِلُ الشَّعْرُ عَذْبَ الرِّوَاءِ (96)، "عَكَازُ"
مِنَ الشَّعْرِ تَحْتَلُّهُ (101).

3- استعمال العديد من الصيغ التي تدل على دور الشعراء في خدمة المجتمع مثل: أنت
كصمصامة منتصى (102)، القوافي تشقّ الدرب وعرا (289)، نور الدرب هذا
القصيد (137)، ضربناه بالفكر وبالقلب (261)، أقام بالضجة الدنيا وأقعدتها (200).

4- ظهور العديد من الألفاظ التي تدل على رداءة الشعر وانحطاط المستوى مثل: عار

تقمص ثوب الأديب(251)، يرعون في هذر يابس(250)، يرون "وريقاتهم" بلغة من

العيش(250)، ظهرت وجناح البيان مهيبض(99)، فلا دم يغلي ولا قلم يزود ولا فم(21).

الخلاصة:

احتوى الفصل الرابع من هذا البحث عددا كبيرا من الألفاظ، والصيغ التي تدلّ على الابداع، والخلق، والعبقريّة الفدّة، والافتخار بها والتّباهي، والقدرة الكبيرة على ابرازها وإتقانها مثل: دَعُ الحروف تَبِنُ قرارة نفسها(12)، أُعيدُ من خلقه نحتا وخضخضة(37)، صغت شواظ النّار قافية(63)، يستنزل الشّعْر عذب الرّواء(96).

إلى جانب التّركيز على الظروف المحيطة بالشّاعر، والتي عملت على صقل شعره، والتأثير فيه، وحثّه على الابداع، والخلق مثل: مزجت له دمي بلحمي في أحلى المواعين(36)، يردّد في رفه وفي علل لحن الحياة(31)، وتطغي عندي الكلم(24)، فيثني سيلها العرم(24)، نهنتها عن دم تسقاه فاكتمت(64).

ولقد أعقب الشّاعر كلامه باستعمال العديد من الألفاظ التي تدلّ على قدرة من عاصره من الشّعراء، سواء كانوا على قيد الحياة، أو توفاهم الله ولم يبخل في الإشادة بهم، وإبراز دورهم في السّمو بالشّعْر إلى مرتبة عالية، ويكون بهذا قد أعاد للشّعراء الهيبة، والاحترام الذي فقدوه في المجتمعات العربيّة آنذاك، أين عمل الحكّام على محاربتهم، وعرقلتهم، وكَمّ أفواههم، والتّركيز على الشّعْر الرديء الذي يمدح الملوك، والحكّام، ويتباهى بهم مستعملا كلاما فضفاضاً، يحمل بين طيّاته النّفاق، والكذب، وعدم قدرة هؤلاء الشّعراء على الفنّ، والابداع، وهجاهم وسخر منهم مستعملا ما يلي: عار تقمّص ثوب الأديب(251)، ويرعون في هذر يابس(250)، رعي الجمال الكلا(250).

وسأركّز على سبيل المثال لا الحصر على بعض الصيغ التي يمدح فيها الجواهري

بعض الشعراء مثل: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم:

فات بالسبق كلّ الجياد(94)، هذا الجواد الأغر(94)، كأنّ عيون القوافي الحسان
كانت له تُدّخر(95)، تعرّضه من طلاء البيان(95)، "عكاظ" من الشعر تحتلّه(101)، أنت
صمصامة منتصى(102)، أقام بالضجّة الدنيا وأقعدّها(200)، الشعر ما تفتّق نوره عن
الذهن(108).

إلى جانب ذلك التفت محمد مهدي الجواهري إلى عبقرية الفدّة، الفريدة من نوعها،
وخلّدها في شعره، وتباهى بها بين الشعراء، والنّاس، وتغنّى بها، ومجّدها بكل اقتناع،
وافتخار مستعملا العديد من الصيغ، والعبارات التي ترقى بفنّه إلى درجة مرموقة مثل: نحن
عباد فنّ(169)، القوافي تشقّ الدّرب وعرا(289)، وتهدي المضلين نجدا(269)، فملء
الزّمان قصائدي(142)، لقد نورّ الدّرب هذا القصيد(137)، أحرف عشت وإياهن عسرا
ويسارا(234)، نبع يفجّره الجمال وترتوي منه الدّهور(115)، يهفو لسمعك جرس
الدى(224)، أنت شدو الرعاة وحلم العذارى(225)، ضربناه بالفكر وبالقلب(261).

الخاتمة

توصل البحث إلى ما يلي:

1- بروز ظاهرة التّوليد الدّلالي في ديوان محمد مهدي الجواهري.

2- استعمال التّوليد الدّلالي داخل الصيّغ، والتراكيب، والألفاظ.

3- استعمال المجاز، والاستعارة، والكناية، لتوليد دلالات جديدة.

4- اتّساع لغة المعجم اللّغوي وإثرائها، باتّساع دلالاتها، ومعانيها.

ولقد جمعت الألفاظ، والتراكيب، والصيّغ، التي اعتمدها في دراسة التّوليد ضمن أربع

مجموعات دلالية، معتمدة على السّياق في تصنيفها، وحصرها، وجاءت كما يلي:

المجموعة الدّلالية الأولى: دلالة ألفاظ الألم، وتتضمّن ما يلي:

- الألفاظ الدالة على الجراح.

- الألفاظ الدالة على المعاناة.

- الألفاظ الدالة على قسوة الحياة وما شابه ذلك.

ولقد تفرّعت هذه المجموعة الكبرى إلى:

1- مجموعة الألفاظ الدالة على العذاب، والألم، والجراح، والإحباط، والقسوة، والمعاناة، وما

له صلة بذلك

2- مجموعة الألفاظ الدالة على الاحباط، وخيبة الأمل، والحزن، والتشاؤم، والمصاعب، وما

له علاقة بذلك.

صوّر من خلالها الواقع المرّ، والوضع المزري، والظّروف القاسية التي عاشها في بلاده، إلى جانب الفترة الصّعبة التي مرّ بها العراق على يد العدوّ الأجنبي، وأذياله، على غرار ما حدث في البلاد العربية من قهر، وظلم، وعنف، نتج عنها معاناة، وأتات، وصرخات، عبّر عنها من خلال الصيغ الفعلية الآتية، على سبيل المثال لا الحصر: أجنبي الشوك (71)، أحرّ وريدي (34)، شبت منكم سيّاط (145)، ألقى الجيران (225)، يذاق العلقم (10)، أحر كيدي (205)، واغتلّي بدم قلب (145)، ينزّ (211)، حرّ (226)، قلوب تملّمت (31)، تعرّص الصبح (55)، واستعصت ولادته (55)، تهجم عليه الليالي (177)، حطّ بكلكله (225)، صوحت أيكتي (82)، صوح الإيثار (101)، فتلويه (20)، تصطلي العمر جحيماً (143)، يولد الضرّ (167)، فؤادي يثوي (211)، عاثّ بها البؤس إغبارا (233).

ولقد وظّف الشاعر كذلك بعض الصيغ الاسمية مثل: بلد جريح (263)، مضيعة أنياب السراحين (38)، سفحك ضمّان (24)، بليل البؤس (32)، قاطع يصل (18)، الليل داج (104)، الطريق عثار (104)، ليل مطبق (10)، عود بكف الليالي (193).

واستعمل كذلك الصيغ الاسمية المضافة مثل: جرح الشريد (35)، لدغ الثعابين (35)، غلال الأسى (148)، شوك الليالي (202)، جحيّم الرزّايا (166)، جمرة الخطب (56).

أمّا المجموعة الدلالية الثانية: فحملت الألفاظ الدالة على الظلم، وتضمّنت ما يلي:

- الألفاظ الدالة على التعدي.

- الألفاظ الدالة على الكذب.

-الألفاظ الدالة على الاستباحة.

- الألفاظ الدالة على التدنيس.

- الألفاظ الدالة على الابتزاز.

- الألفاظ الدالة على التآمر.

-الألفاظ الدالة على التقاعس.

- الألفاظ الدالة على الخوف.

-الألفاظ الدالة على القبح.

ووضعت ألفاظ هذه الدلالة ضمن مجموعة واحدة غير قابلة للتجزئة، نظرا لتداخل معانيها وتشابكها، وجمعت فيها الألفاظ الدالة على المظاهر القاسية، والوضع المتعفن الذي استشرى في المجتمع العراقي، وباقي الدول العربية، على يد الحاكم المستبد، وحليفه العدو الغربي، وما مورس ضدّ الشعب من ابتزاز، وتدنيس، إلى جانب وصفه لعدوّه بأبشع الأوصاف، والعمل على تعريته أمام الجميع، ومهاجمة حكمه الغاصب، وأسلوبه الملتوي في التعامل مع الناس، وشنم المرتزقة من الشعب الذين وقفوا إلى جانب الأعداء، وحطّ من أقدارهم، واستهزأ بهم، واحتقرهم، واستعمل في ذلك العديد من الصيغ، والألفاظ: الوَحْش يَزِيضُ(104)، للدلالة على الاستعمار الجاثم على صدر المجتمعات العربية، وأَعْقَابُ لِبْنَانِ تُدْنَسُ وَكُرْهِ(104) بمعنى التآمر مع العدو، يُنْزَلُ عُسْهُ(105) بمعنى يستبيح كرامته، ويعتدي عليه، وَيَنْتَفِ رِيْشَهُ(105) وولّد معنى الابتزاز والاستغلال، الْحُكْمُ يَشْمُخُ كَاذِبًا(99) وحمل معنى هشاشة الحكم الأجنبي وانهياره، وَحُكْمُ كَالْدُجَى عُرْيَانٌ صَافٍ(260) للدلالة على التّمادي في القمع، والظلم، والجبروت، وإنتسب السّواد(260)، ودلّ على ممارسة الجور

والاستبداد، وكُرسياً يَرْجُ (99) وولّد معنى هشاشة حكم الأعداء، وعَصَفَتْ بها الشّهوات (114) وأنتجت معنى الانسياق وراء العواطف الجامحة، والجشع، والطمع، ومَوْتَى الضمير (41) بمعنى انعدام المروءة والكرامة، وإِزْتَمَى الضمير (101) وحمل معنى فقدان القيم، والتزول إلى الحضيض الأسفل، والانبطاح، وصحافة صِفَر الضمير (102) بمعنى لا قيمة لها ، ولا داعي من انتاجها لأنها خالية من تأنيب الضمير، وتعمل لصالح الأعداء، والضمير الأبكم (17) ودلّت على غموض بعض المواقف، وتحليلها بالغشّ والخداع، وإنْحَنَت الرّقاب (59) عبّر من خلالها مجازاً على الذلّ والخضوع، ويَجَزّ الخصى (242) للدلالة على انعدام الرجولة، والكبرياء، والعزّة، ويتهاقنّون على موطئ أَرْجُل (103) وحملت معنى ابداء الولاء، والطّاعة للعدوّ، وقبول الذلّ، والهوان، وإِغْتَصَب البلاد (264) بمعنى استباحة الأرض، والوطن، والشرف، وسيّط البغي (68) ودلّت على التّمادي في الهيمنة، والاستبداد، والقهر، وصَرَخ الشرّ (282) بمعنى الكشف علناً عن الوجه الحقيقي للعدوّ، ونَسْتَبِيح جُلُودكم للسّالخين (118) للدلالة على التّرعيب، والتّرهيب، وبُحّ صَوْت الحقّ (191) وحمل معنى تكميم الأفواه، وخنق أصوات الأحرار، وأُحْتَلِبَت أَشْطَار (111) للدلالة على السلب والابتزاز، وتَعَاْفُ عِشْتُهَا الكلاب (59) وهي كناية على تدنّي المستوى، وانحطاطه، وفقدان الهيبة، والعزّ، والكرامة، وشكّى خُمُولَهُم الدُّباب (59) ودلّت على التّمادي في الكسل، والاستقالة من الحياة، والجمود، والركود، وتُدَيّ الحُمول (227)، وكَفّ الغبا (27) بمعنى لا فائدة من هؤلاء المتخاذلين الذين رضعوا الذلّ، وقنعوا به، وتقبّلوا الغباء، ومجّدوه، ولم يفعلوا شيئاً لتغيير

أوضاعهم، ومُسْتَنَوِقِينَ وَيَزَارُونَ(63)، وكأنَّهم أُسْدٌ غِلَابَا(63) للدَّلالة على افتقار القدرة، والشَّجاعة، وانعدام روح التَّحدي، والاقدام، وإظهار الضَّعف، ودَمُ الشُّعوب ضَمَانُهَا(114) وتولَّد عنها معنى المتاجرة بدماء الشعوب، والتَّضحية بالأهل، والأقرباء، والتَّقريط فيهم، ويُظْهِرُ الْوَرَمُ(61) للدَّلالة على الخبث، والمكر، الذي يحمله العدو بين طيَّاته، وسيقضي به على الشُّعوب، ويدمرهم، ويَبْرُونَ أُنْيَابَا له وَمَخَالِبَا(135) وحملت معنى تجهيز المتواطئين من طرف العدو للقضاء على الشعب، وصقل أفكارهم، وتخديرهم، وتحويلهم إلى آلة بطش، ونُزْهَةِ الْحِفْدِ(148) للدَّلالة على النوايا المبيِّتة التي جلبها الأعداء إلى الوطن العربي، ويخْبِطُ في دُجَاهَا حَاطِبَا(145)، وتولَّد عنها معنى الابتزاز، والسرقة، والخَابِطُونَ حَيَاةَ النَّاسِ(210) ودلَّت على التحكُّم في رقاب الآخرين.

ووردت المجموعة الدلالية الثالثة: تحت عنوان مجموعة الألفاظ الدالة على الثورة

والانتصار، وهي أطولهم، وتضمَّنت ما يلي:

- الألفاظ الدالة على الثَّبات والصَّمود.
- الألفاظ الدالة على التَّغيير والشَّجاعة.
- الألفاظ الدالة على العِزَّة والشَّموخ والكرامة.
- الألفاظ الدالة على المجد والتَّضحية والوحدة.
- الألفاظ الدالة على التطلُّع إلى المستقبل والبناء والرَّقِي.

وتضمّنت مجموع الألفاظ، والتراكيب، والصيغ، الدّالة على المقاومة، وفرض الذات، عبّر من خلالها الشّاعر على روح التّغيير، وطلب المجد، والعلا، والتطلّع إلى المستقبل، وسحق أعداء الأمّة، والعمل جاهدا على البناء، وهو المتمرّد بطبعه، النّائر على الأوضاع، المتناقض، المتذمّر، المتشائم، العزيز، الأبّي، الذي لا يرضى بالخنوع، ويحارب الذلّ، والهوان، ويتصدّى لعدوّه، وأعداء الأمّة، ويظهر مقاومة عنيفة، وتحدّد أسطوري، ويعمل على فرض نفسه، ولا يبالي بالأخطار في سبيل الإيلاء، والشّموخ، واعتزّ بالعزيمة الفلاذية التي تتمتّع بها الشّعوب العربية، وجعلها مثل السيوف القواطع التي ستعمل على كسر شوكة أعداء الأمّة وتركيعهم وإذلالهم، حيث وظّف ما يلي:

وَقَدْ الْوَعَى وَجَحِيمُهُ(11) للدّلالة على قسوة الحرب واشتدادها، وَأَصْمُدُّ يُطَاوِعُكَ الْقَضَاءُ وَحُكْمُهُ(11) بمعنى مساندة إرادة السّماء للقضايا العادلة، ودلّت "بَرَزَانُ" يا قِمَمَا يُشَبُّ بِهَا الدَّمُ(15) على التّضحيات الكبار التي قام بها الأكراد لاسترجاع حقوقهم الضائعة، أَمَّا الْمَوَاكِبُ ذَابَتْ(31) فحملت معنى الموت في سبيل الوطن، ودلّت عبارة مَطَارِقُكُمْ هُنَّ جَرَسُ الزَّمَانِ(131) على مشاركة كلّ أطراف المجتمع في إعادة بناء ما خرّبه الأعداء، وَتَحْدَى أَظْفَارُ الطُّغَاةِ(12) لها دلالة التخلّص من الأعداء، وكسر شوكتهم، وشبّه عدوّه بالوحش، والنّمر، وطلب بالقضاء عليه في وَحْشٍ تَتَمَرُّ إِذْ طَالَتْ أَظْفَرُهُ(61)، وعبّر عن التطلّع إلى المستقبل، والتّقاؤل بغد أفضل مستعملا بَحِيْثُ يَنْضُجُ كُلُّ بُرْعُمٍ زَهْرَةً(13)، وشحذ الهمم ونصح في عبارة وَإِسْتَتْمِرَ اللَّعَنَاتِ الْعَاصِفَاتِ بِهِ(62)، وطالب بالمزيد من سفك

الدِّمَاءُ لَنِيلِ الْكَرَامَةِ، وَالْعِزَّةُ، فِي الدِّمِّ الْغَالِي يَسِيلُ ضَوْءُ يُنَارُ بِهِ السَّبِيلُ(49)، واعتبر هذه الدِّمَاءُ رَكَازَةً عَجُولَةً(50)، نَهَاضَةً(51)، مُنَحَدَّرَةً كَالسَّهْمِ(50)، فهي وحدها التي ستحقق الأمجاد، وتزيح الأعداء، وتسجل التاريخ، ويتحدى الإغترارا(232) بمعنى قهر النفس، ولجم الشهوات، وقمع الغرور، وتأثر بالقرآن الكريم في وَقَدْ نَفَضَ الْكَهْفَ عَنْ أَهْلِهِ غُبَارَ السِّنِينَ وَوَعَتْ الْبَلَى(242) للدلالة على إزالة الغبن، والهموم، والتخلص منها إلى الأبد، وولدت عبارة مَوْتُ الرَّدَى(234) معنى التحدي، والصمود، والثبات، وحاولت تغيير الأقدار، ونتج عن العبارات المتناقضة التالية: خَوْفُ الشُّجَاعِ(234)، وَطَيْشُ الْحَلِيمِ(234)، وَمَوْتُ الرَّدَى(234)، معنى التروي، والتبصر، والتعقل، والتحدي، وقصد بالأرض أُمَّ الْكِفَاحِ(242) البطولات العظام، والأمجاد، التي سجلها العراقيون عبر التاريخ، ووظف قبساً من لهيب الحياة(133) للدلالة على الشُّعْلَةِ، والعنفوان، والنشاط، والأمل، أَمَا تَبْنَتْكَ رَزَايَاهُ شِعَاراً(241) فولدت معنى الصِّلَةِ الْقَوِيَّةِ التي تأسست بين الشاعر، والمصائب التي لن تنقطع عنه، وحملت عبارة تَرَكْتُ الذي رَامَ السَّمَاءَ يُلْمَسُ الثَّرَى(297) إذلال الأعداء، وتحقيرهم، والدّوس عليهم، ودلَّ جَذَّ يَوْمَ الْقَيَّرَوَانِ عُرُوقَهُ(276) اجتثاث الأعداء، وقطع جذورهم إلى الأبد، وورد كَفَاكَ وَالْخَطْبُ فَخْرًا أَنْ تُصَارِعَهُ(54) للدلالة على على الشجاعة، والاقدام، والتّحدي، وجاء شَعْبٌ دَعَائِمُهُ الْجَمَاجِمُ وَالدِّمُّ(24) وولّد معنى التّضحيات العظام التي قدّمتها الشعوب لبناء المجد والعلا، واستعمل غَرَسْتُ رِجْلِي فِي سَعِيرِ عَذَابِهِمْ(144) للدلالة على المغامرة، واللامبالاة بالخطر، أَمَا يَتَمَخَّضُ التَّارِيخُ فِي أَعْقَابِهِمْ(97) فحملت معنى تخمّر الأفكار،

ونضجها، والعمل على التغيير، ودلّت الصيغ المتناقضة التالية: تَدُسُّ في الشَّرِّ خَيْرًا(56)، وتَنْزَعُ الخَيْرُ مِنَ الشَّرِّ(56)، على احتدام الصراع بين الخير والشرّ، وحملت عبارات ويا لكَ مِنْ مَرَهَم(180)، ويا لكَ مِنْ بَلَسَم(180)، معنى الدور الكبير الذي لعبه أخوه في المجتمع، وكان قدوة كبيرة للشباب، ومنقذاً، ومرشداً.

أمّا المجموعة الدلالية الرابعة: فقد قامت على مجموعة الألفاظ الدالة على الابداع والفن"، واحتوت الألفاظ، والتراكيب التي دلّت على:

- مجموعة الألفاظ الدالة على التفاني في خدمة الشعر والرقي به.
- مجموعة الألفاظ الدالة على أهمية الشعر ودوره في المجتمع
- مجموعة الألفاظ الدالة على موقف المجتمعات من المبدعين.
- مجموعة الألفاظ الدالة على تعريض المبدعين حياتهم للمخاطر.
- مجموعة الألفاظ الدالة على تجاوز الحواجز والعراقيل في سبيل الفن.
- مجموعة الألفاظ الدالة على تسجيل الشعراء أسماءهم في التاريخ.

ولقد برهن محمد مهدي الجواهري، على موهبته الفذة، وعبقريته الفريدة، والنموذجية، وهو المبدع بلا منازع، والقادر على خلق دلالات جديدة، من خلال صياغته للألفاظ، والتراكيب، بطريقة سحرية محيرة، جعلته يرقى إلى أعلى مستوى، ويفرض نفسه على ساحة الشعر، إلى جانب هذا استطاع الشاعر أن يختار الألفاظ المناسبة، ويلبسها المعاني التي تليق بها، مستعملاً ألوان البيان ليعطيها عمقا، ورونقا، وتنوعا، وتجديدا، ويكون بهذا قد

ابتكر دلالات جديدة أدخلها إلى معجمه اللغوي، وساهمت بدورها في عملية التتوع، والإثراء، نتج عنها سحرا، وجمالا فتاكا، صاغته أنامل شاعر متمرس، تحدّى أعداءه، وهزم خصومه، وعزّى حكام العراق أمام المجتمع، وفي الكثير من المناسبات، وعرض بهم، وهاجمهم بعدما كان مقربا منهم، وأثبت من خلال شعره ولاءه لقومه بالرغم من معاداتهم له، حيث اضطر إلى السفر إلى أوروبا، بعدما ضاقت به بلاد الرافدين، ونبذه الجميع، وتناقلت عليه المصائب الواحدة تلو الأخرى، وغيب الموت أخاه جعفر، وتوفيت زوجته، وأبعد عن القصور والمناصب، وأغلقت الأبواب في وجهه، وكلّ هذه الأحداث أثرت فيه تأثيرا إيجابيا، وهو الحساس بطبعه، وزادته إبداعا، وخلقا، وتميزا، ولقد خاض في جميع المجالات من خلال شعره سواء كانت اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية، وأفرد لها العديد من القصائد، وعبر عما يعاينه من متناقضات، ومن متراكمات، صقلته ودفعت به إلى إنتاج دُررا فريدة من نوعها، سبكها بطريقة مميزة، ولّد من خلالها العديد من المعاني والدلالات، حيث استعمل على سبيل المثال لا الحصر: ألوي بمنّ عندي(20)، وعندي صَفوة(20)، للدلالة على التصدي لأعدائه بشعره، ومجابتهم، والثبوت أمامهم، والتفوق عليهم، ودلت الشعرُ هَذَدةً للسمع(31) على قوّة الشعر في انعاش الرّوح، وإطرابها، وإراحتها، أمّا يُردّدُ في رَفِه وفي عِلّ لَحْن الحَيَاة(31) فدلت على الدور الكبير الذي يلعبه الشعر في المجتمع، فهو محرّكه، والعاظف على وتر الحياة، وهو روحها بلا منازع وفي كلّ المناسبات، واستعمل كمّ معنَى مَرَجْتُ لَهُ دَمِي بِلَحْمِي في أَحْلَى المَوَاعِين(36) للدلالة على شعره الذي وضع فيه صدق نيّته، وإخلاصه، وضمّنه

هواجسه، وأحاسيسه، وأفراحه، وصراعاته، وانفعالاته، واختار له أجود البناء، وأجمل القوافي، وورد خَوَالِجٌ هُنَّ مِنْ صُنْعِي وَتَكْوِينِي(43) وحملت معنى المقدرة على التحكم في زمام الشعر، والاستفادة من الموهبة الفذة، والخلقة في الابتكار، والابداع، ووظف عادى المعاجم وَغَدُّ يُسْتَهَانُ بِهَا(43) للدلالة على بعض الجهلة الذين وقفوا موقفا معاديا من الفن، والابداع، ومحاربتة، وجاء أَحْضَنُهُ حَضْنَ الرَوَاضِعِ بَيْنَ الْعِتِّ وَاللَّيْنِ(37) بمعنى التكفل بشعره، والعناية به، والسهر عليه، وجعله أولوية من أولوياته، أَمَا صُغْتُ شَوَاطِ النَّارِ قَافِيَةً(63) فحملت معنى قدرة الشعر على اختراق كل المجالات دون استثناء، والتطرق إلى قضايا الأمة، وآلامها، ومعاناتها، واستعمل تَطْغِي عِنْدِي الْكَلِمُ(64)، فَيُثْنِي سَيْلَهَا الْعَرَمُ(64)، للدلالة على تدفق شعره بغزارة فائقة، وبقوة كبيرة ودون توقف، وولدت عبارة نَهْنَهْتُهَا عَنِ دَمِ نَسَقَاهُ فَانْتَضَمَتْ(64) معنى مساهمة دماء الشهداء في ابداعاته، وخلقها، وإلهامه، أَمَا قَاتَ بِالسَّبْقِ كُلَّ الْجِيَادِ(94) فنتج عنها معنى تبوأ الشاعر أحمد شوقي عرش الشعر، واعتلائه كرسيه بلا منازع، ووظف جَنَاحَ الْبَيَانِ مَهِيضُ(99) ليولد معنى وضع الحواجز أمام المبدعين، واحتقارهم، وخنق مواهبهم، وتدني المستوى، وتشجيع أشباه الشعراء، وولد من خلال عبارة القَوَافِي عِبْدِي لَهُ(100) معنى تمكّن أحمد شوقي من مفاتيح الشعر بكل مرونة، وسلاسة، وطواعية، وجاء يَلْعَبُ بِاللَّفْظِ لَعْبَ الْأَكْزَرِ(100) بمعنى اتقان شوقي صياغة الشعر، وانتقاء أجود الألفاظ، واللباسها أجمل المعاني، واستعمل كَصَمْصَامَةً مُنْتَصَى(102)، وكالْأَبْلَقِ الْمُشْتَهَرِ(102)، للدلالة على المعنى القوي، والهداف، الذي صوّبه أحمد شوقي

نحو أعدائه، وقهرهم، وكسر شوكتهم، وقضى عليهم، وجعل حافظ إبراهيم مثل الحصان السريع، الذي لا يجرؤ أحد على مسابقته، أمّا تَمَشَّى لِمُصْطَلَحَاتِ الْبَدِيعِ (96)، ومُنْدَسَّةٌ في الْبَيَانِ النَّخِرُ (96)، فولدت معنى وضع الأصبع على مكان العلة، والضعف، في الشعر، ومحاولة إرساء قواعد شعرية صلبة، صحيّة، واختيار ألوان البيان التي تناسبها، والابتعاد على الحشو، والكلام المعسول، ووظف لاءمَ بَيْنَ أَفَانِيَّهَا (96) ليخرج بمعنى التوفيق في هندسة قصائده، والتميز في إخراجها، وإلى جانب هذا أضاف الجواهري العبارات التالية، ليعبر عن التناقضات الموجودة بداخله، والتي تملئها الظروف الراهنة، ويضفي عليها شيئاً من أحاسيسه، وانفعالاته، وتوتره، وقسوته، وحنانه، وشفقته، مثل: فَبَيَّتْ يَكَادُ مِنَ الْإِرْتِياحِ وَاللُّطْفِ فِي رِقَّةٍ يَعْتَصِرُ (97)، وَبَيَّتْ يَكَادُ مِنَ الْإِنْدِفَاعِ يَقْدَحُ مِنْ جَانِبَيْهِ الشَّرَرُ (97)، وجاء وَقَدْ يَقْتُلُ الْمَرْءُ جُورَ الْفِكْرِ (94) للدلالة على تعريض الشاعر أحمد شوقي نفسه للمخاطر في سبيل قول كلمة الحق، وحمل "ديوان شوقي" يَجِدُ الشَّبَابَ (99) معنى مساهمة الشاعر في تثقيف شباب الأمة، وإرشاده، وتوعيته، أمّا نَحْنُ عِبَادُ فَنَ (169) فدلّ على عشق الشعر، وتقديسه، وتمجيده، وحملت عبارة تَسْتَلُّ مِنْ أَظْفَارِهِمْ (142)، وَتَحُطُّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ (142)، معنى قدرة الشعر على الإطاحة بأعداء الأمة، والقضاء عليهم، وولدت عبارة آهَاتِ حَيَارَى شُرْدٍ (17) معنى الخوف الكبير، والألم العميق، والتشتت، والضياع، والحيرة، والألم، والوجع، والارتباك، الذي ترجمه الشاعر إلى قصائد رائعة، واستعمل المواهب سيمت سَوَمَ مَغْبُون (39) للدلالة على المكانة المتدنية التي انحدر إليها المبدعون في المجتمع، على يد أعداء العلم،

والثقافة، والفن، ودلت نَسِيلُ في كُلِّ نَفْسٍ (169)، وَكَمَدَبَ النُّعَاسِ مِنْ كُلِّ جَفَنٍ (169)، على معنى إراحة الشَّعر للنَّفوس المتوتِّرة، ومداواتها، والحدّ من الانفعالات، والعمل على التهدئة، والاسترخاء، وجاء يَتَبَجَّحُونَ بِأَنَّ مَوْجًا طَاغِيًا (142) للدَّلالة على خصوم الجواهري الذين وقفوا في وجهه، وحطّوا من قيمة ابداعاته، ودلت عبارة وَأَحْرُفٍ عِشْتُ وَإِيَاهُنَّ عُسْرًا وَيَسَارًا (234) على الصِّلة القويّة، والمتوتّدة بين الجواهري وشعره في كلّ المواسم، فشعره رفيق دربه، وتوأم روحه، أَمَّا يَرُونَ "وَرِيْقَاتِهِمْ" بُلْغَةً مِنَ الْعَيْشِ (250) فحملت معنى خوض أشباه الشَّعرَاء ميدان، لغرض التَّقوُّت، وطلب الرِّزْق، من خلال مدحهم للحكّام، واستعمل عَارِ نَقَمَ ص ثَوْبَ الْأَدِيبِ (251) للدَّلالة على اقحام البعض بأنفسهم في ميدان الشَّعر دون موهبة، ومقدرة، ومعرفة قوانينه، وشروطه، وأسراره، ودَلَّ ضَرَبَانُهُ بِالْفِكْرِ حَتَّى الْتَوَى (261) على التصدّي للأعداء بقلمه، والنَّيل منهم، وإصابتهم في الصميم، ووظَّف تَصَيَّدَ الْجَاهَ وَالْأَلْقَابَ (199) للدَّلالة على محاولة بعض الشَّعرَاء تَبَوُّأ مناصبا ومراكزا مرموقة، من خلال التقرّب من السيّد، وغشّه، وخداعه، وإغرائه بالمدح، أَمَّا يَجْرِي عَلَى طَرَفِ اللِّسَانِ فُوَادُهُ (175) فولّد من خلالها الشاعر معنى الاحساس المرهف، والرّقة الكبيرة، والعواطف المتأجّجة التي يمتاز بها، إلى جانب الاندفاع الكبير، ووظَّف نَبْعٌ يُفَجِّرُهُ الْجَمَالُ (115)، وَتَرْتَوِي مِنْهُ الدُّهُورُ (115) للدَّلالة على تسبّب الجمال الفائق في تدفّق شعره بغزارة شديدة، وامتناعه الجماهير عبر الزّمان، بعد الظمأ الكبير الذي أصاب الشَّعر، والتّكسة الكبرى التي

تعرّض لها، أمّا أهُزُّ بِكَ الْجِيلَ الْعَفُوقَ الْمُعَاصِرَ (112) فولّدت معنى الدور الكبير الذي لعبه الشّاعر معروف الرّصافي في النّهوض بالأُمّة، وتغيير العقليات.

ولقد استعمل محمد مهدي الجواهري في ديوانه بجزأيه المجاز، والاستعارة، والكناية، وفي بعض الأحيان التّشبيه، ليولّد دلالات جديدة أدخلها إلى معجمه اللّغوي، بطريقة سلسلة، ذكيّة، دلّت على قدرته، وتألقه، وعبقريته، جعلته يتفنّن في صياغة مفردات اللّغة العربية البسيطة، وينتج من خلالها معاني عميقة، جعلته يتبوأ أعلى مكانة في سلم الشّعْر، والابداع، وبخلقه لمثل هذه الدلالات الجديدة التي اكتشفها من خلال دراستي لديوان الشّاعر، زاد لغة معجمه إثراء وتنوّعا.

الكشاف المعجمي

اللّغوي

وَضَمَّنَتْهُ الألفاظ، والتراكيب، والصيغ، التي أحصيتها من ديوان محمد مهدي الجواهري، ودارت حولها الدراسة الوصفية، التحليلية، التأويلية، حتى يسهل الرجوع إليها في مواضعها بالديوان، ويقوم الترتيب العام للكشاف المعجمي اللغوي حسب الطريقة الألف بائية، ومن خلال الفصول التي وردت فيها.

الفصل الأول

أَجَرَ كَبْدِي (205)	أَجْنِي الشَّوْكَ والوَخَزَ والحَزَازَاتِ حصدا (79)
أَحْزُ ورِيدِي (34)	اعْتَلَى بَدَمِ قَلْبٍ وبِالدمعة جَفَنَ (145)
أَلْعُوبَةُ بِكَفِّ اللَّيَالِي (75)	أَنَاخَ عَلَى الْبِلَادِ بِكُلْكِ (103)
إِنِّي مُضِغَةٌ أَنْيَابِ السَّرَاحِينِ (38)	إِنِّي وَرَدْتُ عَيُونََ الْمَاءِ صَافِيَةً (24)
أَوْشَكَ الصَّبْرَ أَنْ يَلْتَوِي (218)	بِسَكِينٍ مُطْمَعَةٍ تُجْرَحُ (218)
بَلَدَ جَرِيحٍ (263)	بَلِيلُ الْبُؤْسِ مَزْهُونُ (32)
بَيْتٌ صِيحٌ نَهَبًا فِي ذَوِيهِ (211)	بَيْنَ جَوَانِحِي شُغْلُ (159)
تَشَابَكْتُ الْأَنْوَارَ وَالظُّلُمَ (55)	تَشَقُّ عَلَيْكَ الْجُيُوبُ (191)
تَشَكَّى لَا الْجُرُوحَ بَلْ الضَّمَامَ (263)	تَصْطَلِي الْعَمَرَ جَحِيمًا (143)
تَطْوِي الضُّلُوعَ (226)	تَعَسَّرَ الصَّبْحُ (55)
تَهْجُمُ اللَّيَالِي عَلَيْهِ (177)	جَحِيمُ الرِّزَايَا (166)
جَمْرَةُ الْخَطْبِ (56)	حَزَّ الْمُدَى (226)
حَطَّ بِكُلْكِهِ وَارْتَمَى (225)	حَيْثُ تَكَادُ شِعَافُ الْفُؤَادِ (218)
الْخَطْبُ أَلْقَى الْجِرَانَ (225)	دَجَا الْخَطْبُ (32)
ذُوبْتَ الضُّلُوعَ عَلَى ثَرَاهَا (301)	سَحَقَوْهِنَّ عَنْ طَرِيقِ الْخَسَاسَةِ (172)
سَرَاجًا خَبَا (148)	سَفْحَكَ ضَمَانًا (24)
شَاعَ الْيَأْسُ بِي عُمُرَ (18)	شَبَعْتُ مِنْكُمْ سَيَّاطَ وَدَمَ (145)
صَدَى أَلْمِي (38)	الصَّدَى يَوْشُوشُ (84)
صَوَحَ الْإِيثَارُ (101)	صَوَّحْتُ أَيْكَتِي (82)
طَبَاعَ رَقِيقَةً، بَغْلَظَةً وَشِرَاسَةً (172)	الطَّرِيقُ غُنَّارُ (104)
عَاثَ بِهَا الْبُؤْسُ إِغْبَرَارَ (233)	عَقَّتْ دِيَارُ (301)

عنان من الضر لا يكبح (218)	عود بكف الرياح (193)
غلال الأسى والأذى والحسد (148)	فتعري من الصبا أفراسه (177)
فرط ما خاض المغار (233)	فما كانت لترويني (24)
فؤادي بينكم يثوي مقيما (211)	فيغرر في صدرها معصم (191)
قلوب تحرقت وجلود (31)	قلوب تعلمت في جلود (31)
كرات برجل طفل (75)	كل من كاهل أو زل متن (145)
كوكبا في دجا (148)	لدغ الثعابين (35)
لم نختضد شوك الليالي (202)	اللؤل داج (104)
لنل مطبق أزل (19)	مسحت عن أوجه (233)
مظلة أمن (167)	مقيم حيث يضطرب (19)
المنى، والسعي، والفشل (19)	هبت أعاصير (82)
هل من قاطع يصل (19)	هوى مني خضيب (211)
وإذ يركب النفس حد الردى (218)	واستعصت ولادته (55)
وحملت ثقلها إذ غيركم (145)	وقبور وطوامير وسجن (145)
وكابوس حرمانها (218)	وكننت كله أمل (18)
وينز دما كما نر الثماد (211)	يا جوادا شاب كهلا (233)
يا حاصدا من كريم الزروع (148)	يتصدى كشامت يتحدى (84)
يجري بها نفس فتشتد (159)	يذاق العلقم (10)
يسأل منها متى يقصم (193)	يُعارك البلوى (20)
يعصر القلب حب الحياة (218)	يكسره المبهض المترج (218)
يمتص اعتصارا (235)	ينجاب عن عيني (19)
ينز جرح الشريد (35)	ينز جرح الشريد ()
يوسع القلب انفجارا (233)	يولد الضر (167)

الفصل الثاني

أُحْتَلِبَتْ لَهَا أَشْطَارُ (111)	إِرْتَمَى الضَّمِيرُ (101)
أَطْلَقَ لِلصَّيْدِ أَظْفَارَهُنَّ، وَأُنْيَابَهُنَّ (254)	أَعْقَابَ لُبْنَانَ تَدْنَسُ وَكَرِهَ؟ (104)
أَعْمَى الضَّمِيرُ (150)	إِغْتَصَبَ الْبِلَادَ (264)
إِنْتَسَبَ السَّوَادَ (260)	انْجَلَى اللَّثَامُ (282)
إِنْحَنَتِ الرِّقَابُ (59)	بَحَّ صَوْتُ الْحَقِّ (191)
بَدَعَوَى الْجَبَانَ بِحَبِّ الْوَعَى (248)	بَكَفَّ وَغَدٍ تُلْطَمُ (21)
بُنَاةُ قُبُورِهِمْ (59)	تُحْجِزُ الْأَفْكَارَ (114)
تَذَرَى عَلَى الضَّمِيرِ (239)	تُسِيلُ أَطْمَاعَ الْحَيَاةِ لُعَابَهُ (145)
تُشْتَرَى ذَمُّ الرِّجَالِ (114)	تَعَاَفَ عَيْشَتَهَا الْكَلَابُ (59)
تَعَرَّتْ أَغْصَانُهَا (83)	تُذِي الْخُمُولَ (227)
جَمَدَتْ عَلَى الْجِلْدِ الْيَبِيسِ ضُرُوعُهَا (111)	الْجَوْرُ صَلَبُ كَيْانِهَا (111)
حَشَدُوا عَلَيْهِ الْجُوعَ (141)	حَكَمَ كَالدَّجَى - عَرِيَانٌ صَافِي (260)
الْحَكْمُ يَشْمُخُ كَاذِبًا (99)	حَمَى لُحُومًا (21)
الْخَابِطُونَ حَيَاةَ النَّاسِ (210)	خَيُولُ الْبَغْيِ (20)
دَنَسَ الْأَصْلَ وَالْمَنَابِتَ عَفَنَ (173)	ذَنْبُ الْحَضَارَةِ (62)
سِمَتْهَا الْخَسَفَ (44)	سَنَسْتَبِيحُ جُلُودَكُمْ لِلْسَالِحِينَ (118)
سَوَّطُ مَنْ؟ سَوَّطَ كُلَّ عِلْجٍ عَلِيفٍ (173)	سَيَاطُ الْبَغْيِ (68)
الْشَارِبِينَ دَمَ الشَّبَابِ - الشَّارِبَ (137)	شَطَّ الْإِجْتِرَامَ (286)
شَكَى خُمُولَهُمُ الذَّبَابَ (59)	صَرَخَ الشَّرُّ (282)
صَفَرُ الضَّمِيرِ (102)	الضَّمِيرُ الْأَبْكَمُ (17)
طَارَ حَلِيمُهُمْ ذَعْرًا (136)	طَالَتْ أَظْفَارُهُ (61)
يَبْرُونَ أُنْيَابًا لَهُ وَمَخَالِبًا (135)	عَصَفَتْ بِهَا الشَّهَوَاتُ (114)
عَلَى قَدَمِي غَاصْبِيهِ إِرْتَمَى (258)	عَنْ غَيْرِهِمْ مَسَخَ (102)
الْفَاتِلُونَ عَثَانِيْنَا مَهْرًا (210)	كَفَّ الْغَبَا (227)
لَزَمُوا جُحُورَهُمْ (136)	لُقَاخَ الشَّرِّ (285)
لَمْ تَنْفَقِيْ خَجَلًا (21)	لَمَسْتُ كُرْسِيَا يَرْجُ (99)
مَبْصَبُونَ (102)	مَتَمَرِّينَ يَنْصَبُونَ صُدُورَهُمْ (135)

مطايأ الإثم(18)	المِعْطَاشُ للدم(285)
المُغْدَقُونَ على البياضِ نعيمهم(127)	المُقيم على ذُلَّة (181)
الموت بها جَار - بها وزَّار(104)	موتى الضَّمائرُ(41)
نُزْهة الحَقْد(148)	وأشاعَ لَحْمي(21)
ومن آثامه آثار(102)	والخالعونَ على "السواد" زرائب(127)
وتشَبُّ منه سنامه والغاربا(145)	وجدنا الخبائثَ والطيباتِ تُصْطَفَى(258)
وحش بلحم بني أبيه يُطْعَمُ(16)	وحش تنمَّر(61)
الوحش يربُضُ(104)	يَنشُبُ نابهُ(141)
يتهافتونَ على مواطئِ أرجل(103)	يجرُّ الخِصى(240)
يَجُرُّ ذُيولَ الخَنَى والغنى(228)	يجنبون الكلب وخزة واخر(128)
يخبط في دُجَاهَا حَاطِبًا(145)	يُخَفِّفُ عن قُبْحها بالكنى(258)
يصيد في متكدر(145)	يظهر الورمُ(61)
يَعْرِقُهَا الذَّلُّ(239)	يكافئون على الخراب رواتب(135)
يَلْغُ الدِّماءُ مع وحوش نهاره(145)	يُلَوِّى عصبُ البلاد(114)
يملاً رَفْتِيهِ العارُ(99)	يَنْتِفِ ريشهُ(105)
ينزلُ عُشه ويَدْسُهُ(105)	

الفصل الثالث

"بارزان" يا قِمَمًا يُشَبِّبُهَا الدَّم(15)	"بارزان" يا لُغْزًا تَعاصَى حَلَّةُ(15)
أَبْثَلُوا بي صاعِقًا مُتْلَهَبًا(139)	أَبْثَلِيَتْ بِهِمْ جِهَامًا كاذبًا(139)
أَبْقِيَتْ مَنْ مَيَسَمِي في الحَيَاةِ وَشَمًا(235)	أَبَى دينها أَنْ تَجْمَعَ الله والرَّعْبَ(298)
أُتِيحَ لَهُمْ ذِكْرُ الْخُلُودِ فَسَارَعُوا(190)	إِذَا بَرَدَ الشَّرَى تَتَأَلَّمُ(11)
أَرْكَبُ الْهَوْل(36)	أَرَى أَفْقًا بَنَجِيعِ الدِّماءِ(186)
اسْتَكْرَهُوا طَعْمَ المَمَاتِ فَأَبْطَأُوا(190)	أَسَلَّ يُخَضَّبُ مِنْ دَمٍ وَشِفَارَ(58)
أَظْفَارُ الْوُحُوشِ تُقَلِّمُ(12)	أَعْرَاسُ مَمْلَكَةٍ تَرْفُفُ لِمَجْدِهَا(131)
افترشُوا خَدَّ الدَّلِيلِ، أوطأت لأقدامهم (190)	اَفْتَحِمْ الطَّغَاةَ مَصْرَحًا(144)
الآكِلِينَ بِلَحْمِي سُمَّ أَعْرِيَةِ(38)	أَنْ الحَدِيدِ قَارِعِهِ - في مسمع الدهر(60)
إِنَّ المصائبَ أَعْدَنَ نَحْتِي(43)	أَنْ دَمًا يَسْعَى إِلَيْكَ هُوَ المَحْكُومُ والحَكَمُ(67)

أَنْتُمْ فِكْرَةٌ يُعَذِّبُ اللَّفْظُ بِهَا(144)	أَنْضَجْتَ نُضْجَ الشَّوَاءِ جُلُودًا(235)
إِنِّي وَجَدْتُ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا(55)	بِشَذَى عَبِيرٍ دِمَ بِهَا يُتَنَسَّمُ(13)
بِمَا يُغِييَ حَمُولَ(51)	بَنُوا الْحَيَاةَ وَرَمَمُوا(07)
بِنَسِ الدَّمِ الْمُرِّ حُكْمًا(67)	بِنَسِ مُفْتَرِشِينَ جَمْرًا(265)
بَيْنَ النَّجُومِ اللَّامِعَاتِ مَضَارِبًا(144)	تَأْوِي إِلَى حُكْمِ عَدْلٍ... وَتَحْتَكِمُ(55)
تَبَنَّتْكَ رَزَايَاهُ شَعَارًا(241)	تَتَحَطَّمُ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَطَّمُ(24)
تَجَرَّ الدَّمَاءُ(188)	تَجَرَّ الصَّفُوفُ الصَّفُوفُ(136)
تَحَدَّتْ عُبَابُ الْبَحْرِ تُزْعِجُ حَوْتَهُ(298)	تَحْدَى أَظْفَارَ الطُّغَاةِ(12)
تَرَكْتَ الَّذِي رَامَ السَّمَاءَ يُلْمِسُ الثَّرَى(297)	تَصُدُّ عُبَابَهُ وَجْهًا لَوَجْهٍ(261)
تَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ أُمُّ الْكِفَاحِ(242)	تَقْلَمُ الْأَظْفَارُ()
تُلْحُجُ وَتَسْتَطْعِمُ(181)	تَمْتَصُّ دَمًا ثُمَّ تَبْغِي دَمًا(181)
تَمْنِيَتُهُمْ لَوْ افْتَرَشُوا الْقَتَادَا(265)	تَنْفُضُ عَنْهَا الْخُمُولَ الرُّقُودَ(135)
تَتَوَّرُ وَاخْتَفَتِ الْأَنْجُمُ(186)	ثَبَّتَ عَلَى وَقْدِ الْوَعَى وَجَحِيمِهِ قَدَمًا(11)
تُغَوِّرُ الْأَمَانِي بِهِ تَبَسُّمُ(180)	الْجَبَلُ الْأَشْمُ(12)
جِرَاحُ الشَّهِيدِ تَظَلُّ عَلَى الثَّارِ تَسْتَفْهَمُ(181)	جِرَاحُ بَنِي الدُّنْيَا فَاسَتْ لَهُمْ نُذْبًا(299)
جَمْرُ الْكِفَاحِ الْعَنِيدِ(31)	حَانَ الْإِرْطَامُ(233)
خُذِي الْكُورِثَ لَا نِكْسًا وَلَا جَزَعًا(55)	خِيُولُ اللَّهِ زَاخِفَةٌ(65)
دَخَرَجْتُهُ عَنْ "مِصْرٍ"(302)	دَعَا ظِلَامُ اللَّيْلِ أَنْ يَخْطَطَّ لِي(144)
الدَّمُ الرَّقْرَاقُ رِكَاضٌ(50)	الدَّمُ الرَّقْرَاقُ نَهَاضٌ(51)
الدَّمُ الْغَالِي يَسِيلُ ضَوْءٌ يُنَارُ بِهِ السَّبِيلُ(49)	ذَكَأَ بِهِ وَهَجُ الْإِبَاءِ(96)
السَّحَابُ الْجَوْنُ يُسْتَسْقَى بِهِ الْبَلَدُ الْمَحِيلُ(51)	سَرَتْ كَشْعَاعُ النُّورِ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى(298)
سَيَنْجُرُ عَنْ شَوْكِ الْجَمَاهِيرِ غَرَامُ(287)	الشَّدَائِدُ تُسْتَنْصَفِي النُّفُوسَ بِهَا(56)
شَعَبٌ دَعَائِمُهُ الْجَمَاجِمُ وَالدَّمُ(24)	صَابِرٌ عَلَى الْبَلْوَى فَعُقْبَى ضَرْهَا نُغْمًا(11)
طَلَعَتُهُ الْبِشْرُ وَضَحْكَةُ الْفَجْرِ(183)	عَانَقَ الْمَوْجَةَ مَدًّا وَانْحَسَارًا(233)
عَبَرِ الْقُرُونِ الْعُجْبُ فَهُوَ طَلَسَمُ(15)	عِنْدَهُ مِنْ "أَبْجَدِيَّاتِ" الضَّحَايَا مُعْجَمُ(12)
عِنْدَهُمْ عَزَائِمُ مِنْ قَبْلِ السُّيُوفِ قَوَاطِعُ(190)	عِنْدِي خَوْفُ الشَّجَاعِ(234)
عُبَارُ السَّنِينَ وَوَعَثَ الْبَلَى(242)	عُزِّرَ الشَّبَابُ إِلَى التُّرَابِ كَوَاكِبًا(131)
عَرَسْتُ رِجْلِي فِي سَعِيرِ عَذَابِهِمْ(144)	فَأَنَّهُنَّ جُيُوشُ لَيْسَ تَنْهَزُمُ(62)
فِي "يَثْرِبَ" حَرَمُ اللَّهِ كَعْبَتُهُ(68)	فِيَا لَكَ مِنْ مَرْهَمِ(180)

قَبَسًا مِنْ لَهْيَبِ الْحَيَاةِ (183)	قَصَصَتْ جَنَاحِيهِ فَقَرَّتْ شَدَاتُهُ (303)
قَلْبٌ حَزْرٌ عَصِي الزِمَامِ (92)	كَفَاكَ وَالْخَطْبُ فَخْرًا أَنْ تُصَارِعَهُ (54)
كَمْ رُؤُوسٍ هَوَتْ لِرَأْسِ شَمْوَخِ (32)	كَمْ طَرِيقٍ مُعَبَّدٍ بِدِمَاعٍ (32)
كَمَا أَبَدَعْنَا تَلْوِينِي (43)	كُنْ دَاءً حَقْدِهِمُ الدَّافِينَ وَطِبَهُ (12)
لَا زِلْتُ بِكَ الْقَدَمُ (67)	لَسْتُ الَّذِي يُعْطِي الزَّمَانَ قِيَادَهُ (144)
لِغَايَتِهِ عَجُولٌ (50)	لَكَ "النُّورُ" فَأُطْلِفُهَا عَلَى شَرَفِ (68)
لَكُمْ "الْجَنُّ" تَهْرَعُ (226)	لَمْ أُعَوِّدْ أَنْ أَكُونَ الرَّائِبَا (144)
لَنْ يُبْرِدَ الدَّمُ إِلَّا الدَّمُ (188)	مُتَحَدِّرًا كَالسَّهْمِ صُلْبًا لَا يَزِيغُ (50)
مِثْلُ النَّسِيمِ الرَّخْوِ فِي يَبَسٍ هَبًّا (298)	مِثْلَمَا "الْإِنْسُ" تَخْضَعُ (226)
الْمَجْدُ اشْتَعَاعُ الضَّمِيرِ لَصُؤْنِهِ (98)	مَشَى الْحَقُّ فِي الصَّفِينِ (308)
مَشَى الْوَعْيُ فِي أُمِّ الْمَشْرِقَيْنِ (135)	مَطَارِقُكُمْ هُنَّ جَرَسُ الزَّمَانِ (131)
الْمَوَاكِبُ ذَابَتْ (31)	نَفْسٌ هَذَّبَتْهَا الشَّدَائِدُ (313)
هَمُّ الرِّجَالِ هِيَ الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ (11)	وَاسْتَثْمَرَ اللَّعْنَاتِ الْعَاصِفَاتِ بِهِ (62)
وَاصْنُدْ يُطَاوِعُكَ الْقَضَاءُ (11)	وَالْخُدُودُ الضُّوَارِعُ (190)
وَتَرَبَّطُ أَحْلَامُهَا بِالسَّمَاءِ (242)	وَتَرَحُّمُهُ انْعِكَاسَا وَاطْرَادَا (261)
وَتَشْحُدُ الرُّوحَ عَلَى مِرَاتِيهَا (144)	وَتُعَارِكُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ فَتُظْلَمُ (15)
وَتَعْصَفُ لَيْلَةٌ وَنَهَارٌ (97)	وَجَدْتُكَ كَالْفَلَاذِ ضَرَمُهُ طَبْعُ (64)
وَحَلَّ تَحَدَّرَ الْعُقْبَانِ وَالرُّخْمُ (68)	وَدَبَتْ مَدَبَ الرُّوحِ فِي الْكُونِ رَحْمَةً (299)
وَرَاخَ الْجَوِّ يُمَطِّرُهُمْ عَطْبًا (308)	وَشَدَّتْ لَجْسَ خَائِرٍ مُتَعَبٍ صُلْبًا (299)
وَصَلَ الْكِفَاحُ غُدُوهُ بِرَوَاحِهِ (11)	وَطَهَّرَ الْبَيْتَ - وَلَنْ يُطَهَّرَهُ إِلَّا دَمٌ، وَدَمٌ (59)
وَطَبِيشُ الْحَلِيمِ (234)	وَوَظَّهَرَ عَلَى الْفُقُقَاسِ مُسْتَغْلِيَا جُبَا (296)
وَعَادَتْ "تَوَازِي" شَرَّهُ أَفْرَحًا زُعْبَا (303)	وَعُصَّةٌ فِي حَلَاقِينَ الشَّوَاهِينِ (38)
وَفِي "دَمَشَقٍ" لَشَرْقٍ زَاحِفٍ حَرَمُ (68)	وَقَدْ نَفَضَ الْكَهْفُ عَنْ أَهْلِهِ (242)
وَقَدَا يَشُبُّ كَمَا تَشُبُّ النَّارُ (96)	وَلُمَّتْ لِكُنْسِ الْوَسِيخِ الْخُشُودُ (135)
وَمَدَّتْ بِرَفَقٍ كَفَّهَا فَتَلَمَّسَتْ (929)	وَمَنْ قَبْلَهُ فِي الْبَرِّ أَرْعَجَتْ الضَّبَا (298)
وَمَنْ كَانَ يَشْكُو بِطُنَّةٍ يَشْتَكِي السَّغْبَا (297)	وَمَوْتُ الرَّدَى (234)
وَهُوَ مُعَرَّسٌ بِأَحْلَامِهِ (302)	وَيَا لَكَ مِنْ بَلْسَمٍ يُشْتَفَى (180)
وَيَا لَكَ مِنْ مَبْسَمٍ عَابِسٍ (180)	وَيُرُوحُ عَنْ نَهْجٍ تَنْهَجُ نَاكِبَا (144)
وَيَزِدُّكُمْ عَلَى وَجْهِهِ وَيَبْتَسِمُ (56)	وَيَسْتَتِيرُ الْوَقِيدَ الْوَقِيدُ (136)

يَا ابْنَ صَيْدِ الرَّجَالِ (167)	وَيَغْمُرُ بِالرِّيحَانِ أَوْفَاهُمَا كَسْبًا (308)
يَتَحَدَّى الْاِغْتِرَارَ (238)	يَا جِبْهَةَ الْمَجْدِ يَا قَلْبًا وَيَا رِئَةً (65)
يَدُّ جَذَّ يَوْمِ الْفَيَرَوَانِ عُرُوقَهَا (296)	يَتَمَخَّضُ التَّارِيخُ فِي أَغْقَابِهِمْ حَمْدًا (97)
يَدْمَعُ بِاطِلَا (308)	يَدَّقُ... فَيَسْمَعُ حَتَّى الْحَدِيدِ (131)
يَلْقَيْنَ ظِلًّا عَلَى وَجْهِهِ فَيُلْتَطِمُ (56)	يُشَخَّصُ مَشْحُودًا لَهَا الْجَلَمَ (61)
	يَنْضُجُ كُلُّ بُرْعَمِ زَهْرَةٍ (13)

الفصل الرابع

"فَشَوَقِي" لَهُ عُيُونٌ مِنَ الشَّعْرِ فِيهَا حُورِ (95)	"عُكَاطٌ" مِنَ الشَّعْرِ تَحْتَلَّهُ (101)
أَجَرَهُ الشَّوْكُ أَلْفَاظُ مُرْصَفَةً (37)	أَبَا نَاطِمٍ وَنَحْنُ أَرْقُ النَّاسِ طَبْعًا (169)
أَحْرَفَ عِشْتُ وَإِيَّاهُنَّ عُسْرًا وَيَسَارًا (234)	أَجَرَهَا الشَّوْكُ سَجْعَ شِبْهٍ مُؤْزُونِ (37)
آضَى رِيَّانَ الصَّبَا غَضِرًا (37)	أَحْضَنُهُ حَضْنَ الرَّوَاضِعِ بَيْنَ الْعِتِّ وَاللَّيْنِ (37)
أُغْرِي الْوَلِيدَ بِشَتْمِهِمُ وَالْحَاجِبَا (142)	أَعِيدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتًا وَخَضْخَضَةً (37)
أَقَامَ بِالضَّجَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا (200)	أَفْرَعَهَا مِنْ قَوَافِيهِ (96)
أَلْوِي بِمَنْ عِنْدِي (20)	أَقْتُلْ مِنْ ذَا وَهَذَا شَبَابًا (261)
إِنَّ الْقَوَافِي عِبْدِي لَهُ (100)	إِنَّ الْأَشْفَّ مِنَ الْخُرُوفِ الْأَفْحَمُ (12)
أَنَا صُورَةُ الْأَلَمِ الذَّبِيحِ أَصُوغُهُ كَلِمًا (6)	أَنَا حَتَفُهُمُ أَلْجُ الْبُيُوتِ عَلَيْهِمُ (142)
إِنِّي حَامِلٌ فِي الصَّدْرِ نَايَا (104)	أَنْتَ مَعَ الصُّبْحِ شَدُو الرُّعَاةِ (225)
أَهْزُ بِكَ الْجَيْلَ الْعُقُوقَ الْمُعَاصِرَ (112)	آهَاتِ حَيَارَى شَرْدٍ (17)
تَأْتِي عَلَى كُلِّ مَا تَلْقَى وَتَلْتَهُمْ (63)	بَانَ فِي فِكْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ لَقَبًا (199)
تَرَاوَدُّ بِالصَّمْتِ الْمَرِيبِ الْمُنَاكِرَا (110)	تَجُوبُ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا (142)
تَسْتَلُّ مِنْ أَظْفَارِهِمْ، وَتَحُطُّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ (142)	تَرَعَاكَ عَيْنُ الزَّمَانِ (224)
تَطْغِي عِنْدِي الْكَلِمُ (64)	تَصِيدُ الْجَاهَ وَالْأَلْقَابَ نَاسِيَةً (199)
تَكْشِفُ عَنْ حُسْنِهَا الْمُسْتَتَرَّ (98)	تَعَرَّضُهُ مِنْ طَلَاءِ الْبَيَانِ (95)
تُثَاغِي بِهِ مَجْدَهَا الْمُنْدَثِرَ (92)	تَمْشَى لِمُصْطَلَحَاتِ الْبَدِيعِ (96)
ثَوَّتَ تَحْتَهُ مَعَانٍ لِقَلَّتِهَا تُحْتَكِرُ (99)	تَنْبَأُ صَاحِبِهِ أَنْ نَسُودَ (137)
خَافَ مِثْلَ سِوَاهِ الْعُبُورِ (95)	جَنَاحُ الْبَيَانِ مَهِيضٌ (99)
دَغُ الْخُرُوفِ ثُبْنٌ قَرَارَةٌ نَفْسِهَا (12)	خَوَالِجٌ هُنَّ مِنْ صُنْعِي وَتَكْوِينِي (43)

الذي لا تَهْزُ نَوَابِغُهُ حَتَّى تَزُورَ الْمَقَابِرَ (112)	رَأْسٌ لَيْشَمَخَ مَنْ ذِي نِعْمَةٍ دُنْبَا (199)
رَخِيًا غَيْرَ مَلْحُونٍ (31)	رَغِي الْجَمَالِ الْكِلا (250)
رَوْضٌ نَضِرُ (97)	سَدُّوا عَلَيْهِ مَنَافِذًا وَمَسَارِيَا (142)
الشَّعْرَ هَذِهِ لِلْسَّمْعِ (31)	شَلَّتْ يَدَاكَ وَخَاسَتْ رِيشَةً (43)
صُنِعَتْ شَوَاطِظُ النَّارِ قَافِيَةً (63)	صَنَاجَةُ الْأَدَبِ الْغَالِي (39)
صَنَاجَةُ الشَّعْرِ تُهْدِي الْمُتَرْفِ الطَّرِيَا (198)	ضَرْبِنَاهُ أَنْ لَمْ يَصِبْ مَقْتَلًا (261)
ضَرْبِنَاهُ بِالْفِكْرِ حَتَّى الْتَوَى (261)	طَوَى الْمَوْتُ رَبَّ الْقَوَافِي الْغُرُ (90)
عَادَى الْمَعَاجِمَ وَعَدَّ يَسْتَهِينُ بِهِ (43)	عَارٍ تَقْمَصُ ثَوْبَ الْأَدِيبِ (251)
عَنِ الذَّهْنِ مَشْبُوبًا (108)	عَنِ الْفِكْرِ حَائِرًا (108)
عَنِ الْقَلْبِ الْجَرِيحِ يُتَرْجَمُ (6)	عَنِ الْقَلْبِ مُرْتَجِّ الْعَوَاطِفِ زَاخِرًا (108)
عَنِ النَّفْسِ جَاشَتْ فَاسْتَجَاشَتْ بِفَيْضِهَا (108)	غَفَلَتْ عَنِ الْبَلَابِلِ فِي رَسْمِ السَّعَادِينَ (43)
فَاتَ بِالسَّبْقِ كُلِّ الْجِيَادِ فِي الشَّعْرِ (94)	فَقَدْ جَارَ "شَوْقِي" عَلَى نَفْسِهِ (94)
فَكُنْتُ وَعَلَّتْهَا كَالطَّبِيبِ (100)	فَمِلْءُ فَمِ الزَّمَانِ قَصَائِدِ (142)
فِي أَخْلَى الْمَوَاعِينِ (36)	فِيثْنِي سَيْلُهَا الْعَرَمُ (64)
القَوَافِي تَشْقُ الدَّرَبَ وَغَرًا (289)	قَوَالِبَ مَرْصُوصَةٍ كَالزَّبِيرِ (96)
كَأَنَّ عُيُونََ الْقَوَافِي الْحِسَانَ (95)	كَصَوْتِ الْغَمَامَةِ إِذْ يَنْحَدِرُ (96)
لَا قَلَمٌ يَدُودٌ وَلَا فَمٌ (21)	لِتَارِيخِ أُمَّتِهِ الْمُخْتَصِرِ (99)
لَخَابَ وَزَلَ وَلَكِنْ عَبَرَ (95)	لَفْظٌ هَجِيئٌ (99)
لَقَدْ نَوَّرَ الدَّرَبَ هَذَا الْقَصِيدُ (137)	مَا لَوْ سِوَاهُ ابْتِغَاهُ لَفَرَّ (96)
مَرَجْتُ لَهُ دَمِي بِلَحْمِي (36)	مِنْ الْإِزْتِيَاكِ وَاللُّطْفِ فِي رِقَّةٍ يُعْتَصِرُ (97)
مِنْ الْإِنْدِفَاعِ يَفْبُحُ مِنْ جَانِبِيهِ الشَّرَرُ (97)	مِنْ قَبْلِ كَانَتْ لَهُ تُدَخَّرُ (95)
مُنْدَسَّةً فِي الْبَيَانِ النَّخِرُ (96)	مِنْهُ الدُّهُورُ مَتَى يَكُونُ نَفَادُهُ (115)
مَهْوَى قُلُوبِ الْحِسَانِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ (37)	الْمَوَاهِبُ سَيِمَتْ سَوْمَ مَغْبُونِ (39)
نَبَعَ يَفْجَرُهُ الْجَمَالُ وَتَرْتَوِي (115)	نَحْنُ عِبَادُ فَنٍّ (169)
نُسِيلُ فِي كُلِّ نَفْسٍ كَمَدِبِ النَّعَاسِ مِنْ كُلِّ جَفَنٍ (169)	نَهْنَهَتْهَا عَنْ دَمٍ تَسْقَاهُ فَكَتَطَمَتْ (64)
هَذَا الْجَوَادُ الْأَعْرَ (94)	وَبِسَهْمِ أَرَاشٍ وَنَصْلٍ بَرَى (261)
و"حَافِظٌ" كَالْأَبْلَقِ الْمُشْتَهَرِ (102)	وَالْقَصِيدُ غُرُوقٌ يَتَفَجَّرُنَ بِالْأَحَاسِيْسِ (292)
وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ (37)	وَأَنْتَ كَصَمَامَةٍ مُنْتَصَى (102)
وَبِالْقَلْبِ حَتَّى هَفَا بِالرَّدَى (261)	وَبَيْنَ أَفَانِينَ مَا يَبْتَكَزُ (96)

وتَتَلُّ مجداً كاذباً (142)	وتَفَرِّجَ الْمُتَفَقِّهُونَ فلا دَمَ يَغْلِي (21)
وتَهْدِي الْمُضِلِّينَ نَجْداً (289)	وَحُلُمُ العَذَارَى إِذَا اللَّيْلُ جَاءَ (225)
وَدِيوانُ شَوْقِي يَجْدُ الشَّبَابَ (99)	وعندي صَفْوَةٌ هي من بني أبيه وذويه أكرم (20)
وقَدْ يَقْتُلُ المَرْءَ جُورَ الفِكْرِ (94)	وكانَ القَرِيضَ الذي تَقْرَأُونَ (261)
وكان جُرْحُكَ إلهامِي مشاركة (33)	وكان يأخذ من جرحي ويعطيني (33)
ولاءَمَ بَيْنَ أَفانِينِها (96)	وما الشَّعْرُ إِلَّا ما تَفَتَّقَ نُورُهُ (108)
ومِمَّا يُرَكِّي أديبٌ عَرا (251)	وَمِنْ زُبُرِ اللَّفْظِ دَرْبٌ خَطِرٌ (95)
ونَحْنُ -رَعْمٌ أَنُوفٍ- نَسُودَ (137)	ويُذَلِّلُ مِنْ شَارِدَاتِ القَرِيضِ (96)
ويَهْفُو لَجَرَسِكَ سَمْعُ الدُّنْيَى (224)	يا غَرِيبَ الدَّارِ ناغِ الشَّعْرِ (234)
يَتَبَجَّحُونَ بأنَّ مُوجاً طاعِيا (142)	يَجْرِي على طَرَفِ اللِّسانِ فُوادُهُ (155)
يُحْصِي بِها "أَبْجَدِيَّاتٍ" وَيَعْدُونِي (43)	يُرَدِّدُ في رَفْهِ وفي عِلَلٍ لَحْنُ الحِياةِ (31)
يَرَعُونَ في هَذَرِ يابِسٍ مِنَ القَوْلِ (250)	يَرَوْنَ "وَرِيقَاتِهِمْ" بُلْعَةً مِنَ العَيْشِ (250)
يَسْتَنْزِلُ الشَّعْرَ عَذْبَ الرِّواءِ (96)	يَسْتَنْزِلُ الفِكْرَ مِنْ عُلْيَا مَنازِلِهِ (199)
يُفَرِّقُ أَشْتاتِها أو يَدْرُ (100)	يَلْعَبُ بِاللَّفْظِ لَعِبَ الأَكْرَ (100)
يَمَحْضُكَ الحِوَارُ (234)	يُنْعِشُ جِسْمًا عَراهُ الخُورِ (100)

فهرس المصادر

والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

1. ابتهاج كاصد ياسر الزبيدي: علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة للنشر والتوزيع، الدار العربية للنشر، د.ت.
2. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1958م.
3. ابن رشيق القيرواني: دلائل الإعجاز، العمدة 1-2، دار الجيل، بيروت، ط4، 1972م.
4. ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1963.
5. ابن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.
6. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1374هـ-1955م.
7. أحمد المعداوي: أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث، دار الآفاق، المغرب، ط1، 1993م.
8. أحمد شوقي: الشوقيات (شعر المرحوم أحمد شوقي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2006م.
9. أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني وبلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973م.
10. أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ-1993م.
11. أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، د.ت.
12. إدريس السغروشني: مدخل للصواتة التوليدية، دار توبقال للنشر، عمارة معهد التسيير التطبيقي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م.

13. أشعار العامرين الجاهليين، جمع وتحقيق عبد الكريم يعقوب، نشر دار الحوار، اللاذقية، 1982م.
14. ألبير كامو: الإنسان المتمرد، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1983م.
15. إليزابيت درو: الشعر كيف نفهمه ونتذوقه؟، ترجمة: محمد إبراهيم الشباشي، مكتبة منيمنة، بيروت، ط1، 1961م.
16. الإمام الأديب اللغوي أبي هلال العسكري: الفروق اللغوية، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي، دار زاهد القدسي طبع - نشر - توزيع، دت.
17. بصري مير: أعلام الأدب في العراق الحديث، دار الحكمة، لندن، ط1، دت.
18. ت.س. إليوت: فائدة الشعر والنقد، ترجمة يوسف عوض، دار العلوم للملايين، بيروت، ط2، 1982م.
19. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979م.
20. التوليد والنسقية والترجمة الآلية، إشراف د/عبد القادر الفاسي الفهري، إعداد أحمد بريسول وخالد الأشهب، دت.
21. جان بول سارتر: الوجودية، ترجمة: كمال الحاج، مكتبة الحياة، بيروت، 1987م.
22. الجبوري عبد الله: الجواهري نظرات في شعره وحياته، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
23. جلال الخياط: الشعر العراقي الحديث، دار الرائد العربي، بيروت، 1978م.
24. جميل صدقي الزهاوي: الديوان، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1955م.
25. جون لاينز: اللغة المعنى السياق، ت: عباس صادق، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ط1، 1987م.

26. جون لاينز: نظرية تشومسكي اللغوية، ت: د/حلمي خليل، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1985م.
27. حسن العلوي: الجواهري ديوان العصر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1986م.
28. حسن نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1 و2، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط2، 1970م.
29. حميد الحمداني: القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2003م.
30. الخطيب التبريزي: شعراؤنا، شرح ديوان أبي تمام، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، دت.
31. ديوان أبي الطيب المتنبّي، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م، ط2، 2005م.
32. ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق بدر الدين حاضري محمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، ط1، 1442هـ-1992م.
33. ديوان البحتري، دار صادر، بيروت، 1962م.
34. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، منشورات محمد علي بيضون، دت.
35. رابح بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، 15 حي النصر، الحجار، عنابة، دت.
36. راث كيمبسون: نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا) ت: عبد القادر قنيني، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 1430هـ-2009م.
37. ساطع الحصري: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1985م.
38. ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ت: د/كمال بشر، دار غربي الطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت.

39. سعيد توفيق: ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ-2002م.
40. سليم طه التكريتي: محمد مهدي الجواهري، رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن، 1989م.
41. سليمان جبران: مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الرئيسي، بيروت، ط1، 2003م، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2006م.
42. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، صححه وشرحه محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، دت.
43. شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، 1976م.
44. صالح الدين زرال: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدماء حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 1429هـ-2008م.
45. صالح بلعيد: في قضايا فقه اللغة العربية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دت.
46. صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.
47. طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1967م.
48. عبد الرحمان الرافعي: شعراء العربية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1954م.
49. عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق درويش الجودي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 1996م.

50. عبد الصاحب الموسوي: حركة الشعر في النجف الأشرف، دار الزهراء، بيروت، ط1، 1988م.
51. عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط3، دت.
52. عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ط6، 1960م.
53. عبد القادر الرباعي: جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1420هـ/2009م.
54. عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، الكتاب الثاني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، دت.
55. عبد القادر الفاسي الفهري: المعجمية والتوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997م.
56. عبد القادر عبد الجليل: المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1426هـ-2006م.
57. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م.
58. عبد القاهر الرباعي: جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، عمان الأردن، 1430هـ/2009م.
59. عبد الكريم الدجيلي: الجواهري شاعر العربية، مطبعة الآداب، النجف، 1972م.
60. عبد الله الغزامي: الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1985م.
61. عثمانى الميلود: الشعرية التوليدية مدخل نظرية، المكتبة الأدبية، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1421هـ-2000م.
62. عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981م.

63. عطية سليمان أحمد: الدلالة الاجتماعية واللغوية للعبارة من كتاب الفاخر في ضوء نظرية الحقول الدلالية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1995م.
64. علي جابر المنصوري: الدلالة العربية الزمنية في الجملة، الدالر العلمية الدولية، ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2002م.
65. عمر الدقاق: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، جامعة حلب، ط3، 1973م.
66. غالي شكري: شعرنا الحديث... إلى أين؟!، دار المعارف، القاهرة، 1968م.
67. فاروق البقيلي: الجواهري، ذكرياتي أيامي، بيروت، 1972م.
68. فايز الداية: علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دار الفكر، دمشق - سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط2، 1996م.
69. فهمي حجازي: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت.
70. فوزي عيسى: قراءة النص الشعري، دار المعرفة الجامعية، 2008م.
71. فولفغانغ إيزر: فعل القراءة، ت: حميد الحمداني، الجلالى الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، دت.
72. كريم زكي حسام الدين: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ج1 و ج3، ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر 2000م.
73. كعب بن زهير: الديوان، دار صادر، بيروت، د ط، 1976م.
74. محمد أحمد خضير: التركيب والدلالة والسياق، دراسة تطبيقية، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، دت.
75. محمد صالح الضالع: الأسلوبية الصوتية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت.
76. محمد غاليم: التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، المعرفة اللسانية أبحاث ونماذج، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1987م.

77. محمد محمد داود: الصوائط والمعنى في العربية، دراسة دلالية ومعجم، دار غريب، القاهرة، 2001م.
78. محمد مهدي الجواهري: الديوان، ج1، ج2، المكتبة العصرية بصيدا، بيروت، 1967م.
79. محمد مهدي الجواهري: ذكرياتي، ج1، ج2، دار الرافدين، دمشق، 1988-1991م.
80. محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
81. محمود كشاة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات المصرية، 2005م.
82. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، جمهورية مصر العربية، ط4، 1426هـ-2005م.
83. معروف الرصافي: ديوان معروف الرصافي، دار الحرية، بغداد، 1976م.
84. مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 1986م.
85. مفدي زكريا: ديوان اللّهب المقدس، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1983م.
86. موسى بن مصطفى العبيدان: التوسّع الدلالي، دار الأوائل للنشر والتوزيع، 2003م.
87. هادي نهر: علم الدلالي التطبيقي في التراث العربي، دار جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث إيريد - الأردن، 2008م.
88. ياجيس بلاشير: أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي، ت: د/إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

الدوريات والمجلات والملتقيات:

1. إبراهيم السامرائي: مقال (الجواهري واللغة)، المجلة، لندن، العدد 132، 28 آب - 1982م.

2. إدوارد البستاني: حديث مع الجواهري، الأسبوع العربي، بيروت، العدد 449، تموز/يوليو/1968م.
3. أكرم زعتر: مقال (الجواهري شاعر التحدي)، الرسالة، القاهرة، العدد 193، نيسان/إبريل/1965م.
4. حسن العلوي: (حديث مع الجواهري)، جريدة الجمهورية، بغداد، العدد: 4275، 1972/11/18م.
5. ستيفان أولمان: (الأسلوب والشخصية)، ترجمة جابر عصفور، المجلة، لندن، العدد 176، آب/أوت/1979م.
6. سيد قطب: مقال (الوعي في الشعر)، الكاتب المصري، القاهرة، العدد الثامن، المجلد الثاني، 1946م.
7. السيميائية والنص الأدبي: أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، ماي 1995م.
8. عبد الرحمان منيف: (مفهوم الأصالة والمعاصرة في الفن)، المعرفة، دمشق، العدد 161، تموز/يوليو/24 1975م.
9. عبد الرحمان منيف: مقال (الجواهري والسياسة)، الطليعة، دمشق، العدد الثالث، آب/أوت 1997م.
10. عبد الوهاب البياتي: (الالتزام والتجربة الشعرية)، الآداب، بيروت، عدد مارس 1966م.
11. غراهام هو: (فصل الشعر والحقيقة)، مقالة في الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، دمشق، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، 1973م.
12. فايز العراقي: (الجواهري آخر العمالقة)، ملحق الثورة الثقافي، دمشق، العدد 73-32، 1997/8/7م.

13. فوزي كريم: مقال (الجواهري يكشف وثائقه كاملة)، مجلة الكلمة، بغداد، العدد الأول، السنة السادسة، 33 آذار - مارس 1979م.
14. كريم مروة: مقال (الجواهري الشاعر والسياسي والإنسان)، المدى، بيروت، العدد 19/1/1998م.
15. محمد مهدي الجواهري: حديث (الجواهري يكشف عن أوراقه)، مجلة الكلمة، لندن، العدد الثاني، آذار/مارس 1971م.
16. محمد مهدي الجواهري: مقال (المفردة حياة حافة وليست حروفاً)، الأديب العراقي، بغداد، العدد 43 الأول، 1962م.
17. محمود أمين العالم: مقال (الجواهري باق بيننا)، الطريق، العدد السادس، تشرين الثاني، 1997م.
18. هادي العلوي: مقال (الجواهري والتراث)، ملحق الثورة الثقافي، دمشق، العدد 72، 3/8/1997م.

الرسائل الجامعية:

1. حسام البهنساوي: التوليد الدلالي في دراسة المادة اللغوية في كتاب شجرة الدر لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية، رسالة دكتوراه، الناشر مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2003م.
2. عبد الواسع أحمد الحميري: الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، رسالة دكتوراه، 1995م.
3. فوزي علي صويلح: خصائص الأسلوب في شعر محمد مهدي الجواهري، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، 2008م.
4. محمد صالح أحمد جميح: توالد البنى وتوليد الدلالة في سيفيات المتنبي، دراسة نصية، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، 2001م.

المراجع الأجنبية:

1. Bordiaf Nicolas, *D'esclavage et de la libreté de l'homme*, Montaigne Oubire, 1945.
2. Brame Michael K, *Conjectures et réfutations dans la syntaxe et la sémantique*, New York, Nord-Holande publication, 1976.
3. Cohen Jean, *Structure de langage poétique*, Paris, 1996, Trad Madrid, 1973.
4. Greimas (A.G), *Sémantique structurale*, nouvelle éd, presse universitaire de France, Paris, 1986.
5. Jamel Eddine Bin cheich, *Poétique arab*, Paris, 1967.
6. Jean Dubois, *Dictionnaire du Français contemporaion*, Paris, Larousse, 1989.
7. Kristéva (J.), *Le texte du Roman*, Mouton, 1970.
8. Lakoff George, *Sur la sémantique générative*, in le D.D.Steinberg et L.A, 1971.
9. Lourance, *The seven of pilles of wisdom*, London, 1925.
10. Lyons (J), *Elements de sémantique*, Trad: Durand (J), Larousse, 1978.
11. McCawley James D, *Discussion du rayon C, méthodes génératives de la sémantique de Dougherty "Une contre-révolution de Bloomfieldian"*, journal international de la linguistique de Dravidian, 1975.
12. Michail Bakhtine, *Esthétique et théorie du roman*, Gallimard, 1978.
13. N.Chomsky, *Aspects de la théorie de syntaxe*, Combridge, impression de MIT, 1965.
14. Pierre Mare de Biasi, *Théorie de l'intertextualité dans l'encyclopédie universalis*, 1998.
15. Roland Barthes, *Eléments de sémiologie*, Trad, Madrid, 1971.
16. Roland Barthes, *The death of authers in (image musicted)*, Essays selected and translated by Stephen, Health, Fantain- Britain, 1979.
17. T.S.Eliot, *The frontiers of criticism* (in English critical Essays Twentieth century, London, Oxford University, 1985.
18. T.S.Eliot, *The use of poetry and the use of criticism*, London, 1970.

فهرس الموضوعات

المقدمة.....ص1-ص 8.

المدخل.....ص9- ص.25

- مفهوم التّوليد.....ص25- ص26.
- اللغويّون القدماء والتّوليد الدّالي..... ص 26 - ص 28.
- مصادر التّوليد اللغوي..... ص 28 - ص 29.
- التّوليد الدلالي عند المحدثين..... ص 29 - ص33.
- النّص الشعري.....ص 33 - ص35.
- مفهوم التّناس.....ص 35 - ص37.
- كيف نقرأ النّص الشعري.....ص 37 - ص43.

الفصل الأول: الألفاظ الدالة على

الألم.....ص 44-ص127.

1-مجموعة الألفاظ والتراكيب والصيغ الدالة على العذاب، والألم، والجراح، والمعاناة، وقسوة الحياة..... ص 50 -ص94.

2- مجموعة الألفاظ الدالة على الاحباط، وخيبة الأمل، والحزن، والتشاؤم، والمصاعب، وما له علاقة بذلك.....ص 95 -ص125.

الخلاصة.....ص 126 -ص127.

الفصل الثاني : الألفاظ الدالة على

الظلم.....ص128- ص224.

- مجموعة الألفاظ الدالة على الظلم، والجبروت، والاستباحة، والابتزاز، والاستغلال، والنفاق، والكذب، والتّخاذل، والخنوع، وما له علاقة بذلك.....ص 130 -ص221.

الخلاصة.....ص222-ص224.

الفصل الثالث: مجموعة الألفاظ الدالة على الثورة

والانتصار.....ص225-ص354.

-مجموعة الألفاظ الدالة على الثورة والانتصار.....ص 227-ص 351.

الخلاصة.....ص352-ص354.

الفصل الرابع: مجموعة الألفاظ الدالة على الابداع

والفنّ.....ص 355 - ص 468 .

- مجموعة الألفاظ الدالة على الابتكار والخلق

والابداع.....ص 357-ص466.

الخلاصة.....ص467 - ص 468.

الخاتمة.....ص469-ص482.

الكشاف المعجمي اللغوي.....ص483- ص 492.

فهرس المصادر والمراجع.....ص 493-ص504.

فهرس الموضوعات.....ص505-ص 507 .